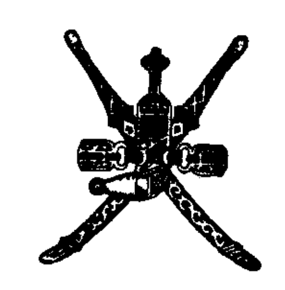


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

الدعائم

نظم
العلامة الفذ الفقيه
الشيخ أبو بكر أحمد بن النظر العماني

شرح
العالم الشيخ محمد بن وصاف
الفقيه العماني

الجزء الأول

تحقيق

عبد المنعم عامر

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
٥ شارع خان جعفر - سيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة المحقق

الدعائم فى اللغـة جمع دعامة بالـكسر ، وهى عماد البيت والخشب المنصوب للتعريش، وتقول دعمت الأمر، بالفتح، إذا كان مائلا فأقمته ، وادعمت بالتضعيف إذا اتـكأت وتساندت ، وقد استعار العالم الفقيه الشيخ محمد بن وصاف هذا اللفظ من معناه الأصلى المذكور ليكون اسما لديوان جمع فيه ما نظمه عالم زمانه وفقيه عصره ابن النظر فى أبواب الفقه الإسلامى على المذهب الإباضى وذلك لوجه الشبه بينهما ؛ فإن العلم بما فى هذه الأبواب من أحكام ومسائل دعامة للمسلم ، يقوم عليها سلوكه الدينى ، حتى ينال رضاء ربه وخالقه فى حياتيه الدنيا والآخرة .

ولقد حوى التراث العمانى عديداً من الـكتب الفقهية الأمهات ذات الأجزاء الـكثيرة التى تبلغ أعداد بعضها واحدا وأربعين مجلدا ، أو خمسين ، أو سبعين ، أو تسعين مجلدا ، مثل كتاب المصنف للـكندى، وكتاب منهج الطالبين للشقصى، وكتاب قاموس الشريعة للسعدى وهى نماذج يسيرة من المؤلفات العمانية العديدة فى العلوم الشرعية التى عنى فيها فقهاء أهل عمان ببيان الحلال والحرام ، وفق ماجاء فى القرآن الـكريم وفى السنة المحمدية ، وفى أعمـال الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وفيما يجرى عليـه الإجماع ، والقياس ، والاستدلال ، والاستحسان ، والاستصحاب . وذلك تبياناً لأمور الدين، حتى تـكون مؤلفاتهم

مرجعا للمسلم فى تفاوته ، يستشرف منه المنهج القويم للإيمان ، الذى دعا إليه الإسلام ، وجاءت به رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ونزلت فيه آيات القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك فاتبعوه ، واتقوا ، لعلكم ترحمون » ، وقوله جل شأنه : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السُّبُل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وقد استطاع ابن النظر فى مهارة فائقة أن يجمع فى منظومات شعرية يسيرة كل ما تحتويه هذه المصنفات الضخمة .

وإنه مما تجدر الإشارة إليه وبيانه أن المذهب الإباضى ليس مذهبا خاصا لعالم من علماء المسلمين كأبى حنيفة ، أو أحمد بن حنبل ، أو الشافعى ، أو مالك ، وإنما هو مذهب جماعة من المسلمين أهل استقامة ورجال تقييد ، يعتمدون على الحق لا على الخلق ، ولا يتقيدون إلا بما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم محمد ﷺ ، وقد نشأ مذهبهم هذا من قبل أن تنشأ المذاهب الإسلامية المعروفة ، وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، على يد واحد من كبار التابعين هو أبو الشعثاء ، جابر بن زيد الأزدى .

وقد أخذ جابر بن زيد العلم عن عبد الله بن عباس ، وعائشة أم المؤمنين ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم من الصحابة ، واستطاع أن يجمع علم سبعين من الصحابة الذين شهدوا غزوة بدر ، وقد أدركهم ، فبلغ فى العلم غايته ، وألف ودون ، وحقق ودقق ، ومهد الأصول ، وقيد الفصول ، وضبط الفقه ، فكان له السبق والفضل .

وعاش جابر بن زيد ينشر علمه فى المساجد بالبصرة ، وهى إذ ذاك ، مراد

العلم والعلماء ، وفى المجامع، يبث الخلق الحميد بين الناس، ويدعو إلى التمسك المتين بالدين القويم، والمحافظة على أصوله وفروعه ، ويفتى فى المشاكل التى تعرض للناس فى حياتهم الماشية، وكان يدعو سرا وعلنا إلى أن الأمة الإسلامية يجب أن تحافظ على شريعة الله لتكون خير أمة أخرجت للناس، وكان يندد فى دروسه ومجتمعاته بأولئك الذين انحرفوا عن دين الله ، فحكموا أهواءهم ، وأرضوا شهواتهم ، واتبعوا سبيل الشياطين ، كما كان يبارك الثورة التى تطيح بالظلم وتنزع الحكم من أيدى الخونة لتضعه فى أيد أمينة عليه ، حريصة على قداسة الأحكام الشرعية.

وقد خلف من بعده خلف ساروا على هديه ، منهم عبد الله بن إباض التميمى الذى شاع أمره فى أقطار المسلمين ، داعيا إلى الله ، وليا لأولياء الله ، لايهاب الجبابرة ، ولا يحابى الظلمة ، ولا يداهن فى الدين ، ولا يميل إلى أهل الأهواء والبدع ، وقد اشترك إباض فى الدفاع عن الكعبة المشرفة إلى جانب ابن الزبير ضد الجيش الأموى عام ٦٣ هـ (٦٨٢ م) احتسابا فى الجهاد ضد الأمويين ، ونصرة للحق .

وكان ابن إباض قد ذهب من البصرة إلى مكة مع نجدة بن عامر الحنفى ونافع ابن الأزرق وغيرهم مدفوعين برغبتهم وحماسهم فى الدفاع عن البيت الحرام على الرغم من اختلافهم مع ابن الزبير فى المبادىء ، وعند ما انسحب الجيش الشامى عقب وفاة يزيد بن معاوية حاول ابن إباض ومن معه إقناع ابن الزبير بوجهة نظرهم ، ووعدوه بالنصرة والمساعدة إن وافقهم ، ولكن ابن الزبير خالفهم فتركوا مكة ، وعاد عبد الله بن إباض ومن معه إلى البصرة ، حيث دار بينهم

نقاش حاد حول الخطوة التالية الواجب اتخاذها حيال التطورات التي تمر بها الدولة الإسلامية آنذاك ، وهل الخروج واجب ، أو أن البقاء بين أظهر المسلمين والتعايش معهم هو الأحسن في تلك الفترة .

وقد استقر رأى زعمائهم على الخروج ، ومنهم عبد الله بن إباض ونافع ابن الأزرق ، ولما جن الليل سمع عبد الله بن إباض دوى القراء ، وأصوات المؤذنين ، وتسبيح المسبحين ، فقال لأصحابه . أعن هؤلاء أخرج معهم ؟ وقرر القعود ، ورجع فكتم أمره ، وفارق ابن الأزرق وأتباعه .

ولقد أدى هذا الانقسام في الموقف السياسي إلى تباين فكرى وعقائدى ، فقد نادى الذين آثروا الخروج بآراء متطرفة وتبنوا مواقف مغالى فيها جدا تجاه بقية المسلمين بمن فيهم الذين آثروا القعود .

واختار الذين آثروا القعود ابن إباض ليكون المجادل باسمهم ضد الأزارقة وغيرهم من الفرق التي تطرفت ، فأصبح ابن إباض زعيم حركة المعارضة ضد المتطرفين في الدين ، وتكونت الفرقة الإباضية ونسبت تكوينها إلى ابن إباض نفسه ، واعتبرته رئيس الفرقة ومؤسسها . بيد أن الإمام الروحى وفقيه الإباضية هو جابر بن زيد الذى بلور الفكر الإباضى بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب الإسلامية ، إذ لا توجد لابن إباض مسألة واحدة تؤثر عنه في الدين والمذهب الإباضى .

ولقد انتشر المذهب الإباضى في أماكن كثيرة من بلاد المسلمين ، وانتصرت

الدعوة الإباضية فى تأسيس الإمامة فى جنوب الجزيرة العربية ، فى حضرموت وفى اليمن ، وفى شمال إفريقية ، فى المغرب وتونس وليبيا ، وفى شرق إفريقية ، فى زنجبار ، ودخل الإباضيون مكة بدون قتال ، واستسلمت لهم الطائف دون عناء واستولوا على المدينة المنورة ، وبقيت العقيدة الإباضية سائدة فى كثير من الأنحاء حتى عام ٥٥٠ هـ .

وعندما انتهت الحركة الإباضية فى حضرموت واليمن وشمال إفريقية توجهت أنظار الإباضيين إلى عمان لتكون المركز الذى ينطلق منه صوت الدعوة العالى ، وذلك لأن عمان كانت مؤهلة للقيام بهذه المهمة بحكم ظروفها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، وبحكم ولاءات أهلها المذهبية التى تدين فى معظمها للمذهب الإباضى .

وصارت عمان من بعد ذلك مراداً للحركة الإباضية، ومناراً للمذهب الإباضى وعكف علماؤها على الدرس والتحصيل لأمور الدين فى مصادره الأصلية ، وألفوا كثيرا من الكتب فى علوم الفقه والحديث والأصول، وقد وجدت هذه الكتب طريقها فى بلاد الإسلام ، وعكف على دراستها أهل المذهب فى شتى البلاد .

ولا تكاد أصول الفقه الإباضى وفروعه ومسائله تختلف عما هو معروف من أمور الدين فى المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة ، فالأصل فيها كلها ، كتاب الله ، وسنة رسوله ، والإجماع ، وإن كان هناك من فروق فإنها الفوارق التى لاتقدح فى الدين أو تمس جوهره ، ومبادئه العامة .

ومؤلف الدعائم شيخنا ابن النظر واحد من جملة هؤلاء العلماء الفقهاء ، وقد استطاع فى مهارة فائقة أن ينظم أصول المذهب الإباضى وفروعه ومسائله فى منظومات شعرية لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ووضحتها ، فجاء ديوانه « الدعائم » منطلقا جديداً فى المنهج التأليفى ، يجد فيه القارىء بغيته فى كل مايهمه من أمور دينه فى يسر وسهولة ، وفى لفظ واضح مبين ، ويستطيع الإنسان إن هو حفظ الديوان أن يكون على دراية شاملة بأمور دينه إذ أن الشعر أسهل فى الحفظ من النثر ، وأهل عمان لهم هواية مميزة بالشعر على مختلف مناهجه وطرائقه ولذا فقد اختار ابن النظر النظم فى التأليف .

ولقد غلبت على ابن النظر شاعريته الدافقة فى نظم هـذه القصائد الفقهية ، فنجده فى بعض الأحيان يستفتح بعض القصائد أو يختمها بأبيات بالغـة الروعة فى الفن الشعرى ، خيالا وصوغا .

ولقد انتشر صيت ديوان الدعائم فى شتى البلدان ، وقام بشرحه والتعليق عليه كثير من العلماء والفقهاء من أهل عمان ومن غيرها ، وتسابق الناس على نسخه وحيازته ، فأصبح واحدا من المراجع الهامة فى كثير من المكتبات العامة والخاصة فى بلاد المسلمين ، مخطوطا بأقلام وخطوط مختلفة .

ولقد شرح هـذا الديوان كل من الفقيه العمانى الشيخ أحمد بن عبـد الله من أهل أزكى فى القرن التاسع عشر ، والفقيه الإباضى الشيخ محمد بن أطفيش المغربى فى القرن العشرين ، وقد طبع هذا الشرح بالخط المغربى فى العقد الرابع من القرن العشرين .

كما شرحه الفقيه العمانى الشيخ محمد بن وصاف هذا الشرح الذى نقدمه للفكر الإسلامى فى هذا الكتاب من قبل بمئين من السنين ، وظل هذا الشرح مخطوطا لم ينشر إلى أن نالته يد كريمة وهمة وثابة تتمثل فى تلك الروح العالية لصاحب المعالى السيد فيصل بن على وزير التراث القومى والثقافة لسلطنة عمان ، فكتب لهذا المؤلف القيم أن يرى النور ، فينشر بين الناس .

وابن النظر هو العالم الفذ ، والفقيه المحيط أبو بكر أحمد بن سليمان بن عبدالله ابن أحمد ، من سلالة العالم الكبير الخضر بن سليمان جد أبيه ، ومن قبيلة بنى النظر ، التى نسب إليها لشهرتها .

وقد كان مسكنه مدينة سمايل ، وكان بيته بالجابية الفوقية شرق الجامع .

وكان جده الشيخ عبد الله بن أحمد قاضى القضاة بدما ، وهو الذى ألف كتاب « الإبانة فى الصكوك [و] الكتابة » أربعة مجلدات ، وكتاب « الرقاع فى أحكام الرضاع » مجلد واحد من أجل ما صنف من الأثر عند أهل العلم والنظر .

وإنه لما يدعو إلى الأسف أن تاريخ حياة ابن النظر غير معروف ، فمن الباحثين المؤرخين من يرى أنه عاش فى منتصف القرن الخامس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، ومنهم من يرى أنه عاش قبل تولى الإمام محمد بن غسان الذى نجح فى تحقيق الوحدة الوطنية ضد محاولات النبهانيين وحلفائهم أهل الأحساء وكان ذلك قبل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ومنهم من يربط تاريخ حياته بإمامة خنبش بن محمد ، وكل هذا استنتاجات غير محدودة المعالم .

وعلى أى حال فإن حياته كانت زمن النباهنة ، وهى فترة واسعة ، زمانها خمسمائة عام ، وإذا أخذنا فى الاعتبار حياة جده الأكبر الخضر بن سليمان المقيدة فى بعض مؤلفاته بعام ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) فإنه يجوز لنا القول بأن ابن النظر قد عاش فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

وقد كانت عمان آنذاك تحت حكم ملوك بنى نبهان تعيش فترة من أسوأ ما شهدته من فترات الجور والظلم . والشتات ، فقد كان الملوك من بنى نبهان ملوكا فى بعض من البلدان العمانية ، وكان الأئمة يقيمون فى بلدان أخرى ، وكان التناحر بين الفريقين كبيرا .

ونشأ ابن النظر فى هذه الفترة ، وقد تعلم على الشيخ مبارك بن سليمان بن ذهل ، وأخذ عنه الشعر وعلوم اللغة ، وكان ابن النظر نابغة فحفظ من الشعر العربى مايقرب من أربعين ألف بيت ، غير القصائد الطوال التى حفظ منها مالا يحصى له عدد ، وبرع فى العلم بسير العرب وتواريخهم ومحاوراتهم .

وظهرت شاعريته ، فنظم الشعر وهو صغير دون الثانية عشرة من عمره ، ويقال ، إنه كان ينظم القصيدة الطويلة فى ليلة واحدة .

وكان له ديوان من الشعر أكثره فى الغزل ، ولكن بعد أن تبحر فى علوم الدين ، ووقف على دقائق العلم وتوسع فى فنونه مزق ديوانه ، وانصرف إلى نظم علوم الشريعة ، وقد انتشرت منظوماته وقصائده فى شتى البلدان ، ولكن أكثرها

قد ذهب وضاع ، ومما ذهب من شعره ، قصيدته فى الولاية والبراءة ، وهى غير اللامية المشهورة ، التى مطلعها :

آمنت بالله الوهوب المفضل   الواحد الفرد القديم الأول

وقصائد أخرى فى الصلاة ، وفى الأحكام .

ولم تقف قدرات ابن النظر عند حد النظم والشعر فقد عنى بالتأليف ، فكان له كتاب : « سلك الجمان فى سيرة أهل عمان » مجلدان ، وكتاب : « الوحيد فى نقد التقاليد » مجلدان ، وكتاب : « قوى البصر فى جمع المختلف من الأثر » أربعة مجلدات .

ويروى المؤرخ العمانى الشيخ نورالدين عبد الله بن حميد السالمى ، فى كتابه: « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان » ـ الجزء الأول ـ أن ابن النظر عاش فى سمايل أيام ولاية واحد من النباهنة ، اسمه : خردلة بن سماعة بن محسن ، وقد كان حاكما ظالما ، يأخذ أموال رعيته غصبا واقتدارا ، ويأكل أموال المساجد والمدارس ، وكان يفرض لنفسه نصف مهر كل امرأة تتزوج من عاجل الصداق ، ويخاصم فى آجله ، وكان قاضيه إذ ذاك هو الضرير سلمة بن مانع ، وقد لقى الناس فى أيام هذا الوالى عنتا وقهرا ما بعدهما من قهر أو عنت

وقد تصادف أن تزوجت بنت أخت الشيخ ابن النظر برجل من بنى النظر على خمسين محمدية فضة ، فأرسل خردلة جنديا من جنده لقبض نصف مهرها من الشيخ ابن النظر ، فمنعه الشيخ ذلك .

فأرسل له خردلة جندا كثيرين يدعونه إلى حضرته .

ولما مثل بين يديه طالبه بنصف المهر ، وتهدده ، وأغلظ عليه ، ثم قال له : لقد كنا أردنا نصف الحسين فقط ، أما الآن فلا يكفينا إلا دمك .

فقال له الشيخ ابن النظر : الأمر لمن خلقك لا لك .

فقال له خردلة : أتهزأ بى ؟

وأشار إلى بعض الجند ، أن ألقوه فى الجب من هذه الكوة .

فكتفوه وألقوه ، فسقط على أرض الجبّ ميتا .

ثم أمر خردلة بأخذ داره ، ونهب ماله ، فدخل الجند الدار ، وعبثوا بها وأخذوا كتبه ، ومصنفاته فأحرقوها .

وقتل ابن النظر ، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، بعد أن خلف علما واسعا فى عمر قصير .

وهذا هو ما رواه المؤرخ العمانى السالمى عن ابن نهاية النظر ، ورغم أنه لاتوجد لدينا معلومات أو إضافات إلا أنه يمكن القول بأن ابن النظر كان رئيسا لأحد الأجنحة السياسية التى كانت تسود هذا العصر ، وأنه بالتأكيد كان معارضا للنظام السياسى القائم ، مما أوغر قلب خردلة عليه ، فاستغل هذه الحادثة للقضاء عليه كفكرة دينية سياسية ، ولتكون نهايته عبرة لكل من تسول له نفسه من العلماء معارضة حكم النبهانيين وولاتهم .

وإنه لمن المتصور أيضا أن يكون ابن النظر قد أعد نفسه لمنصب يطمح فيه جميع الفقهاء ، وأنه قد اتخذ من نبوغه ومقدرته الكلامية رواسى يقوم عليها

اختياره لما يأمله من المناصب التى تعتبر الـكفاءة الدينية هى المعيار الوحيد الذى يحدده الشرع لها ، وهو بعد لم يزل فى فتوة العمر ، وشباب الفـكر ، وهو سليل عائلة أثمرت شجرتها فقهاء عمان ونوابغها ، وأن هذه الأطماع كانت الأسباب الخفية وراء قتله ، وإحراق مؤلفاته التى شغف بها الشعب العمانى حبا ، وقد اتخذ فيها ابن النظر منهجه القائم على اهتماماته بأصول الفقه الإباضى ، وربطها بالتنظيم السياسى للدولة .

وأياما كان الأمر فإن الشيخ أبا بكر أحمد بن النظر لهو نابغة من نوابغ العلماء العمانيين ، وظاهرة فريدة استقنار بها الفـكر الإسلامى على مدى عصور التاريخ .

وأما الشيخ محمد بن وصاف النزوى الذى قام بشرح ديوان الدعائم فيذكر عنه الشيخ سالم بن حمود السمائلى العالم المؤرخ العمانى المعاصر أنه من علماء عمان، وأنه كان معاصرا لسلمة بن مسلم العوتبى صاحب الأنساب ، ولأبى سعيد محمد ابن سعيد الـكدمى صاحب كتاب الاستقامة والمعتبر .

ويذكر الشيخ محمد بن وصاف فى مقدمته ، أنه نظر فيما ألفه أهـل العلم من الـكتب ، وصنفوه من العلم والآداب ودونوه من الرجـز والشعر ، وأثروه من النظم والنثر فوجد كتاب الدعائم المضاف إلى أبى بـكر أحمد بن النظر العمانى من أحسن الـكتب نظما وتأليفا ، وأدلهـا معنى وتصنيفا ، وأنه لم يجد لهذا الـكتاب تفسيرا مع علو درجته ، وسمو مرتبته ، وأنه لما رأى هذا الديوان وهو من أجـل الـكتب قد استولى عليه التبديل والتصحيف ، والتغليب والتحريف ، فقد شحذ

فيه خاطره ، وفسر منه ماخفى على المتعلمين والناشئين والمقلين من العلم ، وقد اعتمد في تفسيره وشرحه على بطون الكتب والدفاتر وسؤال أهل العلم والبصائر ، محتجا على مايقوله فى شرحه بأشعار العرب من أهل الجاهلية والمخضرمين والإسلامية وكذا المحدثين رغم أنه لايحتج بقولهم .

ويرى بعض النقاد أن ابن وصاف قد عنى فى شرحه لديوان ابن النظر بالناحية اللغوية والنحوية ، حتى طغت على الناحية الفقهية ، وهذا الرأى إن كان له من الحقيقة واقع إلا أن المقام يقتضى هذا الذى ذهب إليه ابن وصاف فضلا عن أن المعانى لا تستبان إلا إذا وضحت ألفاظها لغة وإعرابا .

ولقد كان الفقيه الشيخ محمد بن وصاف النزوى من العلماء المجتهدين فى البحث عن الأدب وأمثاله ، فأخذ فى جمع قصائد ابن النظر من شتاتها واحتوى على أكثرها فى كتاب سماه الدعائم ، ويقال ، إنه قد ذهب من قصائد ابن النظر نحو سبع قصائد لم يعثر ، وعليها ابن وصاف ، إلى هذا من المؤلفين المعروفين وله كتاب اسمه « كحل ابن وصاف » معروف فى بلاد المغرب .

وهذه المخطوطة تقع فى إحدى عشرة وخمسمائة صحيفة من القطع الكبير ، مسطرتها ٣٠ × ٢٠سم ويحوى كل صحيفة منها حوالى خمس وعشرين سطرا ، فى كل سطر نحو أربع عشرة كلمة ، وهى مكتوبة بالقلم المهندى بخط النسخ ، ومرتبة بالتعقيب .

وتحتوى المخطوطة على سبع وعشرين قصيدة .

وقد تضمن الشرح أبيات القصائد كلها ، إما بيتا واحدا أو اثنين أو ثلاثا أو أكثر حسب مايقتضيه الذكر ويتكامل به المعنى المراد شرحه ، وهذه الأبيات مكتوبة بحروف كبيرة تميزها ، وهى مضبوطة بالشكل .

وناسخ المخطوطة هو الفقير لرحمة ربه: ساعد بن سرور بن صميم بن سالم بن عامر ابن على بن محمد بن سعيد الشيبى ، وقد فرغ من نسخها يوم الثامن عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية .

وكان نسخها من مخطوطة فى حوزة الناسخ للشيخ الأجل عبد الله بن سعيد ابن سالم النوفلى .

وقد عنيت فى تحقيق النص بتوضيح مايتطلبه العقل الناشىء فى العلم من المعرفة مما يستغلق عليه إدراكه فى ثنايا الكتاب ، دون إسهاب أو خروج عن القصد المنشود ، كما وضعت أرقاما لأبيات القصائد ، حصرا . وتمييزا لها مما عداها .

والله أسأل أن يهبنا التوفيق ، إنه نعم المولى ونعم النصير

عبد المنعم عامر



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وعليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير. الحمد لله ذي النعم العامة

والآلاء السابغة التامة، أول كل شيء وآخره وباطن كل شيء وظاهره والمطلع

على سرائر الصدور [illegible] وأشهد أن لا إله إلا الله [illegible]

من أخلص له إيمانه وخضع لربوبيته واستكان وأقر بوحدانيته وأذعن [illegible]

[illegible]

الصحيفة الأولى من المخطوط



عنا [illegible] رجل فقال له علمني العلم فقال له اذهب فتعلم القرآن ثم جاء إليه فقال

مثل ذلك ثم عاد إليه فقال له في الرابعة [illegible]

[illegible] فتعلم القرآن وعمل [illegible]

وقد قيل إن العلم [illegible] العالم والجاهل [illegible]

مطلقا [illegible] حسد [illegible]

من كيد حاسد [illegible] معاند [illegible] عتاب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

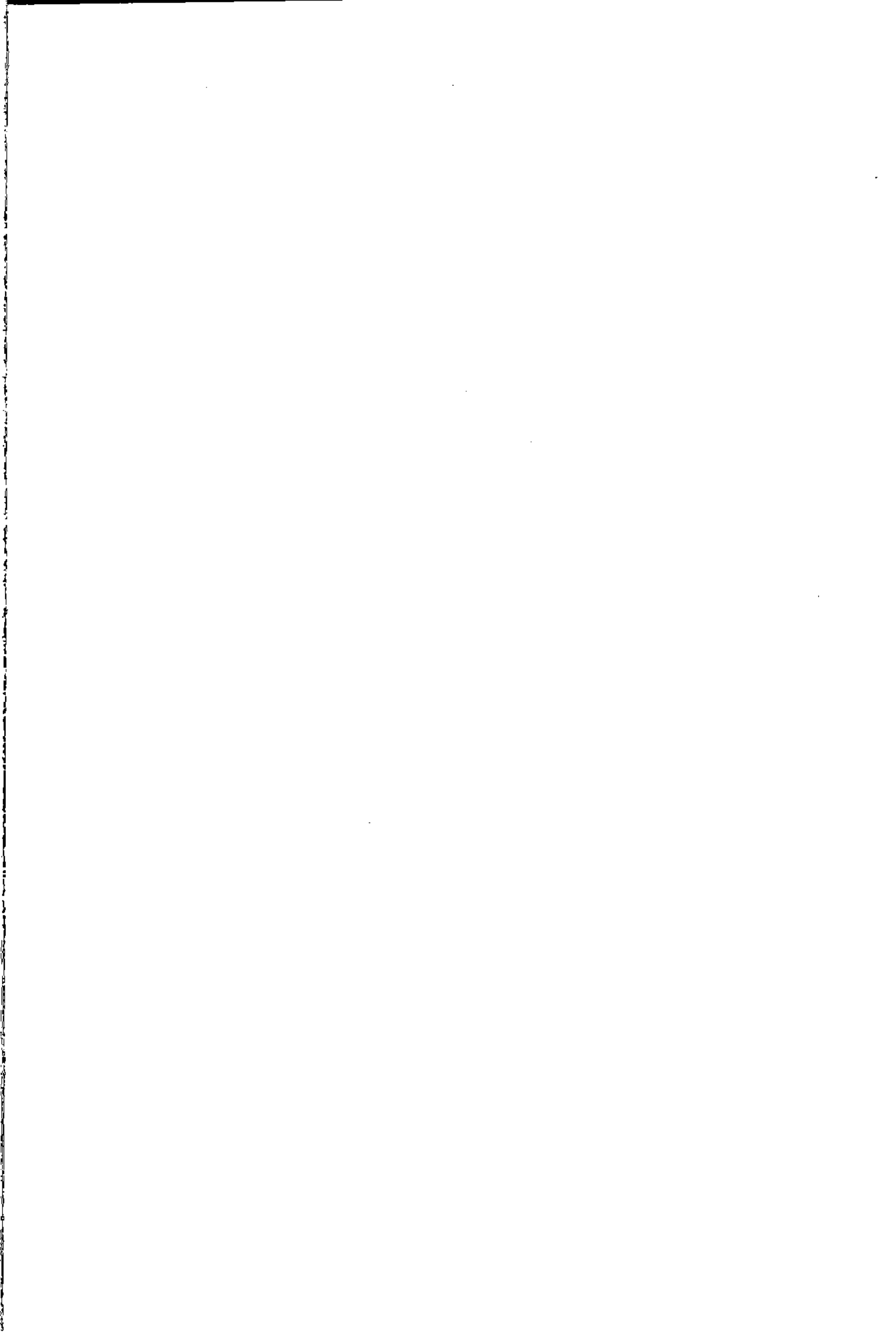
[illegible] عن اليمين وعن الشمال قعيد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصحيفة الثانية



كأنّ آيات اللآلي سطورها * بشذر ومرجان ودرّ مكلّل

[illegible] وهو [illegible] اللآلي جمع لؤلؤ والشذر قطع من

ذهب الواحدة شذرة وجمعه شذور وهو يلتقط من المعادن [illegible]

[illegible] من الذهب [illegible] اللؤلؤ [illegible]

فصلت [illegible] الياقوت والدر والمرجان اللؤلؤ الصغار قال الله تعالى يخرج منهما

اللؤلؤ والمرجان [illegible] معنى قوله مكلل يجعل عليه الإكليل

وتزرفل [illegible] كأنها * فتاة [illegible] الأتراب بالخز ترفل

ترفل [illegible] والعجب والجمال والحسن والكمال والأتراب

جمع ترب [illegible] وهن ذاكر على سن واحدة

عمى أيها [illegible] قلب كل منافق * سقام وفي أذنيه وقر وجندل

الوقر بفتح الواو الثقل في الأذن وهو الصمم قال الله تعالى كأن في أذنيه وقرا وقال وفي

آذاننا وقر أي صمم [illegible] الوقر بكسر الواو الحمل على رأس أو على ظهر دابة قال الله تعالى

فالحاملات وقرا [illegible] وهو واحد لا يثنى ولا يجمع

قال الله تعالى وفي آذاننا وقر وهو صمم [illegible] العصبة

[illegible] وهي ها هنا ٤٩ بيتا وعدد جملة شعر الشيخ أبي بكر أحمد بن النضر السموألي

العماني ٦٣٤ بيت التي حواها هذا الكتاب على يد الفقير [illegible]

ساعد بن سعيد بن هميم بن سالم [illegible] علي [illegible] بن سعيد التميمي

يوم ٨ شهر شعبان سنة ١٣٤٣ نسخته للشيخ الأجل الأمجد الأكرم

الأخ الناصح عبد الله بن سعيد بن سالم [illegible] اللهم [illegible]

وفهمه معانيه [illegible] واسع الإحسان وصلى الله

على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما آمين

[illegible] الناسخ من [illegible]

الصحيفة الأخيرة من المخطوط







بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وعليه نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، الحمد لله ذى النعم العامة ، والآلاء[1] الشاملة التامة ، أول كل شيء وآخره ، وباطن كل شيء وظاهره ، والمطلع على سرائر الصدور ، والعالم بدبيب النمل فى الديجور[2] ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من أخلص لله الإيمان ، وخضع لربوبيته واستكان ، وأقر بوحدانيته ودان ، وعمل بطاعته فى السر والإعلان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ونبيّه وأمينه ، وصفيّه وخيرته ونجيّه ، ﷺ ، ورحم وكرم .

قال الناظر فى هذا الكتاب ، الراجى جزيل الأجر والثواب محمد بن وصاف ، أما بعد ، فإنى نظرت فيما ألفه أهل العلم من الكتب ، وصنفوه من العلم والآداب ، ودونوه من الرجز[3] والشعر ، وأثروه من النظم والنثر ، فوجدت كتاب الدعائم المضاف إلى أبى بكر أحمد بن النظر[4] العمانى من أحسن الكتب نظماً وتأليفاً ، وأدلها معنى وتوصيفا .

---

(١) النعم واحدها إلى وألو. (٢) الظلام .

(٣) ضرب من الشعر ، وزنه مستفعلن ، ست مرات ، وقد سمى رجزا لتقارب أجزائه وقلة حروفه ، وزعم الخليل بن أحمد أنه ليس شعرا ، وإنما هو أنصاف أبيات ، أو أثلاث ، والأرجوزة القصيدة منه .

(٤) يكتب فى بعض المراجع النضر بالضاد .

وقد سمعت عن بعض الرواة من أهل الآداب أنه قال: إن أبابكر أحمد بن النظر، كان أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، غير أنى لم أجد لكتابه هذا تفسيراً مع درجته، وسمو مرتبته من العلم ومنزلته، وغفول أهل العلم من الأولين عن شرحه وتبيينه، ليفهم ذلك عنهم المتأخرون.

غير أنى أقول: إنهم تركوا ذلك لكثرة معرفتهم بما فيه من الفقه واللغة، وكذلك طبع من علم علماً يخال أن الناس يعلمون علمه، ويفهمون فهمه، ولا يحتاجون إلى تفسير ما علمه.

فلما رأيت هذا الكتاب من أجل الكتب، وما فيه من فنون العلم والأدب قد يستولى عليه التبديل والتصحيف، والتقليب والتحريف، شحذت فيه خاطرى، مع قلة علمى وبصرى، وفسرت منه ما خفى على المتعلمين والناشئين والمقلين من العلم، ولم أجعله لمن علت درجته فى العلم، وسبقت منزلته فى الأدب والفهم.

وكل ما فسرته فمن بطون الدفاتر، وسؤال أهل البصائر[1]، واحتججت على ذلك بأشعار العرب، من أهل الجاهلية والمخضرمين[2] والإسلامية والمحدثين.

فإن قال قائل، واعترض مطاول، إن المحدثين لا يحتج بقولهم، ولا هم حجة لمن يحتج بهم فلعمرى، أنه قد قيل ذلك، ولكنى وجدت أن المحدثين

---

(١) جمع بصيرة والمراد العقول.

(٢) هم الشعراء الذين عاشوا فى العصر الجاهلى وفى العصر الإسلامى.

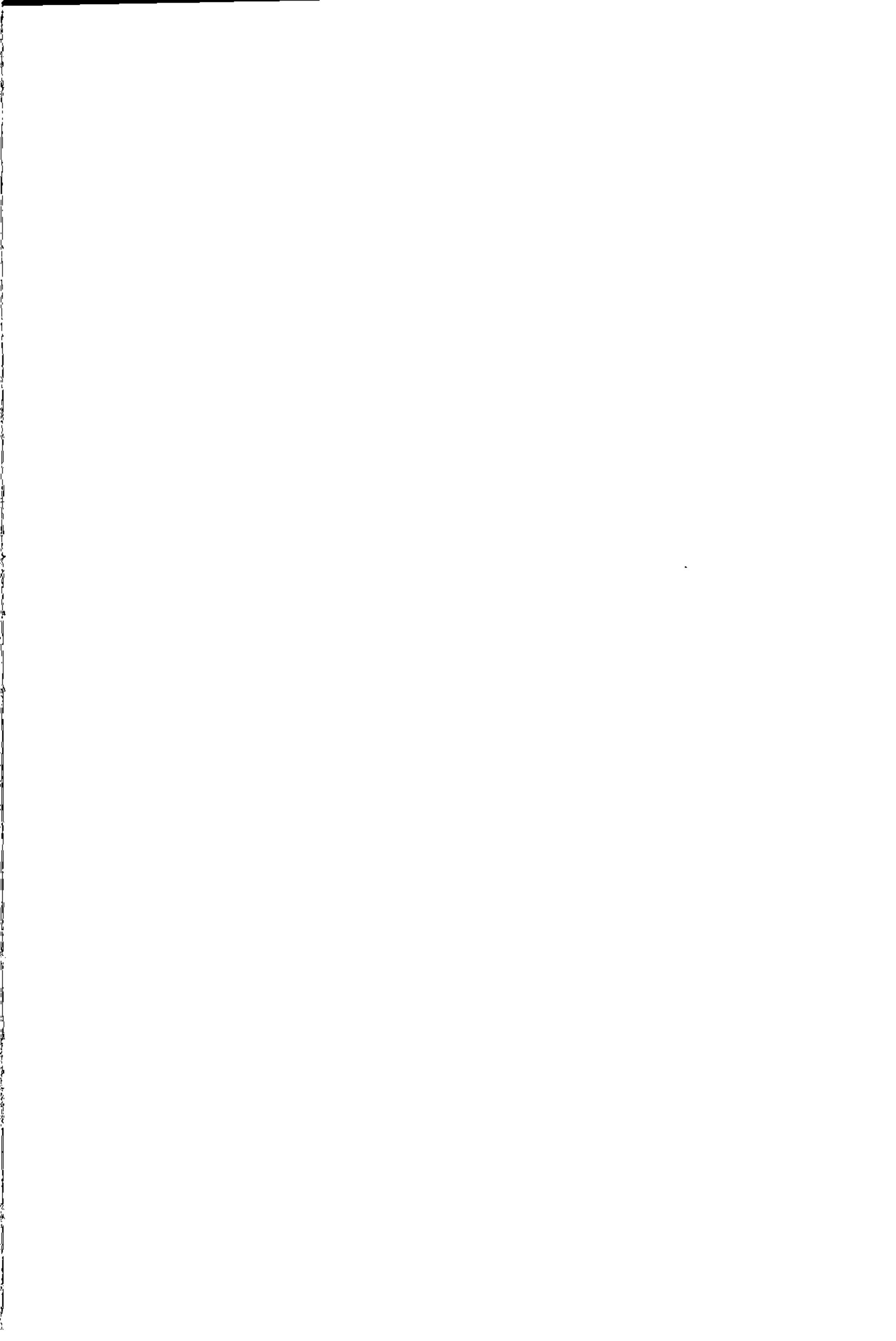
استشهدوا بهم فى المعانى كما يستشهد بالأوائل القداة بالألفاظ ، ومن أقوى حجة وبرهاناً ، وأوضح محجة وبياناً لى على ذلك قول النبى ﷺ فيما يروى عنه ، أنه جاء رجل ، فقال له : علمنى العلم ، فقال له : اذهب فتعلم القرآن ، ثم عاد إليه ، فقال له مثل ذلك ، ثم عاد إليه فقال له فى الرابعة : اقبل الحق ممن جاءك به ، أجنبيًا كان أو قريباً ، ورد الباطل على من جاءك به ، بغيضاً كان أو حبيباً ، فتعلم القرآن ، ومل معه حيث مال .

وقد قيل : إن العلم يؤخذ عن العالم والجاهل ، ويؤثر عن الأواخر والأوائل ، وليس فى هـذا مطعن لمن طعن ، ولا حجة لمن حسد واضطغن ، لأنى وجدت ، أنه من ألف كتاباً لم يخل فيه من كيد حاسد ، ولمز[١] معاند ، وهمز[٢] مغتاب ، وعيب عياب ، فإن وقف على ما شرحته وكتبته ، وفسرته ورسمته وأثرته فليبسط العذر لى عن الخطأ والزلل ، والسهو والخطل[٣] ، وبالله أستعين فيما أقصر وأطيل ، وهو الميسر لما أردت ، وبه التسهيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وآله ، ما دام الضحى والأصيل .

---

(١) العيب . (٢) الغمز .

(٣) الخطل حركة الكلام الفاسد .



القصيدة الأولى[1]

فى التوحيد وتفسير آيات من القرآن

قال الشيخ أحمد بن النضر فى التوحيد ، ونفى التشبيه عن الله عز وجل ، وتفسير آيات من كتاب الله مشكلات[2] :

[١] تَأَوَّبَنِي دَاءٌ دَخِيلٌ فَلَمْ أَنَمْ ... وَبِتُّ سَمِيرًا لِلْهُمُومِ وَلِلْهَمَمْ

تأوبنى أى طرقنى، والتأوب سير النهار كله ، والداء الدخيل الباطن الغامض فى القلب ، يكون من خوف الله تعالى وعقابه سميراً للهموم ، والهمم فهو ما أهمّك من أمر آخرتك ودنياك من حظ ، فأما الهموم تكون [فى أحزان الدنيا][3] .

[٢] وَمَا بِيَ عِشْقٌ لِلَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... وَلَا جَزَعٌ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا وَلَا سَقَمْ

يقول : ما بتّ سميراً لعشق المتحملين ، ولا جزعاً لفراقهم وبُعدهم ، والجزع هو الحزن ، حزن لمفارقة الشباب ، والسقم المرض والوجع ، تقول : سُقْم ، وسَقَم ، وعُدم وعَدم ، ولكن عطف على الجحد[4] ، كأنه قال: ما بى عشق للذين تحملوا وبانوا عنى ، وفاهوا .

---

(١) من بحر الطويل .

(٢) أى يستشكل فهم المراد منها على غير العارفين .

(٣) زيادة من المحقق إذ أن الكلام فى الأصل مقطوع عند لفظة تكون .

(٤) هذه الجملة فى الأصل ، ولا موضع لها فى السياق .

[٣] وَلَـكِنْ لِمَا فَاهُوا بِهِ وَتَـكَلَّمُوا
مِنَ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ فِي الْوَاحِدِ الْحَكَمْ[١]

ولكن لما فاهوا بالإفك والكذب ، وقالوا فى الله تعالى ما لا يحل ، والكذاب والكذوب ، وفاهوا تفوهوا ، أى تكلموا ، والحكم الحاكم .

[٤] لِقَوْلِهِمْ لِلّٰهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَدٌ مِثْلُ أَيْدِيهِمْ ، تَعَالَى ، وَمُبْتَسَمْ

تفسير اليد يأتى بعد هذا ، والمبتسم ، قال عنترة[٢] :

دَارٌ لِآنِسَةٍ غَضِيضٍ طَرْفُهَا طَوْعٌ . . . لَذِيذَةُ الْمُبْتَسَمِ[٣]

المبتسم الثغر ، قال الستالى :

صافِي الغُرُوبِ ، مُوَشَّرٌ شَتِ يتُ الثَّنَايَا ، طَيِّبُ الْمَرْشَفِ[٤]

[٥] وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا يُحَدُّ وَصُورَةً وَعَيْنًا وَأُذْنًا لَيْسَ فِي سَمْعِهَا صَمَمْ

وقالوا إن له وجهاً ، وعيناً ، وأذناً ويداً ، وذلك أنهم يشبهونه بالأجسام ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .

---

(١) البهتان هو الافتراء والكذب .

(٢) هو الشاعر الفارس عنترة بن شداد واحد من أصحاب المعلقات .

(٣) الآنسة: المرأة المؤنسة، من الإيناس. والطرف الغضيض أى العين ، ويعنى بأنها طوع المطاوعة والقبول والرضى ، والبيت مكسور فى الشطر الثانى .

(٤) الثنايا : الأسنان وشتيت الثنايا أى متفرقه . والمرشف الفم ، والستالى هو الشاعر العمانى أبو بكر أحمد بن سعيد وله ديوان أكثر فيه من مدح بنى نبهان ، والبيت من بحر الرجز وفيه علل .

[٦] بِتَحْرِيفِهِمْ آيَ الْكِتَابِ وَجَهْلِهِمْ بِتَأْوِيلِهِ أَضْحَوْا كَمُخْتَبِطِ الظُّلَمْ

التحريف فى الكلام التقليب ، آى الكتاب جمع آية ، المختبط الظلم ، الاختباط الاضطراب والتعسف بركوبهم الأمر على غير بصيرة منهم .

[٧] وَأَنَّ أُنَاسًا شَبَّهُوهُ بِخَلْقِهِ لَقَدْ عَدَلُوهُ ، جَلَّ ذُو الْعِزِّ ، بِالْأُمَمْ

يعنى ، أهل التشبيه ، يقول : شبهوه ، أى جعلوه شبه خلقه ، وعدلوه جعلوه عدلا ، أى مثلا ، ومعنى عدلوه أى اتخذوه فيه ، قد جهل من وصفه بالأمم ، والأمم جمع أمة ، وهم الخلق ، والأمم القرون الماضية .

[٨] وَقَالُوا لَهُ كِلْتَا يَدَيْهِ بِرِزْقِهِ عَلَى خَلْقِهِ مَبْسُوطَتَانِ وَبِالنِّقَمْ

يداه ، نعمته وقدرته دائمتان لا يغيرهما شىء ، واليد ها هنا النعمة ، مبسوطتان ، يعنى نعمة الدنيا والدين ، والنقم جمع نقمة ، وهى العقوبة .

[٩] وَدَاوُدُ مَاذَا الْأَيْدِ فَالْأَيْدُ قُوَّةٌ وَأَمَّا الْأَيَادِى فَالصَّنَائِعُ وَالنِّعَمْ[1]

تفسير قوله تعالى : « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ »[2] أى ذا القوة ، ويقال : قعدت بين يدى الدار ، أى قدامها ، وليست للدار يد ، إن الأيادى يريد الصنعة .

---

(١) داود النبي عليه السلام ، ملك بنى إسرائيل بعد طالوت الطاغية الجبار ، وهو من سبط يهوذا بن يعقوب ، ويقال ، إنه عاصر ملك الروم المسمى دقيانوس صاحب الفتية أهل الكهف ، وكان مقر ملك داود بلاد الشام ، وفيها ابتدأ بناء بيت المقدس ، وقد توفى قبل تمامه ، فاستتمه ابنه سليمان من بعده ، وأتم بناء مدينة إيلياء .

(٢) الآية مكية رقم ١٧ من سورة ص .

[١٠] فَتِلْكَ يَدُ الْإِحْسَانِ وَالعُرْفُ لَا يَدٌ كَمَا زَعَمُوا مَوْصُولَةُ الْكَفِّ وَالْقَدَمْ[١]

معنى تفسير اليد ، وقوله : زعموا ، بزعمهم ، لقولهم الـكذب .

[١١] وَقَالَ . وَكُلٌّ هَالِكٌ غَيْرَ وَجْهِهِ وَأَيْنَ تُوَلُّوا وَجْهَهُ تَجِدُوهُ ثَمّْ[٢]

قوله تعالى : « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ »[٣] ، وتفسيره يأتى بعد هذا .

[١٢] وَقَالُوا لِوَجْهِ اللهِ لِلّٰهِ فَاعْلَمُوا أَرَادَ وَهَذَا فِي اللُّغَاتِ وَفِي الْكَلِمْ

وقال : معنى قوله تعالى : « إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ »[٤] ، أراد الله سبحانه وتعالى .

[١٣] كَقَوْلِكَ وَجْهُ الْأَمْرِ لِلْأَمْرِ نَفْسِهِ وَمَا وَجْهُهُ وَجْهًا يُحَدُّ كَمَا زَعَمْ

مثل وجه الأمر ، ووجه الرأى ، ووجه القوم ، وهذا هو الشىء بنفسه ، لا أن له وجهاً ، ونصب وجها بنزع الخافض[٥] ، أى ، وما وجهه بوجه .

[١٤] فَمَعْنَى الَّذِى عَدَّدْتَ فِي الْوَجْهِ كُلِّهِ

هُوَ اللهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْبَارِئُ النَّسَمْ

الآلاء النعم ، والبارىء الخالق ، والنسم جمع نسمة ، وهى نفوس بنى آدم ، وكل نسمة نفس .

---

(١) العرف هو المعروف . والزعم هو القول الباطل والـكذب .
(٢) ثم أى هناك .
(٣) الآية مدنية رقم ١١٥ من سورة البقرة .
(٤) الآية مدنية رقم ٩ من سورة الإنسان .
(٥) نزع الخافض معناه حذف حرف الجر ، والخافض هو الذى يجر ما بعده .

[١٥] وَلِلْوَجْهِ تَفْسِيرٌ سِوَى ذَا كُلِّهِ مِنَ   الْجَاهِ وَالْمَعْنَى مِنَ الْفِعْلِ فَانْحَسَمْ

كقول القائل ، هذا وجه المتاع ، إذا أخبرت عن الشيء نفسه ، وهذا وجه الطريق ، ويقال : هذا وجه قومه أى من عظمائهم ، وقوله : فانحسم ، أى فانقطع والحسم القطع للشيء .

[١٦] وَقَالُوا فَقَوْلُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ   بِأَعْيُنِنَا تَجْرِى سَفِينَتُهُ أَمَمْ

بأعيننا أى بحفظنا ، والأمم أيضا القصد ، ومنه قولهم : أممت فلانا ، أى قصدته .

[١٧] فَمَا الْعَيْنُ ؟ قُلْتُ ، الْعَيْنُ مِنْهُ اقْتِدَارُهُ   وَمِنْ حِفْظِهِ كَيْلَا تَشَظَّى وَتَنْحَطِمْ

فالعين قدرته وحفظه ، كما قال امرؤ القيس[١] :

فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ   وَبَاتَ بِعَيْنِى قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ[٢]

وقوله تشظى يعنى سفينة نوح[٣] — عليه السلام — أى كيلا تنشق وتنحطم أى تنكسر ، والحطم الكسر . وسميت الحطمة لأنها تكسر أصلاءها .

---

(١) شاعر جاهلى مشهور : له معلقة شعرية مطلعها :
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وسقط اللوى والدخول وحومل أماكن .

(٢) غير مرسل أى مقيد .

(٣) نوح النبي عليه السلام . وهو نوح بن متوشلح ، وقد بعثه الله تعالى إلى أهل عصره ، وكان مقامه بأرض العراق ، فكذبه قومه ، فأغرقهم الله ، ونجى نوحا ومن معه فى السفينة ، وكان جنوح السفينة واستقرارها على رأس الجودى ، وهو جبل بقردى وبازبدى من أرض الجزيرة ، وقيل ، على جبل أرارات بأرمينية ، وبقردى وبازبدى كورتان متقابلتان ، أولاهما شرقى نهر دجلة ، والثانية غربيه .

ويقال ، إن أول نبي بعد شيث بن آدم هو إدريس ، واسمه أخنوخ بن برد بن مهليل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، وقد سمى بإدريس لكثرة دراسته . ولما مات نوح استخلف من بعده ابنه ساما .

[١٨] بِعَيْنِكَ هَذَا الْمَالُ قُلْتُ وَلَمْ أُرِدْ   بِهِ الْعَيْنَ دُونَ الْحِفْظِ فَاعْقِدْ بِهِ رِتَمْ

وهذا كما تقول : هذا المال بعينك ، والشيء بعينك ، والرتم الرواجب[١] .

[١٩] وَفِي غَيْرِ هَذَا الْعَيْنُ سَامٌ وَعَسْجَدٌ   وَغَبْيَةُ غَيْثٍ أَنْتَجَتْ عَيْنُهَا الرِّهَمْ

فقال : الدينار عين ، والسام الذهب .

قال الشاعر :

بَنَى السَّدَّ مِنْ دُونِ اللُّجَيْنِ وَسَامَهُ[٢]

وقيل: السام عروق الذهب التي لم تدخل النار، وامرأة اسمها سامة بنت لؤى، والغبية دفعة من المطر ، وقوله : أنتجت عينها الرهم ، فالعين السحاب الغزير ، والرهم الضعيف ، واحدها رهمة ، ورهام الجمع .

[٢٠] وَقَوْلُكَ عَيْنُ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ نَفْسِهِ   أَتَى بِهِمَا الْقُرْآنُ مَا بِهِمَا غَتَمْ

الخير ها هنا المال ، وقد وجدت فى كتب بعض المفسرين ، أنه ما كان من خير فهو كقوله عز وجل : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »[٣] ، أى لحب المال ، وقوله : أتى بهما القرآن ما بهما غتم ، أى ما بهما غتمة ، والغتمة العجمة، والقرآن فصيح عربى ، والغتم أيضا الاعوجاج .

[٢١] فَهَذَا مِنَ التَّأْكِيدِ يُطْلَقُ عِنْدَهُمْ   فَقِفْ وَتَأَمَّلْ مَا أُرَدْ بِهِ وَشِمْ

شم أى انظر ، تقول: شمت البرق إذا نظرته ، وفى غير هذا شام السيف أى سلّه من غمده ، وشامه إذا غمده ، وهو من الأضداد .

(١) مفاصل أصول الأصابع ، أو المفاصل التى تلى الأنامل .
(٢) اكتفى الشارح بالشطر الأول من البيت لتمام الاستشهاد به ، واللجين الذهب .
(٣) الآية مكية رقم ٨ من سورة العاديات .

[٢٢] وَأَهْوَنَ يَعْنِي هَيِّنًا فِي كَلَامِهِ ـ كَأَكْبَرَ فَالْزَمْ مَنْهَجَ الْحَقِّ وَاسْتَقِمْ

أهون معناه هين، فإن سأل سائل، ما معنى قوله : « وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »[(١)]
قيل له : قال ابن عباس وغيره، يقول : كل هين، ومعنى قول كأكبر تشبيه وحجة لأهون، أى أهون مثل أكبر، وقولك : الله أكبر، أى كبير، تعظيما لله بلا صفة شخص .

[٢٣] وَقَالَ أَلَمْ نَسْمَعْ هُنَالِكَ سِرَّهُمْ ـ أَرَادَ أَلَمْ نَعْلَمْهُ حَقًّا كَمَا عَلِمْ

يعنى قوله تعالى : « أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ »[(٢)] ، يعنى، نسمع أى نعلم ما يسرون فى أنفسهم .

[٢٤] وَقَوْلُ الْمُصَلِّي اللهُ يَسْمَعُ حَمْدَمَنْ ـ أَمَرَّ إِلَيْهِ الْقَوْلَ وَالَّليْلُ مُرْتَكِمْ

يعنى، يسمع حمد من أمر الحمد له فى ظلمة الليل، وارتكام بعضه على بعض، ومنه قول الله تعالى : « ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا[(٣)] »، يعنى شدة سواده .

[٢٥] فَذَلِكَ مَعْنَاهُ الْقَبُولُ لِحَمْدِهِ ـ فَيَرْحَمُ شَكْوَاهُ فَطُوبَى لِمَنْ رَحِمْ

وقد قيل : يسمع حمد من أمر إليه القول، أى يجيب دعاءه :
قال الشاعر :

دَعَوْتُ اللهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا ـ يَكُونَ اللهُ أَسْمَعَ مَا أَقُولُ

أى يجيب .

---

(١) من الآية المكية رقم ٢٧ من سورة الروم .
(٢) الآية مكية رقم ٨٠ من سورة الزخرف، وفى الأصل تحريف فى لفظ أم .
(٣) الآية مدنية رقم ٤٣ من سورة النور .

وطوبى[1] شجرة فى الجنة ، ظلها فى دار رسول الله ﷺ ، وفى كل دار من دور المسلمين غصن من أغصانها .

[٢٦] وَأَمَّا تَجَلِّيهِ ، تَبَارَكَ لِلْعَلَمْ فَذَلِكَ بِالآيَاتِ فَانْهَدَّ وَانْهَشَمْ

معنى قوله تعالى : « فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا »[٢] ، أى تجلى بآية من آياته ، فلم يطق الجبل حمل تلك الآية ، وصار دكا ، كما قال الله تعالى : « لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا »[٣] ، وقوله : انهد أى تهدد وانكسر وانهشم .

[٢٧] وَأَمَّا كَلَامُ اللهِ فَهْوَ كِتَابُهُ كَذَلِكَ قَالَ اللهُ لِلطَّاهِرِ الشِّيَمْ

وأما كلام الله كتابه ، وكتابه كلامه ، والطاهر الشيم النبى ﷺ ، والشيم جمع شيمة ، وهى الخلق ، والخلق والخلائق والطبع كله سواء .

[٢٨] وَكَلَّمَ مُوسَى وَحْيُهُ لَا كَلَامُهُ كَزَعْمِهِم كَانَ الْكَلَامُ لَهُ بِفَمْ

فيجوز أن يكون كله بالوحى منه إليه ، وقد سمى الله التوراة كلامه ، وقال الله تعالى : وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ[٤] الآية .

---

(١) طوبى لك وطوباك دعاء بالخير وكما قيل إنها شجرة فى الجنة قيل إنها الجنة نفسها باللغة الهندية ، كذا فى القاموس .

(٢) الآية مكية رقم ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) الآية مدنية رقم ٢١ من سورة الحشر .

(٤) الآية مدنية رقم ٧٥ من سورة البقرة .

اختلاف الناس فى كلام الله لموسى عليه السلام ، فقال قوم : أسمعه نفسه متكلما ، وقال آخرون : أسمعه صوتا ، أفهم به الكلام ، وقال قوم ، إنه كلمه بالوحى ، قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ »[1] ، وهذا خبر منسوخ[2] .

[٢٩] وَلِلْوَحْيِ تَفْسِيرٌ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ   فَوَجْهَانِ مِنْهُ بِالرِّسَالَةِ وَالْفَهَمْ

وفى الوحى معان جليلة ، وتفسير طويل ، وسنذكر منها ما نراه ، اختصارا ، لئلا يطول الكتاب ، فمنه وحى الرسالة ، قوله : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، فهذا وحى الرسالة .

[٣٠] وَوَجْهٌ مِنَ الْإِيمَاءِ فَافْهَمْ وَلَا تَكُنْ   كَذِي الْخَيْرَةِ الْعَادِي عَلَى الشَّوْكِ يَقْتَحِمْ

وأما وحى الإلهام التعريف ، قوله تعالى : وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ[3] ،

---

(١) الآية مكية رقم ٥١ من سورة الشورى .

(٢) كذا فى الأصل ولم نقف على وجه نسخه فى أى من كتب التفسير المعروفة :

والنسخ فى اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين ، أحدهما إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق ، والثانى رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه ، ومثال الأول ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، ومثال رفع عموم نص سابق قوله تعالى : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، فهذا عموم ، رفع بقوله تعالى فى سورة الأحزاب : إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، وأما مثال قيد المطلق فقوله تعالى فى سورة المائدة : (حرمت عليكم الميتة والدم) وقوله تعالى فى آية أخرى من سورة الأنعام : قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، فالنص الأول مطلق للدم المحرم ، والثانى مقيد له بالدم المسفوح .

(٣) الآية مكية رقم ٦٨ من سورة النحل .

وهذا وحى الإلهام ، وقوله تعالى : فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا[١] ، أعرفها وبينهما ، وأما قوله تعالى ، وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ[٢] ، ألقيت فى قلوبهم وإليهم ، الحيرة المتحير الذى لا يهتدى طريقا ، والغاوى أيضا الضال ، وقوله : فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى[٣] ، قال السجستانى[٤] ، أوحى إليه كله مشافهة ، وسمع كلاما ، وأما وحى الإيماء ، فَأَوْحَى إِلَيْهِم أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا[٥] ، فى بعض التفسير ، أنه أوحى إليهم .

[٣١] وَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ فَتِلْكَ كَرَاهَةٌ وَشِدَّةُ أَمْرٍ تَأْخُذُ النَّفْسَ بِالْكَظَمْ

تفسير معنى قوله : يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، معناه عن شدة أهوال يوم القيامة ، وقال ابن عباس[٦] ، الأمر الشديد ، والكظم أن يكظم الإنسان غيظه ، أى يحبسه ، وقال الله تعالى : وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ[٧] ، أى الحابسين الغيظ .

---

(١) الآية مكية رقم ٨ من سورة الشمس .

(٢) الآية مدنية رقم ١١١ من سورة المائدة .

(٣) الآية مكية رقم ١٠ من سورة النجم .

(٤) هو أبو حاتم السجستانى كان إماما فى علوم اللغة والأدب ، وصاحب مؤلفات عديدة .ات عام ٨٧٠ م بعد أن عاش حياة طويلة ، نشأ فيها تلميذاً على الأخفش إمام اللغة ، وتتلمذ عليه أبو العباس المبرد ، العالم اللغوى المشهور ، وقد روى عنه أبو بكر ابن دريد عالم اللغة .

(٥) الآية مكية رقم ٢ ٤ من سورة القلم .

(٦) ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب ، ولد قبل الهجرة بسنتين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل ، وقال ابن مسعود : ترجمان القرآن ابن عباس ، وروى عنه أنه قال ، كنت أسمع بالرجل عنده الحديث فآتيه فأجلس حتى يخرج فأسأله ولو شئت أن أستخرجه لفعلت ، وعلى ابن عباس يدور علم أهل مكة فى التفسير والفقه . توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٧) من الآية المدنية رقم ١٣٤ من سورة آل عمران .

[٣٢] كَقَوْلِكَ قَامَتْ بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا عَلَى سَاقِهَا الْهَيْجَاءُ نِيرَانُهَا حَدَمْ

بفتح المهملتين ، الحاء والدال ، والقنابل جماعة الخيل ، واحـدها قنبلة ، والقنا جمع قناة ، وهى الرماح ، والهيجاء الحرب ، مقصور وممدود ، والحدم الشديد الاضطرام من النار ، وكذلك شدة حر الصيف .

[٣٣] وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ فَأَحْدَرْتُ طَالِباً شُعَيْباً فَجَاءَتْنِي تَفِيضُ إِلَى الْوَدَمْ

شمر إذا بالغ وجد فى طلبه الشىء ، يشتد فيه طلبه ، وذلك أن الرجـل إذا جد فى أمر يطلبه شمر عن ساقه إزاره لشدة ما به .

قال الشاعر :

وقفتُ إذا جارى دعا لمضُوقَةٍ أُشَمِّرُ حتى يبلغَ السَّاقُ مِئْزَرى[1]

ونصب طالبا على الحال ، ونصب شعيبا بالفعل[2] ، وهو نعت[3] ، والشعيب الدلو القديمة ، والودم الذى يكون عند إذهاب الولد .

[٣٤] تَعَالَى إِلٰهُ الْخَلْقِ عَنْ وَصْفِ خَلْقِهِ بِأَنْفُسِهِمْ فِى اللَّفْظِ وَاللَّحْظِ وَالْأَمَمْ

تعالى تفاعل من العلو ، وقيل ، إن معنى الله والإلٰه واحد ، وقوله ، فى اللحظ واللحظ والأمم ، فاللفظ كلام ، واللحظ نظر العين ، والأمم وهى القامة .

قال الأعشى[4] :

فإن معاونة الأكرمين حسان الوجوه طول الأمم

---

(١) المضوقة ما يضيق به الصدر .

(٢) وهو أحدر ، أى منصوب على أنه مفعول به .

(٣) أى الجملة كلها .

(٤) الشاعر الجاهلى المعروف ، ميمون بن قيس بن شراحيل ، له معلقة مطلعها :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيهـا الرجل

[٣٥] وَضِحْكُ الَّذِينَ آمَنُوا فِي كِتَابِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْفُلْحُ وَالْفَوْزُ وَالنِّعَمْ

ضحكهم سرور وظفر ، وفرح وتقى ، وأيضا بما أعطاهم الله ، وقوله فلح ، وهو مفلح ، وهو مصدره الفلاح ، وهو خير

[٣٦] وَلَيْسَ بِهِمْ هُزْءٌ وَلَا يَعْتَرِيهِمُ لَهُ خِفَّةُ الْجِذْلَانِ قَهْقَهَ أَوْ بَسَمْ

الهزء السخرية . قال الله تعـــالى : « وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا[١] »

ولا يعتريهم ، أى لا يغشاهم ، والجذلان الفرح والمسرور ، والقهقهة تحريك القلب بالضحك ، والبسم ظهور الأسنان بالضحك .

[٣٧] بَلِ الضِّحْكُ مَعْنَاهُ السُّرُورُ لِفَوْزِهِمْ

وَمَا خَوَّلُوهُ فِي الْجِنَانِ مِنَ الْقِسَمْ[٢]

خولوه أى أعطوه وأنيلوه من الجزاء على أعمالهم ، يقول ، خولني فلان كذا ، أى أعطاني ، والقسم جمع قسمة ، وهى الحظوظ ، تقول هذا قسمي ، أى حظي ونصيبي ، والقسم بفتح القاف والسين اليمين والحلف ، والقسم بفتح القاف وتسكين السين مصدر قسمت الشيء أقسمه قسما .

[٣٨] وَضِحْكُ الْفَلَا إِشْرَاقُهَا بِنَبَاتِهَا

إِذَا اسْتَأْسَدَتْ وَالْتَفَّ مِنْ حَوْلِهَا الْأَجَمْ[٣]

ضحك إشراقها بالنبات اخضراره ونوره ، واستأسدت أشرقت وأزهرت ،

---

(١) الآية مدنية رقم ١٢ من سورة المائدة .

(٢) فى الأصل لفظ النعم بدل القسم ، والشرح بعده يقتضى أن يكون اللفظ هو القسم .

(٣) الفلا والفلاة الصحراء .

وقيل ، استأسدت كثر نبتها ، والتف اجتمع ، ومنه قوله تعالى : « وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا »[١]،أى التف شجرها، والأجمة والأجم العرين والجيش والفرس والغيد[٢] كله مواضع الأسد .

[٣٩] وَقَوْلُهُم فِى اللهِ يَضْحَكُ لِلَّذِى أَطَاعَ لَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْأُمَمْ

لا يوصف الله تعالى بأنه يضحك ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والأمم جمع أمة ، وهى القرون الماضية ، يقال : مضت أمة بعد أمة .

[٤٠] وَذَلِكَ أَنْ يَلْقَاهُ مِنْهُ بِنَائِلٍ وَبَسْطَةِ جُودٍ لَيْسَ مِنْ بَعْدِهَا عَدَمْ

النيل ما تناله وتعطيه غيرك من نوال أو فضل ، وهو النوال والعطاء .

قال امرؤ القيس[٣] :

إذا قلتُ هَاتِى نَاوِلِينِى تَمايَلَتْ عَلَىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ[٤]

نولتنى ونالتنى أى أعطتنى ، والعدم فقد الشيء ، وذهابه ، يقال ، أعدمته وأعدمه عدوما وعدما بمعنى واحد .

قال الشاعر :

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَه عَدَمُ المَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمْ[٥]

(١) الآية مكية رقم ١٦ من سورة النبأ .
(٢) الشجرة الغضة ، والمكان الأغيد الكثير النبات .
(٣) ابن حجر الشاعر الجاهلى المشهور ، وصاحب إحدى المعلقات العشر .
(٤) فى الأصل هظيم الكشح وصوابه هضيم الكشح أى لطيفته .
(٥) الحلم: العقل .

[٤١] وَأَمَّا قَضَاهُ اللهِ فِينَا فَخَلْقُهُ   وَتَدْبِيرُهُ فَافْهَم مَقَالِي وَاغْتَنِمْ

يقال ، قضيت الأمر إذا فرغت منه ، وأحكمته ، واغتنم من الغنيمة .

[٤٢] وَلَا تَرْكَبِ الْعَشْوَاءَ وَارْجِعْ إِلَى الْهُدَى   فَإِنَّكَ مُودٍ عَنْ قَرِيبٍ فَمُخْتَرَمْ

العشواء أن يركب أمرا على غير بيان ، قوله مود أى ميت ، أودى يودى فهو مود ، ومعنى مخترم منقطع ، خرمته المنون أى قطعته .

[٤٣] أَتَسْأَلُ عَنْ عِيسَى النَّبِيِّ وَقَوْلِهِ   لَهُ رُوحُهُ فَافْهَمْ كَلَامِي وَكُنْ فَهِمْ

روحه كلمته ألقاها إلى مريم[1] ، فكان روحا منه أحياه ، فجعله روحا ، وقيل لعيسى ، الروح من الله ، أى خالقه الله .

[٤٤] فَمَعْنَاهُ فِيهِ خَلْقُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ   مَلِيكٌ تَعَالَى مُلْكُهُ غَيْرَ مُنْصَرِمْ

مليك ومالك وملك قد جاء فى القرآن بهذا كله ، وغير منصرم غير زائل ولا منقطع وصل ، الصرم القطع ، ومنه صرمت ثمرة النخلة أى قطعتها ، ومنه قولهم : هذا أوان الصرم .

[٤٥] إِلَى مَرْيَمٍ أَلْقَى فَجَاءَتْهُمُ بِهِ   يُخَاطِبُهُمْ طِفْلًا وَفِي هَدْيِ مُحْتَلِمْ

مريم لاينصرف[2] ، وأما الشاعر يصرف ما لا ينصرف[3] ، وقوله :

---

(١) مريم ابنة عمران ، أم عيسى عليه السلام ، والمرأة المريم هى التى تحب حديث الرجال ولا تفجر .

(٢) أى لاينون ، ويجر بالفتحة للعلمية والعجمة ، أو للعلمية والتأنيث .

(٣) أى ينون مالا ينون لضرورة الشعر ، والتنوين الفتحة والضمة والكسرة التى تسمع نونا وتكتب حركة .

يخاطبهم طفلا نصب طفلا على الحال، وقوله : وفى هدى محتلم ، أى فى زى رجل بالغ عاقل فى سكينته ووقاره .

[٤٦] وَمَعْنَاهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بِجُودِهِ   وَعَائِدَةٍ مِنْهُ تَبَارَكَ ذِي الْعِظَمْ

العائدة المعروف والصلة، تقول: لفلان عائدة على فلان، أى معروف، وتبارك مأخوذ من البركة ، وهى الزيادة والنماء ، وتبارك تعاظم ، والعظم جمع عظمة ، والعظيم عظم شأن لا عظم جسم .

[٤٧] وَقَالَ وُجُوهٌ نَاظِرَاتٌ لِعَطْفِهِ   وَرَحْمَتِهِ يَوْمَ التَّغَابُنِ وَالنَّدَمْ[1]

وقوله : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ »[2] ، فالأولى بالضاد والثانية بالظاء ، فالأولى من النضرة والحسن والحبور ، وإشراق الوجه بما يناله يوم القيامة، والثانية بالظاء الانتظار، يقال: نظر الله وجهه نظرا ونظارة ونظورا، وأنشد :

نَضَّرَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوهَا   بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[3]

ومن الانتظار قول الشاعر :

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى   فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ

والنادم يندمون حيث لا تنفعهم الندامة .

---

(١) التغابن تفاعل من غبن الشيء إذا نسيه أو أغفله: والتغابن أن يغبن بعضهم بعضا ويومه المراد به يوم القيامة لأن أهل الجنة تغبن أهل النار .

(٢) الآية مكية رقم ٢٢ من سورة القيامة .

(٣) سجستان اسم بلد وطلحة الطلحات هو طلحة بن عبيد الله بن خلف لأن أمه صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد مناف .

[٤٨] وَقَالَ إِلَيْهِ طَيِّبُ الْقَوْلِ صَاعِدٌ
وَصَالِحُ مَا يُؤْتَى مِنَ الْفِعْلِ وَالْكَلِمْ[1]

قوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»[2]، معنى ذلك، يصعد إليه، كمكان الذى يتولى الحكم وإنفاذ الأمور، ومعنى الصعود، وقيل له الصعود مكتوبا إلى مكان الذى تولى الحكم فيه إلا هو، يقال لأنه لا يحكم بين عباده يوم القيامة غيره، والكلم جمع كلمة.

[٤٩] فَيَرْفَعُهُ يَعْنِي بِذَاكَ قَبُولُهُ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ الْمُشَبِّهَةُ الْغُشُمْ

المشبهة الذين يشبهون الله تعالى بالأجسام والصور، وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون[3]، وهم الذين يشبهون الله تعالى بالصور والأجسام، والغُشم جمع غاشم، والغَشم الظلم.

[٥٠] وَقَالَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَاسْتِوَاؤُهُ
عَلَيْهِ اسْتِوَاءُ الْمُلْكِ لِلْفَرْدِ ذِي الْقِدَمْ

تفسير الاستواء يأتى بعد هذا، قوله الفرد، فالفرد الواحد، وأفردته جعلته واحدا، والله جل ثناؤه هو الفرد، وقد تفرد بالأمر والخلق دون خلقه، وذى القدم أى القديم.

(١) فى الأصل يأتى بدل يؤتى.

(٢) الآية مكية رقم ١٠ من سورة فاطر.

(٣) رواه الإمام أحمد والبخارى عن عائشة بلفظ الذين يضاهون بخلق الله بدل المصورون.

[٥١] كَقَوْلِهِمُ الدُّنْيَا اسْتَوَتْ لِأَمِيرِهَا
فَأَضْحَى قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْحِلِّ وَالْحَرَمْ

أضحى بمعنى أصبح[1]، استوى تفعل[2] من الاستواء عليها وجمعها وحازها ومنعها، والحل ما عدا الحرم من الأمصار والمدن والأقطار، والحرم مكة وماحولها، وسمى الحرم حرما لأنه حرام فيه القتال، وحرام صيده وقطع شجره .

[٥٢] وَأَمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ اسْتِوَاؤُهُ أَرَادَ بِهِ الْإِقْبَالَ فِي خَلْقِهِ وَا...[3]

فإن سأل سائل فقال : ما معنى وصف الله تعالى نفسه بأنه مستو على العرش، قيل له : الاستواء استواء الملك والقدرة والتدبير ، فقال : عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، يقال : علا ، ومعنى علا قدر ولم يزل قادرا .

قال الشاعر :

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمُ تَرَكْنَاهُمُ صَرْعَى بِشَرٍّ رِكَاسٍ[4]

[٥٣] [وَلَمْ][5] يَقُلْ إِنَّهُ يَعْنِي اسْتَوَى فَوْقَ عَرْشِهِ
قُعُودًا فِي جِسْمٍ تَبَعَّضَ مُقْتَسِمْ

نصب قعوداً على فقدان الخافض[6] ، كأنه أراد ، كقعود ، تبعض تجزأ

---

(١) المراد معناها فى العمل بمعنى ترفع الاسم وتنصب الخبر إذ أن معناها وقت الضحى وهو غير وقت الصبح .

(٢) كذا فى الأصل ، وصوابه ، افتعل ، فعله سوى .

(٣) ابن عباس صحابى مشهور بالعلم والفقه والحديث .

(٤) الركاس بالكسر هو الرجس .

(٥) زيادة من المحقق ، دلالة على ربط هذا البيت بما قبله ، فالفعل يقل مجزوم بلم قبله فى البيت سابقه .

(٦) الخافض هو الجار .

من البعض ، فهو جزء من أجل التأليف ، يقول : هذا بعض هذا ، أى جزء منه.

[٥٤] فَذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ كُلُّهِ   تَعَالَى إِلٰهُ الْخَلْقِ وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمْ

اللوح هو اللوح المحفوظ ، والقلم الذى ذكره الله تعالى فى كتابه ، فقال : نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١) ، قال بعض : هو الدواة ، وقال بعض : هو حرف .

[٥٥] وَفِي آيَةٍ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا جَمَاعَةٌ   قُعُودٌ وَلَمْ تَجْعَلْهُمُ النَّارُ كَالْحُمَمْ

الحمم جمع حمة ، وهو بضم الحاء ، وهو الفحم .

قال طرفة(٢) :

أشجاك أم قدمه   أم رماد دارس حمم

[٥٦] قُعُودٌ عَلَيْهَا مَا السُّكُونَ لِأَمْرِهَا   وَلَيْسَ قُعُودٌ فِي الشُّوَاظِ وَفِي الضَّرَمْ

الشواظ هى النار التى تتأجج بلا دخان لها، والضرم والاضطرام هو الالتهاب، ومنه قوله تعالى : النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ(٣) ، وهـذا شاهد على الآيات المتقدمة .

[٥٧] فَبِاللهِ حَقًّا يُقْسِمُ اللهُ رَبُّنَا   وَبِالْخَلْقِ مِمَّا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ اقْتَسَمْ

القسم الحلف ، وهو اليمين، قال الله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(٤)»،

---

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة القلم .

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ، وينتهى نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان أحد شعراء المعلقات ، ومعلقته مطلعها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(٣) الآية مكية رقم ٥ من سورة البروج .

(٤) الآية مكية رقم ٧٥ من سورة الواقعة .

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ[١] ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ »[٢] . ومثــله فى القرآن كثير .

[٥٨] كَوَ اللَّيْلِ ، بَلْ وَالتِّينِ وَالطُّورِ مِثْلُهُ
وَلَيْسَ لِخَلْقٍ وَاسِـعٌ غَـــيْرُهُ قَسَمْ

ليس لمخلوق أن يحلف بغير الله تعالى ، وليس للإنسان أن يقسم ويحلف بما قسم الله ، فيقول : والتين مافعلت كذا وكذا ، ولا الفجر ، ولا والليل ، ولا والشمس ، ولا والقمر ، ولا والنجم ، ولا أشباه ذلك ،

[٥٩] وَمَنْ قَامَ يَدْعُو اللهَ جَهْلًا بِحَقِّهِ عَلَى نَفْسِهِ يَوْمًا فَقَدْ ضَلَّ أَوْ أَثِمْ

إن الداعى إذا دعا ربه وسأله حسن العاقبة قال : بحقك يارب على نفسك ، هذا لا يجوز ، ومن قال : بحق أنبيائك ، ورسلك ، وملائكتك ، ورسلك فهذا يجوز .

[٦٠] وَمَا سُخْرِيَاءُ اللهِ هُزْءًا أَرَادَهُ وَلٰكِنْ هَلَاكًا لِلطَّوَاغِيتِ مُصْطَلِمْ

الطواغيت واحدها طاغوت ، وهى الأصنام ، والطواغيت من الجن والإنس شياطينهم ، يكون واحدا ولا يكون جمعا ، والاصطلام: استئصال الشىء عن أصله .

---

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة القيامة .

(٢) الآية مكية رقم ٤ من سورة القيامة ، والنفس اللوامة هى النفس التقية التى تـلوم النفوس يومئذ على تقصيرها فى التقوى ، أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة بالسوء .

[٦١] وَمَا مَكْرُهُ أَنْ تَأْمَنُوهُ خَدِيعَةً ... لَهُمْ بَلْ جَزَاءً بِالْعُقُوبَةِ وَالنِّقَمْ

النقم جمع نقمة ، وهى العقوبات ، ومنه قوله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[1] » ، والجزاء عدل ليس سيئة ، فسمى باسم السيئة توسعا ومجازا ، ومثل قوله : « فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ[2] » ، وقوله : « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ »[3] .

[٦٢] وَقَدْ قَالَ إِنِّي أَسْرَعُ الْخَلْقِ حَاسِبًا ... تَبَارَكَ عَنْ عَدِّ الْأَصَابِعِ وَالرَّتَمْ

ومعنى قوله : « أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ »[4] ، وليس حساب ربنا كحساب المخلوقين ، وإنما هو حكم وعدل بأعمالهم التى عملوها ، ومجازاتهم عليها ، والرتم الرواجب .

[٦٣] فَحُسْبَانُ رَبِّي غَيْرُ حُسْبَانِ خَلْقِهِ ... لَقَدْ ضَلَّ مَنْ قَاسَ الإِلَهَ وَقَدْ ظَلَمْ

حسبان جمع حساب ، مع قوله تعالى : « وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ »[5] ، فأضمر ، أظن الخبر ، والله أعلم ، أراد يطلعان ويغيبان ، ويجريان فى منازلهما بحساب ، والله أعلم .

[٦٤] وَقَوْلُكَ بِاسْمِ اللَّهِ فَالِاسْمُ زَائِدٌ ... وَلَيْسَ لَهُ مَعْنًى سِوَى اللَّهِ ذِي الْكَرَمِ

معنى قوله : باسم الله ، إنما هو الله ، لأن اسم الشىء هو الشىء بعينه .

---

(١) الآية مكية رقم ٤ من سورة الشورى .
(٢) الآية مدنية رقم ٧٩ من سورة التوبة .
(٣) الآية مدنية رقم ٥٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية مكية رقم ٦٢ من سورة الأنعام .
(٥) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الرحمن .

قال لبيد[١] :

إِلَى الحَوْلِ أَبْكِي وَالسَّلامُ عَلَيْكُمَا   وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرْ

مقدم مؤخر ، لعله قال : أتم السلام عليكما .

والكرم مصدر الكريم ، يقال: رجل كريم ، وامرأة ونسوة ، وأكرم قوم ذو كرم ، ولا يثنى ولا يجمع .

[٦٥] تَبَارَكَ قِدْمًا اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْعُلَا   كَذَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ مُبْتَدِعُ الْقِدَمْ

تبارك مأخوذ من البركة ، وهى الزيادة والكثرة ، ويقال : تبارك وتقدس ، والقدس الطهارة ، وقوله مبتدع أى مبتدىء ، خلق كل شىء ، الأشياء القديمة ، وهو الأول قبل كل شىء ، والآخر بعد كل شىء .

[٦٦] أَرَادَ تَعَالَى جَدُّهُ لَا لِإِسْمِهِ   هُنَالِكَ مَعْنَى غَيْرُهُ فِي الَّذِى حَكَمْ

تعالى ارتفع ، وعلا علوا كبيراً ، وقوله تعالى : [وأنه تعالى] ﴿ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[٢] ، جد الله عظمته ، قال أبو عبيدة[٣] : جده ملكه وسلطانه .

---

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وينتهى نسبه إلى مضر بن سعد بن عدنان. صاحب المعلقة التى مطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامها

وكان يكنى أبا عقيل . وفى الأصل : ومن يبك صوتا كاملا فقد اعتذر .

(٢) الآية مكية رقم ٣ من سورة الجن وما بين القوسين زيادة من المحقق لإبانة عن الآية الكريمة .

(٣) هو مسلم بن أبى كريمة ، أحد أصحاب جابر بن زيد .

[٦٧] وَقَالَ تَعَالَى جَدُّهُ عَنْ حَلِيلَةٍ   وَعَنْ وَلَدٍ يُدْعَى لَهُ وَعَنِ التُّهَمْ

والحليلة المرأة ، وسميت الحليلة لأنها تحل عنده ويحل عندها ، وقيل : لأنها تحل له ويحل لها ، وهى حليلته ، وهو حليلها .

[٦٨] فَمَا جَدُّهُ بَخْتاً أَرَادَ وَلَا أَباً   وَلَكِنَّ مَعْنَى الْجَدِّ مِنْ رَبِّنَا الْعِظَمْ

معنى قوله : جد ربنا ليس هو بخت ولا حظ ولا أب ، ولكن جده العظمة والسلطان والملك ، وقد مضى التفسير .

[٦٩] وَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْ كَاسْمِهِ الْجَدَّ زَائِدًا
فَذَلِكَ   مَعْنًى   آخَرُ   ثَابِتُ   الدُّعَمْ

وإن شئت فاجعل الجد زائداً ، كما أن الاسم زائد فى الله ، تقول : باسم الله ، أى بالله ، على ما ذكرنا ، والدعم جمع دعامة ، معنى أصل الدين .

[٧٠] كَمَا مَثَّلَ الْجَنَّاتِ جَاءَتْ زِيَادَةً   وَوَصْفاً لِأَنْهَارٍ مِنَ الْمَاءِ تَلْتَطِمْ

يقال : مثل الشيء ومثله معنى صورة الشيء ، وقد مثلت لك كذا وكذا ، يا أيها الناس ، مثلكم مثل من عبد آلهة لو اجتمعت لأن تخلقوا ذباباً فلم تقدروا عليه ، تلتطم أى تضطرب .

[٧١] وَمِنْ عَسَلٍ أَرْيٍ وَخَمْرٍ سُلَافَةٍ   وَمِنْ لَبَنٍ لَمْ يَجْرِ فِى أَضْرُعِ النَّعَمْ(١)

الأرى العسل ، والأرى الصافى ، والسلافة ما استخرج من ماء العنب ،

---

(١) فى الأصل الغنم والنعم خير حتى تستقيم مع الشرح بعده ، والنعم هى الإبل والغنم والبقر كالأنعام .

واللبن لم يخرج من ضروع الإبل والغنم والبقر برغوته لم يتغير طعمه إلا قال لها ، كونى ، فكانت .

[٧٢] وَأَمْثَالُهُ فَهِيَ الصِّفَاتُ لِجُودِهِ وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْهُ الصِّفَاتُ فَلَمْ تَرُمْ

أمثال الله تعالى ، وهى صفات كرمه وجوده .

[٧٣] مَدَى كُنْهِ مَا أَوْلَى مِنَ الْفَضْلِ سَبَّحَتْ
لَهُ وَأَتَتْ طَوْعاً وَأَلْقَتْ لَهُ السَّلَمْ

كنه الشيء قدره وحقيقته ، ومدى كل شيء آخره وغايته ، وسبحت له أى نزهته ، وأتت له طوعاً يعنى السموات والأرض ، وألقت له السلم ، أما أهل السموات فأسلموا طوعاً ، وأهل الأرض أسلموا طوعاً وكرهاً .

[٧٤] سَمَاوَاتُهُ وَالأَرْضُ طُرًّا وَكُلَّمَا ذَرَا وَبَرَى فِيهِنَّ مِنْ كُلِّ ذِي نَسَمْ

طرا بمعنى جمعا ، وذرأ معناه خلق ، وبرى أى خلق ، قوله تعالى : وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ[١] ، وقوله : وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ[٢] ، والبرية مأخوذ من البراء ، وهو الخلق من التراب ، ونسم جمع نسمة ، وهى الأرواح .

[٧٥] وَكُلٌّ إِلَيْهِ سَاجِدٌ وَسُجُودُهُ كَمَا شَاءَهُ طَوْعًا لَهُ وَكَمَا عَلِمْ

معناه ، وكل له ساجد ، وهو معروف فى القرآن وكلام العرب ، وإلى تكون

(١) الآية مكية رقم ١٧٩ من سورة الأعراف .

(٢) الآية مكية رقم ١٣ من سورة النحل .

بمعنى اللام ، واللام بمعنى إلى ، قال الله تعـالى : بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا[1] ، أى إليها .

[٧٦] وَقَدْ قِيلَ فِى هٰذَا السُّجُودِ بِأَنَّهُ   سُجُودُ خُضُوعٍ لَاسُجُودٌ عَلَى الأَكَمْ

السجود فى اللغــة الانقياد لأمر الله والاستسلام ، والشجر والحيوانات ، وجميع ما خلق الله فى الدنيا خاضعة وساجدة ، والـكافر يسجد لغير وجه الله ، وظله يسجد لله ، والأكم جمع أكمة وهى الجبال الصغار .

[٧٧] وَمَنْ سَالَ عَنْ كُرْسِيِّهِ فَهْوَ مُلْـكُهُ   وَلَيْسَ بِكُرْسِيٍّ مِنَ التِّبْرِ وَالْأَدَمِ

وسع كرسيه السماوات والأرض ، وقد نرى الأرض ولا نرى الـكرسى ، فـكرسيه تعالى ملـكه ، والله أعلم ، والتبر الذهب ما لم يكن دنانير ، مثل العقود والأعلاق ، والأدم معروفة[2] .

[٧٨] وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللهِ شَيْءٌ وَإِنَّمَا   هُنَا الْـكَافُ حَشْوٌ لِلْـكَلَامِ لِـكَىْ يَتِمْ[3]

معنى ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ، أى ليس هو كشىء من الأشياء ، كمثله زائدة ، والمعنى ليس مثله شىء .

---

(١) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الزلزلة .

(٢) هو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه .

(٣) الحشو هو فضل الـكلام . وما يمـكن الاستغناء عنه من القول .

قال المتنبي[1] :

كَفَى بِكَ وَدُخُولُ الْكافِ مَنْقَصَةٌ   كالشَّمْسِ قُلْتُ وَهَلْ لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

[٧٩] وَقَالَ جَمَلْتُ الْبَدْرَ فِيهِنَّ مُشْرِقًا   ضِيَاءً وَنُورًا فِي الظَّلَامِ إِذَا ادْلَهَمْ

ادلهم اشتدت ظلمته ، ومنه قولهم : ليلة مدلهمة ، أى شديدة سواد الظلمة ، والغياهب جمع غيهب ، وهو شدة الظلمة .

قال الشاعر :

تحوم الأمور إذا لمست   بظلما بديجورها الغيهبُ

[٨٠] فَمَعْنَاهُ فِي مِنْهُنَّ مَعْهُنَّ هَـكَذَا   وَإِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فِي الْمَخَافَةِ فَلْتَقُمْ

أراد في موضع وهو معه ، قوله تعالى : « وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا »[2] أى معهن ، وقوله : « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ »[3] ، أى معهم وقوله تعالى : « لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً »[4] ، أى ، خرجوا معكم ، وحروف الجر يدخل بعضها على بعض .

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين (٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ) ولد في الكوفة ، وتفتحت موهبته الشعرية في سن مبكر ، وبعد غزو القرامطة للكوفة عام ٣١٣ هـ هاجرت أسرته إلى بادية السماوة بين العراق والشام ، وقد اتهم بادعاء النبوة ، ولكن الحقيقة تكذب ذلك ، وهو شاعر العربية وأحد مفاخر الشعر العربي . اتصل بسيف الدولة الحمداني في حلب عام ٣٣٦هـ وصار شاعره ، ومدحه بقصائد رائعة ، ثم اتصل بكافور الإخشيدي عام ٣٤٦ هـ ومدحه وعاش في الفسطاط بمصر قريبا منه ، وعام ٣٥٠هـ فر من مصر وهجا كافور الإخشيدي ، ومدح ابن العميد في أرجان. وقتل في طريق عودته بالقرب من بغداد في أواخر رمضان عام ٣٥٤ هـ .

(٢) الآية مكية رقم ١٦ من سورة نوح .

(٣) الآية مدنية رقم ١٠٢ من سورة النساء .

(٤) الآية مدنية رقم ٤٧ من سورة التوبة ، والخبال الفساد .

[٨١] بِطَائِفَةٍ لَمَّا تُصَلِّى وَرَاءَكُمْ عَلَى كُلِّ مَقْبُوبٍ أَيَاطِلُهُ زِيَمْ

الطائفة جماعة من الناس ، قال الله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا[١] . قال الزجاج[٢] : اختلف الناس فى الطائفة ، فقال بعضهم : الواحد فما فوق : طائفة ، وقال آخرون : الطائفة لا تكون أقل من اثنين ، وأقل الطائفة عندى اثنان ، لقوله تعالى : « وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »[٣] ، والمقبوب هو الفرس ، والأقب هو اللاحق ، والزيم اسم ناقة أو فرس .

[٨٢] وَأُصَلِّبُكُمْ فِى النَّخْلِ يَعْنِى بِقَوْلِهِ
عَلَى النَّخْلِ قَتْلًا لِلسِّبَاعِ وَلِلرَّخَمْ[٤]

وقوله تعالى : « وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ »[٥] ، معناه ، على جذوع النخل ، جاز أن يضع ها هنا ، لأنه فى مجذوع على جهة لطوله ، والجذع مشتمل عليه .

[٨٣] وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَالدُّعَاءُ كَقَوْلِهِمْ وَصَلَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ فِى الدَّنِّ وَارْتَشِمْ

الصهباء الخمرة ، يعنى بالصلاة الدعاء ، وارتشم أى دعا لها بالسلامة ، والدن هو الوعاء الذى فيه ، وارتشم بالشين المعجمة أراد الرشم والختم .

---

(١) الآية مدنية رقم ٩ من سورة الحجرات .
(٢) هو يوسف بن عبد الله اللغوى المصنف المحدث .
(٣) الآية مدنية رقم ٢ من سورة النور ، وبالأصل تحريف فى رسم الآية الكريمة .
(٤) الرخم طائر معروف واحدته بالهاء ويقال إنه يطلق بعرارته لسم الحية .
(٥) الآية مكية رقم ٧١ من سورة طه .

[٨٤] وَقَالَ عَلَيْهِم صَلِّ يَعْنِي تَرَحُّمَا   بِهِ لِلنَّبِيِّ الطَّاهِرِ الزَّاهِرِ الْأَشَمْ

الأشم الكامل ، وإنما يريد القدر والشرف، وهو معنى قوله تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ بِهَا وَتُزَكِّيهِمْ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ »[1] أى ادع لهم ، فإن دعاءك لهم سكون ، والأشم المرتفع العالى ، وقيل : طويل الأنف أشم ، والجمع شُمّ .

[٨٥] وَقَوْلُهُمْ صَلَّى عَلَيْهِ إِلٰهُهُ   فَذَلِكَ تَضْعِيفٌ لِآلَائِهِ الْجُمَمْ

وذلك قول الناس ، اللهم صلى على محمد ، وصلى الله على محمد ، والتضعيف من الواحد إلى السبعمائة[2] ، والآلاء النعم ، والجم جمع جمة ، وهى الكثرة ، تقول : مال جمّ أى كثير ، قال الله تعالى : « وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »[3] .

قال الشاعر :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ جَمًّا   وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[4]

[٨٦] أَرَادَ الْمُصَلِّى سَائِلًا بِصَلَاتِهِ   لِأَحْمَدَ تَفْضِيلًا عَلَى الْعُرْبِ وَالْعَجَمْ

أراد المصلى الذى يقول : اللهم صلى على محمد ، وعلى آل محمد ، ونصب سائلا على الحال ، والعجم الذين ليسوا هم من العرب ، تقول: رجل أعجمى ، ليس بعربى.

---

(١) الآية مدنية رقم ١٠٣ من سورة التوبة .

(٢) قال الله تعالى : مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . الآية مدنية رقم ٢٦١ من سورة البقرة .

(٣) الآية مكية رقم ٢٠ من سورة الفجر .

(٤) ألم أى قارب الذنب وارتكب الخطأ .

[٨٧] وَقَالُوا صَلَاةُ النَّاسِ لِلّهِ طَاعَةٌ إِذَا حَافَظُوا وَقْتَ الْهَوَاجِرِ وَالْعَتَمْ

الهواجر جمع هاجرة ، وهى صلاة الظهر ، لأنها تصلى وقت الهجر ، أى شدة من حر الشمس ، يريد الصلاة بعينها ، وهى صلاة الخمس ، والعتم جمع عتمة ، والعتمة إلى ثلث الليل من غيبوبة الشمس .

[٧٨] قَدْ ضَلَّ قَوْمٌ شَبَّهُوا اللّهَ بِالَّذِى يُحَطُّ مِنَ الأَصْلَابِ مَاءً فِى الرَّحِمْ

ضل ، الضلال الضياع والهلاك ، ويقال : ضل الشىء إذا ضاع وهلك ، أى هلك من شبه الله بخلقه ، والأصلاب جمع صلب ، وهو ظهر الرجل ، قال الله تعالى: « يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ »[١] ، والرحم رحم المرأة[٢] .

[٨٩] يُدْرِكُهُ التَّغْيِيرُ فِى ذَاتِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ الدَّفْعَ لِلْحَادِثِ الْمُلِمْ

يدركه ، الهاء راجعة إلى الماء الذى ينحط من الأصلاب ، الذى يكون منه الولد ، والتغيير التقليب من حال إلى حال ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والحادث الملم هو الأمر العظيم ، جمعه ملمات ، وهو الأمر الذى يأتيك على غير علم منك .

[٩٠] تُقَلِّبُهُ الْحَالَاتُ طِفْلًا وَيَافِعاً وَكَهْلًا إِلَى أَنْ يَأْتِىَ الضَّعْفُ وَالْهَرَمْ

الحالات من أول ما يقع فى[٣] رحم أمه ، من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، إلى لحم ، إلى عظم ، إلى استواء خلقه ، ثم وقع من بطن أمه ، ثم صار طفلا صغيرا ،

---

(١) الآية مكية رقم ٧ من سورة الطارق ، والترائب قيل إنها عظام الصدر ، أو ما ولى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين ، والذى يخرج من بينهما هو الماء الدافق ، أى المنى .

(٢) وهو مستقر الجنين فى بطنها الذى يتكون فيه الولد .

(٣) فى الأصل من .

ثم ترعرع ، ثم صار يافعا[١] إلى أحسن شبابه، ثم يحتلم[٢] ، ثم يكتهل ، ثم يشيخ ، ثم يضعف ، ثم يهرم ، والله هو الخالق لهذه الحالات ، والكهل[٣] من اثنين وثلاثين سنة ، والله أعلم .

[٩١] وَمَنْ زَعَمَ الْأَشْيَاءَ ضَاعَتْ نُقُومُهَا
وَتَكْوِينُهَا مِنْ جَوْهَرِ النُّورِ وَالظُّلَمْ

زعم بعض المحدثين[٤] والفرق الضالين ، أن الأجسام من أصلين ، من النور والظلمة ، وامتزجا ، فكان منهما الأجسام ، ومنهما نظير ذلك ، وادعوا الإفك والكذب ، قال : ذلك الأمر لا يستيقن له حق .

[٩٢] فَمَا بَالُهَا إِذْ مُلِّكَتْ صُنْعَ نَفْسِهَا[٥]
عَلَى ضَعْفِهَا إِذْ ذَاكَ وَهْيَ هُنَاكَ دَمْ

يقول : كيف جاز لها أن تخلق نفسها ، وهى نطفة وعلقة ومضغة وعظم ، وقدرت على الخروج من بطن أمها ، فلما قويت ووفر جسمها وقوتها أتاها الهرم فلم تطق على دفعه !

---

(١) يقال غلام يافع ، وجمعه يفعة ، وهو من راهق العشرين .
(٢) الاحتلام هو الجماع فى النوم مع الإنزال من الحلم بالضم ، وهو الرؤيا فى النوم .
(٣) الكهل هو الرجل الذى وخطه الشيب وعمره ما بين الثلاثين إلى الواحدة والخمسين ، والمرأة كهلة ، وجمعه للرجل كهل ، وللمرأة كهلات .
(٤) المراد بالمحدثين هم قريبو العهد الذين يدعون العلم والمرقة ، والمعنى عبدة الأوثان والمخلوقات .
(٥) فى الأصل خلقها بدل نفسها .

[٩٣] فمنذ وُفُورِ العِلْمِ وَالجِسْمِ لَمْ تُطِقْ
دِفَاعَ الَّذِى يَأْتِى مِنَ الضَّعْفِ وَالسَّقَمْ

فلما وفرت وقوى جسمها وقوتها، وعلمها وبطشها إليها، وأتى الارض والكبر والضعف فلم تستطع دفع ذلك عنها ، ليس هذا محالا .

[٩٤] وَلِمَ لَمْ تَكُنْ قَدْ أَحْكَمَتْ صُنْعَ نَفْسِهَا
لمَا وَرِثَتْ فِى الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالجِسْمْ

يقول : لم لم يحكم خلقه من أن يكون قصيرا فيصنع نفسه طويلا ، أو يكون نحيفا فيصنع نفسه عريضا ، وهذا محال ، والطول بضم الطاء ضد العرض ، والطول بفتح الطاء المال والكرم والسخاء ، قال الله تعالى : « اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ »[1] ، أى أولو السعة والمال ، والعرض بسكون الراء ضد الطول ، والعرض بفتح الراء عرض الدنيا ومتاعها .

[٩٥] تَبَارَكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَمَنْ لَهُ يُسَبِّحُ مَوْجُ الْيَمِّ طَوْعًا وَيَضْطَرِمْ

تبارك تداوم ، وعلام الغيوب جمع غيب ، وهو ما غاب عن أعين الناس ، واليم البحر و [سمى] الموج موجا لاضطرابه ، ومعنى يسبح موج اليم أصل اضطرابه أنه يسبح .

---

(١) الآية مدنية رقم ٨٦ من سورة التوبة .

[٩٦] وَمَنْ أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا عَنْ دَلَالَةٍ
حِذَاءًا وَلَا عَوْنٌ هُنَالِكَ مُكْتَتَمْ

ومن فى موضع رفع[١] ، عطف[٢] على تبارك علام الغيوب ، وقال : تبارك من أبدع الأشياء ، أى ابتدأها ، وابتدأ خلقها، ولا معين له على خلقها ، هو الأول قبل كل شىء ، ولا مبتدع سواه .

[٩٧] هُوَ اللهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ لَيْسَ عِنْدَهُ شَرِيكٌ تَعَالَى اللهُ ذُو الْمَنِّ وَالْكَرَمْ

الفرد الواحد ، والله جل ثناؤه ، والفرد وهو تفرد بالأمر دون خلقه ، والكرم معناه الرفعة ، وهو المرتفع عن كل شىء ، يقال : فلان أكرم قومه ، أى أرفعهم منزلة .

[٩٨] وَإِنِّى أَرَى الشُّكَّاكَ قَوْمًا تَحَيَّرُوا
وَتَاهُوا كَمَا تَاهَ الشَّرُودُ مِنَ النَّعَمْ

الشكَّاك جمع شاك ، وهم المتحيرون فى أمورهم ، قد شكوا فيها ولم يستيقنوا فتاهوا ذهوباً على وجوههم ، حائرين ضالين ، والشرود من الإبل النفور .

[٩٩] وَمُرْجِئَةٌ قَالُوا أَلَا كُلُّ مُرْتَدٍ إِذَا مَا تَرَدَّى فِى لَظَى النَّارِ لَمْ يَقُمْ

إنما شبه المرجئة[٣] باليهود والنصارى ، وقد روى عن النبى ﷺ قال :

---

(١) أى مبتدأ وفى موضع رفع أى فى مكان يكون فيه الاسم مرفوعا ، ومن ليست مرفوعة لأنها اسم موصول مبنى فى محل رفع .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب أنها عطف على من فى البيت السابق قبله الذى أوله تبارك علام الغيوب .

(٣) المرجئون طائفة تؤخر أمر الله حتى ينزل الله فيهم ما يريد .

إنما المرجئة يهود هذه الأمة ، والرافضة[1] نصارى هذه الأمة ، ومرتد أى واقع ، والمتردية التى تسقط من أعلى .

[١٠٠] وَقَالُوا سَيَأْتِى النَّارَ وَقْتٌ وَإِنَّهَا
مُفَتَّحَةٌ مَا إِنْ بِهَا قَابِسٌ ضَرَمْ

أى قالوا : إن أهل النار يعذبون فيها على قدر أعمالهم ، ثم يخرجون منها ، ولا يبقى فيها أحد ، وإنها مفتحة ما بها قابس ضرم ، وهذا يتكلم به العرب ، والنفى يقول : ما بالدار من أحد ، ولا قابس[2] .

[١٠١] وَقَالُوا قَدِ اسْتَثْنَى لَهُمْ فِى كِتَابِهِ
فَلَمْ يَخْلُدُوا فِيهَا سِوَى حُقُبٍ نَيْم..[3]

هذا معنى قوله تعالى : « فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ »[4] ، احتجوا بهذا الاستثناء ، وقالوا : إنهم لا يخلدون فيها ، والحقب جمع حقبة ، ودون ذلك أحقاب ، قال الله تعالى : « لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا »[5] ويوجد ، أن الحقب ثمانون

---

(١) الرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له تبرأ من الشيخين ، أبى بكر ، وعمر ، فأبى وقال ، كانا وزيرى جدى فتركوه ورفضوه ، ولم نقف للحديث المنسوب فى روايته عن الرسول عليه السلام على متن أو سند .

(٢) القبس محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار ، وضرم أى اشتعل .

(٣) فى الأصل فلم يجدوا لهم بدل فلم يخلدوا فيها ، مما لا يتفق مع سياق الشرح بعده ، ويختلف مع لفظ البيت فى كتاب الدعائم صحيفة ٧ .

(٤) الآية مكية رقم ٨٩ من سورة هود .

(٥) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة النبأ .

سنة ، وقيل زمان ، وقيل ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، واليوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا .

[١٠٢] لَقَدْ زَخْرَفُوا أُمْنِيَّةً تَرَكَتْهُمُ   كَتَابِعِ لُجِّ الآلِ يَحْسَبُهُ دِيَمْ

وزخرفوا زينوا ، والأمنية جمعه أمانى ، أى أمنيتهم التى تمنونها بخروجهم من النار ، وتركتهم لمن يتبع الآل الذى يراه فى أول النهار يلمع فى البقاع ، والديم جمع ديمة .

[١٠٣] فَآلَ وَلَمْ يُشْفِ الْغَلِيلَ بِشَرْبَةٍ
يَرُدُّ هُيَامَ النَّفْسِ مِنْ مَشْرَبٍ شَبَمْ

آل رجع .

قال الشاعر :

شَوَازِبُ كَالْأَحْلَامِ قَدْ آلَ نَقْبُهَا   سَمَاحِيقَ صُفْراً فِى تَلِيلٍ وَفَايِلِ

شوازب ضوامر ، والأحلام جمع حلم ، وهو القراض .

وآل رجع ، والشبم الماء البارد ، والغليـل والغلة حرقة فى جوف الرجل من شدة العطش .

[١٠٤] أَوِ الْقَابِضُ الماءَ النَّمِيرَ بِكَفِّهِ   ثَنَاهَا وَمَا لِلْمَاءِ فِى كَفِّهِ عَلَمْ

شبههم أيضا فى قولهم وما يرجون من الله من أمنيتهم كمن قبض ماء بكفه ، فجمع كفه وثناها إلى فيه ليشرب فلم يحصل له من المـاء شىء ، والعلم ها هنا العلامة .

[١٠٥] قَالَ وَكُلٌّ وَارِدٌ حَرَّ قَعْرِهَا عَلَى الرَّبِّ حَتْماً فِي مَوَارِدِهَا السُّدُمْ

إن الورود ها هنا الاختبار بالنار والوصول إليها ، والنظر إليها، لا الدخول فيها ، إن الخلق جميعا يردون النار فينجو المتقى وعزل الظالم .

[١٠٦] عَمُوا الْوَجْهَ فِي التَّأْوِيلِ قِدْماً فَأَصْبَحُوا
كَمُحْتَطِبٍ فِي اللَّيْلِ مَهْمَا يَجِدْ يُضَمْ

عموا وجه الأمر والرأى فى تأويلهم ، والتأويل التفسير ، ونصب الوجه بنزع الخافض[1] ، لأنهم عموا عن الوجه ، وهو كقوله تعالى : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ »[2] أى من قومه ، كمن يحتطب فى الليل فلا يدرى ما يأخذ ، وربما يضم فى يده أفعى .

[١٠٧] أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِأَحْمَدٍ سَأُقْرِئُكَ الْقُرْآنَ فَانْهَضْ بِهِ وَقُمْ

يعنى قوله جل وعلا : « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى »[3] أراد فلا تنساه ، فلذلك أثبت الألف ولم يجعله نهيا، قال مجاهد[4] : كان رسول الله ﷺ يتذكر القرآن فى نفسه مخافة أن ينساه ، فأنزل الله هذه الآيه ، قال الكلبي[5] : لم ينس شيئا بعد نزول هذه الآية .

---

(١) أى حذف حرف الجر .
(٢) الآية مكية رقم ١٥٥ من سورة الأعراف .
(٣) الآية مكية رقم ٥ من سورة الأعلى .
(٤) هو واحد من أوعية العلم . مجاهد بن جبر . مولى بنى مخزوم من التابعين : لازم ابن عباس وقرأ عليه القرآن وسمع سعد أو عائشة وأبا هريرة . توفى سنة ١٠٣ هـ .
(٥) هو ابن السائب بن بشر الكلبي ، روى عنه ابنه هشام وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وابن إسحق وغيرهم ، وهو غير ثقة ، توفى نحو عام ١٢٠ هـ .

[١٠٨] وَقَالَ لَهُ إِنِّى سَأُدْخِلُكَ الْحَرَمْ ... بِأَمْنٍ وَإِيمَانٍ عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغَمْ

فهذا معنى قوله تعالى : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ[١] » ، قال الكلبي : رأى رسول الله ﷺ فى المنام ، أنه هو وأصحابه يدخلون المسجد الحرام قبل دخولهم بسنة ، ودخول اللام فى النون لتدخلن يعنى ، القسم ، معناه ، والله لتدخلن ، أى من صدق الوعد ، آمنين من العدو ، ويقال : رغم[٢] الله أنفه .

[١٠٩] فَلَمْ يَكُ لِاسْتِثْنَائِهِ ضَلَّ نَاسِيًا ... وَقَدْ دَخَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَلَمْ يُرَمْ

رام الشىء يرومه ، وقوله : فلم يك لاستثنائه ضل معناه ، لايوجد ربى ضالا عنه ، وهذا بقوله تعالى : « قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَايَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى[٣] » يقول : أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها .

[١١٠] وَأُسْدُ بَنِى النَّجَّارِ تَخْطُرُ حَوْلَهُ ... بِأَسْيَافِهِمْ كَالْأُسْدِ تَخْطُرُ فى الأَجَمِ

لما دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح كان حوله بنو النجار ، وهم الأنصار ، من الأوس والخزرج، وشبههم حوله كالأسد تخطر فى الأجم جمع أجمة، وجمعها أيضا آجام ، وهى منبت الشجر كالغيط ، وهى مسكن الأســود ، وكذلك العرين والجفية .

(١) الآية مدنية رقم ٢٧ من سورة الفتح .
(٢) الرغام هو التراب ، والمعنى أذله وأهانه .
(٣) الآية مكية رقم ٥٢ من سورة طه ، وفى الأصل تحريف للآية .

[١١١] بَنُو الْخَزْرَجِ الشُّمُّ الْكِرامِ وَلِفُّهُمْ
بَنُو الْأَوْسِ فِي الرَّوْعِ الْجَحاجِحَةُ الْبُهُمْ

الأوس والخزرج قبيلتان من اليمن ، من بنى عمرو بن عامر ، وهم الأنصار ، والشم الطوال ، يقال رجل أشم وطود أشم .

قال تأبط شرا[١] :

أحمى حمى قومى فألقى ندهم بالشم من فهم بن عمرو النسل

والنسل الشجعان ، ومعنى لفهم جمعهم واجتماعهم ، والروع بالفتح الفـزع ، قال الله تعالى : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ »[٢] أى الفزع ، والروع بضم الراء النفس ، تقول : ما وقع فى روعى ، أى فى نفسى ، والبهم جمع بهمة ، وهو الشجاع ، يسمى بذلك لأنه يستبهم على قرنه من أين يأتيه، لدهائه وشدة بأسه ويقال ، البهم جماعة الفرسان .

[١١٢] فَلَمْ يَكُن اسْتِثْنَاؤُهُ مُبْطِلًا لِمَا
أَرَادَ تَعَالَى إِذْ أَرَادَ وَإِذ عَـــزَمْ

عزم فعل ، لو وزنت حلم بنى آدم لمكان آدم إلى أن تقوم الساعة لما وافى حلم جميع ولده وحرمهم بحلم آدم وحرمه ، يقول القائل : اللهم اعزم لى بخير ، أى افعل على سبيل الدعاء والتوسع ، والعزيمة فى غير هذا الجزم .

---

(١) لقب ثابت بن جابر بن مضر بن نزار ، لأنه تأبط جفير سهام وأخذ قوساً ، أو تأبط سكينا ، فأتى ناديهم فوجأ بعضهم ، وهو من الشعراء المجيدين .
(٢) الآية مكية رقم ٧٤ من سورة هود .

[١١٣] كَذَبْتَ لَقَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ ضِلَّةً
خُرُوجَكَ مِنْ نَارٍ مُؤَجَّجَةٍ حَطَمْ

الكذب ضد الصدق ، وقوله منتك من الأمنية ، وهى الإرادة ، تقول : تمنيت كذا وكذا إذا أردته ، وضلة أى هلكة ، ونصب خروجك على الحال[1] من ضلة ، والتأجج التوقد والتلهب ، والاستعار ، وسميت النار حطمة ، لأنها تحطم كل شىء ، أى تكسره ، والله أعلم .

[١١٤] وَسُكْنَاكَ مَعْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فِى الْعُلَا
فَيُصْبِحُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ كَمَنْ غَشَمْ

أى هذا محال من المقال ، وفاسد من أمانى أهل الضلالة ، أن يجمع بين المؤمن والكافر ، والظالم والمظلوم ، والعادل والجائر فى جنات العلا ، فيصبح المصلى والصائم مثل الظالم والغاشم ، هيهات .

[١١٥] وَمَنْ أَخْلَصَ التَّقْوَى إِلَى اللهِ رَاغِباً
كَمَنْ عَبَدَ الأَوْثَانَ وَالْجِبْتَ وَالصَّنَمْ

أى لا يكون من أخلص التقوى وعبد الله تعالى ، راغباً إليه ، ومن كفر وأشرك وعبد الأوثان والأصنام عند الله سواء فى منزلة واحدة ، وقد قال الله تعالى : « وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . . »[2] الآية .

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب أن النصب على التميز .
(٢) الآية مكية رقم ٥٨ من سورة غافر .

[١١٦] لَكَ الْوَيْلُ فَارْجِعْ عَنْ ضَلَالِكَ تَائِبًا
فَلَيْسَ الَّذِى أَشْقَى الإِلٰهُ كَمَنْ عَصَمْ

يخاطب من قال : إن المؤمن والكافر ، والشقى والسعيد يجتمعون فى الجنة ، وقيل : الويل كلمة تقال عند الهلكة[1] ، وقيل : الويل واد فى جهنم[2] ، ونصب تائبا على الحال ، والمعصوم الممنوع .

[١١٧] أُحِلَّتْ لَكُمْ قِدْمًا بَهِيمَةُ مَا ذَرَا
مِنَ الطَّيْرِ وَالآرَامِ وَالضَّأْنِ وَالْغَنَمْ[3]

يعنى قوله تعالى : « أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ .. »[4] كل هذا حرام ، مع الاستثناء أحلت من الحلال والإباحة ، والبهيمة ما لم تتكلم سميت بهيمة .

[١١٨] أَرَادَ بِتَعْبِيرِ الْبَهِيمَةِ هَا هُنَا جَمَاعَةُ مَا سَمَّاهُ حِلًّا مِنَ النَّعَمْ

يعنى تعبير البهيمة فى نفسها ، والتعبير فى الرؤيا هو تأويلها وتفسيرها ، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »[5] والبهيمة جمعها البهائم .

---

(١) أى دعاء على الشخص بالهلكة .
(٢) كذا فى الأصل وليس لهذا المعنى ذكر فى كتب التفسير المعتبرة .
(٣) الآرام جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض .
(٤) الآية مدنية رقم ١ من سورة المائدة .
(٥) الآية مكية رقم ٤٣ من سورة يوسف .

قال الشاعر :

فَلَوْ كانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى الحِجَا   إِذًا هَلَـكْنَ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ[1]

[١١٩] وَمَا كانَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَوْقَاتِهَا   بِلَا أَلَفٍ فِي مَوْضِعِ الشَّكِّ وَالوَهَمْ

إن سأل سائل عن قول الله تعالى: « فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً »[2] ، فقال : كيف جازت ؟ وإنما هى للشك ؟ قيل له : قد جاء عن أهل اللغة والتفسير أن أو فى هذا الموضع ليست للشك ، ولا يجوز على الله سبحانه ، الشك ، ومعنى أو إذا كانت بمعنى الزيادة على الشيء لنقصان منه كان معناها ، بل كقوله [تعالى] « وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ »[3] .

[١٢٠] وَلَيْسَ مِنَ الرَّحْمٰنِ شَكٌّ يُخَالِجُ   فَيَأْتِي بِهِ الْقُرْآنُ وَاللَّفْظُ مُعْجَمْ

تقول : ليس يخالج الله شك ، أى لا يخالطه ، ولا تختلف عليه أموره ، تعالى الله عن هذه الصفة ، كيف يكون ذلك ؟ وهو يقول : « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ »[4] ، « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ »[5] .

---

(١) فى الأصل تحريف للشطر الثانى ، والحجا العقول .

(٢) الآية مدنية رقم ٧٤ من سورة البقرة .

(٣) الآية مكية رقم ١٤٧ من سورة الصافات .

(٤) الآية مدنية رقم ١٦ من سورة الحجرات .

(٥) الآية مدنية رقم ٨ من سورة الرعد .

[١٢١] وَأَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ أَوْ بَلْ وَلَمْ يَكُنْ
لِيُخْرِجَهَا مُسْتَفْهِمًا أَنَّهُ وَهَمْ

وجدت فى بعض التفسير فى معنى قوله تعالى : « أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ »(١) ، ليس معناه الاستفهام ، ولكن معناه الإيجاب ، وأم تكون بمعنى أو ، كقوله تعالى : « ءَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(٢) ، أَمْ أَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ » فمعناه أو أمنتم ، ويكون بمعنى الاستفهام ، كقوله [تعالى] : « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ »(٣) ، وكقوله : « اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ »(٤) ، وقوله : أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ » ، أراد أنا خير ، لأن فرعون لم يكن سائلا ، يسأل قومه ، بل أوجب لنفسه .

[١٢٢] كَمَا أَنَّهَا حَشْوٌ تَكُونُ وَرُبَّمَا
تَقُومَ مَقَامَ الإسْمِ فِيهِ ولم يُسَمْ

الحشو ما كان باطنا غير ظاهر ، وكونها حشوا ، وقوله تعالى: « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ »(٥) ، وقوله : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ »(٦) معناه ، ورحمة من الله ، ونقضهم ميثاقهم ، وإنما عملت الباء فيها لجرتها .

---

(١) الآية مكية رقم ٥٢ من سورة الزخرف .
(٢) الآية مكية رقم ١٦ من سورة الملك .
(٣) الآية مدنية رقم ٥٤ من سورة النساء .
(٤) الآية مكية رقم ٦٣ من سورة ص .
(٥) الآية مدنية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .
(٦) الآية مدنية رقم ١٥٥ من سورة النساء .

[١٢٣] وَكانَ لِفِعْلٍ دَائِمٍ نَحْوَ قَوْلِهِ وَكَانَ غَفُورًا لِلْمُسِيءِ إِذَا نَدَمْ

ما معنى قوله تعالى : وكان الله غفورا رحيما ، وعليما حكيما ، وما أشبهه ، أو ليس كان ما مضى ، ولما يرفع الاسم وينصب الخبر قيل : ولما يجيء بعد ، ويكون دخولها وخروجها واحدا ، ألا وإن عملها فى رفع الاسم ونصب الخبر ، وهى فى جانب الله تعالى تفيد الوجود والاستمرار .

[١٢٤] وَتَدْخُلُ حَشْوًا فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ
وَأَكْثَرُهَا خُبْرًا لِمَا فَاتَ وَانْصَرَمْ

وقوله : أحالوا أى حولوا أن فى معنى نعم ، كما قال الأعرابى لعمر ابن الخطاب :

يَا عُمَرَ الخيرِ جُزِيتَ الجَنَّهْ أُكْسُ بُنَيَّاتِى وَأُمَّهُنَّهْ
وَاجْعَلْ أَخواتى إِن أَنَّ أَنَّهْ وَاجْعَلْ جَوَابِى مِنْكَ هُنَّهْ

[١٢٥] كَقَوْلِكَ كَانَ النَّاسُ نَاسًا وَرُبَّمَا
أَحَالُوا فَقَالُوا إِنَّ فِي قَوْلِهِمْ نَعَمْ

يقول كان الناس ، تفسير إعلام ، المعنى من الضلالة والجهالة ، وهو الهلاك ، قال الله تعالى : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ »[1] ، يتصاممون من الحق فلا يسمعون ، بكم يباكون .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٨ من سورة البقرة ، وفى الأصل فهم لايبصرون .

[١٢٦] حَمُوا عِنْدَ هَذَا وَاسْتَحَارُوا فَأَصْبَحُوا
مِنَ الدِّينِ مُرَّاقًا كَمَا مَرَقَ الزَّلَمْ

وقوله استحاروا استفعلوا من الحيرة ، أى تحيروا فى أمورهم ، فأصبحوا قد مرقوا من الدين كما مرق الزلم ، والزلم السهم ، والزلم القدح ، قال الله تعالى : « وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ »[1] .

[١٢٧] أَلَا فَارْفُضْ الدُّنْيَا وَدَعْهَا لِأَهْلِهَا
فَكُلُّ الَّذِى فِيهَا يَزُولُ وَيَنْصَرِمْ

ألا ، تنبيه ، وهى زائدة فى الكلام ، قال الله تعالى « أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ »[2] ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ »[3] ، ويقول : ألا إن القوم خارجون ، يريد بها افهم واعلم ، أن الأمر كذا وكذا .

[١٢٨] وَكُلُّ الَّذِى فِيهَا غُرُورٌ وَزُخْرُفٌ
يَؤُولُ كَأَفْيَاءِ الظِّلَالِ وَكَالْحُلُمْ

الغرور بضم الغين ما فى الدنيا من متاع ، والغرور بفتح الغين هو الشيطان ، والزخرف الزينة ، ويؤول يرجع ، كما يؤول فى الظلال ، أى ليس له ثبوت ، والحلم ما يراه النائم .

---

(١) الآية مدنية رقم ٤ من سورة المائدة .
(٢) الآية مكية رقم ٨ من سورة هود .
(٣) الآية مكية رقم ٥ من سورة هود .

[١٢٩] أَلَا نَدَعِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهَا
فَمَا قَدْرُهَا إِلَّا كَقُرَاضَةِ الجُلَمْ

القراضة ما يقرضه الجلم وغيره ، وهو مما يرمى به، والجلم معروف، وهو المقراض الذي يجز به الشعر وغيره ، والجلم جمع أجلام .

قال المتنبي :

أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالجُلَمُ[١]

[١٣٠] فَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ الإِلٰهِ بِأَمْرِهَا
قُلَامَةَ ظُفْرٍ حَازَهَا دُونَ مَنْ ظَلَمْ

عدلت ساوت في قدرها، وبأمرها أي بجمعها وبما فيها من الأملاك والأموال قلامة ظفر ، أي ما يرمى منه . قلامة ظفر حازها المؤمن دون الظالم ، ولكنها لاتساوي شيئا ، إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب ، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب .

[١٣٠] وَلَوْ دَامَتِ الدُّنْيَا لَدَامَتْ لِأَحْمَدٍ
نَبِيِّ الهُدَى لَكِنَّهَا قَطُّ لَمْ تَدُمْ

أي لو دامت الدنيا وبقي عليها أحد لدامت للنبي ﷺ ، وقط مضمومة مشدودة الطاء ، فإنه لابد ، الماضي ، تقول : ما رأيته منذ قط ، وهو رفع ، لأنه غاية ، مثل قولك ، قبل وبعد .

(١) هو كافور الإخشيدي ، واحد من المماليك الذين حكموا مصر . وقد قصده الشاعر أبو الطيب طمعا في نواله ، فلم يجد عنده ما يرجوه ، فهجاه في قصائد عديدة ، وفي البيت تعريض بكافور وأصله ولونه .

[١٣١] فَأَيْنَ الأُولَى كانُوا مُلُوكاً تبَابِعًا
أَلَمْ تَطْوِهِمْ طَيَّ الـكِتَابِ إِذَا خُتِمْ

الأولى فى معنى الذين،ومعنى نطوهم ندرجهم ونضمهم وندمجهم،قال الله تعالى: « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ »(١) ، أى ذاهبات فانيات بقدرته ، وشبه انطواءها بالـكتاب .

[١٣٣] وَأَيْنَ الأُولَى شَادُوا المَصَانِعَ وَالأولَى
بَنَوْا إِرَمًا حِصْنًا فَلَمْ يَحْمِهِمْ إرَمْ

إرم بكسر الهمزة(٢) البناء الرفيع ، والأرم بفتح الهمزة العلم .

[١٣٤] أَلَمْ تَسْقِهِمْ كَـأْسَ المَنِيَّةِ مُتْرَعاً
وَشَابَتْ صَفَاءَ العَيْشِ مِنْهَا لَهُمْ بِسُمْ

ألم تسقهم استفهام ، تقول ، ألم تهلـكهم وتميتهم ، والـكأس ها هنا استعارة عن الموت .

قال الشاعر :

سَقَيْنَاهُمُ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَـكِنَّهُم كانُوا عَلَى المَوْتِ أَصْبَرَا

شابت خلطت ومزجت ، ونصب كأسا على نزع الخافض .

---

(١) الآية مكية رقم ٦٧ من سورة الزمر .

(٢) فى الأصل الألف ، ومثله ما بعده ، وارم ذات العماد هى دمشق ، وقد يراد بهـا أيضاً الإسكندرية ، والمراد الروم .

[١٣٥] وَأَيْنَ الْأُولَى فِي الْجَنَّتَيْنِ بِمَأْرِبٍ
طَغَوْا فَأَتَاهُمْ طَاغِيًا سَيْلُهُ الْعَرِمْ

ومأرب بلد سبأ[١] ، قال الله تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ »[٢] والعرم السيل الشديد . وقيل : العرم بناء مثل البستان يحبس به الماء ، وقيل : العرم الجسر الذى زلقته المياه .

[١٣٦] أَلَمْ تَرَ مَا آلُوا إِلَيْهِ وَبُدِّلُوا مِنَ الْخَمْطِ وَالْفِلَّانِ وَالسِّدْرِ وَالسَّلَمْ

آلوا إليه رجعوا إليه ، تقول : ألت إليه كذا وكذا ، أى رجعت إليه ، وبدلوا أى عوضوا ، والخمط الأراك ، وقيل : الخمط كل شجر له شوك ، والفلان أودية يسكون بها الطلح والسلم .

[١٣٧] فَذُو عَشْكَلَانٍ وَالصَّوَاهِلُ حَوْلَهُ
ثَمَانُونَ أَلْفًا بِالْأَعِنَّةِ وَاللُّجُمْ

فذو عشكلان ملك من حمير ، وقيل عشكلان جبل عال من الجبال ، لا يقدر أحد أن يصعده لوعوثته وصعوبة مرتقاه ، فجاء ملك ، فجعله حصنا ، وأطلع عليه الخيل والرجال ، والصواهل الخيل .

---

(١) مأرب بلد فى اليمن وسبأ بلدة بلقيس ملكة اليمن ، ولقب ابن يشجب بن يعرب ابن عبد شمس .

(٢) الآية مكية رقم ١٥ من سورة سبأ .

[١٣٨] وَأَيْنَ أَخُو الْيَوْمَيْنِ ذُو الْبُوسِ وَالنِّعَمْ
وَعَمْرُو بْنُ هِنْدٍ مُضْرِطُ الْحَجَرِ الْأَصَمْ

أخو اليومين هو المنذر بن النعمان الأكبر بن ماء السماء ، فبلغ من خبره أنه جعل يوم بؤس ويوم نعم ، ويوم النعيم لا يلقى أحداً إلا كساه وحمله ، ويوم البؤس لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكانت العرب تلقبه مضرط الحجارة لهيبته وشدة بأسه وسطوته ، وهو الذى أحرق بنى تميم ، وكان قد غلب اسم أمه على اسم أبيه حتى دعى بها .

[١٣٩] وَذُو الْحِصْنِ إِذْ وَلَّى النَّضِيرَةَ أَمْرَهُ
فَتَاةً كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَطْرَافُهَا عَنَمْ

ذو الحصن رجل من بنى تغلب العليا ، واسمه الضيزن ـ نسخة ـ من قضاعة ـ وفى نسخة ـ ذو الحصر ، يعنى القصر ، ويقال : الحصر حضيرة ، والعنم شجر لين الأغصان ، كأنه بنان جارية ، والبنان الأصابع ، ولى فى قضاعة[1] .

[١٤٠] وَأَيْنَ سُلَيْمَانُ الَّذِى بَلَغَ الْمَدَى وَأُعْطِىَ مَا لَمْ يُعْطَهُ مَلِكٌ عَلِمْ

يعنى سليمان بن داود ، عليه السلام ، والمدى لأنه أوتى الملك من مشارق الأرض ومغاربها ، وفى الحديث ملك الدنيا أربعة ، مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان

---

(١) حى من الناس باليمن ، وقد أطلق على اسم قبيلة .

سليمان بن داود[١] وذو القرنين[٢]، والكافران نمرود بن كنعان وشداد بن عاد، وأعطى سليمان ما لم يعطه أحد من قبله ولا من بعده، من تسخير الرياح وغيرها.

[١٤١] أَلَيْسَ إِلَى دَارِ الْبِلَى نَهَضُوا مَعاً   وَقَدْ حَثَّهُمْ مِنْهَا لَهَا سَابِقٌ حَطَمْ

دار البلى القبور، وحثهم أماتهم، واستأصلهم، فلم يبق لهم أثر، والسائق مجاز للموت، ساقهم وقبض أرواحهم، وحطم أى يحطمهم ويكسرهم ويذهبهم.

[١٤٢] فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ نَشْرِ حَدِيثِهِمْ
وَمَا اكْتَسَبُوا مِنْ فِعْلِ مَحْمَدَةٍ وَذَمْ

[١٤٣] وَمَا اسْتَصْحَبُوا مِنْهَا سِوَى الْبِرِّ صَاحِباً
وَإِنْ كَانَ مَا أَخْلَوْهُ جَزْلًا هُنَاكَ جَمْ

---

(١) سليمان بن داود النبى عليه السلام وقد ملك بنى إسرائيل بعد موت أبيه داود فى عصر كيخسرو بن سياوس، ولما ملك سليمان رحل كيخسرو من أرض الشام الى أرض العراق، ولحق بخراسان، ثم نزل مدينة بلخ، وأقبل سليمان حتى نزل العراق، ومنها الى مرو ثم بلخ، وسار الى بلاد الترك، وجاوزها الى بلاد الصين وأخضع هذه الأقاليم للملك، ثم تجهز سائرا الى تهامة يريد بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم الخليل، ثم سار الى صنعاء، وتفقد الطير فلم ير الهدهد، وكان حديثه وحديث بلقيس ملكة سبأ ما قصه القرآن الكريم، الى أن تزوجها، وبنى فى اليمن ثلاثة حصون، ثم سار نحو الغرب فافتتح مصر وإفريقية وطنجة، ثم قفل عائدا الى بلاد الشام بعد أن أوتى ملكا لم يؤته أحد من العالمين.

(٢) ذو القرنين هو الإسكندر الأكبر الرومى، وقد سمى بذى القرنين لأن ملكه بلغ قطرى الأرض شرقا وغربا، أو لضفيرتين كانتا له، ويروى بعض المؤرخين أن الإسكندر بعد أن أخضع بلاد الهند والسودان واليمن سار الى تهامة، وهى مكة، وكان سكانها يومئذ بنى خزاعة، فأخرجهم الإسكندر منها، وأسلم أمرها الى النضر بن كنانة وبنى أبيه، وقد حج الإسكندر بيت الله الحرام الذى بناه إبراهيم الخليل، وفرق فى ولد معد بن عدنان القائمين الحرم صلات وعطايا. ومن هنا جاءت الرواية بأنه من المسلمين، ولكن المعروف أن الإسكندر فتح بلاداً كثيرة، وأنه قد آمن الناس على دياناتهم وزار أماكن عباداتهم، وشاركهم فى صلواتهم تقربا منه إليهم.

الجزل الكثير ، يقال : عطاء جزيل ، أى كثير ، ويقال : مال جم ، ومال دثر أى كثير .

قال الشاعر :

تَوَاصَلَنِي وَالْمَالُ جَمٌّ مُوَفَّرٌ ... وَصَارَ أَخَا بِرٍّ عَلَىَّ شَفِيقُ(١)

وَإِنْ قَلَّ مَالِي أَوْ تَعَرَّضَ كَبْـوَةٌ ... فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا بِظَهْرِ طَرِيقِ

سَأَصْرِفُ عَنْكَ النَّفْسَ مِنْ غَيْرِ نَقْضَةٍ ... وَأَقْطَعُ أَيَّامِي بِشُرْبِ رَحِيقِ

[١٤٤] وَمَا وَسَّدَتْهُمْ فِى الثَّرَى غَيْرُ صَخْرِهَا

وَمَا زَوَّدَتْهُمْ لِلْفِرَاقِ سِوَى الرَّجَمْ

الوساد ما جعل تحت الرأس ، والمهاد الفراش ، وهو كل ما جعل تحت البدن ، وهو الوطاء ، قال الله تعالى : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً » أى وطاء لهم ، والزاد ما يتزوده المسافر ، والرجم بفتح الجيم القبر ، والله تعالى غفار الذنوب للتائب المنيب .

[١٤٥] وَكَانُوا عَلَى الدُّنْيَا حِرَاصاً أَشِحَّةً ... يُقَاسُونَ فِيهَا كُلَّ هَمٍّ وَكُلَّ غَمْ

قوله حراصاً جمع حريص ، وهو الجدّ فى طلب الدنيا والمال ، وقوله : أشحة جمع شحيح ، وهو الشح والبخل ، قال الله تعالى : « أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ »(٢) ، والغم الكرب ، والهم الحزن .

---

(١) فى هذا البيت إقواء ، والإقواء هو تغير حركة القافية ، وهى الحرف المتحرك بين ساكنين فى آخر البيت ، فالقاف من كلمة شفيق مرفوعة ، والقاف من طريق فى البيت التالى مجرورة بالإضافة ، فاختلفت حركتا اللفظين فى قافية واحدة .

(٢) الآية مدنية رقم ١٩ من سورة الأحزاب .

[١٤٦] مُجِدِّينَ لَا يَأْلُونَ فِي حُبِّ جَمْعِهَا   رَجَاءَ بِأَنْ تَبْقَى عَلَيْهِمْ فَلَا جَرَمْ

مجدين أى مشمرين ، يقول جد فى الأمر إذا جد فيه ، يجد فيه إذا شمر ، وقوله : لا يألون ، أى لا يقصرون ولا يهونون ، وقوله : فلا جرم ، فلا بد ولا محالة ، وقيل : حق ، ونصب رجاء على المصدر .

[١٤٧] لَقَدْ بَقِيَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفَنُوا هُمُ   وَمَا سَجَمَتْ حُزْنًا عَلَى فَقْدِهِمْ بِدَمْ

يقول : بقيت الدنيا بعدهم ، وفنوا هم ، وما سجمت حزناً ، أى أجرت دمعاً ولا دماً ، والدنيا لا تبكى على أحد ، ولكن على الاستعارة والمجاز فى الكلام ، ونصب حزناً على المصدر ، ويجوز أن يكون على التمييز والتفسير .

[١٤٨] فَيَا عَاشِقَ الدُّنْيَا وَهٰذَا مَقَالُهَا   وَكَمْ غَيْرُ هٰذَا لَمْ أُعَدِّدْ وَكَمْ وَكَمْ

كرر كم وكم ، وأتى بها مكررة للتوكيد ، والعرب يقولون ذلك ، يقول : اعجل اعجل ، وللرامى : ارم ، ارم ، قال الشاعر :

* كَمْ بُغْيَةٍ لَنَا كَانَتْ كَمْ وَكَمْ *

كم جئنا لجئنا ـ نسخة ـ قال الشاعر :

أَرَى سَاكِنَ الدُّنْيَا بِهَا حَيْثُ مَا   إِذَا ازْدَادَ مَالًا زَادَهُ هَمَّا

[١٤٩] أَفِقْ وَيْكَ عَنْهَا إِنَّهَا دَارُ نَقْلَةٍ   وَكُلُّ الَّذِى فِيهَا يَبِيدُ وَيَنْجَذِمْ

أفق أى اصح ، ويقال: أفاق السكران إذا صحا، وأفاق المريض من مرضه ، وذلك مثل ويلك ، ويبيد بمعنى يذهب ، وينجذم ينقطع .

[١٥٠] وَدَارُ الْبَقَا فِيهَا الْجَزَاءُ لِأَهْلِهَا سِوَاهَا فَقُمْ فِيهَا وَبِاللهِ اعْتَصِمْ

دار البقاء الجنة ، فيها الجزاء ، والجزاء المكافأة بأعمالهم ، قال الله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا »[1] ، وقوله : سواها غيرها، واعتصم معناه امتنع واستجر بالله .

[١٥١] لَعَلَّكَ أَنْ تُسْقَى الرَّحِيقَ مُرَافِقاً نَبِيَّ الْهُدَى يَسْعَى عَلَيْكَ بِهَا الْخَدَمْ

الرحيق الشراب الخالص الذى لا غش فيه ، ويقال : الرحيق من أسماء الخمر، وهى اللذيذة ، والمرافق هو الرفيق ، وهو الجليس ، والسعى الإسراع فى المشى ، والسعى أيضاً العمل .

[١٥٢] فَتُصْبِحَ فِي الْفِرْدَوْسِ بِالْحُورِ مُعْرِساً سَلِيماً مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالسُّقْمِ وَالْأَلَمْ

نصب تصبح على حرف التمنى[2] ، وهو لعل جواب التمنى ، والفردوس بطنان الجنان لتوسطها وسط الجنان ، والحور جمع حوراء ، وهى البيضاء ، وسليما أى سالما من كل عاهة ومرض ، والألم الوجع .

تمت ، وهى ها هنا مائة واثنان وخمسون بيتاً

* * *

---

(١) الآية مكية رقم ٤٠ من سورة الشورى .

(٢) كذا فى الأصل ، والفعل المضارع تصبح معطوف على تسقى فى البيت ، وجملة أن تسقى فى تأويل مصدر خبر لعل .

القصيدة الثانية[1]

فى

معرفة الخالق

وقال فى الحجة على الخلق فى معرفة الخالق ، وما يسع جهله وما لا يسع :

[١] مَعْرِفَةُ الخَالِقِ مَوْجُودَةٌ فِي الخَلْقِ بِالحِكْمَةِ وَالعَدْلِ

يقول : معرفة الحجة على الخلق لله تعالى ، وهو الخالق ، موجودة فيهم ، بالحكمة من الآيات والبينات إن سأل سائل فقال : ما أوجب الله عليك فعل المعرفة به ، ومن لا يعرفه فليس بموحد له ، ومن ليس بموحد له فهو ملحد فيه .

[٢] لَا عُذْرَ لِلْمَخْلُوقِ فِي جَهْلِهَا إِنْ كَانَ ذَا فَهْمٍ وَذَا عَقْلِ

جهلها ، الهاء راجعة إلى معرفة الله ، وعلى كل عاقل بالغ معرفة الله تعالى ، أنه ليس كمثله شيء .

[٣] عَلَائِقُ التَّرْكِيبِ آثَارُهَا فِي حَالَةِ التَّقْلِيبِ وَالنَّقْلِ

العلائق جمع علاقة ، وهو ما يعلق به الإنسان ، من صناعة وصنيعة ، والتركيب تركيب أعضائه وسائر جوارحه من اليدين والرجلين والعينين والأذنين وما ينتقل من حال النطفة إلى حال العلقة .

---

(١) من بحر السريع .

[٤] وَعَجْزُهُ عَنْ فِعْلِهَا شَاهِدٌ عَلَيْهِ لِلْفَاعِـــلِ بِالْفِعْلِ

وعجزه الهاء راجعة إلى المخلوق ، أى عجزه عن فعل هذه الأشياء فى خلقها شاهد لله تعالى ، أنه خالق الخلق ، لا خالق غيره ، ولا مصور سواه ، سبحانه ، جل وعلا .

[٥] وَأَنَّهُ حُوِّلَ مِنْ نُطْفَةٍ طِفْلًا وَمِنْ طِفْلٍ إِلَى كَهْلِ

أنه ، الهاء راجعة إلى المخلوق ، والنطفة من الرجل ، وهى المنى ، وحول من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى لحمة إلى أن يخرج من رحم أمه طفلا إلى أن يصير كهلا ، والكهل الرجل الذى فيه الشيب ، وامرأة كهلة إذا بلغت الأربعين ، وهو ماء الكهل النبات إذا اشتد ، وقوأ ، قال الله تعالى : « وَكَهْلًا »[1] بالهاء ، وقيل : الكهل الشكل مثل المثل ، قال الله تعالى : « وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ »[2] .

[٦] ثُمَّ غَدَا شَيْخًا عَلَى كُرْهِهِ مُرْتَعِدَ الكَفَّيْنِ وَالرِّجْلِ

مرتعد الكفين من الرعدة ، تقول: أرعده الخوف، وهو أن تنتفض أعضاؤه من الضعف ، والاسم من الخبر[3] رعديد ، وهو أن يتحرك لحياه وكفاه ، ورجلاه .

---

(١) الآية رقم ٤٦ من سورة آل عمران .

(٢) الآية مكية رقم ٥٨ من سورة ص .

(٣) كذا فى الأصل ، والمراد لفظ مرتعد ، وهو حال ، وليس خبرا .

[٧] أَوْجَدَهُ أَنَّ لَهُ خَالِقاً جَلَّ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالشَّكْلِ

الهاء فى أوجده راجعة إلى المخلوق ، أى هذه العلائق والتركيبات ، وخلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أوجده علما بأن له خالقا ومصورا ، أنداد أى أضداد .

[٨] وَأَنَّهُ شَيْءٌ فَمَا مِثْلُهُ شَيْءٌ تَعَالَى اللهُ عَنْ مِثْلِ

فإن قال قائل : إن الله شيء ، قيل له نعم ، لا كالأشياء التى تعرفها .

فإن قال : الله تعالى شيء موجود ، قيل له : نعم ، هو أعظم الأشياء ، لا عظم جثة ولا شخص .

[٩] لِقَوْلِهِ شَيْءٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَعْدُومٌ مِنَ الْأَصْلِ

يعنى ، قوله ، عز وجل ، « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »[1] ، وهو خالق الأشياء ، والمعدوم ذهاب الشيء وفقدانه .

[١٠] وَلَا حَرَاكٌ وَلَا سُكُونٌ بِهِ حَيٌّ بِلَا رُوحٍ وَلَا وَصْلِ

يعنى بذلك الله تعالى ، أنه حى قيوم ، ليس بذى حركة ولا سكون ، ولا روح ولا وصل ، وهو خالق السكون والحركات والأرواح .

[١١] إِذْ كَانَ هَذَا حِدْثاً نَقْلُهُ لَمْ يُوصَفِ النَاقِلُ بِالنَّقْلِ

لما كان هذا المخلوق محدثا ، مثل الحركة والسكون ، والله تعالى خلقه وأحدثه فى الإنسان لم يوصف بالحدث ، والنقل تحويل الشيء من موضع إلى موضع .

(١) الآية مكية رقم ١١ من سورة الشورى .

[١٢] لَيْسَ بِذِى جِسْمٍ فَيَضْطَرَّهُ فَقْرٌ إِلَى الْمَنْزِلِ وَالرَّحْلِ

[١٣] وَإِنْ يَكُنِ الرَّحْلُ مِنْ قَبْلِهِ فَرَبُّنَا الْخَالِقُ لِلْقَبْلِ

[١٤] وَقَوْلُهُمْ جِسْمٌ دَلِيلٌ عَلَى التَّأْلِيفِ وَالتَّبْعِيضِ وَالْوَصْلِ

فإن قال : أفجسم هو ؟ قيل له : تعالى ربنا أن يشبه بالأجسام، لأن الأجسام محدثة ، محتاجة إلى القرار والمكان ، تجرى عليها الزيادة والنقصان ، والله تعالى ليس بمحدث ، ولا يشبه بالأشياء ، تعالى الله وجلّ .

فإن قال : فهو جسم كالأجسام ؟

قيل له : تعالى الله .

[١٥] وَلَيْسَ يَخْلُو ذَاكَ مِنْ صَانِعٍ مُؤَلِّفٍ لِلْوَصْلِ وَالْفَصْلِ

الصانع العامل ، والله تبارك وتعالى صنع الخلق ، أى خلقهم ، والوصل الجسم التام ، وقوله الفصل يحتمل أن يكون أراد الانفصال عن الشيء ، بعضه عن بعض.

[١٦] وَغَيْرُ مَا مُمْتَنِعٍ فَاعْلَمُوا عَنْ عَرَضٍ جِسْمٍ مِنَ الدَّخْلِ

والعَرَض ما قام بغير ، مثل الأرواح ، والألوان ، والذوق ، والحموضة ، والحلاوة ؛ والجسم مثل الليل والنهار ، والماء والنار ، والرياح ، كلها أجسام ميتة ، تحركها القدرة .

[١٧] وَمَا رَأَيْنَا عَرَضًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ يَوْمًا بِلَا نَصْلِ

فإن قال قائل : أعرض هو ؟

قيل له : تعالى أن يشبه الأعراض والأجسام والأبعاض ، لأن العرض

لا يقوم بنفسه ، ولا يفعل ، وإنما يقوم بغيره ، تعالى الله عن هذه الصفة ، النصل الجسم .

[١٨] لَا يُوصَفُ اللهُ بِجِسْمٍ وَلَا بِشَكْلٍ وَلَا مِثْلٍ وَلَا عَدْلِ

الشكل : المثل ، والعدل بفتح العين : الرجل الثقة . والعدل أيضاً بفتح العين : الفدية ، كقوله تعالى : « وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ »[1] ، أى ولن تفتدى كل فدية لا يقبل منها .

[١٩] وَالْأَرْضُ فِيهَا شَاهِدٌ قَائِمٌ يَشْهَدُ بِالْعَجْزِ وَبِالذُّلِّ

الشاهد فى الأرض من الآيات التى فيها من الجبال ، والأشجار ، والأنهار ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، وغير ذلك . والعجز أن تعجز عن فصل المخلوق .

[٢٠] مَقْدِرَةُ الْإِنْسَانِ فِيهَا عَلَى ذِلَّتِهِ بِالْحَقْرِ وَالنَّتْلِ

أراد قدرة الإنسان وهى قوته ، يعنى عجزه يشهد فى الذل عليه بعجزه عن هذا . والحقر : الذل . والنتل : الافتراق .

[٢١] وَإِنَّهَا لَوْ خَلَقَتْ نَفْسَهَا لَامْتَنَعَتْ مِنْ سَوْرَةِ الْجَهْلِ

وإنها ، الهاء راجعة إلى القدرة ، لأن القدرة فى الإنسان من خلق الله تعالى . وهو الذى خلقها فى الإنسان ، وأعطاه إياها . والسورة : الحد والارتفاع . الجهل : جذبه وشركه .

---

(١) الآية مدنية رقم ٤٨ من سورة البقرة .

[٢٢] كَذَلِكَ النَّامِي وَأَشْبَاهِهِ مِنَ الْجَمَادِ الْحَزْنِ وَالسَّهْلِ

الجماد : الحجارة ، والجبال ، والحديد ، والصفر ، والفضة ، والرصاص ، والنحاس . ويمكن أن يكون الحزن بدلا من الجماد . وفى بعض الكتب : فإنا وجدنا فى العالم ثلاثة ضروب ، فنها حىّ وهو جميع الحيوان .

[٢٣] خَالِقُهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ الْأَنْدَادِ وَالْأَضْدَادِ وَالنَّسْلِ

الأنداد : جمع ند . والأضداد : جمع ضد . والنسل : الولد .

[٢٤] أَشْهَدُ حَتًّا مُخْلِصاً أَنَّهُ رَبِّى وَرَبُّ الْجِنِّ وَالْخَبْلِ

أراد أشهد إشهاداً حتما، وأقول قولًا حقًا. والخبل: الجن، وقيل:الشياطين. وأصل الخبل : الفساد فى الأعضاء : مخبول : أى فاسد . والخبل : كل ما أفسد .

[٢٥] بِكُلِّ مَا قَالَ بِهِ شَاهِدٌ وَمُؤْمِنٌ بِالْكُتْبِ وَالرُّسْلِ

أى فأشهد بكل ما شهد به شاهد ، ومؤمن : أى وأنا مؤمن ، أى مصدق بالكتب والرسل . والإيمان: التصديق . تقول: من قبل آمنا ، أى صدقنا محمداً وما جاء به .

[٢٦] وَكُلُّ عَبْدٍ مَلَكٍ عِنْدَهُ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْفَصْلِ

يعنى . وأومن بملائكته وكل عبد ملك عنده ، الهاء راجعة إلى الله تعالى ، وأشهد أن البعث بعد الموت حق، والحساب والفصل بين الخلائق حق . والفصل: القضاء بين الخصوم .

[٢٧] وَإِنَّ مَا جَاء بِهِ أَحْمَدٌ حَقٌّ مِنَ اللهِ وَلَا هَزْلِ

والهزل : اللعب والباطل .

والتى لايسع جهلها ، ولا يعذر أحـــد فى معرفتها ، وهى التى دعا إليها رسول الله ﷺ ، وكان الأئمة من بعده يدعون إليها ، وهن بينها وبين الله ورسوله .

[٢٨] وَالنَّارُ وَالجَنَّةُ حَقٌّ بِلَا عُذْرٍ لِذِى جَهْلٍ وَلَا فَشْلِ

قد قيل : يسع جهل الجنة والنار ما لم يذكرا ، فإذا ذكرتا لم يسع جهلهما ، وقال ابن محبوب[1]: القول فى خلق القرآن مما يسع جهله[2]. وقال : الجنة والنار مخلوقتان .

[٢٩] وَالنَّارُ وَالجَنَّةُ مَا فِيهِمَا شَكٌّ لِأَهْلِ الجِـــدِّ وَالهَزْلِ

[خلق] القرآن مما يسع جهله ، وقال : الجنة والنار مخلوقتان ، ويسع خلق جهلهما والفشل : العاجز الجبان .

[٣٠] يَا لَهُمَا دَارَيْنِ مَا فِيهِمَا مِنْ غَبَنٍ جَمٍّ وَمِنْ فَضْـــلِ

[لفظ] الدارين : يعنى الجنة والنار . والغبن بفتح الباء : الرأى القائل بقول الغبن فى رأيه . والغبن بسكون الباء : البيع والشراء . تقول : غَبَنَ فلان فى بيعه غَبْنًا ، ويوم التغابن يوم الآخرة . يغبن فيه أهل الجنة أهل النار .

---

(١) هو محمد بن محبوب بن الرحيل المعروف بأبى عبد الله، واحد من أجلة العلماء العمانيين فى الطبقة الثانية منهم : كما ذكر السيابى فى كتابه أصدق المناهج .

(٢) كان موضوع صفة الـكلام لله تعالى ، وهل القرآن مخلوق أو هو أزلى سببا فى المحنة التى أشعلها ودعا إليها الخليفة العباسى المأمون بن هرون بن الرشيد ، وقد أجاب كثير من رجال الحديث دعوة المأمون إلى القول بخلق القرآن ، وقد عارض هذا الإمام أحمد بن حنبل الذى وقف وقفة ثابتة لم تتزعزع منذ سنة ٢١٨ وهى السنة التى ابتدأت فيها هذه الفتنة إلى سنة ٢٣٣ وهى السنة التى أبطل فيها الخليفة المتوكل تلك الدعوة ، وترك للناس الحرية فيما يختارون ويعتقدون .

[٣١] كَذَلِكَ السَّاعَةُ إِتْيَانُهَا حَقٌّ بِلَا كَلَفٍ وَلَا بُطْـــــلِ

وقد قيل : لايسع جهل يوم القيامة إذا ذكر ، ويسع ما لم يذكر، فإذا ذكر ولزم الإيمان فمن شك فيه بعد العلم به ، وقيام الحجة عليه ، كان مشركا ، ويقتل إن لم يتب .

[٣٢] فَكُلُّ هَذَا وَاسِعٌ جَهْلُهُ فِي حَالَةِ الْفُرْقَةِ وَالْحَفْـــــلِ

وكذلك القول فى البعث والثواب والعقاب مثل يوم القيامة . والحفل : الإجماع ، والمحفل : موضع مجتمع . ومن ذلك يقال : القوم فى محفل ، واحتفل القوم إذا اجتمعوا فى محفل وحفل أى فى موضع مجتمع واجتماع . وجمع المحفل محافل .

[٣٣] وَلَيْسَ فِيهِ إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ عُذْرٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ فِي الْجَهْلِ

يقول : فإذا ذكر فقد انقطع العذر فى الجهل . ولا يسع هذا كله إذا ذكر . والحق ها هنا : بمعنى الإسلام . أى ليس لمسلم إذا ذكر ذلك عذر فى جهل ما تقدم ذكره .

[٣٤] فَكُلُّ من خَالَجَهُ عَقْلُهُ أَوْ شَكَّ فِي الْفَرْعِ أو الْأَصْلِ

خالجه : أى اختلف عليه رأيه ، واختلط عليه عقله. والأصل ما عرف به حكم غيره ، والأصل ما عرف به حكمه لغيره .

وقيل مقدمة ، والمعلوم والفرع نتيجة ، والفرع ما خلا من الأشياء ، وجمعه فروع .

[٣٥] فَهَالِكٌ بُعْدًا لَهُ هَالِكًا إِنْ لَمْ يَتُبْ عُوجِلَ بِالْقَتْلِ

نصب بعداً على المصدر(١) ، كما قالوا بعداً وسحقاً ، وتعساً . أى أبعده الله بعداً . أو نصب هالكا بنزع الخافض. أراد بعداً له من هالك ، على نحو ما يوجد، تقول هذه الأشياء التى قد تقدم ذكرها إذا ذكرت عند من بلغته الحجة فيها ، فشك بعد ذلك فيها ، فهو هالك ، إن لم يتب قتل .

[٣٦] وَالصَّلَوَاتُ إِنْ أَتَى وَقْتُهَا على أخى جهل بها غُفْلِ

ويسع جهل الفرائض ، ما لم يقبل بالعمل فيها ، إذا وجب العمل بها ، وحضر وقتها ، ولم يسعه ذلك مثل الوضوء ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وكل ما حرم الله تعالى فعله وأكله وشربه من جميع المحارم ، واسع جهل ذلك كله ، ما لم يفعل ، أو يرتكب شيئا منه .

[٣٧] فَهَالِكٌ وَالْحَجُّ مَا لَمْ تَمُتْ فَأَنْتَ فِي الْفُسْحَةِ وَالْمَهْلِ

والحج إذا لزم ، فلا عذر له بجهل علمه ، وموسع له بتأخير الحج ، ما لم يمت ويسع جهله ، ولا يكفره ذلك حتى يموت . فإن مات ولم يحج(٢) ، ولم يوص بحجة مات كافرا .

والفسحة : التأخير . تقول : انفسح عنى : أى تأخر عنى . والمهل : المهلة .

---

(١) أى بعد بعدا : مفعول مطلق ، والمفعول المطلق مصدر الفعل الذى ينصبه ، ويؤتى بالمفعول المطلق فى الكلام للتأكيد أو لبيان النوع أو العدد ، والصواب فى نصب بعدا . أنه منصوب على التمييز .

(٢) أى وكان قادرا على الحج .

[٣٨] وَالزَّكَوَاتُ مِثْلُهُ وَقْتُهَا إِلَى انْقِطَاعِ الرِّزْقِ وَالْحَبْلِ

مثله : الهاء راجعة إلى الحج ، وكذلك الزكاة لايسعه جهلها إذا لزمته ، ولا يكفر بتأخيرها . فإن جهلها ولم يؤدها . والرزق كناية عن الأجل والموت . والحبل يراد به حبل الحياة .

[٣٩] وَالصَّوْمُ مَالَمْ يأتِ مِيقَاتُهُ فَوَاسِعٌ جَهْلُكَ فِي الْأَكْلِ

ولا يسع جهل الصوم لشهر رمضان ، فإن لم يعلم وجوب الصيام، وجهله قبل دخوله ، ومات لم يكفر ، مالم تقم الحجة عليه بعلمه ، فإن قامت الحجة عليه، وعلمه فإن دخل ولم يصمه ولو يوما واحدا منه ، كفر . فإن مات بعد انقضاء الشهر ، صام لكل يوم شهرا ، أو كفارة شهرين .

[٤٠] وَكَافِرٌ مَنْ شَكَّ فِي ذَا وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ الْعَقْـلِ

قوله في ذا : أراد في هـذا كله ، ذلك جائز . تقول رأيت هـذا ، وهذه وذا وذه .

وقال من قال من المسلمين : إن العقل هو الحجة ، ومنهم من قال : إن العقل يفعل به الذى تكون به الحجة. ورأيت أصحابنا يذهبون إلى هذا القول. والعقل حجة الله على العبد .

وبالعقل يلزم التكليف .

[٤١] وَالسَّمْعُ مُضْطَرٌّ ذَوُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِالرُّسُلِ

كنى[1] بالسمع عن العقل ، لأن من فقد سمعه ، فقد عقله . وقوله تعالى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ، أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ »[2].
وقوله: ذووه ، معناه أهله ، كما تقول: قال ذوو العلم، وذوو الرأى ، أى أهل العلم، وأهل الرأى ، ففضل الله السمع على البصر ، لأن العقل من السمع .

[٤٢] كَنَحْوِ مَا اضْطُرُّوا إِلَى عِلْمِهِمُ بِالصِّينِ وَالرَّدْمِ وَبِالرَّمْلِ

اضطروا : لجأوا إلى العلم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . والردم : سد يأجوج ومأجوج[3] ، والردم فى اللغة أكبر من السد . وقد بلغتهم حجة

---

(١) يقال كنى به عن كذا يكنى ويكنو كناية إذا تكلم بما يستدل به عليه دون ذكره ، أو أن تتكلم بشىء وأنت تريد غيره ، والكنية أن تقول ، أبو فلان ، وتستعمل الكناية لتصوير المعنى تصويرا واضحا ، أو لتحسينه وتجميله ، أو التنفير منه وتهجينه ، أو العدول عن اللفظ لهجنته، وهذا هو سر بلاغة الكناية ، مثل الكناية عن الحسرة والندم بالعض على الأصابع، فقد أديت المعنى بذكر لازم من لوازمه دون التعبير عنه باللفظ الدال عليه .

(٢) الآية مكية رقم ٤٢ من سورة يونس .

(٣) يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان بدليل عدم صرفهما ، وقد اختلف المفسرون فى شأنهما ، فمنهم من قال إنهما من أولاد يافث بن نوح ، ومن قال، إنهما ملكان فى بلاد الصين، غير أن المتفق عليه فى أمرهما ، أنهما كانا يخرجان بقومهما فى أيام الربيع ، فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه ، وقيل إنهم كانوا يأكلون الناس أيضا ، والمفسرون فى وصف أجساد يأجوج ومأجوج وقومهما يذهبون مذاهب شتى ، متناثرة ، مما لا طائل تحته ، وقد تركنا بيانه .

ويرى بعض المفسرين أن يأجوج ومأجوج اسمان لبلدان ، وقد ورد هذا فى الآية ٩٦ من سورة الأنبياء فى قوله تعالى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون .

النبي ﷺ ونبوته ورسالته ولا عذر لأحد فى ذلك . ويوجد أن الخضر[١] ويونس[٢] يجتمعان فى مسجد الخيف بمنى .

[٤٣] وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ وَأَمْثَالُهُمْ   وَحَىّ حِنْبٍ وَبَنِى عُكْلِ

أى وكذلك السند[٣] والهند ، وقد بلغتهم ، ولا يسعهم جهل الجملة ، وما خان النبي عن الله ، وكذلك حنب وعكل بطن من العرب . قال : خصه بأمه التى تسمّى عكل ، فسمى بها .

[٤٤] عِلْمُكَ بِالصِّينِ كَعِلْمِى بِهِمْ   فِى الْغَيْبِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ[٤]

[٤٥] وَالْخَمْرُ لَا عُذْرٌ لِمَنْ ذَاقَهَا   فِى حَالِ عِلْمٍ مِنْهُ أَوْ جَهْلِ

[٤٦] كَذَلِكَ الْخِنْزِيرُ حَيًّا عَلَى   ذِى الْجَهْلِ حُرْمٌ وَذَوِى الْعَقْلِ

ولا يسع جهل تحريم الخمر والميتة والخنزير ومن عرفه ذلك ، وشرب الخمر وظنه طِلًا[٥] ، وأكل لحم الخنزير ، أو ميتة فظنه شاة ؛ فإن الخطأ والنسيان أهون . فإذا علم تاب من ذلك ، وذوى العقل وذوى العلم ، لأن العلم هو العقل . والعقل هو العلم . إن الخنزير إذا كان حيا لا يسع جهله .

---

(١) الخضر نبي من الأنبياء ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم ، أنه فتى موسى عليه السلام ، فى قوله تعالى : وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا . الآيات من ٦٠ إلى ٨٢ من سورة الكهف . ويذكر بعض المؤرخين المقربين أنه القديس مارجرجس .

(٢) هو يونس النبي عليه السلام ، وهو ذو النون الذى ورد ذكره فى سورة الأنبياء ، آية رقم ٨٧ فى قوله تعالى : وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . . والآيات بعدها .

(٣) السند نهر كبير بالهند والهند البلد المعروف ، والمراد أهلها .

(٤) حذو النعل بالنعل ، يقال حذا النعل أى قطعها وقدرها ، والنعل بالنعل تركيب دلالته المشابهة المطلقة ، والقدر المتساوى .

(٥) هو اللبن .

[٤٧] وَوَاسِعٌ مِنْ بَعْدِ تَقْطِيعِهِ جَهْلُكَ بِالْأَعْضَاءِ وَالنَّشْلِ

أى يسع جهل الخنزير إذا صار لحما، وقطع وقطعا. فماذا أكله على الجهل به؟ قال الشيخ(١) : من عذر يجوز له أكل ذبيحته، ويسعه ذلك، ثم إذا علم تاب من ذلك .

والأعضاء جمع عضو مثل اليدين والرجلين، وواحده عضو بالضم والكسر والنشل : قطعة اللحم تخرج من القدر من غير نضج، والنشل العضو أيضا .

[٤٨] وَمَا أَتَى الْآىُ بِتَحْرِيمِهِ بَيْنَ ذَوِى الْأَنْسَابِ وَالْأَهْلِ

الآى : جمع آية . وفى الأثر(٢) : ويسع جهل معرفة القبلة ولبس الثياب الطاهرة فى الصلاة على البقعة الطاهرة، والنية للصلاة، كذلك الغسل من الجنابة والحيض والاستحاضة، وما يجتنب فى الصوم، كل ذلك واسع جهل معرفته ما لم يحضر، ولزم وجوبه، أو ركوب محضور منه .

[٤٩] وَلَيْسَ فِى الْجَهْلِ بِتَحْرِيمِهِ عُـذْرٌ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ

وكذلك الميتة والدم، ولحم الخنزير، وجميع المحارم كلها، ما حرم الله تعالى فى كتابه، ورسوله ﷺ. كل ذلك واسع جهل معرفته، ما لم يحضر وقته، ولزوم وجوبه، أو ركوب محضور منه، لم يسع جهله ولا فعله على علم ولا بخطأ، ولزم العمل به على ما أمر به .

---

(١) إذا أطلق لفظ الشيخ فالمراد به بشير بن المنذر النزوانى وهو من بنى نافع أهل عقر نزوى، أحد حملة العلم الأجلاء، وهوجد بنى زياد من بنى سامة بن لؤى بن غالب .

(٢) يراد به المأثور من الكلام .

[٥٠] وَالجَهْلُ إنْ لَمْ يَعْلَمُوا وَاسِعٌ   بِالنَّسَبِ الوَاشِجِ فِي الأَصْلِ

الواشج : المختلط . ومنه قوله تعالى : « إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ »(١) .

قال الكلبي : يعنى ألوانا مختلطة ، ماء الرجل غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق والولد يكون منهما . ووجدت أن الجلد والعظم ، والعصب ، والشعر يخلق من ماء الرجل ، واللحم والدم من ماء المرأة ، يقال الواحد من هذا خالط ، وممشوج .

[٥١] فَقَدْ أَحَلَّ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ   وَطْءَ ذَوَاتِ الأَعْيُنِ النُّجْلِ

يقول : يسعه أن يتزوج من النساء ما أراد ، إذا جهل النسب والرحم ، فإذا علم لم يسعه ذلك . ومعنى قوله : فقد أحل الله من فضله وطء ذوات الأعين النجل : أى تزويج ، والوطء ها هنا كناية عن التزويج .

ولم يجعل الله تعالى وطء فرج بغير تزويج ، ولا ملك يمين .

[٥٢] مِنْ كُلِّ خَوْدٍ غَضَّةٍ بَضَّةٍ   مَهْضُومَةٍ ذَاتِ شَوًى جَدْلِ

الخود من النساء : حسنة الخلق . وجمعها خود . والغضة الناعمة ، والبضة : الرقيقة الجلد كانت بيضاء ، أو أدما(٢) . والمهضومة : الضامرة البطن ، وكذلك الهيفاء .

والشوى : واحدها شواة ، وهى أطراف الإنسان ، مثل اليدين والرجلين ، وأطراف كل ذى روح شواه . وقيل : الشوى الرأس .

(١) الآية رقم ٢ من سورة الإنسان .
(٢) أى سمراء .

[٥٣] وَجَهْلُ تَـكْفِيرِكَ ذَا بِدْعَةٍ مُرْتَـكِباً لِلْـكُفْرِ فِي الْفِعْلِ

أى يسعه جهل أصحاب البدع ، مالم يعلم بدعهم وكفرهم ، فإذا علم كفرهم ، لم يسعه . والبدع جمع بدعة . والبدعة ابتداء أحداث لم تـكن قبل ذكرا ، ولا جرت بها سنة .

هو أبدع الشيء إذا أحدثه . والبدعة فى الدين : كل مستحدث أحدث بعد النبى ﷺ ولا هى فى كتاب الله .

[٥٤] مُوَسَّعٌ مَا لَمْ تَقُمْ حُجَّةٌ تَقْشَعُ غَيْمَ الشَّكِّ وَالْجَهْلِ

تقشع : تذهب وتزيل وتـكشف . قال : وانقشع إذا زال .

قال بعض أصحابنا : إن المجترم يسع جهل كفره ، والمستحل لا يسع جهل كفره . وكثرت الآثار بهذا ، وإلا بشير قال : المستحل يسع جهل معرفة كفره .

[٥٥] كَذَلِكَ مَا لَمْ تَدْرِ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ مُشْرِكٍ أَوْ كَافِرٍ وَغْلِ

الوغل : الضعيف . ويجمع أوغال . والوغل : الذى لا فطنة له . والوغل : الشاك الضال ، وهو الذى أراده أبوبكر فى شعره . والوغل: الطفيلى ، الذى يدخل على شراب الخمر ولم يدع .

[قال الشاعر] :

فَالْيَوْمَ مَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقَبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَغَلْ

[٥٦] أَوْ مُجْبَرٍ ، أَوْ قَدَرِيٍّ وَذِى جَحْدٍ وَحَشْوِيٍّ وَذِى خَتْلِ

المجبر : من الجبرية[1] ، فرقة من فرق المخالفين . والقدرى : منسوب إلى

---

(١) هم الذين يقولون إن الإنسان لا اختيار له ، وهو كالريشة فى الهواء مجبر على أفعاله ، وصاحب هذا القول جهم بن صفوان .

فرقة يقال لها القدرية[1] ؛ لأنهم يقولون إنهم يقدرون على فعل الطاعة والمعصية ، من غير استطاعة تكون لهم من الله فى ذلك الوقت .

وذى الجحد : الجاحد لأمر الله تعالى ونهيه ، أو أمر نبيه . وحشوى : منسوب إلى فرقة يقال لها الحشوية . والختل : الكفر .

[٥٧] وَالْقَسْمُ وَالْأَحْكَامُ مَالَمْ تَلِي   الْأَحْكَامَ مَعْذُورٌ عَلَى الْجَهْلِ

ويسع جهل قسم المواريث ، والحدود ، والقصاص ، وسائر الأحكام التى تشتبه ، ما لم تقم عليه الحجة ، أو تلى الحكم ، فيحكم بغير ما أنزل الله ، أو يعطل شيئاً من حدود الله ، أو يمين على ذلك ، فإذا قامت عليه الحجة بمعرفة ذلك وجبت ، وضاق عليه الشك فيه .

وإن حكم فيه بغير ما أنزل الله ، وعطل شيئاً من حدود الله ، هلك .

[٥٨] وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فَمِنْ رَبِّنَا   خَلْقٌ وَإِنْ كَانَا هُمَا فِعْلِ

فإن سأل سائل عن أفعال العباد فقال : أتزعمون أنها مخلوقة لله عز وجل ؟

قيل له : نعم ، فإن الله عز وجل خالق كل شىء . من الله خلق ، ومن العباد فعل . فعلمنا أنها مخلوقة ، لأن مخرج الآية عموم .

[٥٩] لَوْ كَانَ ثَانٍ عِنْدَهُ جَاعِلًا   لَاخْتَلَفَا فِى الْأَمْرِ وَالْجَعْلِ

والجعل هاهنا : الخلق . قال الله تعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ

---

(١) هم الذين يسندون أفعال العباد إلى قدرهم ، والمشهور أنهم سموا بذلك لنفيهم القدر ، ولقولهم ، إن الشرور والقبائح ليست بتقدير الله ومشيئته ، وزعيم هذه الطائفة واصل بن عطاء كبير المعتزلة .

وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ »[1] . وقوله : لاختلفا فى الأمر والجعل: شبيه لقول الله تعالى : « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ، إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ »[2] ، أى طلب بعضهم مغالبة بعض ، سبحان الله عما يصفون .

[٦٠] أَوْ كَانَ شَيْءٌ لَمْ يَشَأْهُ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا غَيْرَ مُسْتَعْلِ

يعنى أنه لو كان إله آخر عند الله تعالى، ثم أراد أحدهما فعل شىء ، ولم يشأه الآخر كان الذى يشاء أن يفعل ، ولم يشأ الآخر .

وقوله ضعيفا غير مستعل ، أى غير غالب ، قوله تعالى : « فَاسْتَكْبَرُوا ، وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ »[3] .

[٦١] لَمْ يَزَلِ اللهُ سَمِيعًا بِلَا آلَةِ سَمْعٍ جَل ذُو الْفَضْلِ

آلة السمع : الأذن ، وآلة البصر : العين ، وآلة البطش : اليدان والرجلان، وآلة كل شىء مما يعمل به من صناعة ، والله عز وجل غنى عن الآلات ، سبحانه وتعالى عما يصفون علوا كبيراً .

[٦٢] رَبًّا لِمَا يَشَاءُ مُرِيدًا إِذَا شَاءَ بِلَا عَجْزٍ وَلَا خَتْـلِ

نصب ربا على البدل[4] من سميع، أى لم يزل ربا ومريدا مثله أيضا . والعجز:

---

(١) الآية مكيه رقم ١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية مكية رقم ٩١ من سورة المؤمنون .

(٣) الآية مكية رقم ٤٦ من سورة المؤمنون .

(٤) كذا فى الأصل ، والصواب أنه خبر ثان للفعل يزال فى البيت قبله ، والكلام متصل، والبدلية هنا غير واضحة .

الضعف عن طلب الشيء وإرادته . والله تعالى لايفوته شيء ، ولا يعجزه الختل[1] الختلة من الشيء .

[٦٣] وَعَالِمًا مُقْتَـدِراً قَاهِراً يَعْلَمُ وَزْنَ الذَّرِّ وَالنَّمْلِ

النمل : جمع واحدته نملة ، ولا ندرى أنهم ذكروا له أنثى[2] . من النمل نمل أسود ، له أجنحة يطير بها . وأما قول الله تعالى : «حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ»[3] هو مكان بالشام[4] .

وإن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذباب .

[٦٤] لَا كَيْفَ لِلّٰهِ تَعَالَى ولا حَتَّامَ فِي الْغَايَةِ وَالنَّقْلِ

من قال كيف الله ؟ فقد شبهه ، ومن قال متى الله فقد باهى . ومن باهى ، فقد بعضه ومن بعضه فقد جزأه ، ومن جـزأه فقد ألحد فيه ، ومن ألحد فقد أشرك به .

والغاية والنقل والانتقال ، التحويل من حال إلى حال ، تعالى الله ذو الجلال والإكرام .

[٦٥] وَأَيْنَ تَحْدِيدُ تَنَاهِ وَمَا لِلّٰهِ مِن بَعْدٍ وَلَا قَبْلِ

ومن قال أين الله ، فقد حده ، ومن قال إلى متى ، فقد باهاه ، أى جعل له

---

(١) الختل هو الخداع .

(٢) كذا فى الأصل ، والحقيقة أن النمل ذكر وأنثى ، فقد خلق الله من كل شيء ، زوجين ذكرا وأنثى.

(٣) الآية مكية رقم ١٨ من سورة النمل .

(٤) وقيل بالطائف ، وقيل هو واد تسكنه الجن ومراكبهم النمل .

نهاية وغاية . وقبل وبعد غايتان بلا تنوين ومن نونهما وخفضهما جعلهما نكرتين.
وهما مبنيان على الضم ، لأنهما غايتان . ومعنى الغاية أن الكلمة حذفت منها
الإضافة .

[٦٦] وَكُلُّ مَا كانَتْ لَهُ غَايَةٌ مِنَ الجِهَاتِ السِّتِّ فِي الأَصْلِ

الغاية : النهاية ، وهى ما يقع عليها النظر . والجهات الست : فوق ، وتحت ،
ويمين ، وشمال ، وخلف ، وقدام . هذه الجهات لها غاية تنتهى إليها ، ويقع النظر
عليها ، وسميت جهات ، لأنها تواجه بالمقابلة والنظر .

[٦٧] فَحَادِثٌ دَلَّ بِتَفْرِيقِهِ عَلَى حُدُوثِ الجَمْعِ وَالجُمْلِ

يقول : من كانت له غاية ونهاية من هذه الجهات ، فهو محدث ، لأن الجهات
تفترق وتجتمع وتزول بزوال صاحبها .

قال الشيخ : ومفتقرة إلى مكان تحله ، وهى محتاجة إليه . والله تعالى خالق
كل شيء ، ولا خالق سواه ، سبحانه .

[٦٨] فَارْبَعْ عَلَىٰ ذَا إِنْ تَكُنْ رَابِعاً وَخَلِّ عَنْ هِنْدٍ وَعَنْ جُمْلِ

فاربع على هذا ، أى قف على هذا . ويقال: اربع على نفسك ، أى تمكث بها
وانتظر ، وعلى : بمعنى عنده . قال الله تعالى : « وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ »[1] ، أى
عندى .

أى قف على هذا ، وتذكره وتدبره ، وخل عنك ذكر هند وجمل ،
وهما امرأتان .

(١) الآية ملاية رقم ١٤ من سورة الشعراء .

[٦٩] وَالْوَصْفُ لِلْخَمْرِ وَشَرَّابِهَا وَالنَّعْتُ لِلْبَيْدَاءِ وَالإِبْـلِ

الوصف: النعت . والخمر سميت خمرا من التخمير ما خامر العقل. فقال الوصف، الأصفر والأحمر ، والنعت مثل الطويل والقصير ، والجسيم والدقيق . والبيداء : الفلاة التى لا ماء فيها . والإبل : الجمال وهى بالتخفيف والتثقيل ، إبل وإبّل .

[٧٠] وَقَوْلُ ذِى الصَّبْوَةِ يَا عَاذِلِى عَلَى الصِّبَا حَسْبُكَ مِنْ عَذْلِ

الصبوة : مصدر صبا يصبو صبوة ، وتصابى تصابيا . وحسبك : أى كفاك من عذلى على الصبا . والعذل واللوم : واحد . تقول : عذل وعذّل بالتخفيف والتثقيل .

قال الشاعر :

عَذْبٌ عَذَالَتِى فَقُلْتُ مَهْلًا أَفِى وَجْدٍ بِسَلْمَى يَعْذِلَانِى[1]

[٧١] وَاسْتَصْحِبِ الْقُرْآنَ مُسْتَشْعِراً مُسْتَظْهِراً خَاتِمَةَ النَّحْـــلِ

القرآن : اسم كتاب الله عز وجل . وإنما سمى الفرقان، لأنه يفرق بين الحلال والحرام ، وتقول القرآن مصدر ، كالقراءة . ويقال : فلان يقرأ قرآنا حسناً ، أى قراءة حسنة .

وقوله : « وَقُرْآنَ الْفَجْرِ » أى ما يقرأ فى صلاة الفجر .

وقوله : مستشعراً : أى متخذا شعارا . وخاتمة النحل . أى آخرها « إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

تمت ، وهى ها هنا واحد وسبعون بيتا

* * *

(١) البيت من بحر الوافر ، وفى الشطر الأول خلل فى الوزن .

القصيدة الثالثة[1]

فى

القـــدر

وقال فى خلق القرآن ، والرد على القدرية[2] فى ذلك ، والاستطاعة .

[١] أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ عِلْمِ الْقَدَرْ وَعَنِ الْحُجَّـــةِ فِيهِ وَالْأَثَرْ

والأثر : ما أثراه أهل العلم ، والأثر: جمعه آثار. قال الله تعالى:« وَنَكْتُبُ

---

(١) القصيدة من بحر الرمل .

(٢) القضاء هو إيجاد الله تعالى للمخلوقات على الوجه الأكمل ، والقدر هو علم الله فى الأزل بما ستكون عليه الموجودات فيما يزال ، وتسجيل ذلك فى اللوح المحفوظ ، قال الله تعالى ، وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ، وقال سبحانه ، بل هـــو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ، وقال : ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، وقال : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

ولقد شغلت مسألة القدر أو الجبر والاختيار ، أو أفعال العباد ، عقول الناس منذ أن كان الدين ، وإذا أثيرت مسألة القدر فى أى وسط مهما كان عدده فإنها تقسمه إلى قسمين ، يقول أحدهما بالجبر ، والآخر يقول : بالاختيار .

ولقد أثارها اليهود ففرقت بينهم فى دينهم ، وأثيرت فى النصرانية فكان النزاع والجدل والاختصام .

وأراد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يتلافى إنشقاق الأمة الإسلامية بسبب إثارة هذه المسألة فكان ينهى دائما عن إثارتها وعن الجدل فيها . وقـــد روى عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب حتى احمر وجهه : ثم قال : أبهذا أمرتم ، أم بهذا ارسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا مرضيا ، ولم تثر هـــذه المسألة فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وفى عصر بنى أمية نشأ مذهبان متقابلان فى الرأى ، فى حكمهما على أفعال الإنسان ، =

مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ »[1]. أى نكتب عليهم ما عملوه من خير وشر . وما أثروه من بعدهم ، يعمل به من بعدهم من خير وشر .

[٢] تَجِدًا عِنْدِي فِيهِ مُجْمَلًا عَنْ رَسُولِ اللهِ نُصَّتْ فِي الْخَبَرْ

المجمل : ما أجملت من شيء . وقوله : نصت فى الخبر : أى وقعت فى الأخبار عن أهل العلم .

قال الأصمعى[2] : النص منتهى الأشياء ، ومبلغ أقصاها ، ونصصت الرجل إذا استقصيت حديثه ، واستخرجت ما عنده . ومنه نصصت الحديث عن فلان نصا ، إذا رفعته عنه ، وأسندته إليه .

= أحدهما يقول ، إن الإنسان لا اختيار له وهو مذهب الجبر ، وثانيهما يقول بأن الإنسان مختار فى أفعاله ، حر الإرادة ، وهو مذهب الاختيار ، وصاحبه غيلان الدمشقى .

ولما جاء واصل بن عطاء زعيم المعتزلة فى أواخر العصر الأموى ذهب إلى الرأى القائل بجعل الإنسان مختارا فى أفعاله .

ولقد استنكر القرآن الكريم صنيع المجادلين فى القدر ، فى قوله تعالى : سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ، الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

وروى البخارى عن ابن عمر قوله صلى الله عليه وسلم : القدرية مجوس أمتى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر القدر فأمسكوا .

(١) الآية مكية رقم ١٢ من سورة يس .

(٢) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن إصمع أبو سعيد الأصمعى : من أئمة اللغة العربية ، تتلمذ على أبى عمرو بن العلاء ، وقد عاش طويلا ، وكان يقيم بالبصرة ، ومات عام ٢١٦ هـ . وله رسائل كثيرة .

[٣] وَمِنَ الْقُرْآنِ آيَاتٌ إِذَا تُلِيَ الْقُرْآنُ لَاحَتْ فِي السُّوَرْ

أي تجدا عندى من الحجج والبراهين على القدرية والرد عليهم من أخبار النبي عليه السلام .

والقرآن ، ما تنقطع به حجتك .

[٤] فَمِنَ الْأَسْنَادِ قَوْلُ الْمُصْطَفَى صَفْوَةُ اللهِ عَلَى كُلِّ الْبَشَرْ

الأسناد واحد، وجمعه أسانيد، وهو ما أسندته إلى رجل عالم، أو نبي مرسل، كما تقول :

قال فلان عن أبيه ، عن جده ، عن النبي عليه السلام .

والفعل منه أسندته. والصفو : الخالص من الشيء . والله تعالى اصطفى محمداً، وهو صفوته من خلقه .

[٥] إِنَّ سِرَّ اللهِ فِي الْأَرْضِ الْقَدَرْ فَدَعُوا الْإِغْرَاقَ فِيهِ وَالنَّظَرْ

أصل الإغراق : غاية المد فى القوس . والنظر فى الشيء : التفكر فيه .

فإن سأل سائل فقال : ما القدر ؟

قيل له : هو فعل الله تعالى ، والمقدور فعل العبد .

[٦] وَلَهُ فِيهِ مَقَالٌ صَادِقٌ نَاطِقٌ بعد مَقَالَاتٍ أُخَرْ

مقال : أى قول . والقال فى موضع القائل. والقيل مشتق من القول، كالسمع من السمع .

والعرب تقول كثر فيه القال والقيل .

وعن(١) النبي ﷺ : نهانى ربى عن القيل والقال ، وإضاعة المال ، وملاحات الرجال .

[٧] أَنْتَ خَصْمُ اللهِ إِذْ قَالَ لَهُ   كَتَبَ الذَّنْبَ وَأَصْلَانِى سَقَرْ

ذكر أن وفد نجران(٢) من النصارى ، قالوا للنبي ﷺ : يكتب الله علينا ، ثم يعذبنا عليه ، فقال : أنتم خصماء الله . فهذا معنى قوله :

أنت خصم الله إذ قال له   كتب الذنب وأصلانى سقر

فنظم الرواية فى شعره .

وسقر : اسم لجهنم ، نعوذ بالله منها .

[٨] هُوَ لَا يُسْأَلُ عَنْ أَفْعَالِهِ   إِنَّمَا يُسْأَلُ عَبْدٌ مُزْدَجَرْ

من قوله تعالى : « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ »(٣) . وجدت عن الزجاج(٤) أى لا يسأل فى يوم القيامة عن عمله فى عباده ، ويسأل عباده عن أعمالهم سؤال التوبيخ ، لمن يستحق التوبيخ ، ويجازى بالمغفرة من يستحق ذلك .

[٩] وَلَهُ مَقَالٌ فِيهِ شَاهِرٌ   عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ طُرًّا قَدْ شَهَرْ

ذو العز الله ، وهو العزيز الحكيم ، خالق الخلق ، وخالق أعمالهم ، وما

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) اسم بلد باليمن فتح سنة ست من الهجرة ، وقد سمى باسم نجران بن زيدان ابن سبأ .

(٣) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٤) الزجاج هو أبو إسحق إبراهيم بن السرى . وقد كان يعمل فى صناعة الزجاج ، فلقب بذلك ، نشأ فى بغداد ، وتلقى العلم عن ثعلب والمبرد ، ثم اشتهر أمره ، وقاوم الخليفة المعتضد ، وتوفى عام ٣١٠ هـ .

أحدثوه وعملوه ، من خير وشر ، والله هو خالق الخلق وأعمالهم ، والعالم بفتح اللام .

[١٠] خَلَقَ الْعَالَمَ ذُو الْعِزِّ وَمَا أَحْدَثَ الْعَالَمُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ

العالم : هو الخلق والأنام والناس كلهم عالَم ، والجمع عالمون بفتح اللام. ومنه قوله تعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » أى المخلوقين ، واحدهم عالم . والعالِم بكسر اللام : واحد العلماء ، والعالمون جمعه . قال الله تعالى : « وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »[١] .

[١١] فَالْأَفَاعِيلُ اكْتِسَابٌ لِلْوَرَى وَمِنَ الرَّحْمَنِ خَلْقٌ وَفَطَرْ

الأعمال : جمعها أفاعيل ، وواحدها فعل ، وهى أفعال العباد من خير وشر ، ومن الله خلق وفطر ، والفطر : الخلق . ومنه قوله تعالى : « فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا »[٢] .

والفطرة : التى طبعت عليها الخليقة .

[١٢] إِنْ يَكُنْ فِعْلُكَ شيئاً فَهُوَ قَدْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَافْهَمْ وَاعْتَبِرْ

فنصب شيئاً على خبر كان، وجزم يكن على الشرط ، والجواب هو[٣] .

يقول : إن يكن فعلك شيئاً من الأشياء، فهو قد خلق الأشياء . وهذه مخاطبة للقدرىّ .

---

(١) الآية مكية رقم ٤٣ من سورة العنكبوت .
(٢) الآية مكية رقم ٣٠ من سورة الروم .
(٣) أداة الشرط هى إن ، والجواب جملة ، فهو قد خلق الأشياء ، إذ أن الجواب يكون جملة .

[١٣] أَنْتَ لَا تَسْطِيعُ شَيْئاً غَيْرَ مَا   شَاءَ اللهُ الْمَلِيكُ الْمُقْتَدِرْ

تسطيع : أصلها تستطيع ، فحذف التاء لكثرة الاستعمال . وفيه لغات فقال استطاع يستطيع ، واسطاع يسطيع ، واستطاع يستطع ، واستاع يستيع .

[١٤] أَوَلَمْ تَأْتِكَ أَنْبَاءُ الْأُولَى   بَاكَرُوا الْحَرْثَ اعْتِدَاءً وَبَطَرْ

أنباء : أخبار وهو جمع نبأ وهو خبر . قال الله تعالى : « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ »(١) . والأولى فى معنى الذين ، يعنى أصحاب الجنة الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة القلم(٢) « إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ »(٣) الآية .

[١٥] وَحِينَ لَمْ يَسْتَثْنِهِ أَوْسَطُهُمْ   دَمَّرَ الْحَرْثَ عَلَيْهِمْ فَدَمَرْ

أوسطهم أفضلهم وأعدلهم رأيا ، ودمر : هلك . والدمار : الهلاك استئصال الشيء وهكذا منه قوله تعالى : « فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً »(٤) .

---

(١) الآية مكية رقم ٢١ من سورة ص . وروى أن الله تعالى بعث إلى داود النبي ملكين فى سورة إنسانين ، فطلبا أن يدخلا عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، فنعهما الحرس ، فتسوروا عليه المحراب ، فلم يشعر داود إلا وهما بين يديه جالسين ، ففزع منهما . ويقول ابن عباس ، إن داود عليه السلام جزأ أيامه أربعة أجزاء ، جزء للعبادة وجزء للقضاء وجزء للاشتغال بأمر نفسه وجزء للوعظ والتذكير .

(٢) فى الأصل سورة ص .

(٣) الآية مدنية رقم ١٧

(٤) الآية مكية رقم ١٦ من سورة الإسراء .

[١٦] رَجَعُوا فَازْدَجَرُوا وَادَّكَرُوا ‏ وَأَقَرُّوا إِذْ رَأَوْهُ بِالْقَدَرْ

رجعوا: انتهوا وتابوا. وادكروا: أصله اذتكروا، فلما أدغمت التاء فى الذال، تحولت الذال دالا. وأقروا بالقدر: آمنوا به . والهاء فى رأوه راجعة على الحرث.

[١٧] قَالَ لِي مَا الْكُفْرُ مِمَّا شَاءَ لِي ‏ قُلْتُ إِنَّ الْقَوْلَ فِيهِ مُخْتَصَرْ

يقول : اختصرت الشيء اختصارا ، إذا قصرت المعانى فى الألفاظ ، وتركت التطويل ، ومن ذلك سمى مختصر العلم ، ومختصر النحو واختصار قوله فى البيت الثانى .

[١٨] شَاءَهُ اللهُ ذَمِيماً مُنْكَراً ‏ غَيْرَ مَغْلُوبٍ عَلَيْهِ مُقْتَهَرْ

إن سأل سائل فقال : إن الله تعالى شاء من المشركين الشرك ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : ما الدليل ؟

قيل له : قوله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا »[1] ، « وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ »[2] ، « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا »[3] .

[١٩] قَالَ لِمْ شَارَكَنِي فِي خَلْقِهِ ‏ ثُمَّ أَصْلَانِي جَحِيماً تَسْتَعِرْ

يقول : لم يشاركنى فى الشرك ، والكفر ، والمعاصى ، وهو خالق ذلك ،

(١) الآية مكية رقم ١٠٧ من سورة الأنعام .
(٢) الآية مكية رقم ١٣٧ من سورة الأنعام .
(٣) الآية مكية رقم ١٣ من سورة السجدة .

ثم يعذبني عليه ، ويدخلني النار ، والسعير وقود النار ، وتستعر : تتقد ، وتلتهب ، والجحيم : النار الشديدة التأجج ، ناراً لإبراهيم[1] .

[٢٠] قُلْتُ فَاللهُ تَرَاهُ عَاجِزاً إِذْ عَصَاهُ عَبْدُهُ فِيمَا أَمَرْ

تفسير البيت الأخير : الكفر نقيض الإيمان . ويقال لأهل دار الحرب قد كفروا أي عصوا وامتنعوا . والكفر نقيض الشكر . وكفر النعمة : أي لم يشكرها .

[٢١] أَمْ تَرَى الْعَبْدَ قَوِيًّا قَادِرًا غَلَبَ اللهَ فَأَضْحَى قَدْ كَفَرْ

الكفر كفران : كفر جحود مع معرفة بالقلب ، كقوله تعالى: « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ »[2] .

وكفر المعاندة أن يقر، فيقول: لا أقبل . ككفر أبي طالب. وكفر النفاق: يؤمن بلسانه ، والقلب كافر ، وكفر القلب واللسان وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد كفر .

[٢٢] أَوَ لَيْسَ اللهُ قَدْ خَوَّلَهُ نِعْمَةً يَبْطِشُ فِيهَا وَيَذَرْ

خوله : أعطاه . ومنه قوله تعالى : « ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً »[3] ، أي أعطاه والبطش : الأخذ .

---

(١) اشارة إلى قوله تعالى فى قصة إبراهيم من سورة الأنبياء قلنا يانار كونى برداً وسلاما على إبراهيم ، وقد كان إبراهيم الخليل بن آزر مقيما ببابل ثم هاجر ، وهو خال النبي لوط عليهما السلام .

(٢) الآية مكية رقم ١٤ من سورة النمل .

(٣) الآية مكية رقم ٨ من سورة الزمر .

قوله تعالى : « أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا » : معناه يبطش فيها أى بها ، يعنى يأخذ ويترك .

ومنه قوله تعالى : « وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »[1] .

[٢٣] ثُمَّ لَمْ يَتْرُكْهُ إِنْ بَيَّنَهُ مَا لَهُ النَّفْعُ وَمَا فِيهِ الضَّرَرْ

[٢٤] جَلَّ ذُو العَرْشِ فَمَا يَشْرِكُهُ أَحَدٌ فِيمَا قَضَى أَوْ مَا أَمَرْ

الوقت قدره تقديرا . وإذا وافق الشيء شيئا ، قيل : أتى على قدر .

والقدر فيه لغتان . تقول العرب : قدر الله ، وقدر الله بفتح الدال وتسكينها وهو القضاء المؤقت[2] .

وقد جاء القرآن باللغتين جميعا . قال الله تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »[3] ، فهذا بفتح الدال .

[٢٥] أَوَلَيْسَ الطِّينُ خَلْقًا وَالَّذِى عَمِلَ الطِّينَ بُيُوتًا وَسُتُرْ

يقول : الطين خلق الله ، والذى يعمل الطين بيوتا أو سترا ، أو جـدرا . لا يقال : الله خلق بيتا ، ولا خلق سترة ، ولا خلق جدارا . وإنما يقال : عمل وصنع ، كما قال الله تعالى : « وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ »[4] .

(١) الآية مكية رقم ١٨٦ من سورة الأعراف إضافة من المحقق ، وفى الأصل ، ومن قوله تعالى : ويذر الذين ، وليس من بين آى القرآن مثله .

(٢) وقد وردت مادة القدر فى القرآن بمعنى الترتيب ، كقوله تعالى : وقدر فيها أقواتها وبمعنى المقدار ، كقوله تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر ، وبمعنى الوقت ، كقوله تعالى : قد جعل الله لكل شيء قدرا ، وبمعنى الكتابة فى اللوح المحفوظ : كقوله تعالى : فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وقوله تعالى : نحن قدرنا بينكم الموت .

(٣) الآية مكية رقم ٤٩ من سورة القمر .

(٤) الآية مكية رقم ١٤٩ من سورة الشعراء .

[٢٦] لَمْ تَقُلْ إن فُلَانًا خَالِقٌ   خَلَقَ رَبِّى إذْ بَنَى مِنْهُ جُدُرْ

الجدر : جمع جدار . قال الله تعالى : « لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ »[1] .

وقرأ عمرو بن العلاء[2] : من وراء جدار . والجدر ضرب من البنيان .

[٢٧] وَكَذَا أَعْتَقَ هَذَا رَبُّهُ   وَفُلَانٌ فَلَقَدْ أَصْبَحَ حُرْ

كذلك يقول : أعتق هذا رَبُّه أى سيده . وقيل ربه على التوسع والمجاز . ولا يقال رب لشىء ، إلا على الإضافة له ، يقال : رب المال ، أو غيره ، ولا يقال الرب بالألف واللام إلا لله عز وجل . وكذا : اسم يشار إليه ، والكاف كاف التشبيه .

[٢٨] ثُمَّ قَالُوا أَيُّهَا الْعَبْدُ ارْعَوِى   وَاشْكُرِ اللهَ فَطُوبَى مَنْ شَكَرْ[3]

ارعوى : أى ارجع عن ضلالك وانتبه ، تقول ارعويت عن باطل .

وطوبى عند النحويين : فُعْلَى من الطيب . ومعنى طوبى لهم : أى طيب العيش لهم . وقيل طوبى: شجرة فى الجنة . وقيل طوبى: الجنة بالهندية . والشكر: الطاعة ، من أطاع .

[٢٩] وَكَسَاهُ اللهُ حُلَّةً   وَآتَاهُ مِنْ مزِيدٍ وَخِيَرْ

الحلة لا تكون إلا ثوبين ومن مزيد وخير : أى زيادة وخير جمع خيرات .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٤ من سورة الحشر .

(٢) عمرو بن العلاء أستاذ الأصمعى .

(٣) إثبات الياء فى فعل الأمر ، ارعو ، لضرورة الشعر .

وحيث جاز لنا أن نقول: نحن أطعمناه هذا فالله أطعمه ولم يشاركنا فى إطعامه ولذلك نحن كسوناه والله كساه . ولم يشاركنا فى كسوته .

[٣٠] وَأَضَــلَّ اللهُ فِرْعَوْنَ الَّذِى   ضَلَّ وَالشَّيْطَانُ قِدْماً فَجَــرْ

وقال تعالى : « وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ »[١] ، وقال تعالى : « وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ »[٢] . ليس فرعون والسامرى يقدران على إضلال المؤمن ، ولـكن الله تعالى يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، وليس هذا إشراكا ، فإنما إضلال فرعون قومه ، أن زين لهم ، وتابعوه على الضلال .

[٣١] لَيْسَ فِى هَــذَا إِشْرَاكٌ كُلُّهِ   فَتَفَهَّمْ وَتَعَلَّمْ وَازْدَجِــرْ

وازدجر ، زجره الله أى نهاه أن يدعوهم إلى الله ، يجوز أن يقال لفعلنا فاعلين من حيث هنا .

[٣٢] ذَاكَ أَوْ قُلْنَا جَمِيعاً خَلَقَا   أَوْ جَمِيعاً مَلَـكَا وِرْدَ الصَّــدَرْ

[٣٣] وَيْكَ هَلْ تُنْـكِرُ أَنِّى مَالِكٌ   خَادِماً يَمْلِـكُهُ اللهُ مُقِــرْ

[٣٤] لَمْ أَقُلْ إِنَّ لِهَذَا فَاعِلُوا   مَالِـكَيْنِ اقْتَسَرَاهُ فَاقْتَسَرْ

قد مضى معناه ، ومعنى اقتسراه فاقتسر: أى قهراه فاقتهر . والقاهر : الغالب والله القاهر الغالب ، الممتنع ، الغالب لـكل شىء . وتقول : كسرته على هذا الأمر ، وقسرته على القهر والغلبة .

---

(١) الآية مكية رقم ٧٩ من سورة طه .

(٢) الآية مكية ٨٥ من سورة طه ، والسامرى منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة ، وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر ، وكان منافقا ، أظهر الإيمان وهو من قوم يعبدون البقر .

[٣٥] قَالَ مَا الشَّيْطَانُ إِذَا شَاءَ الَّذِى شَاءَهُ اللهُ مُطِيعٌ فَذَ غَدَرْ

فإن قالوا : فإبليس يريد الكفر ؟

قيل لهم : نعم .

فإن قالوا ، فالنبي ﷺ يريد الكفر ؟

قيل لهم : لا .

فإن قالوا : فإبليس كان أطوع لله من رسول الله ﷺ ، لأن إبليس أراد ما أراد الله ، والنبي كره ما أراد الله ؟

قيل لهم : بل عصى إبليس الله لإرادته ما أراد الله من كون الكفر ، لأنه نهى عن ذلك ، وأطاع النبي ﷺ ، أو لم يرد ما أراد الله ، وليس يجد من أراد ما أراد الله .

[٣٦] وَرَسُولُ اللهِ عاصٍ حِينَ لَمْ يُرِدْ الْكُفْرَ فَأَوْضِحْ لِيَ الْخَبَرْ

فإن قال : فمن ألقى فى قلوب الكافرين الكفر ؟

قيل له : إبليس ألقاه فى قلوب الكافرين بالروع والتزبين والدعاء .

فإن قال : فالله لم يلق ذلك فى قلوب الكافرين ؟ قيل له : لا .

فإن قال : فكيف وهو خلقه ؟

قيل له : كما أنك تقول للكفر ، الله خلقه وهو معلوم لله ، ولم يلقه فى قلوب الكافرين ، وذلك أن تأويل إلقاء الكفر فى القلب أنه دعا الله وسوسة إلى الكافر فزينه فى قلبه ، ويأمره به ، وذلك منفى عن الله .

[٣٧] قُلْتُ أَنَّ اللهَ أَنْمَى مَالَ مَنْ   عَبَـــدَ النَّارَ وَصَلَّى لِلْحَجَرْ

نما : كثر والاسم النمو . أنمى المال وغيره ينمى إذا كثّره .

قال زهير[1] يصف جارا :

ضَمِنَّا مَالَهُ فَغَدَا سَلِيماً   عَلَيْنَا نَقْصُهُ وَلَهُ النَّمَاء

أى ما كان من زيادة فله ، وما كان من نقصان فعلينا تمامه ، وسليما لم ينقص من ماله شىء .

[٣٨] فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُبْقِيَهُمْ وَلَمْ   يُرِدِ الأُمِّىُّ هَذَا وَعُمَرْ

ألا ترى أن الله أراد بقاء الكافرين ، لأنه هو الذى يبقيهم ، وأراد أن تصح أبدانهم ، وينمى زرعهم ، ويكثر ذلك من أرزاقهم ، والنبى ﷺ كره ذلك ، وكان مطيعاً لله بإرادته وكراهيته ما أراد من بقاء المشركين وصحة أبدانهم . وكذلك أمرهم الله ، وعصى إبليس ما أراد ربه .

[٣٩] أَعَصَى اللهَ تَرَاهُ الْمُصْطَفَى   وَأَطَاعَ اللهَ إِبْلِيسُ الْمِصرْ

المصطفى : المختار . كما قال الله تعالى : « اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ »[2] . أى يختار . اصطفى من الملائكة جبريل بالرسالة ، وبالوحى إلى الأنبياء والرسل ، والانتقام من أعداء الله ، واصطفى ميكائيل ، فجعله على الأمطار ، والأرزاق. واصطفى إسرائيل،فجعله منفخ الصور ، واصطفى عزرائيل،

---

(١) هو الشاعر زهير بن أبى سلمى،وليس فى العرب سلمى بضم السين غيره ، وأبو سلمى هو ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث ، أحد شعراء العصر الجاهلى ، وصاحب المعلقة التى مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحومانة الدراج فالمتثلم

(٢) الآية مدنية رقم ٧٥ من سورة الحج .

وجعله لقبض الأرواح . واصطفى من الناس البشر المرسلين . وسمى إبليس بهذا الاسم لأنه أبلس[1] من رحمة الله . والمصر : المقيم على الذنب .

[٤٠] قَالَ فَالْخَيْرُ مِنَ اللهِ وَمِنْ نَفْسِكَ الشَّرُّ أَجْنِنِي وَأَجِرْ

[٤١] قُلْتُ كُلٌّ مِنْهُ لا مِنْ أَحَدِ جَلَّ عَنْ كُلِّ شَرِيكٍ وَوَزَرْ

الوزر ها هنا: الشريك والمعين. ومنه اشتق اسم الوزير، لأنه شريك الأمير في الملك .

ومنه قوله تعالى : « وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي »[٢] ، أى شريكاً ومعيناً على أمرى . والوزر بكسر الواو وتسكين الراء : الإثم ، ضد الأجر . يقال فلان مأزور ، وفلان مأجور . وقوله تعالى : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ »[٣] أى إثمك .

ويوجد فى قول الله تعالى: « مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ »[٤] .

[٤٢] يَكُونُ اللهُ رَبًّا مَالِكاً غَيْرَ مَا أَبْدَعَ يَوْماً وَفَطَرْ

الخير والشر من الله خلق ، ومن الخلق اكتساب . يقول : الله تعالى يملك

---

(١) أبلس أى يئس وتحير .

(٢) الآية مكية رقم ٢٩ من سورة طه .

(٣) الآية مكية رقم ٢ من سورة الشرح .

(٤) الآية مدنية رقم ٧٩ من سورة النساء . ويروى عن عائشة رضى الله عنها : ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر .

الخير والشر ، ويكون العبد يفعلهما بقدرته لا بعلم ومشيئة ، هـذا مالا يكون .
إلا أنه يقال : الخير من الله ، ولا يقال الشر من الله على الإطلاق ؛ لأن الله تعالى
يضاف إليه أحسن الأسماء والأفعال ، كما قال تعالى: «الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِين»(١)
إلى تمام الآية وإن كان المرض من الله تعالى .

[٤٣] فَكَذَا اللهُ لِمَا أَنْتَ لَهُ مَالِكٌ خَالِقٌ نَفْعًا وَضَرّْ

يقول : فالله تعالى خالق ما تملـكه أنت من الأفعال التى تفعلها من خير كان
أو شر ، ونفع كان أو ضر .

[٣٤] كُلُّ شَىْء هُوَ مُنقَادٌ لَهُ بِاعْتِرَاف وَهَوانٍ وَصَغَرْ

الصغر والصغار هو الذل والمهانة . والصاغر: الراضى بالضيم صغرا ، وصغارا.
الصغار : أشد الذل .

قال الله تعالى: «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ»(٢) .والاعتراف:
الإقرار بالذنب والاعتراف : الجحد .

[٤٤] قَالَ لَوْ كَانَ لِفِعْلِى خَالِقاً أَحْدَثَ الْكَائِنَ مِنْـهُ فِى الْنُّكُرْ

فإن قال : هل يخلو الفعل من ثلاثة أوجه ؟ إما أن يكون للعبد دون الله ،
والله دون العبد ، أو للعبد ، ولله تعالى على الشركة ؟

قيل له : نعم . الفعل قد خلا من هذه الثلاثة الأوجه .

---

(١) الآية مكية رقم ٨٧ من سورة الشعراء .
(٢) الاية مدنية رقم ٩٠ من سورة التوبة .

وفعل العبد دون أن يكون خلقاً لله ، ولم يكن خلقاً لله دون أن يكون اكتساباً للعبد ، ولم يشتركا فيه جميعاً .

[٤٦] قُلْتُ لَمْ يَخْلُقْهُ إِذْ أَحْدَثْتَهُ أَنْتَ فَافْهَمْ وَأَعِدْ فِيهِ النَّظَرْ

فإن قال: متى خلق الله الفعل؟ في حال ما اكتسبه العبد، أو قبل أن يكتسبه، أو بعد ما اكتسبه ؟ قيل له : العين هي التي خلقها الله تعالى كسباً على ما هي عليه؛ فقولك قبل ، أو بعد ، أو ما إشارة منك إلى معنى ، ليس هو الكسب .

[٤٧] فَكَذَاكَ اللهُ إِذْ قَدَّرَهُ لَمْ يَكُنْ أَحْدَثَهُ دُونَ الْبَشَرْ

ونحن لم نجعل له الكسب الواحد ، الذي لا يتجزأ ، ولا ينقسم بالعدد اسماً، بل يقول: العين التي هي كسب للعبد، هو المخلوق ، وهو الذي أخبر عنه الله تعالى، ما يشاء على ما هو عليه من حسن ما حسنه ، وقبح ما قبحه .

[٤٨] فَلِهَذَا لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُنَا نُسِبَتْ ذَنْباً إِلَيْهِ فَنُسَرْ

أي فلهذه المعاني لم تنسب أفعالنا إلى الله ذنباً ، فقلت: يكتب الله علينا الذنب ثم يعذبنا به ؟ وتقول عبس الرجل ، فهو عابس الوجه ، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه ، قلت : كلح ، وإن اهتم بذلك ، وفك فاه ، قلت بسر ، وإن غضب مع ذلك ، قلت: بسل ، وإن زوى بين عينيه ، قيل قطب ، فهو قاطب أي عابس.

[٤٩] ثُمَّ قَالَ اللهُ رَبٌّ خَالِقٌ خَلَقَ الْأَفْعَالَ أَقْسَاطاً وَبِرْ

الأقساط : يعني الجور . والبر بمعنى العدل . ويقال : الأقساط للقسم ، ومنه تقول : وزعت المال توزيعاً ، وقسطته تقسيطاً إذا قسمته ، ويقسطون الشيء بينهم، إذا قسموه بالسوية .

والأقساط : واحده قسط بفتح القاف . والقسط جمعه أقساط . والقسوط في اللغة الميل عن العدل . قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ »[١] .
قال : الكفر والإيمان ، والشر والضلال .

[٥٠] فَأَبِنْ لِي أَيَّ شَيْءٍ خَالِقٌ   أَنْتَ ذَكِّرْنِي لَعَلِّي ادَّكِرْ

وفي نسخة إن تذكرني . معنى قوله ادّكر . أصله اذتكر ، فلما أدغمت الذال في التاء تحولت دالا .

وقيل في معنى اذتكر معناه اعتبر . وفسر قوله تعالى: « وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »[٢] أي يعتبرون .

[٥١] قُلْتُ فِعْلِي لَمْ يَكُنْ صُنْعًا لِمَا   صَنَعَتْ كَفِّي دُونَ الْمُقْتَدِرْ
[٥٢] قَالَ لِي إِذَنْ أَنْتَ خَالِقٌ مَا   خَلَقَ اللهُ فَمَا هَـذَا الْخَبَرْ
[٥٣] قُلْتُ بَلْ هُوَ لِفِعْلِي خَالِقٌ   كُلَّمَا أَتَى وَلَوْ مِثْقَالَ ذَرّْ

فإن قال : أليس ما خلق الله ، وقد فعله وصنعه ؟

قيل له : نعم ، قد يقال هذا في جملة الأشياء ، ولا يقال ذلك في بعض الأشياء مطلقا .

فإن قال : أفلا يقولون : الله خلق الكفر ؟

قيل له : بلى .

فإن قال : أفتقولون إن الله عز وجل فعله وصنعه أم لا ؟

---

(١) الآية مكية رقم ٤٩ من سورة الذاريات .
(٢) الآية مكية رقم ٥١ من سورة القصص .

قيل له : ألا ترى أنا نقول: إن جهنم قدر، ولا نقول إن الله صنع الأقدار، ونقول خلقها لأن خلقها اسم تعظيم فى كل شىء ، وصنع وزر الأقدار والقبائح تهجير، فنفينا عنه جل جلاله كل إضافة تهجير . والخلق صفة ، تهجير مضاف إلى الله تعالى بالتعظيم . ألا ترى أنا نقول : إن الله يحد كل شىء ، ولا يجوز أن يقال يحد .

والبرد والأذى والمكروه . لأن جملة القول يحد الأشياء، يوجب العلم بالأشياء، والإحاطة بها ويوجب الحر والبرد .

ـ تفسير هذه الثلاثة الأبيات مخلوط[1] .

[٥٤] فَتَوَلَّى جَـذِلًا مُسْتَهزِئًا دَرَجَا الْفُلْجَ وَحَيًّا وَكَشَرْ

تولى أى عرض وصد وتولى : رجع . تقول : توليت عن القوم أى رجعت عنهم .

ومنه قوله تعالى : « وَتَوَلَّى »[2] ، أى رجع عنه بعد أن عبده .

والجذل : الفرح والسرور، والفلج من أفلاج الحجة على الخصم ، وهو قطع الحجة .

ومنه الشىء إذا قطعته ، ومنه الفلج الذى فيه الماء ، وإنما هو من القطع .

وحيًّا من التحية ، وهو أن يقول : سلام عليك ، وحياك الله .

---

(١) هذه الجملة مذكورة فى الأصل بين ثنايا الشرح ، وقد آثرنا تصويب هذا الخلط بضم ثلاثة الأبيات الى بعضها ، وربط الشرح لها .

(٢) من الآية المكية رقم ٣٢ من سورة القيامة (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) .

[٥٥] ثُمَّ نَادَانِى بِصَوْتٍ صَحِلٍ صَخِبٍ يُشْبِهُ أَصْوَاتَ الْحُمُرْ

الصحل بحة فى الصدر ، لاتبلغ أن تكون خشنة . وفى صفة النبى ﷺ أنه كان فى صوت صحل . والصحل : حسن الصوت فى الغناء ، والصخب أرفع من الصحل وأشد خشونة ، وأكثر ما يكون عند المناصرة ، والمخاصمة .

والحمر : جمع حمار . وهو أقل العدد من الحمير .

[٥٦] غَيْرَ خَلْقِ اللهِ أَحْدَثْتَ إِذاً قُلْتُ لَا غَيْرَ لِهَذَا فَنَفَرْ

نفر : خرج مبادرا ، ومنه قوله تعالى : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ »[1] ، أى خرج مبادرا .

[٥٧] وَيْكَ هَلْ تَمْلِكُ فِعْلًا لَمْ تَكُنْ مَالِكاً مَا سَرَّ مِنْهُ وَظَهَرْ

[٥٨] أَوْ لِفِعْلٍ فَاعِلٌ رَبَّى بِهِ جَاهِلٌ فِى الْبَدْوِ يَوْماً وَالْحَضَرْ

[٥٩] فَاسْتَحَقَّ اللَّعْنَ عَبْدٌ مُذْنِبٌ بِاكْتِسَابِ الْكُفْرِ فِعْلًا وَالْغَرَرْ

اللعن : أصله الطرد والغضب والطرب ، والبعيد بمعنى المطرود المبعد أى الطريد .

والغرور كالخطر . غر بماله أى حمله على الخطر . والغرر والغرور : الباطل ، بضم الغين من غررت وهو الباطل .

[٦٠] أَوَ مَا الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ عِنْدَكُمْ مِنْ شَقِىٍّ ذِى سُفَاهٍ وَذَعَرْ

المؤمن : المصدق . قال الله تعالى: « وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢ من سورة التوبة .

يَـكْتُمُ إِيمَانَهُ »[1] ؛ أى رجل مصدق بتوحيد الله تعالى .

والشقى : المتعب . كما قال الله تعالى : « فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ »[2] ، فمن الناس يومئذ متعب بالعذاب ، ومنهم فى رخاء ونعمة .

[٦١] فَعَلَ الإِيمَانَ قُلْتُمْ دُونَهُ فَهُوَ خَـيْرٌ مِنْهُ فِعْلًا فَانْـكَسَرْ

نصب فعلا على التمييز . وانـكسر : انهزم ، وصح عليه الحق والحجة .

وإن قالوا المؤمن هو الذى أحدث الإيمان لا من شىء .

قيل لهم : وكيف يمـكن الإيمان لا من شىء ، وهو لايدرى كيف لا من شىء ، ولا يتصور ذلك فى وهمه مع أحداث الأشياء لا من صفة الخالق .

[٦٢] سَـلْ أَتَيْكَ لِهَذَا شَاهِدٌ كَوْنَ جِسْمٍ فِى مَـكَانٍ مُسْتَتِرْ

[٦٣] أَوْ مَـكَانٍ ظَاهِرٍ أَشْغَـلَهُ قَدْ حَوَى مِنْهُ النَّوَاحِى وَالقُطُرْ

النواحى : جمع ناحية وهى الجانب ، والقُطر : جمع قطر : أقطار وهو الجانب والنواحى .

قال الله تعالى: «إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ»[3] أى نواحيها وجوانبها .

والقطر بضم القاف وتسكين الطاء : الشق .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٨ من سورة غافر ، والرجل المؤمن قيل : إنه كان قبطيا ابن عم لفرعون ، آمن بموسى ، وقيل : كان إسرائيليا ، أو هو رجل غريب موحد .

(٢) الآية مكية رقم ١٠٥ من سورة هود .

(٣) الآية مدنية رقم ٣٣ من سورة الرحمن .

قال ابن مسعود[1] : لا يعجبك ما ترى من الرجل حتى تنظر إلى قطرته نفع أى شقيه وجانبيه أى خاتمة عمله .

[٦٤] مَعَهُ اللهُ فَمَا أَشْغَلَهُ عَنْهُ بِالضِّيقِ عَلَيْهِ فِي الْحُجَرْ

الحجر : جمع حجرة وهى البيوت والستر . والمحجورة : التى لا تخرج إلا بإذن صاحبها .

[٦٥] لَمْ يُشَارِكْهُ تَعَالَى فِي الَّذِي كَانَ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ مُسْتَتِرْ

[٦٦] فَلِفِعْلِي فَاعِلَانِ خَالِقٌ وَسُكُونِي وَاضْطِرَابِي فَاقِرْ

سُكُونى : ضد حركتى . واضطرابى : حركاتى . والاضطراب : الحركات، وهى افتعال من الضرب وهى المجىء والذهاب .

قال الله تعالى : « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ »[2] ، يعنى السفر ، ومن هذا معناه . وكل من سافر تحرك .

[٦٧] لَوْ خَلَقْنَا الْفِعْلَ لَمْ نَشْقَ بِهِ وَلَكَانَ الْفِعْلُ مَا فِيهِ عَسَرْ

أى لو كان الفعل من خلقنا ، لم يكن لله فيه خلق ولا صنع ، ولم نشق به ،

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الهذلى ، أسلم قديما وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، ولما أسلم أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يخدمه ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد اليرموك بعد النبي عليه السلام ، وقد روى عنه الحديث جمع كثير من الصحابة والتابعين ، وكان كما قال على ابن أبى طالب قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه ، فقيه فى الدين عالم بالسنة ، ويروى ابن سعد فى الطبقات أنه قد تكدر ما بينه وبين عثمان فى أخريات حياته فاستقدمه إلى المدينة فقدمها ، وأقام بها حتى مات فى سنة ٣٢ هـ ، وقد صلى عليه عثمان بن عفان .

(٢) الآية مدنية رقم ١٠١ من سورة النساء .

أى لم نتعب فيه ، ولم نعذب به بل الله خلقه ونحن اكتسبناه .

والعسر : الشدة ، والعسير : الشديد قال الله تعالى : « فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ »[1]

أى عصيب . والعصيب : الشديد .

[٦٨] حُبَلُ الْمُومِسِ مَنْ صَيَّرَهُ فِي الْغَيَابَاتِ جَنِيناً والسَّتَرْ

الحبل : من حبلت المرأة تحبل حبلا ، وهو حمل الولد ، والمومس والمومسة : البغى والعاهر كل ذلك الزانى . وجمع المومس مومسات .

والغيابات : جمع غيابة . وكل شيء غيب عنك فهو غيابة . قال الله تعالى : « وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ »[2] . والجنين : الحمل فى بطن أمه .

[٦٩] أَنْكَرْتُمْ أَنَّهُ مِن خَلْقِهِ فَلَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا إِحْدَى الْكُبَرْ

أى تنكرون أن ولد الزانية من خلقه . فإن قلتم ليس من خلقه كفرتم فى قولكم .

وجئتم بها ، أى بهذه المقالة إحدى الكبر . والكبر : جمع كبرى . كذلك الصغر جمع صغرى .

قال الله تعالى : « إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرْ »[3] ، أى هى العظام من الإثم والذنب .

---

(١) الآية مكية رقم ٩ من سورة المدثر .

(٢) الآية مكية رقم ١٠ من سورة يوسف ، والضمير يعود على يوسف عليه السلام ، والفاعل هم إخوته .

(٣) الآية مكية رقم ٣٥ من سورة المدثر .

[٧٠] وَهُوَ فِعْلُ الزانِ مِنْ تَحْرِيكِهِ   صَارَ حَمْلًا فِي حَشَاهَا مُضْطَمِرْ

الحشا واحد، والجمع أحشاء . وهو أقباب البطن. والحمل بفتح الحاء، ما كان في بطن ، أو على شجرة . والحمل بكسر الحاء ، ما حمل على ظهر ، أو رأس ، قال الله تعالى : « فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا »(١) ، والخفيف النطفة ، « فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا »(٢) .

والمضطمر : المختفى :

[٧١] كَمْ رَأَيْنَا مِنْ فَتًى مُجْتَهِدٍ   لَمْ تَلِدْ لَهُ أُنْثَى قَطُّ ذَكَرْ

قط بالرفع والتشديد : إنه الأبد للماضى . تقول : ما رأيته قط . وهو دفع لأنه غاية ، ومنه قبل وبعد . والقط : القطع . فإذا قلت كذا ، وكذا قط ، أردت انقطع عنه كلامى لا أزيد عليه .

وقط: خفيفة ، مسكنة بمنزلة حسب . وقد تقول: قَدْنى ، وقَطْنى ، أى حسبى وكفانى(٣) . والفتى : الشاب .

قال الشاعر :

وَقَدْ كُنْتُ أُدْعَى يَا فَتَى   فَصِرْتُ أُدْعَى يَا كَهَلْ

---

(١) الآية مكية رقم ١٨٩ من سورة الأعراف ، ولفظ تغشاها غير مذكور فى الأصل .
(٢) الآية مكية رقم ١٨٩ من سورة الأعراف .
(٣) يقال ما رأيته قط أى فيما مضى من الزمان أو فيما انقطع من عمرى ، وإذا زيدت فيها نون الوقاية مثل قطنى فتكون اسم فعل .

[٧٢] لَا وَلَا اسْطَاعَ يَرَاهَا حَامِلًا بَعْدَ قَرْءِ الْحَيْضِ مِنْهَا فِي الطُّهُرْ

تقول : امرأة حائل إذا لم تحمل ، وكذلك الدابة إذا ضربها الفحل ولم تحمل فهى حائل . وقال : الحائل التى تمر عليها الحيض حالا بعد حال .

قال النبى ﷺ ، فى سبايا أوطاس(١) : لا تطأوا الحوامل ، حتى يضعن ، ولا الحوائل حتى يحضن .

واسطاع ، واستطاع : واحد ، ولكنه [أدغم] التاء فى السين .

[٧٣] قَالَ فَاسْمُ اللهِ مَا تَفْسِيرُهُ وَنَحَا نَحْوِى بِوَجْهٍ مُكْفَهِرْ

نحا نحوى : أى قصد قصدى . تقول : نحوت نحوك ، أى قصدت قصدك .

وسمى النحو نحواً ، لأنه يقصد به الكلام . وجمع النحو أنحاء .

قال الشاعر :

وَلِلْكَلَامِ وُجُوهٌ فِى تَصْرِيفِهِ وَالنَّحْوُ فِيهِ لِأَهْلِ الرَّأْىِ أَنْحَاءُ

والمكفهر : الأسود ، وكذلك سحاب مكفهر . والمكفهر : القبيح المنظر .

[٧٤] أَهُوَ التَّأْلِيهُ مِنْ تَأْلِيهِمْ مَا أَجَنُّوا مِنْ جَنَى حُلْوٍ وَمُرّْ

قيل : هو معنى الله ، والإله واحد ، ولكن لما كثر استعمال الاسم ، سمى الله ، والمعنى واحد ، وقيل : إن الإله هو المألوه ، لأن القلوب تلهُ إليه فى طلب الحوائج ، وهو معنى قوله ما أجنوا أى ما طلبوا من جنى حلو ومر .

وإنه الله الذى تجب له العبادة ، وتحق له .

---

(١) واد بديار هوازن . ويراد بها فتح مكة فى رأى بعض المؤرخين .

[٧٥] قُلْتُ مَعْنَاهُ تَعَالَى جَدُّهُ   إِنَّهُ الْخَالِقُ أَصْنَافَ الْعِبَرْ

تعالى جده ، الجد العظمة والسلطان والملك . وأصناف جمع صنف وهو النوع من الشيء . وجمع النوع أنواع . والعبر جمع الكثير من كل شيء . تقول : من الناس قوم عبر أى كثير . والعبر جماعة من أصناف العالم .

[٧٦] قَالَ لَوْ كَانَ إِلٰهٌ عِنْدَهُ   لَاحْتَوَى كُلُّ إِلٰهٍ مَا فَطَرْ

ما فطر : ما خلق . معنى قوله تعالى : « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ »[1] ، أى طلب بعضهم مغالبة بعض .

[٧٧] فَعَلِمْنَا أَنَّ تَفْسِيرَ اسْمِهِ   خَالِقٌ أَجْنَاسَ مَا دَبَّ وَذَرْ

أجناس جمع جنس ، وهى صنوف الخلق . ودبّ : مشى على رجليه ، أو على أربع ، أو على بطنه . والذر الكثير من الخلق مثل الذر . وفى هذا الحديث هو الدب ، من دب وذوح[2] أى الأحياء والأموات . دب جنى ، ودرج : مات . والوذر : جمع وَذرة ، وهى القذرة من اللحم .

[٧٨] قَالَ فَاللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ   كَوَّنَ الْمَيْتَةَ خَلْقًا وَالْقَذَرْ

كوّن الميتة : أى خلق الميتة . والقذر : النجس . تقول : شيء قذر . وقذر يقذر قذرا .

---

(١) الآية مكية رقم ٩١ من سورة المؤمنون ، وفى الأصل خلط بين صدر هذه الآية وبين صدر الآية رقم ٤٢ من سورة الإسراء .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى اللغة الذوح هو السير العنيف .

[٧٩] وَجَمِيعُ الْقُبْحِ وَاللهُ الَّذِى خَلَقَ الْخَلْقَ بِإِكْمَالِ الصُّوَرْ

الصور : جمع صورة ، ومعناه المثال . ومنه قيل للتماثيل : التصاوير ، لأنها مثلت على تلك الصور . والله سمى نفسه مصورا ، لأنه ابتـدأ تقدير الخلائق فى الدنيا ، وهو يتمها حتى تصير إلى صورة له ، لأنه خالق الصور ، ولا غاية له ، ولا مثال .

واشتقاق الصورة : من صار يصير ، ومعناه التمام والغاية .

[٨٠] قُلْتُ فَالْقِرْدُ قَبِيحٌ لَوْنُهُ وَكَذَاكَ الْكَلْبُ ذُو اللَّوْنِ الْوَضِرْ

قال أبو عبيدة[1] : الوضر الدرن والدم .

قال الشاعر :

* أَبَارِيقُ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ الزَّنْدِ[2] *

[٨١] وَهُمَا لِلّٰهِ خَلْقٌ لَمْ نَقُلْ إِنَّ خَلْقَ اللهِ فِى الْكَلْبِ قَذَرْ

ويقال : ما أقبح القرد ، وما أقبح الكلب ، وما أقبح جهنم ، ووجه فلان ، ولا يقال ما أقبح تدبير الله . وكذلك لا يقال صنع .

ولو أن فلانا قال ما أحسن جهنم ، كان فى ذلك مخطئا ، وهى من خلق الله تعالى .

ولو قال ما أحسن الخلق، كان مصيبا .وجهنم خلق، فجاز الخلق لذكر الخلق، ولم يجز لذكر جهنم ، والقذر النجس .

(١) أبو عبيدة : معمر بن المثنى، صاحب كتاب مجازات القرآن والنقائض وغيرهما ، أديب، راوية ، ناقد ، توفى عام ٢٠٨ هـ .

(٢) الزند شجر طيب الرائحة والعود .

[٨٢] وَلِهَذَا شَاهِدٌ مِنْ غَيْرِهِ   حِينَ قَالُوا أَفْسَدَ الزَّرْعُ الْمَطَرْ

ويقال : أفسد المطر زَرْع فلان ، وأفسد زرعه المطر تدبير الله ، ولا تدبير الله مفسد .

ولا يقال : إن الله تعالى قد أظهر فى الأرض الفساد .

[٧٢] لَمْ نَقُلْ تَدْبِيرُهُ أَفْسَدَهُ   فَافْهَمِ الْمَعْنَى وَجَادِلْ بِبَصَرْ

وتقول رجل جدل ومجدال : أى خصم ومخصام . والفعل جادل مجادلة ، وإذا أمرت قلت : جادلْ .

ومعنى قوله ببصر ، أى بعلم .

والمجادلة : المناظرة أيضا ، وهى أن تناظر أخاك فى أمر بينكما تنظر فيما يأتى به فيه .

وتقول : فلان تبصر فى العلم أى تعلم ، وله بصر فى النحو ، أى علم فيه .

[٨٤] قَالَ فَالْجَعْلُ هُوَ الْخَلْقُ أَمْ   الْجَعْلُ شَيْءٌ غَيْرُهُ فِيمَا ذَكَرْ

[٨٥] قُلْتُ جَعْلُ اللهِ خَلْقٌ كُلُّهُ   وَمِنَ النَّاسِ مَقَالٌ مُشْتَهَرْ

[٨٦] قَالَ قَالَ اللهُ لَمْ أَجْعَلْ لَكُمْ   مِنْ بَحِيرٍ وَوَصِيلٍ فِي الْبَقَرْ

[٨٧] قُلْتُ قَالَ اللهُ لَمْ أَجْعَلْ لَكُمْ   فَاعْلَمُوا التَّبْحِيرَ دِينًا يُخْتَجَرْ

تفسير هذه الأربعة الأبيات : الجعل خلق من الله، كما قال الله تعالى: « وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ »(١) ، وقوله : « وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً »(٢) ،

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة الأنعام .
(٢) الآية مكية رقم ٢١ من سورة الروم .

أى وخلق لكم . وقوله تعالى : « وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً »[١] . وقوله تعالى : « اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً ، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ »[٢] ، وقوله تعالى : « مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ »[٣] ، أى ما خلق الله ذلك ولا أمر به ، وإنما المشركون أضافوا ذلك بجهلهم وضلالهم .

أى حرم البحيرة[٤] التى كان أهل الجاهلية يحرمونها، وكانوا يحرمون وبرها وظهرها ، ولحمها ، ولبنها على النساء ، ويحلونها للرجال ، فما ولدت من ذكر أو أنثى وهو بمنزلتها وإن ماتت البحيرة فهى عندهم حام ، واشترك الرجال والنساء فى أكل لحمها .

وإذا ضرب حمل من ولد البحيرة ، فهو عندهم حام . وهو اسم له .

والسائبة[٥] من النعم على نحو ذلك ، إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد فعلى هيئة أمها ، وبمنزلتها .

وإذا ولدت السابع ذكراً ، أو ذكرين ونحوه ، فأكله الرجال دون النساء .

---

(١) الآية مكية رقم ٧٢ من سورة النحل .
(٢) الآية مكية رقم ٨١ من سورة النحل .
(٣) الآية مدنية رقم ١٠٣ من سورة المائدة .
(٤) البحيرة الناقة أو الشاة إذا أنتجت عشرة أبطن بحروها وتركوها ترعى وحرموا لحمها على النساء .
(٥) الناقة كانت تسيب فى الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلها إناث سيبت ، وكانت لاتمنع عن ماء أو كلأ ولا تركب .

وإن أتامت بذكر أو أنثى ، فهو وصيلة[١] ، فلا يذبح، ويترك ذبحه من أجل أخته .

[٧٧] وَصِفَاتٌ بَعْضُهَا تَجْلِيَةً يَقَعُ الْوَهْمُ عَلَيْهَا وَالْفِكَرْ

التجلية الألقاب والصفات ، وجليت الجند إذا لقبتهم بألقاب يعرفون بها .

والوهم الظن والفكر ، وجمعه أوهام .

تقول : أعلمت وهمي وفكري في كذا وكذا إذا بالغت في الظنون .

وأما الصفات تجلية شيء بشيء فيه ، نحو الظريف والطويل، وما أشبه ذلك.

[٧٩] قَالَ قَالَ اللهُ يا عِيسَى وَإِذْ تَخْلُقُ الطِّينَ طُيُورًا وَالْمَدَرْ

المدر : قطع الطين اليابس ، واحدتها مدرة . ولا يكون للدر الأبيض[٢] .

وقد فسر قوله : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ »[٣] ، أى كشبه الطير وهو الخفاش أو كشبه الخفاش .

وجاء في التفسير أنه صنع وصوّر من الطين صورة طير ، فنفخ فيها بإذن الله، أى بأمر الله .

---

(١) الوصيلة الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ، ومن الشاء التي وصلت سبعة أبطن عناقين عناقين؛ فإن ولدت في السابعة عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء ، وتجرى مجرى السائبة ، أو الوصيلة الشاة خاصة ، كانت إذا ولدت الأنثى فهى لهم ، وإذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم .

(٢) كذا في الأصل . ولعله ، لا يكون المدر إلا أبيض .

(٣) الآية مدنية رقم ١١٠ من سورة المائدة .

[٨٠] قُلْتُ مَعْنَى خَلْقِهِ تَصْوِيرُهُ   طَائِراً يَنْفُخُ فِيــهِ فَيَطِرْ

وقال فى موضع[١] فانفخ فيه ، للفظ الطين . وقال فى موضع آخر[٢] : « فَتَنفُخُ فِيهَا ، فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى » للفظ الهيئة .

ومعنى قوله : يخلق من الطين ، أى يصوّر من الطين ، ويخلق ، ويفعل . الألفاظ مختلفة ومعناها واحد فى لغة العرب .

[٨١] وَكَذَا قَالَ وَمَعْنَى خَلَقُوا   جَعَلُوا الإفْكَ حَدِيثاً وَالسَّمَرْ

فإن قال ، فإن الله يقول : « فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ »[٣] ، وكيف يقول ذلك ، وهو آفكهم ، وخالق الإفك فيهم ، فأنى يصدقون ، وخلق الانصراف فيهم ؟

قيل له : أما قولك صرفهم عما أمرهم ، فليس كذلك . نقول لأنه لو كانوا مضطرين زال عنهم التكليف .

وأما قولك خلق فيهم الانصراف . فقد قلنا نقول : لم يخلق فيهم الإفك كما خلق فيهم الأمراض والأسقام ، والأسماع والأبصار .

[٨٢] خَلَقَ الضِّحْكَ وَأَبْكَى تَارَةً   فَتَعَالَى مِنْ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ

معنى قوله « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى »[٤] . أى خلق الضحك ، وخلق البكاء ، أنه جرى مجرى ما اجتمع أنه خالق ، وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا .

---

(١) فى الآية رقم ٤٩ من سورة آل عمران .
(٢) الآية رقم ١١٠ من سورة المائدة والمخاطب فى الآية نبى الله إبراهيم .
(٣) الآية رقم ٦١ من سورة العنكبوت .
(٤) الآية مكية رقم ٤٣ من سورة النجم .

فلما كان خالقا للموت والحياة ، دلنا على ذلك بقوله أمت وأحييت، والمليك والمالك والملك، المقتدر : الله تعالى ، وكان الله على كل شيء مقتدراً ، والضحك : العسل الأبيض .

قال الهذلى[١] :

فَجَاءَ بِمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَسَلُ النَّحْلِ

[٨٣] وَسَرَابِيلُ تَقِينَا بَأْسَنَا وَلِبَاسًا مِنْ أَذَى قَرٍّ وَحَرّْ

نصب سرابيل على الفعل المضمر ، وهو جعل لكم سرابيل ، تقيكم الحر ، أى وخلق لكم سرابيل وقد ذكرت لك فى معنى جعل خلق قبل هذا .

والسرابيل القمص ، واحدها سربال . قال الستالى :

فِى رَوْضَةٍ أُنُفٍ تَسْقِيكَ ذُو هَيَفٍ تَخْتَالُ فى شَنَفٍ أَوْ ذَيْلِ سِرْبَالِ

وقال تقيكم الحر ولم يقل البرد ، وما وقى من الحر ، فقد وقى من البرد . والسربال من قميص ، أو درع ، أو جوشن[٢] ، أو غير ذلك .

وقال : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ » . والبأس : الحروب ، والبأس : الشدة .

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلى شاعر مخضرم عاش فى عصر الخلفاء الراشدين وتوفى بمصر فى خلافة عثمان بن عفان عام ٣٠ هـ .

(٢) الجوشن هو الدرع ، وإلى عملها نسب عبد الوهاب بن رواج الجوشنى ، ومن القدماء القاسم بن ربيعة .

[٨٤] قَالَ هَلْ يَسْتَطِيعُ قَوْمٌ كَفَرُوا
عَمَلَ الْإِيمَانِ مِنْ غَـــيْرِ وَطَرْ

قال الشيخ هذه المسألة ، أن يكون جوابها ، لايستطيع الـكافر أن يكون مؤمنا لحال كفره ، وكذلك المؤمن من لايستطيع أن يكون كافرا فى حال إيمـانه .

أخبرونا هل يجوز للعبد أن يكون لا مؤمنا ، ولا كافرا[1] ؟

قال الشاعر :

وَدَّعَنِي قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَهُ   لَمَّا قَضَى مِنْ شَأْنِنا وَطَرَا

والوطر : كل أرب وحاجة كانت لصاحبها فيها همة ، فهى وطر .

[٨٥] قُلْتُ لَا عَنْ عَارِضٍ يَمْنَعُهُمْ   مِنْ كَهَامٍ أَوْ بِهَامٍ أَوْ خَوَرْ

العارض كل شىء عارض يمنع عن فعل شىء من مرض أو غيره ، كما تقول : عرض لى عارض أى بمعنى مانع . والـكهام : الـكلال والفتور . ومنه سيف كهام .

والـكهام فى الإنسان : العى . يقال : فلان عى اللسان ، وحصر اللسان ، وكليل ، ومفحم وفدم ، وكهام ، وألـكن . كل ذلك يراد به العى ، والخور : الضعف .

---

(١) كذا فى الأصل والـكلام يحتاج إلى الجواب ، وفى رأيى أنه مما لا يسع الإنسان أن يكون لا مؤمنا ولا كافرا . بل هو فى أى الحالين . ويكون الاستفهام للإنـكار أو للتقرير فلا يحتاج إلى جواب .

[٨٦] لَمْ يُطِقْ ذَاكَ لِمَا أَشْغَلَهُ   مِنْ فِعَالِ الْكُفْرِ قِدْماً وَالْهُجُرْ

لم يطق : لم يقدر ، ولا يستطيع معناه فيما تقدم ، ويقال لهم : أخبرونا عن الاستطاعة ، ما هى ؟

قال: قالوا هى السلامة فى البدن، فهل لستم تزعمون أن الإنسان فيه استطاعة ما لم يفعل ؟

فإن قالوا : نعم وفعل إذا كانت السلامة فى البدن هل غابت عن البدن إذا كان قائما ، غير قاعد . والهجر : ما لم ينتفع به من القول .

[٨٧] لَمْ يُكَلَّفْ مَنْ يَكُنْ فِي ذَاتِهِ   عَاجِزاً عَمَّا نَهَى أَوْ مَا أَمَرْ

والتكليف على معنيين : فمعنى لا يجوز إضافته إلى الله ، ومعنى يجوز .

فالذى يجوز ، هو تكليفه عز وجل عباده ، أوامره ، أو نواهيه ، وطاعاته، أو فرائضه ، حسب طاقتهم . وقد قيل فى قوله عز وجل : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »[1] ، أى لا يؤاخذها ولا يطالبها إلا بطاقتها .

[٨٨] أَطَاقَ الطَّوْلَ لَهُ فِي نَفْسِهِ   لَمْ يَكُنْ فِي ذَاكَ مُضْطَرّاً حَصِرْ

الطول : القدرة والسعة ، والفضل ، يقال : إن فلانا لذو طول على الناس بقدرته وفضلة ماله ، ومنه قوله تعالى : « اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ »[2] ، أى أولوا القدرة والغنى والسعة .

والطول : بالضم ، خلاف العرض ، والحصر : الضيق ، والمضطر : الملجأ . تقول : اضطرنى الأمر : أى ألجأنى .

(١) الآية مدنية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة .
(٢) الآية مدنية رقم ٨٦ من سورة التوبة .

[٨٩] مِثْلُ مَا اضْطُرَّ أَخُو الْجُوعِ إِلَى   أَكْلِ مَا عَنْهُ نَهَاهُ وَزَجَرْ

اضطر : ألجأ . وفى نسخة مثل ما اضطر أخا الجوع . نصب الأخ بوقوع الفعل .

والرواية الأخرى ، ما لم يسم فاعله .

[٩٠] أَوْ يَكُنْ كَلَّفَهُ مَا لَمْ يُطِقْ   يَكُنْ جَارَ وَرَبِّى لَمْ يَجُرْ

إن سأل سائل ، فقال : هل كلف الله الكفار الإيمان ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : هل يطيقون ما كلفهم من الإيمان ؟

قيل له : لايطيقون الإيمان لتشاغلهم بالكفر ، لا لآفة مانعة ، وذماية حائلة ، لأن الصحة والسلامة فيهم .

فإن قال هل يطيقون الإيمان بالصحة والسلامة ، وزوال الآفة ؟

قيل له : لايطيقون لتشاغلهم بالكفر .

[٩١] مِثْلُ مَا قَالَ أُنَاسٌ حَمَلُوا   فِعْلَهُمْ جَهْلًا عَلَيْهِ وَأَشَرْ

وفى نسخة :

مثل ما قال أناس جهلوا   فعلهم جهلا عليه وأشر

الأشر : المرح ، والبطر . وربما كان المرح والأشر من النشاط .

تقول : أناس، وناس . والناس جمع، وواحد الناس: إنسان . وقد قال تعالى: « وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »(١) . وكذلك قال : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة العصر .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ »[١] ، فالاستثناء رفع على جمع[٢] .

[٩٢] أَوْ كَمَنْ قَالَ اعْتِدَاءً إِنَّهُ   خَصَّ قَوْمًا بِالْمَعَاصِي وَجَبَرْ

[٩٣] وَيْكَ لَوْ كُنْتَ قَوِيًّا قَادِرًا   لَمْ تَسَلْهُ الْخَيْرَ فِي جَوْفِ السَّحَرْ

ويك قريب من ويلك . وقوله تسله الخير . والخير : المال . وكل خير في القرآن : هو المال . قال الله تعالى : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »[٣] ، أى المال .

وكذلك : « إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ »[٤] ، أى مالا . وقد تقدم ذلك فيما تقدم .

[٩٤] حِينَ تَدْعُوهُ ابْتِهَالًا رَاغِبًا   بِالْمُعَافَاةِ وَإِعْطَاءِ الْخَيْرْ

ابتهالا واجتهادا فى السؤال . والابتهال : الدعاء ، والسؤال ، والطلب . قال الله تعالى : « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ »[٥] ، ثم نبتهل » ، أى ندعو .

والمعافاة : العافية ، دفاع الله تعالى عن العبد . تقول عافاه الله من مكروه ، وهو يعافيه معافاة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢٧ من سورة الشعراء .
(٢) أى رفع التعميم الوارد فى الآية السابقة .
(٣) الآية مكية رقم ١١ من سورة العاديات .
(٤) الآية مدنية رقم ١٨٠ من سورة البقرة .
(٥) الآية مدنية رقم ٦١ من سوره آل عمران .

والخير : جمع خيرة وهو الاختيار . وقوله تعالى : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ »[١] ، ليس لهم الخيرة ، « مَا كَانَتْ لَهُمُ الْخِيَرَةُ »[١] أى ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل .

[٩٥] أَسَأَلْتَ اللهَ عَمَّا أَنْتَ لَهُ   مَالِكٌ قُلْ لِي وَالْقَوْلُ هَدَرْ

هَدَر : متروك . تقول : هدرت الشيء ، إذا تركته . ومنه قوله: قيل فلان أهدر دمه فهو مهدر ، إذا ترك ولم يطلب به .

وكذلك طل دمه فهو مطلول .

يقال لهم : أخبرونا عن الإنسان ، هل ينال من آلات الجوارح شيئا من الخير ، دون حادث لطيف من الله ، فإن قالوا نعم . قيل لهم : فما وجه التضرع والرغبة إلى الله فى العون على الخير والطاعة .

[٩٦] أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى تَوْفِيقِهِ   وَبِهِ فِي كُلِّ حَالٍ تَنْتَصِرْ

تنتصر : تمتنع . ومنه قوله تعالى: « وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ »[٢]، أى لا يمنعون واشتقاقه من النصر لأنك إذا نصرت أخاك فقد منعته . قال الشيخ : قد أعفته ، لأن أصل النصر للمعونة .

عن النبى عليه السلام[٣] : أعن أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : تمنعه عن الظلم ، وقال : منعك عن الظلم نصرته .

---

(١) الآية مكية رقم ٦٨ من سورة القصص .
(٢) الآية مكية رقم ١٦ من سورة فصلت .
(٣) رواه الدرامى وابن عساكر عن جابر بلفظ آخر .

[٩٧] هَلْ تُطِيقُ السَّكْتَ أَنْ تَقْلِبَهُ كَلِماً وَالقَوْلُ سَكْتاً فِي العِبَرْ

أي هل يقدر العبد أن يقلب السكوت كلاما، والكلام سكوتاً لاتعبير له ، والعبر : الكلام تقول : عبرت عن فلان إذا تكلمت عنه . وهذا من التعبير. والعبرانية كلام(١) اليهود من بنى إسرائيل . والتعبير : تعبير الرؤيا ، وهو تفسيرها وتأويلها .

قال الله تعالى : « أَفتُونِى فِي رُؤيَاىَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤيَا تَعْبُرُونَ »(٢)، أى تفسرون .

[٩٨] أَوْ يَكُونُ القَوْلُ صِدْقاً كُلُّهُ مِنْكَ وَالأَلْفَاظُ مَا فِيهَا عَوَرْ

عور : اعوجاج وعيب . فى الثوب عور ، أى عيب . وفى العين عور ، أى قذى .

[٩٩] فَاعْتَرِفْ إِنْ كُنْتَ عَنْ ذَا عَاجِزاً وَأَضِفْ ذَاكَ إِلَيْهِ وَاصْطَبِرْ

[١٠٠] أَوَ لَمْ تَسْمَعْهُ إِذْ بَيَّنَنَا آيَةَ الوَاضِحِ فِي آيِ الزُّمَرْ

[١٠١] إِنَّنَا أَسْنَا وَمَا نَمْلِكُهُ مَالِكِى نَفْعٍ وَمَا فِينَا ضَرَرْ

يريد قوله تعالى : « قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ ، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ، هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ »(٣) : ما فى موضع الجمع .

---

(١) أى اللغة العبرية وهى لغة اليهود .

(٢) الآية مكية رقم ٤٣ من سورة يوسف ، والرؤيا فى الآية هى رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام .

(٣) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة الزمر ، وفى الأصل تحريف للآية .

وقوله : هل هن ممسكات ، يريد بها الأصنام ، والأوثان ، وما عبد من دون الله والله أعلم بتأويل كتابه ، وأنها لا تملك لمن يعبدها ، ويتخذها آلهة ، نفعا ، ولا ضرا .

[١٠٢] قَالَ مَا مَعْنَاهُ إِذْ قَالَ وَلَوْ   بَسَطَ الرِّزْقَ بَغَى فِيهَا الْبَشَرْ

فيها : ها : راجعة إلى الأرض . وذلك معنى قوله : « وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ »(١) .

[١٠٣] أَتَرَى خِيرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ   دَخَلَتْ أَمْ خَصَّ قَوْمًا وَاخْتَصَرْ

خيرته ما اختاره واصطفاه من الأنبياء والمرسلين ، يقول القول مجملا فى ذلك والمؤمنون خارجون من لفظ البغى .

والحجة فى ذلك ما يجىء بعد من الأبيات ، وإنما على بعض الخلق دون بعض الأنبياء عليهم السلام خارجة من ذلك ، وخواص من الخلق .

[١٠٤] قُلْتُ جَاءَ الْقَوْلُ فِيهِ مُجْمَلًا   وَهُوَ مُخْتَصٌّ لِشَيْءٍ مُسْتَقِرْ

[١٠٥] مِثْلَ مَا قَالَ تَعَالَى جَدُّهُ   رِيحُ عَادٍ كُلَّ شَيْءٍ مَا تَذَرْ(٢)

[١٠٦] أَتَرَى سَمْكَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى   دَمَّرَتْهَا وَالرَّوَاسِي وَالشَّجَرْ

دمرتها : استأصلتها بالهلاك . والرواسى : الجبال الراسية الثابتة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٧ من سورة الشورى .

(٢) عاد قوم من القدماء عصوا ربهم فأهلكهم بريح صرصر عاتية ، قال الله تعالى : وأنه أهلك عادا الأولى . . الآية رقم ٥١ من سورة النجم .

معنى قوله عز وجل : « رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ »[1] ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا »[2] .

[١٠٧] وَكَذَا قَالَ لِبِلْقِيسَ الَّتِي أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُدَّخَرْ

وقوله تعالى: « إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »[3]

واللفظ عن العموم ، والمعنى فيه الخصوص ؛ لأن ريح عاد ما دمرت السماوات ، ولا الجبال و كل شيء ؛ وكذلك بلقيس أوتيت فى بلادها من كل شيء يعطاه الناس ، وتؤتاه الملوك .

[١٠٨] كُلُّ ذَا مَعْنَاهُ مُخْتَصٌّ وَلَمْ يُعَمِّمِ اللَّفْظَ جَمِيعًا مَا ذُكِرْ

[١٠٩] قَالَ قُلْ رَبِّي إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى فَاحْكُمَنْ بِالْحَقِّ إِنِّي مُنْتَصِرْ

[١١٠] حَافَ مِنْهُ الْحَيْفَ قُلْ لِي قُلْتُ لَا إِنَّمَا مَعْنَاهُ تَعْجِيلُ الظَّفَرْ

الحيف : الجور . وقيل الحيف: الميل . يقال: تحيف الشيء أحدثه من جانبه.

ومنه قوله تعالى : « أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ »[4] ، وإنما تأويل قوله عز ذكره : « قَالَ رَبِّ احْكُمْ »[5] على التعجيل بالحكم بالعدل؛ لأن الله تعالى ، له أن يقدم ، وله أن يؤخر .

---

(١) آخر الآية رقم ٢٤ من سورة الأحقاف .
(٢) أول الآية رقم ٢٥ من سورة الأحقاف .
(٣) الآية مكية ٢٣ من سورة النمل .
(٤) الآية مدنية رقم ٥٠ من سورة النور .
(٥) الآية مكية رقم ١١٢ من سورة الأنبياء .

[١١١] قَالَ قَالَ اللهُ مَا كَلَّفَتْكُمْ غَيْرَ وُسْعِ النَّفْسِ فِي آيِ الزُّبُرْ

يعنى قوله تعالى : « لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » أى طاقتها . والزبر جمع زبور ، وهى الكتب . تقول : زبرت الكتاب أزبره زبرا ، إذا كتبته ، كما قال : زبر الكتاب الحميرى[١] .

وقال الله تعالى : « وإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ »[٢] ، وقوله تعالى : « وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا »[٣] ، أى كتابا .

والكتب أربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن .

[١١٢] قُلْتُ وَسْعُ النَّفْسِ مِنْ تَحْلِيلِهِ لَيْسَ مِمَّا جَازَ تَحْرِيمُ الأَثَرْ

من تحليله : الهاء راجعة لله تعالى . وتحليله : ترخيصه لعباده فيما فضل عليهم به ، وعذره إياهم على قدر طاقتهم .

[١١٣] وَمِنَ الآيَاتِ تَصْرِيفُ الدُّجَى وَالجَوَارِى وَالدَّرَارِى وَالقَمَرْ

الآيات : العلامات ، واحدها آية . والآية من القرآن ، إنما سميت آية ، لأنها كلام متصل إلى انقطاعه ، وانقطاع الكلام : معناه قصه بعد قصه .

وهو قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالقَمَرُ »[٤] .

---

(١) الحميرية لغة بنى حمير ؛ ويروى أن أعرابيا دخل على ملك لحمير فقال له ، وكان على مكان عال ، ثب ، أى أجلس بالحميرية ، فوثب الأعرابى فتكسر فسأل الملك عنه ، فأخبر بلغة العرب .

(٢) الآية مكية رقم ١٩٦ من سورة الشعراء .

(٣) الآية مدنية رقم ١٦٣ من سورة النساء .

(٤) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة فصلت .

والدجى : ظلام الليل . يدجو دجوا .

والجوارى : النجوم الخمسة : وهى عطارد ، والمشترى ، والمريخ ، وزحل ، والزهرة .

والشمس والقمر من الجوارى .

والدرارى . نجوم أيضا . قوله تعالى : « كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ »[1] .

[١١٤] خَلَقَ الْأَصْوَاتَ شَتَّى كُلَّهَا   لِذَوِى الْأَلْبَابِ فِيهَا مُعْتَبَرْ

أراد بالأصوات اللغات . ومنه قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ »[2] .

قوله : لذوى الألباب أى العقول . واحده لب . والرجل لبيب ، وذو لب ، أى ذو عقل ، وجمعه ألباب .

وقوله معتبر : أى عبرة واعتبار . قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى »[3] .

[١١٥] وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ بِأَنِي مُعْتَكِر   بَعْدَ إِشْرَاقِ نَهَارٍ مُنْتَشِرْ

يعنى من الآيات الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر . يقول : اعتكر الليل : إذا التبس ظلامه ، واختلط سواده .

---

(١) الآية مدنية رقم ٣٥ من سورة النور .
(٢) الآية مكية رقم ٢٢ من سورة الروم .
(٣) الآية مكية رقم ٢٦ من سورة النازعات .

قال الشاعر :

يَا رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَدَرَّعْتُ عَلَى هَوْلٍ إِلَيْهَا ذِى رِيَاحٍ مُعْتَكِرْ

وكذلك اعتكرت الريح : إذا جاءت بغبار . وكذلك اعتكر العسكر : إذا رجع بعضه على بعض .

وجمع نهار : نهر[1] . وأشرق النهار : إذا أضاء .

[١١٦] جَلَّ ذُو الآلَاءِ رَبِّى ذُو الْعُلَا خَالِقَ الصَّافِى قَدِيمًا وَالْكَدَرْ

الآلاء : النعم ، واحدها أَلَى مثل مَعًا . وقال بعضهم : إِلَى مثل مِعًا .

قال الله تعالى : « فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ »[2] ، أى نعم الله .

قال الشاعر :

حَلَّ فِى مَنْبَتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبَتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالآلَاءِ

والصافى : ما صفا من العيش والماء وغيره ، وهو الخالص .

قال أبو العتاهية[3] :

كَذَاكَ تَصَرُّفُ الْأَيَّامِ فِيهَا الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ

قال غيره :

فَمَا صَفَا لِامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا شَفِيعٌ يَوْمًا صَفْوُهُ كَدَرُ

---

(١) وقيل أنهر ، وقيل أنه لا يجمع .

(٢) الآية مكية رقم ٦٩ من سورة الأعراف .

(٣) هو أبو اسحق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الغزى ، شاعر مولد فى طبقة بشار بن برد وأبى نواس ، ولد عام ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) وتوفى عام ٢١٣ هـ ، وله فلسفة خاصة فى شعره ، تتلخص فى أن يسير الإنسان عقله بحذر وارتياب ، وأن يجعل الزهد والإعراض عن الدنيا خير واق له من الآثام .

[١١٧] كُلُّ شَيْءٍ كانَ شَيْئاً خالِقُهُ   أَحْكَمَ الأَشْياءَ طُولًا وَقِصَرْ

تقول : كل شيء يقع عليه اسم شيء فالله خالقه ، كما قال الله تعالى: « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا »(١) ، وقال تعالى: « قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »(٢).

والطول: ضد العرض . والقصر أيضاً : ضد الطول . تقول: طويل وطوال، وقصير .

[١١٨] فَتَعالَى عَنْ شَرِيكٍ عِنْدَهُ   قادِرٌ يَقْدِرُ يَوْماً ما قَدَرْ

تعالى من العلو والرفعة . والشريك : المخالط . والقادر : الله تعالى .

فإن قال قائل : أتزعمون أن الله تعالى قادر ؟

قيل له : نعم .

فإن قال : أفليس قادراً وهو من صفات الله ؟

قيل له : إن القادر هو الموصوف، وليست الصفة ، وإنما الصفة قولنا الله قادر. ولكن وجب هذا الوصف لذاته سبحانه وتعالى ، لأن ذاته ذات قادر . ولم تكن قادرة بقدرة هي غيره .

تمت ، وهي ها هنا مائة وثمانية عشر بيتاً

* * *

---

(١) الآية مكية رقم ٢ من سورة الفرقان .

(٢) الآية مدنية رقم ١٦ من سورة الرعد .

القصيدة الرابعة[1]

فى

فتنة خلق القرآن[2]

[١] يَا مَنْ يَقُولُ بِفِطْرَةِ الْقُرْآنِ جَهْلًا وَيُثْبِتُ خَلْقَهُ بِلِسَانِ

من : تقع على الواحد والجمع . وأما الدليل على الجمع قوله تعالى : « مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً »[3] .

وقوله تعالى : «وَالَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ »[4].

---

(١) من بحر الكامل .

(٢) بدأت هذه الفترة أيام الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) ، وقد قال بها المعتزلة وقد كان لهم نفوذ فى الخلافة فأجابوا دعوة المأمون إلى القول بخلق القرآن ، وقد عارضهم من أهل السنة أحمد بن حنبل ووقف وقفة ثابتة أمام ضلالهم، لم يتزحزح لها رغم مانال من أذى وتعذيب إلى أن كانت سنة ٢٣٣ هـ ، وهى السنة التى أبطل فيها الخليفة العباسى المتوكل تلك الدعوة ، وترك للناس الحرية فيما يختارون وما يعتقدون .

وكان أهل السنة يرون أن القرآن كلام الله وأنه قديم ، ولكن الخليفة المأمون كان يمتحن العلماء فى هذا ويلزمهم القول بأن القرآن مخلوق ، فمنهم من أبى كالإمام أحمد بن حنبل ، ومنهم من أقر مكرها ، ومنهم من استعمل التورية حتى زالت هذه الفتنة التى استمرت فى عهد المأمون والمعتصم والواثق ، ويقول العلامة الشيخ السالمى فى كتابه « تحفة الأعيان » ج ١ ، ص ١٥٥ ، إنه فى زمان الصلت بن مالك وقع الكلام بعمان فيخلق القرآن ، وهى مسألة جىء بها من البصرة، وعظمت بها البلية ، وسببها شبهة ألقاها إلى أهل الحديث فى البصرة أبو شاكر الديصانى ، وهو يهودى تظاهر بالإسلام ، لأجل الدس وإلقاء الفتنة بين المسلمين ، ولطالما حاول أعداء الإسلام منذ بزغت شمسه أن يجدوا فجوة لهدمه ، وما تركوا مسلكا إلا سلكوه ، ولا سيما اليهود والفرس المجوس ففتنة خلق القرآن إحدى حبائلهم ، ولقد أثرت بعض ما رموا إليه ، ولكن الله امتحن بها عباده المؤمنين ، ولعل أعدل ما فى هذه المسألة القول بأن الخلاف فيها لفظى ، لأن القائلين بالخلق يعنون القرآن المتلو المكتوب ، وغيرهم يعنى معانيه ، والله أعلم .

(٣) الآية مكية رقم ١٧ من سورة الكهف .

(٤) الآية مكية رقم ٣٣ من سورة الزمر .

وأما وقوعها على الواحد ، فكثير ، كقوله : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ »[1] .

[٢] لَاتَنْتَحِلِ الْقُرْآنَ مِنْكَ تَكَلُّفًا بِبَدَائِعِ التَّكْلِيفِ وَالْبُهْتَانِ

وقوله لاتنتحل القرآن ، أى لاتدين بالابتداءات ، وهى البدائع تكلفا منك، تدين بهذا القول وتنتحله دينا .

والبدائع : جمع بدع ، وواحد بدع : بدعة ، وهى ما أحدثته من دين وقول لم يكن .

قال سقى الله من أصحاب تلك البدائع[2] : والبدعة كل محدثة .

والتكليف : الكلف . وتكلف لهم ما عجزوا عنه . والكلف : المشقة .

والبهتان : الكذب .

[٣] هَلْ فِي الْكِتَابِ دَلَالَةٌ مِنْ خَلْقِهِ
أَوْ فِي الرِّوَايَةِ فَأْتِنَا بِبَيَانِ

الكتاب على الإطلاق : اسم لكتاب الله عز وجل . ولا يسمى الكتاب على الإطلاق غيره وإنما سمى بالإضافات ، والصفات للأنواع التى فيها تقول : هل فى كتاب الله تعالى ما يدل على خلقه ؟ يعنى القرآن .

وفى روايات النبى ﷺ دَلالة ، ودِلالة ، بفتح الدال، وكسرها وهى مصدر دليل يقول : دل يدل دلالة ، كما يقول وضاءة .

---

(١) الآية مكية رقم ١٨ من سورة الإسراء .
(٢) البدائع جمع بديعة وهى الجميلة الظريفة .

[٤] اللهُ سَمَّاهُ كَلَاماً فَادْعُهُ بِدُعَائِهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْـــلَانِ

القرآن كلام الله ، كقوله تعالى: « يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ »(١) وكذلك جاء عن النبي ﷺ من طريق معروف(٢) ، أنه قال : القرآن كلام الله عز وجل ، من قال غير هذا فقد كفر . وأجمعت الأمة على أن كلام الله تعالى من صفاته .

[٥] أَلَا فَهَاتِ وَمَا أَظُنُّكَ وَاجِداً فِي خَلْقِهِ يَاغِـــرُ مِنْ بُرْهَانِ

يقول : هات حجة من قوله ، يعنى القرآن ، وما أظنك واجدا حجة ، ولا برهانا .

وقوله ياغر ، أى يا جاهل . كما يقول : غر ، وغار بهذا الأمر ، أى جاهل .

والبرهان : الحجة . قال الله تعالى : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »(٣) ، أى حجتكم .

[٦] إِنْ كَانَ مِنْ إِنَّا جَعَلْنَاهُ فَمَا فِي الْجَعْلِ إِنْ أَنْصَفْتَ مِنْ تِبْيَانِ

يقول إن كانت حجتك من قوله : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا »(٤) ، فما لك فى الجعل حجة ولا تبيان . والتبيان : التثبت فى الأمور . والتبيان متم فى معنى البيان .

قال الله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ »(٥) ، أى بيانا وحدث عن الزجاج .

---

(١) الآية مدنية رقم ٧٥ من سورة البقرة ، والمذكور من الآية صفة لموصوف مذكور قبله فى الآية .

(٢) رواه أبو نعيم عن ابن عمر ، وله تكملة .

(٣) الآية مكية رقم ٦٤ من سورة النحل .

(٤) الآية مكية رقم ٣ من سورة الزخرف .

(٥) الآية مكية رقم ٨٩ من سورة النحل .

وتفسير قوله تعالى: « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ، ووجدت أيضا فى تفسير جعلناه صيرناه .

وقوله تعالى : « أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ »[1] ، معناه : ألم نصير ، والله أعلم .

[٧] قَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لَنَا
بَلَداً بِفَضْلِكَ أَفْضَـــــلَ الْبُلْدَانِ

من قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا »[2] .

والبلد : البيت[3] ، قد خلقه الله تعالى قبل إبراهيم عليه السلام .

[٨] وَكَذَلِكَ فَاجْعَلْنِي مُقِيماً مُخْلِصاً حَقَّ الصَّلَاةِ لِوَجْهِكَ الْمَنَّانِ

أى وكذلك وقول الله حكاية عن إبراهيم: « رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ »[4] وهذا دعاء ، وقد خلقه الله قبل أن يدعو بهذا الدعاء .

والبلدان فى البيت الأول : جمع بلد، والبلد كل موضع مستخبر من الأرض عامرا أو غير عامر . والطائفة منه بلدة ، والجمع البلاد .

[٩] فَانظُرْ أَكَانَ وَقَدْ دَعَاهُ لِجَعْلِهِ أَمْ لَمْ يَكُنْ خَلْقاً مِنَ الرَّحْمَنِ

أى فانظر فى هذا القول كان دعاه لجعله ، وقد كان الله تعالى خالق البلد قبل إبراهيم فكيف يدعوه إبراهيم لخلقه ؟

---

(١) الآية مكية رقم ٢ من سورة الفيل .
(٢) الآية مدنية رقم ١٢٦ من سورة البقرة .
(٣) أى الكعبة والبيت الحرام .
(٤) الآية مكية رقم ٤٠ من سورة ابراهيم .

وهذا من القائل والمحتج به محال .

الرحمن مجازه ذو الرحمة ، والرحمن الرحيم مجازه الراحم .

قال ابن عباس[١]: الرحمن : رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم : رحيم الآخرة.

[١٠] أَمْ لَمْ يَـكُنْ لَمَّا دَعَاهُ بِمَـكَّةٍ حَتَّى دَعَا بِالامْنِ وَالْإِيمَانِ

أم لم يكن بمـكة ، وهى خلقها الله ، ثم دعا ربه لها بالأمن والإيمان ، وهو قوله تعالى: « آجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً،وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ »[٢].

وقوله تعالى : « وَآجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ »[٣] .

ومكة . قال أبو عبيدة : البيت مكة وما حولها بكة ، لأنهم يتباكون بها أى يزدحمون .

قال غيره : مكة الحرم كله ، وبكة ما بين الجبال .

[١١] فَارْتَعْ هُنَا بِتَفْـكِيرٍ يَا ذَا النُّهَى
وَاكْدَحْ لِسَانَكَ قَدْ كَدَحْتَ لِسَانِى

أى قف وانظر وامسك . تقول : ارتع عليك ، كل ذلك جائز .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقد قالت أمه ، لما وضعته أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له فى أذنه اليمنى ، وأقام فى أذنه اليسرى. وحنكه من ريقه ، وسماه عبد الله ، ثم ناولنيه ، وقال : اذهبي بأبى الخلفاء ، رواه ابن حبان وغيره .

وهو من كبار المحدثين عالم فقيه شهد مع على بن أبى طالب موقعة الجمل وصفين والنهروان، وكان طويلا أبيض مشربا بالشقرة ، جسيما وسيما ، صبيح الوجه .

(٢) الآية مكية رقم ٣٥ من سورة ابراهيم .

(٣) الآية مدنية رقم ١٢٨ من سورة البقرة .

والتذكر والتفكر بالحدس والقلب .

يا ذا النهى : أى يا ذا العقل . وهو جمع نهية . والكدح : السعى ، وهو عمل الإنسان من خير وشر .

[١٢] فَبِأَيِّ هَذَا الجُمْلِ قُلْتَ بِأَنَّهُ خَلْقٌ تَبَارَكَ مُنْزِلُ الفُرْقَانِ

أى فبأى هذه الوجوه التى تلونا لها ، وذكرناها من الجمل، قلت بأنه مخلوق تبارك الله تعالى .

والفرقان : القرآن . وسمى فرقانا ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، وبين المؤمن والكافر .

ومنه سمى عمر(١) الفاروق ، لتفريقه بين الحق والباطل .

[١٣] فَإِن احْتَجَجْتَ وَقُلْتَ ذِكْرٌ مُحْدَثٌ
وَجَهِلْتَ حَقَّ تَأَوُّلِ القُرْآنِ

تفسير البيتين مخلوط . يعنى قول الله تعالى فى الأول: « مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ »(٢) .

وفى موضع آخر: « وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ »(٣) .

فإن قال : أليس الله تعالى قد قال : « مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ » ؟

---

(١) هو عمر بن الخطاب الخليفة الثانى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) الآية مكية رقم ٢ من سورة الأنبياء .
(٣) الآية مكية رقم ٥ من سورة الشعراء .

[١٤] أَعْظَمْتَ إِفْكاً وَادَّعَيْتَ خَطِيئَةً
وَاللهُ أَحْدَثَهُ إِلَى الإِنْسَانِ

أليس(١) قد سماه محدثا ، وكل محدث فهو مخلوق ؟

قيل له : هذه الوجوه كلها مبطلة .

ولكم منها ، إن بعض أهل التفسير قالوا إن الذكر هو محمد ﷺ ، وهو محدث مخلوق ، ولا حجة لكم في هذا .

ومنها أن معنى الذكر هو العبارة والتلاوة عن الشيء ، والعبارة عن الشيء هو غيره .

[١٥] شَاهَتْ وُجُوهُ أُولِي الضَّلَالِ لَقَدْ عَمُوا
وَتَعَلَّقُوا بِمَدَارِجِ الْعُمْيَانِ

[١٦] وَلَدُنْهُ أَنْبَاءٌ لِمَا هُوَ كَائِنٌ أَوْ كَانَ أَوْ سَيَكُونُ فِي الْأَزْمَانِ

ولدنه : الهاء راجعة إلى الله ، ولدنه معناه عنده أنباء أى أخبار ، لما قد كان فهو كائن أو سيكون ، من أخبار أول الدنيا إلى آخرها ، وأخبار الآخرة ، وما فيها من نعيم وبؤس ، وجنة ، ونار وثواب وعقاب .

[١٧] إِنْ كَانَ مَخْلُوقاً بِزَعْمِكَ مُحْدَثاً
فَمَنِ الْمُنَادِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

أى لو كان محدثا مخلوقا ، لم يكن فيه: « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ »(٢) .

---

(١) هذا الكلام متصل بما قبل البيت فوقه .
(٢) الآية مدنية رقم ٣١ من سورة الرحمن .

الثقلان : الإنس والجن. وسموا الثقلان كأنهم ثقل على الأرض. وهذا كلام رب عظيم .

[١٨] وَمَنِ الَّذِى فَرَضَ الْفَرَائِضَ أَمْراً
بِحُدُودِهَا وَنَهَى عَنِ الْعِصْيَانِ

تفسير البيتين مخلوط .

قوله : من ذا الذى فرض الفرائض ، ومن المخاطب خلقه ؟ هو الله تعالى .

فإن قال قائل : لم قلتم إن كلام الله صفة من صفاته ، فإنه غير مخلوق ، ولا محدث ؟

قال الشيخ : قلنا له : لا يخلو أن يكون خلق كلامه من أحد ثلاثة معان ، إما أن يكون خلقه .

[١٩] وَمَنِ الْمُخَاطِبُ خَلْقَهُ بِثَوَابِهِمْ
وَعِقَابِهِمْ فِى الْخُلْدِ وَالنِّيرَانِ

فى[١] نفسه ، أو خلقه فى غيره ، أم لا خلقه فى نفسه، ولا فى غيره ، فإن كان خلقه فى نفسه فقد خلقه محلا للحوادث ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وإن كان خلقه فى غيره ، فهو يتكلم بكلام غيره . وهذا محال أن يكون يتكلم بكلام غيره .

وإن كان خلقه لا فى نفسه ، ولا فى غيره ، فذلك محال ، لأن كلام الصفة ، لا يقوم بنفسه .

---

(١) هذا الكلام متصل بما قبله من الشرح .

فلما بطلت الوجوه الثلاثة ، صح أن يتكلم بنفسه ، ومن صفات ذاته أيضا .

فلقوله قيل له قلنا ذلك. لأنه قال الله تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »[1] .

[٢٠] وَلَئِن رَجَعْتَ إِلَى ابْنِ مَرْيَمَ سَائِلًا
عَنْ خُبْرِ كِلْمَتِهِ بِلا أَكْنَانِ

يقول : ولئن رجعت سائلا عن قوله تعالى : « وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ »[2] .

فإنى وجدت فى بعض الكتب وكلمته ألقاها إلى مريم . قيل الكلمة قوله تعالى : « كُنْ فَيَكُونُ » والبيت الثانى يريد ما قد وجدته فى التفسير .

والأكنان : واحده كن ، وهو الغطاء . أى بلا إخفاء .

ومنه قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً »[3] ، أى أغطية ، واحدها كنان ، وواحد الأكنان : كنّ .

[٢١] أَمْهَدْنَ لُبَّكَ عِلْمَ ذَلِكَ إِنَّهُ مِنْ كُنْ مَشِيئَةِ قَاهِرٍ سُلْطَانِ

المهاد : الفراش والوطاء . معناه ألقيت فى قلبك علم ذلك ، وهو ما ذكره والمشيئة : الإرادة من الله تعالى ، معنى واحدا أراده . فقد شاءه، ومنه قوله تعالى: « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا »[4] .

(١) الآية مكية رقم ٤٠ من سورة النحل .
(٢) الآية مدنية رقم ١٧١ من سورة النساء .
(٣) الآية مكية رقم ٢٥ من سورة الأنعام .
(٤) الآية مكية رقم ١٦ من سورة الإسراء .

ومنه قول النبي ﷺ حين رمى المشركين بالتراب ، قال : شاهت الوجوه يعني قبحت . وعموا : يعني : تعاموا عن الحق . والمدارج: الطرق وأصل المدارج الطرق في الجبال وغيرها . وكذلك طريق الحق ، وطريق الباطل ، والضلال . كما قال أبو النجادين[1] وهو يحدو[2] بالنبي ﷺ ، وهو كان دليله :

تَعَرَّضِي مَدَارِجاً وَسُومِي تَعَرُّضَ الْجَوزَاءِ بِالنُّجُومِ

هذا أبو القاسم فاستقيمي

معناه ، خذى يمينا وشمالا ، وسومى معناه ، ارتفعى .

[٢٢] أَرْعَوْا عُقُولَهُمْ رِيَاضَ تَشَدُّقٍ فَرَعَى حِمَاهَا طَـائِفُ الشَّيْطَانِ

أرعوا أى رعوا عقولهم وأهملوها. والرياض جمع روضة. والروضة لاتكون إلا وفيها ماء وشجر وعشب . وهذا منه تشبيه لأنهم رعوها رياضا .

وتشدق : مأخوذ من الشدق[3] ، وهو الذى يفتح أشداقه بالكلام الذى لا معنى له :

والحمى : ما حماه عن غيره . يقول : حميت الموضع أحميه حماية .

وطائف الشيطان : لمه ، وما يوسوس به .

وفى قول الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ »[4] .

---

(١) النجاد حمالة السيف .

(٢) يسوق ناقته عليه السلام .

(٣) الشدق هو طفطفة الفم من باطن الخدين .

(٤) الآية مكية رقم ٢٠١ من سورة الأعراف .

[٢٣] إِلَّا تَرُعْ عَنْهُمْ عِنَانَكَ مُقْصِراً ... تُصْبِحْ عَمِيدَ الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ

إلا ترع : فى موضع الشرط ، وتصبح جوابه ، وترع : تكف ، وتمسك عنهم ، الهاء راجعة إلى من يقول بخلق القرآن. والعميد : مأخوذ من العمد والعماد ، وهو ما يبنى عليه الجبل والقباب .

أى يكون قوة لأهل البغى والطغيان . والطغيان ، والبغى واحد .

[٢٤] وَلَئِنْ سَأَلْتَ طَرِيقَ رُشْدِكَ تَلْقَهُ ... يَا غِرُّ إِنْ لَمْ يَعْدُ فِي الْعُدْوَانِ

نصب طريق بنزع الخافض : أراد عن طريق رشدك والرشد : الهدى .

تقول : أرشدك الله ، أى هداك الله ، والغر : الجاهل بالشىء من ذلك . سميت المرأة غريرة ، أى جاهلة بأمر الرجال ، وقوله تعالى : « فلا عدوانَ إِلّا عَلَى الظَّالِمِين »[١] . أى فلا جزاء ظلم إلا على الظالم .

وقيل : العدوان هو المبالغة فى مخالفة الله .

[٢٥] مَا بَالُهُ أَضْحَى بِزَعْمِكَ مُحْدَثاً ... مَا مُحْدَثٌ إِلّا وَشِيكاً فَانِ

ما باله : يقول ، ما أمره ، وكذلك شأنه وحاله . تقول زعم يزعم زعما ، إذا قال ذلك لأمر لا يستيقن أنه حق ، فإذا شك فيه ، ولم يدر لعله كذب أو باطل . قل زعم فلان .

والوشك ، فى السفر : الإسراع . والفانى : الذاهب . ومنه قوله تعالى : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ »[٢] . أى ميت وذاهب . أمرنا مترفيها ، والقاهر : السلطان .

(١) الآية مدنية رقم ١٥٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية مدنية رقم ٦ من سورة الرحمن .

[٢٦] وَلَئِنْ نَكَصْتَ فَقُلْتَ شيء مُحْدَثٌ
وَاللهُ أَحْدَثَ كُلَّ شيء فَانِ

نَكَصْتَ : رجعت : يقال لمن رجع حيث جاء ، نكص ، أى رجع القهقرى .

[٢٧] جِئْنَاكَ فِي رِفْقٍ بِأَيْسَرِ حُجَّةٍ بِالشَّيْءِ مُخْتَصًّا مِنَ الْقُرْآنِ

نصب مختصا على القطع والتفسير . والرفق و والتؤدة ، والتأنى ، وبطاقة العقل تقول : رجل رفيق .

وقوله بأيسر حجة : أى بأقل حجة ، كما تقول : جئتك بأيسر شيء ، أى بأقل شيء . واليسير : القليل . والمختص هو الخاص ، وهو ضد العام ، والعموم والله أعلم ، وأعز وأحكم ، وبالله أستعين .

[٢٨] فِي مُلْكِ بِلْقِيسٍ وَمَا قَدْ أُوتِيَتْ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَازِحٍ أَوْ دَانِ

بلقيس[1] : امرأة سليمان بن داود . وما قد أوتيت : يعنى قول الله تعالى : « وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[2] » ، أى من كل شيء يعطاه الناس من ملك وغيره ، أى من كل شيء يعطاه الملوك ، ويؤتاه الناس .

---

(١) وكانت ملكة سبأ .
(٢) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة النمل .

ووجدت عن الأخفش[1] : أوتيت من كل شيء في زمانها شيئاً ، فأضمر الشيء شيئاً .

وقال بعضهم كقوله تعالى : « وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ »[2] ، أي آتاكم من كل شيء سألتموه . والنازح : البعيد ، والداني : القريب .

[٢٩] لَمْ تُؤْتَ مِمَّا قبلها أَوْ بَعْدَها شَيْئاً فَكُنْ ذَا خِبْرَةٍ وَبَيَانِ

[٣٠] وَلَئِنْ نَزَعْتَ إِلى ضَلَالِكَ طَامِحاً وَكُنْتَ كَطَامِحٍ سُكْرانِ

نزعت : رجعت . والنازع : الراجع .

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا أَصْحُو وَلَا غَرْوَ إِنَّنِي مُشْرِقٌ إِلَى دَارِ الْأَحِبَّةِ نَازِعُ

والسكر : التغطية . قال الله تعالى : « لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا »[3] ، أي غطيت وغشيت إذا حار بصره فذهب .

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الأوسط ، وأشهر الأخفشة ، ولد ببلخ ، وأقام بالبصرة لطلب العلم ، وقد درس على كبار الشيوخ ، وكان زميل سيبويه في الدراسة ، ثم أخذ عنه مع كبر سنه ، فكان انحى تلاميذه ، ثم انتقل الى بغداد ، وعاش بها بقية حياته حتى مات عام ٢١١ هـ . ويقال ان أخفشة النحو ثلاثة ، هذا الأوسط والأخفش الأكبر» وهو أبو الخطاب ، مولى قيس بن ثعلبة ، من أهل هجر ، أخذ العلم عن عمرو بن العلاء ، وتوفى عام ١٧٧ هـ ، والأخفش الأصغر هو أبو الحسن على بن سليمان ، وقد أخذ العلم من المبرد وثعلب ، وله مداعبات شعرية مع ابن الرومى ، وقد توفى فى بغداد عام ٣١٥ هـ .

(٢) الآية مكية رقم ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٣) الآية مكية رقم ١٥ من سورة الحجر .

والطامح : كل مفرط فى تكبر . وطمح يطمح إذا شخص بعينيه متكبرا .
والطامح : المتكبر .

قال الشاعر :

* أَخْطَفُ أَنْفَ الطَّامِحِ الْمُطَهَّمِ *

والطامح : الناظر فى جسده .

[٣١] لَمَّا طَمَا بِكَ بَحْرُ كِبْرِكَ لَمْ تَجِدْ — يَا غِرُّ مُعْتَقِلًا سِوَى الْبُهْتَانِ

طما : غلب ومال . ومنه قولهم : طما الماء ، وطما البحر ، إذا جاوز الحد والمقدار . ومنه قولهم : جاءوا مثل الطم والرم .

قال العجاج(١) :

* وَخَنْدَقٌ طَمِيَتْ بِهِمْ وَطَمُّوا *

والمعتقل : مفتعل من المعقل وهو الملجأ . والبهتان : الكذب .

[٣٢] وَزَعَمْتَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْ خَلْقِهِ — فَغَدَوْتَ فِى شَرَكٍ مِنَ الْخِذْلَانِ

زعم يزعم إذا قال الشيء وهو شاك . جهلا : بغيا ، وضلالة . أنه من خلقه الهاء فى أنه من خلقه راجعة إلى القرآن .

والشرك : حبالة يربك فيها الصائد الصيد . وكذلك الشبكة والفخ . والواحدة أشركة ، والذى ينصب للحمام .

---

(١) رائد الرجز فى الشعر العربى وله أراجيز كثيرة يضمها ديوان له مطبوع ، توفى عام ٩٧ هـ فى عصر بنى أمية .

قال الشاعر :

قَطَاةٌ غَرَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُنَازِعُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ[١]

علق الجناح ، أى هلك[٢] .

[٣٣] لَمْ يَعْدُ أَنْ يَكُ بَيْنَ خَلْقِ سَمَائِهِ وَالْأَرْضِ مَخْلُوقًا بِلَا نُقْصَانِ

[٣٤] مَا بَالُهُ إِذْ قَالَ لَمْ أَخْلُقْهُمَا إِلَّا بِحَقٍّ ثَابِتِ الْأَرْكَانِ

تفسير البيتين مخلوط .

لم أخلقهما : يعنى السماوات والأرض من قوله تعالى : « [مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ] وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ »[٣] . والأركان : جمع ركن ، وهو الدعامة يعنى ما خلقناها إلا بالحق والإقامة بحق . ويكون على معنى ما قامت السماوات والأرض إلا بالحق .

[٣٥] فَالْحَقُّ لَمْ يَخْلُقْهُ أَقُلْ لِي أَمْ لَهُ مَعْنَى ثُبُوتٍ عِنْدَ رَبِّكَ ثَانِ

[٣٦] جَلَّ الْمُهَيْمِنُ عَنْ مَقَالَةِ جَاهِلٍ مِنْ أَنْ يُحَدَّ بِصُورَةٍ وَمَكَانِ

المهيمن من صفات الفعل والأسماء الحقيقة هى الحكمة . والمهيمن : الشاهد ، والأصل . [مُؤَأْمن [بهمزتين] : مفاعل من آمن ، فقلبت الهمزة الثانية ياء ، ثم الأولى هاء][٤] ، كما قال : أرقت الماء ، وهرقت الماء . وأيهات ، وهيهات .

---

(١) القطاة طائر .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل المعنى أنه تعلق ولصق بالشرك فعز عليها الخلاص .

(٣) الآية مكية رقم ٣ من سورة الأحقاف ، وما بين القوسين زيادة فى الأصل .

(٤) فى الأصل خطأ فى تصريف الفعل وإبداله . وقد تم تصويبه نقلا عن القاموس المحيط ، وهو ما بين القوسين .

قال الشاعر :

شَهِيدٌ عَلَيَّ اللهُ أَنِّى أُحِبُّهَا   كَفَى شَاهِدٌ رَبُّ الْعِبَادِ الْمُهَيْمِنُ

[٣٧] فَافْهَمْ فَمَعْنَى الْحَقِّ مِنْهُ قَوْلُهُ   لَا تَنْثَنِي كَالْوَالِهِ الْحَيْرَانِ

الواله : الذى ذهب قلبه ، وعقله ، أى دهش رشده وذهل . والاسم : الوهل وهو الفزع . والحيران : الحائر .

قال أبو عبيدة : الحيران : الذى تشبه له الشياطين ، فيتبعها حتى تهوى به فى الأرض فيضل .

[٣٨] وَكَذَاكَ قَالَ مُمَيِّزًا لِكَلَامِهِ   عَنْ كُلِّ شَىْءٍ يَقْتَنِيهِ الْقَانِى

مميزا أى مخلصا كلامه عن كل شىء من الكلام وغيره .

وكذلك قوله تعالى: « لِيُمَيِّزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ »(١) . أى مايخلص المؤمنين من الكافرين .

والقانى : الذى يتخذ الأشياء ويطلبها ، لينتفع بها ، ويجمعها ، ويتركها بعده . والله تعالى مستغن عن كل ذلك .

ومنه قولهم : فلان يقتنى الأموال ويجمعها ، ويدخرها ، ومنه قنية الدواب .

[٣٩] مَا قَوْلُنَا لِلشَّىْءِ حِينَ نُرِيدُهُ   فَارْشُدْ فَإِنَّكَ عَنْ رَشَادِكَ وَانِ

الرشد : الهدى ، والرشد : الصلاح . وقد فسر قول الله تعالى: « وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا »(٢) .

(١) الآية مدنية رقم ٣٧ من سورة الأنفال .

(٢) الآية مكيه رقم ١٤٦ من سورة الأعراف .

والرشد ها هنا : الهدى .

وأما قوله تعالى فى اليتامى: « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً » أى بلوغا وإصلاحا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ »[١] .

والوانى : المقصر . وقيل : البطىء . والله أعلم ، وبغيبه أحكم .

[٤٠] مَاذَا تَشَبَّثُ بَعْدَ هَذَا فَارْتَدِعْ وَارْجِعْ إِلَىَّ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ

تشبث : تعلق وتمسك . بعد هذا البيان والصحة والبرهان ، بالحجج الضالة ، وارتدع أى انتبه . والذلة : الذل . والهوان : المهانة والصغار .

[٤١] أَوْ مَا تَرَاهُ كَيْفَ مَيَّزَ قَوْلَهُ وَكَلَامَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَانِ

والفانى : الهالك الذاهب الذى يفنى ولا يبقى له أثر .

قال السمائلى :

وَفِيمَ اهْتِمَامُ الْمَرْءِ مِنْ بَعْدِ عِلْمِهِ أَنَّ الْكُلَّ فَانٍ وَالْمُقَدَّرُ كَائِنُ

[٤٢] فَالْخَلْقُ قَالَ لَهُ مَعًا مُتَفَرِّداً وَالْأَمْرُ مَيَّزَهُ لَدَى الْعِرْفَانِ

أى لذى المعرفة . قال الشيخ أبو بكر[٢] : معنى قوله تعالى « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ »[٣] فهذه حجة من احتج بأن القرآن غير مخلوق ، ففرق بين الخلق والأمر .

---

(١) الآية مدنية رقم ٦ من سورة النساء .

(٢) أحمد بن محمد بن أبى بكر من مشاهير علماء عمان ومن أهل نزوى ، وقد اعتبره السمائلى من علماء الطبقة الرابعة .

(٣) الآية مكية رقم ٥٤ من سورة الأعراف .

[٤٣] وَالْأَمْرُ فِيهِ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ وَالْخَلْقُ غَيْرُ كَلَامِهِ مَا شَانِ

فإن قال قائل إذا كان الكلام أمرا ونهيا، ووعدا ووعيدا، وخبرا ودعاء وما أشبه ذلك، فلم زعمتم أن كلام الله عير مخلوق، وأنه قديم، فلم يزل الله تعالى آمراً ناهيا: مخبرا؟

قالوا نحب أن يكون المأمور والمنهى والموعد والمتوعد، لم يزل الله لهم قائلا، وإذا استحال ذلك وجب أن يكون الله دليل خلقه.

[٤٤] يَكْفِيكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَهِيمَةً جُثْمَانُهَا خَالٍ بِغَيْرِ جَنَانِ

يكفيك: أى يغنيك هذا القول الذى قلناه، إلا أن تجعل نفسك بهيمة من البهائم التى لا عقول لها، فذلك إليك.

والجثمان: الشخص بمنزلة الجسمان جامع لكل شيء يريد جسمه.

وخال: من الخلو، أى ليس فيه شيء، ولا معه شيء. والجنان: القلب.

وفى الحديث: المرء بأصغريه: بلسانه، وقلبه[1].

[٤٥] مَا الْمَرْءُ إِلَّا صُورَةٌ مَخْبُوءَةٌ تَحْتَ اللِّسَانِ وَمِرْآةُ الْجُثْمَانِ

ومن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: المرء بأصغريه: لسانه وقلبه، إن نطق نطق ببيان وإن قال، قال بجنان.

والجثمان: البدن والجسم.

---

(١) كذا فى الأصل، وهو ليس حديثا، بل هو حكمة مشهورة وقول مأثور: المرء بأصغريه، قلبه ولسانه. إذ لم نعثر له على رواية أو سند.

قال شعرا :

دِينَارُ يَحْيَى زَائِدُ النُّقْصَانِ   فِيهِ عَلَامَةُ سَكَّةِ الحِرْمَانِ[١]
قَدْ رَقَّ مَنْظَرُهُ وَدَقَّ خَيَالُهُ   فَكَأَنَّهُ رَوْحٌ بِلَا جُثْمَانِ

[٤٦] عَزَّ الْمُهَيْمِنُ عَنْ دَرْكِ مُكَيِّفٍ   أَوْ أَنْ يُنَالَ دَرَاكُهُ بِمَكَانِ

عز : امتنع . المهيمن : الشاهد . وقد مضى ما ذكرناه .

والدراك: اللحاق . ومنه قوله تعالى: « إِنَّا لَمُدْرَكُونَ »[٢] ، أى سيدركنا قوم فرعون ، أى تلحقنا ، أى لا يلحق صفته مكيف . وهو الذى يقول : كيف كان ربنا ؟ أو متى كان ؟ ومن قال : كيف ، فقد شبّه .

[٤٧] أَوْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ صِفَاتُ مُعَبِّرٍ   أَوْ تَعْتَرِيهِ هَمَاهِمُ الْوَسْنَانِ

تحيط : تحصيه . صفات معبر : المعبر المتكلم . تقول : عبر كذا وكذا عن فلان أى تكلم عنه .

ومعنى قوله تعتريه: أى تغشاه وتقصده . والهمام جمع همهمة، وهو ما يتكلم به النائم .

والوسنان الذى يبتدىء به النعاس فى الرأس ، فإذا خالط القلب صار نوما .

ومنه قوله تعالى : « لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ »[٣] .

السِّنة : النعاس . والهمام جمع همهمة . وهو الكلام الخفى .

---

(١) لعل المقصود بيحيى هو يحيى البرمكى من وزراء هارون الرشيد ، وقد كان للبرامكة صولجان وهيمنة حتى أبادهم الرشيد بعد ما بان له من شعوبتهم ونفاقهم .

(٢) الآية مكية رقم ٦١ من سورة الشعراء .

(٣) الآية مدنية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة .

[٤٨] أَوْ أَنْ تُخَالِجَهُ لُغُوبُ سَآمَةٍ   أَوْ خَطْرَةٍ مِنْ خَطْرَةِ النِّسْيَانِ

يخالجه : يختلف عليه. ويقال يخالطه . واللغوب : الإعياء . ومنه قوله تعالى: « وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ »(١) ، أى من إعياء .

والسآمة : الملل ، ومنه قوله تعالى : « وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ »(٢) . وجدت فى التفسير : لا يملّون .

والخطرة : واحدة الخطرات ، وهو أن يخطر بقلبك شيء قد كنت نسيته .

والنسيان : ضد الحفظ . كقوله تعالى : « فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ »(٣) .

[٤٩] أَوْ أَنْ يُقَالَ اللهُ خَالِقُ نَفْسِهِ   وَكَلَامُــهُ كَالْخَلْقِ لِلْأَبْدَانِ

[٥٠] مَا زَالَ رَبُّكَ عَالِمًا وَمُهَيْمِنًا   رَبُّ الصِّرَاطِ الْحَقِّ وَالْمِيزَانِ

المهيمن : الشاهد . وقال الكسائى(٤) : المهيمن الشهيد ، وقيل الأمين .

والصراط : الطريق الواضح . وقيل الصراط : الحق وهو الإسلام . وقال الله تعالى : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ »(٥) . الموارد الطريق .

والميزان : جمعه موازين . قال الله تعالى « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا

---

(١) الآية مدنية رقم ٣٨ من سورة ق

(٢) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة فصلت .

(٣) الآية مكية رقم ٦٣ من سورة الكهف .

(٤) الكسائى هو أبو الحسن على بن حمزة ، مولى بنى أسد ، فارسى الأصل ، نشأ بالكوفة ، وتعلم النحو وهو كبير السن وقد اتصل بالخليفة العباسى هرون الرشيد ، وكان معلما لولديه الأمين والمأمون ، وتوفى بالرى فى عصر الرشيد عام ١٨٩ هـ ، وله مواقف ومناظرات شهيرة مع سيبويه إمام النحو .

(٥) الآية مكية رقم ٦ من سورة الفاتحة .

تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ »[١]، أى لا تنقصوا الوزن. قال الله تعالى: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ »[٢].

القسط : العدل والميزان : جاء فى التفسير : إن فى القيامة ميزاناً له لسان وكفتان ، وتميل الأعمال مما يوزن .

وجاء فى التفسير عن ذلك أنه يوزن خاتمة أمره شرا ، فجزاؤه شر . وهذا يدل على أن الميزان يوم القيامة حكم ، ونظر ، وعدل ، وتمييز ، لا الميزان المعروف.

[٥١] يَدْرِى بِمُعْتَلِجِ الصُّدُورِ وَكُلَّمَا أَعْلَنْتَ أَوْ أَكْنَنْتَ مِنْ كِتْمَانِ

يجوز أن يقال: الله تعالى يدرى، بمعنى يعلم. وقيل يجوز أن يقول : الله يسمع ويرى ، ويجوز يدرى ولا يستعمل إلا قليلا .

وقيل : معتلج الصدور : مقام العقول ؛ لأن العقل فى بعض القول مسكنه الصدور[٣] .

والمعتلج : ما يعتلج فى صدرك من شىء لا تنطق به ، كأن تسمع كلاما فتقول هذا الكلام كان قد اعتلج فى نفسى .

[٥٢] وَهُوَ السَّمِيعُ بِلَا أَدَاةٍ تَسْمَعُ إِلَّا بِقُدْرَةِ قَادِرٍ وَحْدَانِ

الأداة والآلة ما ينتفع به الإنسان من كل ما يراه بقوته ، كما أن الأذن أداة السمع ، والعين أداة البصر . وهذا على التوسع فى اللغة ومجازها ، والواحد الأحد

---

(١) الآية مدنية رقم ٩ من سورة الرحمن .
(٢) الآية مكية رقم ٤٧ من سورة الأنبياء .
(٣) يعنى القلب .

الله المتوحد ، والواحد فى الحقيقة الذى لا ينقسم فى وجوده ، ولا وهم ، وهو المنفرد الذى لا ثانى له .

وإنما قال قادر ، ووحدان أحد من معنى الوحدانية ، وقيل معناه وحدانى .

[٥٣] وَهُوَ الْبَصِيرُ بِغَيْرِ عَيْنٍ رُكِّبَتْ   فِى الرَّأْسِ بِالْأَجْفَانِ وَاللَّحْظَانِ

الأجفان : جمع جفن ، وهو جفن العين . وسمى الجفن جفنا لأنه غطاء العين . وكذلك جفن السيف لأنه يغطيه .

واللحظان ، واللحظ ، والألحاظ ، واللحاظ كله : النظر .

[٥٤] وَهُوَ الْبَعِيدُ مَحَلُّهُ فِى قُرْبِهِ   وَهُوَ الَّذِى فِى بُعْدِهِ مُتَدَانِ

[٥٥] أَحْصَى الْوَرَى مُتَكَفِّلًا أَرْزَاقَهُمْ
وَحَوَى خُرُوجَ الرِّزْقِ بِالْإِتْقَانِ

متكفلا : متضمنا . والمتكفل : الذى يتكفل بأمور الناس . والكفيل فى اللغة : الضمين أى قد كفل بأرزاقهم، وعلم آجالهم ، وعلم الشقى منهم والسعيد . ومنه قوله تعالى : «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا»[1] . الإتقان : الإحكام .

[٥٦] بَطَنَ اخْتِبَارًا دُونَ كُلِّ غَيَابَةٍ   وَعَلَا عَلَى الْمَلَكُوتِ بِالسُّلْطَانِ

بطن من الباطن وهو نقيض الظاهر ، ظهرت فوق الظاهرين لقهر المتكبرين ، وأنا الباطن ، فليس من دونى إله ، ولا لى قاهر . والظاهر بمعنى الغالب .

(١) الآية مكية رقم ٩٤ من سورة مريم .

والغيابة : كل شيء غيب عنك منه شيئاً فهو غيابة . والملكوت : الملك . والسلطان الحجة والسلطان مملكة ، والسلطان القدرة .

قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ »(١) .

[٥٧] فَاقْنَعْ بِهَذَا أَوْ فَبِنْ مُتَفَرِّداً وَانْأَ فَكُنْ حَيْثُ الْتَقَى الْبَحْرَانِ(٢)

اقنع : أى ارض بهذا القول والحجة . تقول : قنع يقنع قناعة فهو قانع إذا كان راضيا لا يسأل أحدا ، أى راضيا بالقليل .

والقانع : السائل . يقال : قنع بفتح النون . قال الله تعالى : « وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ »(٣) .

القانع : السائل ، والمعتر : الذى يعرض بالمسألة ، ولا يصرح .

ويقال : المعتر : السائل ، والقانع : المحتاج . وقوله : فبن : أى ابتعد . والبين : الفراق .

[٥٨] أَصْبَحْتَ كَالظَّمْآنِ يَتْبَعُ عَسْقَلاً

يَبْغِى شِفَاءَ حَرَارَةِ الظَّمْآنِ

الظمآن : شديد العطش . قال الله تعالى: « أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً »(٤) ، أى العطشان ، والعسقل والعسقلة والعسقول : تلمع السراب ، وقطع السراب : عساقل .

---

(١) الآية مكية رقم ٩٦ من سورة هود .
(٢) انأ : أى أبعد .
(٣) الآية مدنية رقم ٣٦ من سورة الحج .
(٤) الآية مدنية رقم ٣٩ من سورة النور .

والشفا : ما يشفى من كل مرض ووجع .

والحرارة : شـــدة العطش . وقوله تعالى : « وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا ، وَلَا تَضْحَى »[١] ، والحرارة : الحرقة فى القلب من التوجع .

[٥٩] أَنَّى تُحَاوِلُ بِالنِّهَايَةِ دَائِبًا   تَسْتَقْهُ دَيْنًا مِنَ الْأَدْيَانِ

أنى : معناه من أين . ومنه قوله تعالى : « قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ »[٢] .

وقيل إنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف .

وتـكون أنى بمعنى كيف. قال الله تعالى : « قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ، وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ »[٣] ، أى كيف يكون لى ولد.وقال تعالى أيضا: « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ »[٤] بعد ما كان فى موضع الولد، فى قيام وقعود ، ونائم على جنب .

[٦٠] سَمَّيْتَهُ مَا لَمْ يُسَمَّ تَقَحُّمًا   هَانَتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الدَّيَّانِ

[٦١] مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ مُحَاسَبًا   وَسُئِلْتَ عَنْ لَقْلَاقِكَ الْفَتَّانِ

اللقلاق ، واللقلق ، واللقلقة : شدة اضطراب الشىء فى تحريكه ، يتلقلق . هكذا وجدته فى كتاب العين ، وفى الدعاء : اللهم اكفنى شر القلق والقبقب ،

---

(١) الآية مكية رقم ١١٩ من سورة طه .

(٢) الآية مدنية رقم ٣٧ من سورة آل عمران .

(٣) الآية مدنية رقم ٤٧ من سورة آل عمران .

(٤) الآية مدنية رقم ٢٢٣ من سورة البقرة .

والذبذبة . فالقلق اللسان والقبقبة : البطن ، والذبذبة : الذكر . قال رسول الله ﷺ : من وقاه الله شر ما بين لحييه ، وشر مابين رجليه دخل الجنة [١] .

والفتان : الذى يفتنك أى يضلك . والفتان فى غير هذا : الشيطان .

[٦٢] إذ كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ ذَاكَ رَهِينَةٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَكُلُّ وَجْهٍ عانِ

رهينة : مرتهنة بأعمالها ، أى معتقلة ، لا انفكاك لها . ومنه قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »[٢] ، أى مرتهنة بما عملت . والرهين : بمعنى المرهن أى المحبوس . يقول : فلان رهين عند العدو أى محبوس .

والعانى : الأسير ، تقول عنا يعنو . ومنه قوله تعالى : « وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ »[٣] أى استأسرت ، فهى عوان لربها واحدها عان بمنزلة الأسير .

[٦٣] أَبِجَرَاءَةٍ بَارَزْتَهُ مُتَعَرِّضاً لِلِقَاءِ مَنْ يَلْقَاكَ بِالنِّيرَانِ

الجراءة : التقحم فى الشىء بغير هداية . الجراءة : قلة المبالاة والمبارزة — والقدوم على أمر مبهم ، لا يدرى خيره من شره .

ومنه دعوة الرجل للمبارزة للقتال ، ولا يدرى الداعى ماذا يصادفه .

[٦٤] لَمَّا تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ فَأَقْبَلَتْ بِدُخَانِهَا فَأَتَتْكَ بِالدُّخَانِ

تشقق السماء : انفطارها . ومنه قوله تعالى : « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ

---

(١) رواه الترمذى وقال ، حسن ، وابن حبان ، والحاكم فى المستدرك .
(٢) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة المدثر .
(٣) الآية مكية رقم ١١١ من سورة طه .

بِالْغَمَامِ »[١] . وقوله تعالى : « إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »[٢] . وفى موضع آخر : « إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ »[٣] .

والدخان : يشدد ويخفف . وقد أتى أبو بكر باللغتين جميعا فى بيت واحد .

[٦٥] إِذْ شُدَّتِ الشَّفَتَانِ ثم اسْتُنْطِقَتْهُ وَتَكَلَّمَتْ بِذُنُوبِكَ الرِّجْلَانِ

الشد : الختم . ومنه قوله تعالى : « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِم ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ »[٤] .

وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز ، فهو مفهوم معلوم ، كما قال فى موضع آخر : « حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »[٥] . « وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ .. » إلى تمام الآية[٦] .

[٦٦] فَهُنَاكَ لَاوَزَرٌ سِوَى مَا قَدَّمَتْ عِنْدَ الْحِسَابِ بِذَاكَ مِنْ قُرْبَانِ

الوزر : الملجأ . يقال لا وزر أى لا حيلة . قال الله تعالى: « كَلَّا لَا وَزَرَ »[٧] . أى لا ملجأ له من الموت .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٥ من سورة الفرقان .
(٢) الآية مكية رقم ١ من سورة الانشقاق .
(٣) الآية مكية رقم ١ من سورة الانفطار .
(٤) الآية مكية رقم ٦٥ من سورة يس .
(٥) الآية مكية رقم ٢٠ من سورة فصلت .
(٦) الآية مكية رقم ٢١ من سورة فصلت .
(٧) الآية مكية رقم ١١ من سورة القيامة .

والمرم . قال : ستقر بما قدمت عند الحساب يداك ، ولم يذكر من الأعضاء شيئا ، لأن هذا فى كلام العرب مفهوم . تقول هـذا ما جنته يداك ، وما همات يداك ، وما قدمت يداك ، لأن فعل الإنسان أكثره بيديه .

[٦٧] وَهُنَاكَ لَيْسَ سِوَى الَّذِى قَدَّمْتَهُ عَصْرًا مِنَ الرُّجْحَانِ وَالنُّقْصَانِ

نصب عصرا على الظرف . أراد فى العصر ، والعصر : الدهر . والمعنى قدمته دهرا ، أى فى دهر .

وفى قوله تعالى : « وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »(١) . وهو قسم ، أقسم الله تبارك وتعالى به .

والرجحان : الثقيل ، والنقصان : الخفيف .

[٦٨] فِى مَوْقِفٍ عَكَفَتْ بِهِ أَهْوَالُهُ ضَنْكٌ يُشِيبُ ذَوَائِبَ الْوِلْدَانِ

عكفت : قامت . والعكوف فى اللغة الإقامة على الشىء . اعتكفنا به : أى أقمنا به . والضنك : الضيق .

قال الله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى ، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا»(٢) . أصله فى اللغة : الضيق والشدة وأكثر ما جاء فى التفسير أنه عذاب القبر .

والذوائب : جمع ذؤابة . والولدان : الصبيان ، واحدهم وليد . وقوله تعالى « وَيَطُوفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ»(٣) .

---

(١) الآية مكية رقم ٢ من سورة العصر .
(٢) الآية مكية رقم ١٢٤ من سورة طه .
(٣) الآية مدنية رقم ١٩ من سورة الإنسان .

[٦٩]وَتَطَايَرَتْ فِيهِ الصَّحَائِفُ كُلُّهَا   بِشَمَائِلِ الأَيْدِي وَبِالأَيْمَانِ

تطايرت بمعنى تفرقت . ومنه طار القوم شماعا ، أى مجتمعين ، ومتفرقين .

والصحف : جمع صحيفة ، وهى الكتب . وسميت صحيفة لأنها تصنح يمينا وشمالا .

قال الله تعالى : « وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ »[١]. وهى كتب أعمال بنى آدم . وسميت صحيفة لأنها تصفح وتنشر .

[٧٠] هَذَا كِتَابُكَ يَا شَقِيّ بِكُلِّ مَا   آتَيْتَ مِنْ قُبْحٍ وَمِنْ خُسْرَانِ

معناه والله أعلم ، أن يقال له : هذا كتابك ، قوله : آتيت أى جئت به . من قبح ، أى بما كتب عليك وآتيت فى كتابك . القبح : القبيح من السيئات . والإحسان : هو الحسنات .

[٧١] فِيهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ أُحْصِيَتْ

مَا غَابَ عَنْ إِحْصَائِهَا الْمَلَكَانِ

الصغائر من الذنوب ما لا يحصى ، ولم يوقف على الصغير من الذنوب ، ونظنه مادون الكبائر .

ولم يبح الله شيئاً من الذنوب ، بل حرمها ، وزجر بغاية الزجر عنها .

والكبائر مثل قتل النفس ، والزنى ، وشرب الخمر ، وترك الصلاة ، وعقوق الوالدين ، وأكل[٢] شهر رمضان عمداً .

---

(١) الآية مكية رقم ١٠ من سورة التكوير .
(٢) أى الأكل فى نهار شهر رمضان عمدا .

وقوله : أحصيت أى عدت ، وحسبت ، وأثبتت . والملكان اللذان هما موكلان بالعبد .

[٧٢] إمَّا تُجَرُّ إلىَ الْجَحِيمِ مُكَبَّلاً   وَمُسَرْبَلاً بِسَرَابِلِ الْقَطِرَانِ

تجر : تسحب بالعنق والذل والصغار . والمكبل : المقيد . الكبل : القيد الضخم ، المصفد . المقيد .

قال عمرو بن كلثوم[1] :

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا   وَأُبْنَا بِالملوكِ مُصَفَّدِينَا

أى رجعوا بالسلب ، ورجعنا نحن بالملوك أسرى مقيدين . والمسربل : الذى ألبس القميص ، وقال السربال ولم يقل السرابيل ، فهذا جائز فى اللغة . تقول : جلابب وجلابيب ، وسرابل وسرابيل .

[٧٣] وَخَسِرْتَ نَفْسَكَ خَالِدًا فِى قَعْرِهَا   هٰذَا وَجدُّكَ أَخْسَرُ الْخُسْرَانِ

خسرت : هلكت . ومنه قوله تعالى : «وَالْعَصْرِ إنَّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ»[2] أى لفى مهلكة ونقصان .

خالداً : باقياً . والخلود : البقاء .

---

(١) هو الشاعر الجاهلى عمرو بن كلثوم ، من بنى تغلب بن وائل ، وكان بنو تغلب من أشد الناس بأسا فى الجاهلية ، حتى إنه قيل ، لو أبطأ الإسلام لأكلت بنو تغلب العرب ، وله شعر كثير أهمه معلقته التى مطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا   ولا تبقى خمور الأندرينا

(٢) الآية مكية رقم ٢ من سورة العصر .

قال زهير :

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا ... وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

[٧٤] أوْأَنْ تَزُورَكَ بِالسَّلَامِ مَلَائِكٌ ... تَسْلِيمُهُمْ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

ملائك : جمع ملك . وجمع الجمع ملائكة . وسميت الملائكة ملائكة لأنها ترسل إلى الأنبياء بأمر الله تعالى ، مأخوذ من الألوكة والألوك ، وهى الرسالة .

والروح نسيم وهى بضم الراء . والرَّوح بفتحها : حياة لا موت فيها ، ومنه قوله تعالى : « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ »[1]. روح طيب النسيم ، والنسيم : الريح الطيبة. وسميت نسيما ، لأنها تنسم السكروب .

[٧٥] فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ جَارَ مُحَمَّدٍ ... وَرَفِيقُ خَازِنِ بَابِهَا رِضْوَانِ

الفردوس ، قال الزجاج : أصله رومى . وقيل إن العرب تسمى كل موضع فيه كرم فردوسا . وفى الحديث : إن الله تعالى بنى جنة الفردوس[2] ، لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وجعل حيالها المسك الأذفر ، وغرس فيها من جيد الفاكهة ، وجيد الريحان .

---

(١) الآية مكية رقم ٨٩ من سورة الواقعة .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان والديلمى وابن عساكر عن أنس بلفظ ، إن الله تعالى بنى الفردوس بيـده ، وحظرها عن كل مشرك وعن كل مدمن الخمر سكير ـ وليس للمذكور رواية .

والجار : الرفيق المرافق . والخازن : الحافظ . ورضوان : خازن الجنان .
وهو مشتق من الرضى .

وخفض رضوان لأنه بدل من خازن .

أراد ـ والله أعلم ـ ورفيق رضوان والبدل يقوم مقام المبدل منه .

تمت وهى ها هنا خمس وسبعون بيتا

* * *

القصيدة الخامسة[1]

فى

الطهارات والغسل والجنابة

وقال فى الوضوء والتيمم ، وغسل النجاسات ، والاغتسال من الجنابة ، وأحكام الكفارات :

[١] حُيِيت فَاحْيَ رَبَّةَ الخِدْرِ فِى الحَسَبِ القُدْمُوسِ ذِى النَّجْرِ

حييت : من التحية والتسليم .

قال الشاعر :

إنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلْمَى فَحَيِّينَا وَإنْ سَقِيتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

والخِدْر : الستر . وجمعه خدور . ومنه ليث خادر ، أى مستتر .

قال الشاعر :

* وَأَشْجَعُ مِن لَيْثٍ بخفان خَادِرِ *

ونصب ربّةَ الخِدْر على النداء المضاف .

والحسب : الأصل ، والحسب: الشرف . والقدموس: الأصل . والقدموس: الملك الضخم . والقدموس : أعلى كل شىء .

---

(١) من بحر السريع .

قال جرير[١] :

ابْنَا نِزَارٍ أَحَــلَّانِي بِمَنْزِلَةٍ فِي رَأْسِ أَرْعَنَ عَادِيِّ الْقَدَامِيسِ[٢]

والنجر : الأصل . يقال : إنه كريم النجر والنجار . ولئيم النجر والنجار .

قال الشاعر :

إِنَّ الْعَتِيكَ لَهُمْ عَلَى شَرَفِ الْعُلَا بَيْتٌ عَزِيزٌ فَرْعُهُ وَنِجَارُهُ[٣]

[٢] إِنَّ ابْيِضَاضَ الشَّعْرَ مِنْ مَفْرِقِي أَقْعَدَنِي عَنْ خُلَّةِ الْخَمْرِ

يقول : ابيض الشعر ابيضاضاً . ويقول : شَعَر وشَعْر ، وثغَر وثغْر .

وخلة الخمر خلال ، وهي الخالة . قال الله تعالى : « مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ »[٤] .

مصدر الخليل . ويقال : فلان خِلِّي ، أى خليلي .

---

(١) هو الشاعر المعروف ، جرير بن عطية بن الخطفى ، من يربوع ، من مضر ، ولد فى اليمامة (منطقة الرياض الحالية) فى خلافة عثمان بن عفان ، ونشأ فقـيرا ، ولكنه كان فتى موهوبا فى الشعر ، وكانت له وراثة فيه ، فأبوه كان شاعرا ، وكذلك جده ، ثم كان أخوه ، وكان ظهور جرير فى عصر صراع سياسى وأدبى ، وقد رأى جرير الشعراء يشاركون فى هذه المعركة ، فكان يتلمس الفرصة ليظهر فى الميدان ، وسنحت له الفرصة ، ولمع نجمه ، وأقبل على البصرة يمدح الحجاج بن يوسف ، وقد أوصله الحجاج إلى خلفاء بنى أمية ، فمضى إلى دمشق يمدح الخلفاء ، ويفد عليهم كل سنة ، فيجزلون له العطاء .

ولما ماتت زوجته خالدة بنت سعد أحس جرير بفجيعة هائلة ورثاها بشعر شجى حزين ، من أهمه قصيدته التى مطلعها :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

(٢) القداميس جمع قدموس وهو القديم .

(٣) العتيك فخذ من الأزد .

(٤) الآية مدنية رقم ٢٥٤ من سورة البقرة .

أقمدنى : أى أعجزنى . والقواعد من النساء من هذا ، وهن العجائز اللاتى لا رغبة لهن فى الرجال .

[٣] وَبُؤْسُ عُودِى بَعْدَ إِبْرَاقِهِ   مُكْتَسِباً لِلْوَرَقِ النَّضْرِ

يعنى بالعود : الجسم بعد إيراقه ، أى بعد أن كان مورقاً بحسن الشباب وعنفوانه .

ونصب مكتسبا على الحال . والنضر : الناضر . والمنضر إتباع اللاحظين[1] ، يقول أخضر نضر ، وأحمر قان ، وأبيض ناصع ، وأبيض يقق ، ولقق أيضاً ، وأصفر فاقع ، وأسود غربيب ، وحالك وحلكوك .

[٤] فَالْآنَ لَمَّا أَنْ ذَوَى وَانْحَنَى   وَصَارَ فِى الْحَالِ إِلَى الْكَسْرِ

الآن : معناه إلى الوقت الذى أنت فيه . وذوى العود : إذا يبس وفيه بعض الرطوبة ، تقول : ذوى وغيره يذوى . وكل ذلك تعنى به جسمه ، وحاله . وهذا كما قال النابغة[2] :

وَمَا الْبَغْىُ إِلَّا عَلَى أَهْلِهِ   وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَهَذَا الشَّجَرْ

تَرَى الْغُصْنَ فِى عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ   يَهْتَزُّ فِى بَهَجَاتٍ خُضُرْ

زَمَاناً مِنَ اللَّهْوِ ثُمَّ النَّوَى   فَعَادَ إِلَى صُفْرِهِ فَانْكَسَرْ

---

(١) أى إرسال العينين ولعله بالظاء .

(٢) النابغة الذبيانى ، ويكنى أبا ثمامة ، وأبا أمامة باسم ابنتيه ، واسمه زياد بن عمرو بن معاوية ، وهو من شعراء العصر الجاهلى وله معلقة مطلعها :

يا دار مية بالعلياء السند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

[٥] أَصْبُو إِلَى الرَّاحِ وَأَلْهُو بِهَا ... بَعْدَ وُضُوحِ الشَّيْبِ فِي الشَّعَرْ

أصبو من الصبوة ، وهو الشوق . وأصبو ألفه ألف استفهام ، واكتفى بفتحة ألف الوصل عن ألف الاستفهام . كما قال الله تعالى : « أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ، وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ »[١] .

وكما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَلَوْ كُنْتُ دَارِيًا ... بِسَبْعٍ رَمَيْتُ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ[٢]

أراد : أبسبع ، وحذف الألف ضرورة وتخفيف . والراح : الخمر .

[٥] وَالدَّهْرُ دَوَّارٌ فَمَا يَنْثَنِي ... يُعْقِبُ حُلْوَ الْعَيْشِ بِالْمُرّ

الدهر : مرور الأيام والسنين والأعوام . والدوار : يدور حالا بعد حال . والدوار : المصدر .

قال الشيخ أبو بكر[٣] : والدهر الملك ، والدهر : هو الله . وفسر بعضهم : « وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ »[٤] أى الله . وفى الحديث عن النبى ﷺ : لا تسبوا الدهر ، فإن الدهر هو الله[٥] . ويعقب أى يأتى عقيبا الحلو مر وعقيب المر الحلو .

---

(١) الآية مكية رقم ١٩ من سورة التوبة .
(٢) المراد رمى الجمار فى الحج وهن سبع حصيات .
(٣) هو الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى بكر من أهل نزوى ، وهو من رجال العلم المعدودين .
(٤) الآية مكية رقم ٢٤ من سورة الجاثية .
(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة ، وابن عساكر فى تاريخه عن جابر .

[٧] يُرِيشُ أَقْوَاماً وَيَبْرِيهِمُ وَكُلُّ ذِي رِيشٍ لَهُ يَبْرِي

تقول : رشت فلاناً ، فأنا أريشه ريشا ، إذا أعطيته مالا ، وأنلته خيرا .

ومنه قول الله تعالى : « وَرِيَاشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى »[١] . والرياش : ما ظهر من اللباس . والرياش . الخصب .

وقيل : المعاش ولباس التقوى : الحياة . ويقال : رشت فلانا ، إذا قويت جناحه ، وارتاش فلان : أي حسنت حاله . والرياش : اللباس الحسن .

قال الشاعر :

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

معناه مأخوذ من براية القلم . تقول : بريت القلم بريا ، وهو البراوة، والبراية .

[٨] فَاعْتَصِمِي صَبْراً عَلَى عُسْرٍ فَإِنَّمَا الْيُسْرُ مَعَ الْعُسْرِ

اعتصمى : أى امتنعى بالصبر . ونصب صبرا على المصدر[٢] . ويمكن أن يكون بنزع الخافض ، أراد بصبر . والعسر : نقيض اليسر . والعسر : قلة ذات اليد .

والعسر : الضيق . واليسر : الغنى والسعة ، فى قوله تعالى: « إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا »[٣]، ليجعل الرجاء أعظم من الخوف، قال النبى ﷺ: لا يغلب عسر بين يسرين[٤] .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٦ من سورة الأعراف .
(٢) نصبه على التميز .
(٣) الآية مكية رقم ٦ من سورة الشرح .
(٤) كذا فى الأصل .

[٩] وَكُلُّ مَا اسْتَغْلَقَ مِفْتَاحُهُ   فَالْتَمِسْهُ مِنْ يَدِ الصَّبْرِ

استغلق : سدّ . ومنه تقول : أغلقت الباب فهو مغلق ، وأقفلته فهو مقفل ، إذا سددته ، ولا تقل مغلوق ، ولا مقفول[1] .

وقوله فالتمسه من يد الصبر ، أى من جانب الصبر .

رجع إلى مخاطبة ربة الخدر :

[١٠] سَلِي أُولِي الصَّنْعَةِ مِنْ حَا   كَةِ الدِّيبَاجِ أَوْ مِنْ صَاغَةِ التِّبْرِ

قوله سلى أولى : أى أهل الصنعة عما يصنع ، والفعل الصناعة . يقال رجل صنَعُ اليدين : أى صانع ، والحاكة : الصناع فى كل شيء من الصناعة ، حتى سموا المتكلم بالكلام الحسن ذى المعانى ، حائك كلام . وجعل الشعر حياكة . والتبر : الذهب .

[١١] مِنْ حَيْثُ مَا غَارُوا وَمَا أَنْجَدُوا   مِنْ حَدِّ صَنْعَا إِلَى مِصْرِ

غاروا : أتوا . الغور : ما انخفض من الأرض . وأنجدوا أتوا النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض . قال أبو عبيدة : العالية : ما فوق نجد إلى تهامة .

وأعرقوا : إذا أتوا بالعراق إلى ما وراء مكة. ما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد ويقول : أتهموا : أتوا تهامة ، وأعمنوا : إذا أتوا عمان .

وصنعاء بلد اليمن (ومصر معروفة) .

---

(١) لأن الفعل رباعى فاسم المفعول منه على وزن المضارع بضم الميم فى أوله وفتح ما قبل الآخر ، وأما من الثلاثى فعلى وزن مفعول .

[١٢] هَلْ صَنْعَةٌ أَحْكَمُ فِي صُنْعِهَا   عِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ مِنْ شِعْرِي

هل حرف استفهام . أولو الألباب : أولو العقول .

والشعر مأخوذ من العلم . تقول : شعرت هكذا ، أى أعلمته . وسمى الشاعر شاعرا ، لأنه يشعر بالمعانى ، ويفطن بها ، ويعلمها ، وقال الشاعر :

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا الْقِيَامَةُ قَامَتْ   ودُعِي بِالْحِسَابِ أَيْنَ الْمَصِيرا

نصب المصير على المفعول لأن معناه ليتنى أشعر أنى أعلم المصير أين هو ؟ على التقديم والتأخير .

[١٣] قَالَ رَسُولُ اللهِ إِذْ جَاءَهُ   كَعْبٌ عَلَى نَاقَتِهِ يَسْرِي

تفسير البيتين مخلوط .

فذكر كعب بن زهير بن أبى سلمى[١] ، وهو يقول فى النبى ﷺ القصيدة التى أولها :

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ *

فلما فرغ قال : إن من الشعر لسحرا ، أو إن من البيان لحكما ، أو كما قال.
وقال النبى ﷺ : إن من الشعر لحكمة[٢] فتعلموه .

وقد أمر من أمر من أصحابه بالإجابة بالشعر .

---

(١) كعب بن زهير من الشعراء المخضرمين ، أبوه زهير بن أبى سلمى من فحول الشعراء الجاهليين ، أسلم بعد فتح مكة ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فكساه الرسول عليه السلام بردة ، ولذلك سميت هذه القصيدة البردة ، وقد عارضها كثير من الشعراء فى شتى العصور — توفى عام ٢٤ هـ .

(٢) رواه ابن عساكر عن عائشة بلفظ « إن من الشعر حكمة ، وأصدق بيت قالته العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * كما روى باسانيد وألفاظ أخر .

[١٤] إنَّ بَيَانَ الشِّعْرِ سِحْرٌ وَفِي الْأَشْعَارِ مَا يُرْبِي عَلَى السِّحْرِ

[١٥] وَرُبَّمَا طَافَ بِهِ طَائِفٌ فَجَاشَ مِنْ طَائِفِهِ صَدْرِي

الطائف والطيف وهو اللمم . وهو ما طاف بك من الهم . من طاف يطيف وطائف فكل منه ، وهو اسم الفاعل . وينشد :

إني لَمْ أَبْكِ الْخَيَالَ بِطَيْفٍ وَمَطَافَهُ لَكَ ذِكْرُهُ وَشَغُوفُ

وقوله جاش من طائفه صدرى ، الهاء فى طائفه للشعر .

يقول : علا وارتفع . ومنه قوله : جاش البحر ، وجاشت السيول إذا ارتفعت وعلت .

قال امرؤ القيس :

عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ غَلْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

العقب : جرى يجىء بعد جرى ، هذا على عقب هذا .

جياش : يريد إذا حركه بعقبه جاش ، أى يجيش فى عدوه ، كالغليان الذى يغلى فى المرجل وهو كل ما طبخ فيه من قدر الصفر[1] وغيرها .

[١٦] وَمَا كَتَقْوَى اللهِ مِن مَنْصَبٍ وَلَا كَفَخْرِ الْحَقِّ مِن فَخْرِ

المنصب : الأصل .

قال زهير :

وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَاءٍ وَمِدْحَةٍ إِلَى مَاجِدٍ تَبْغِي إِلَيْهِ الْفَوَاضِلُ

---

(١) النحاس .

قال لبيد[١] :

مِنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِباً وَضَرِيبَةً ... إذَا شَتَا تَأْوِى إلَيْهِ الأَرَامِلُ

والتقوى مأخوذة من التقوى المحارم وأسباب الذنوب والمآثم .

قال الشاعر :

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلِ ... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلِي

[١٧] وَجَدْتُ فِي الآثَارِ عَنْ وَائِلِ ... وَعَنْ أَبِي نُوحٍ وَعَنْ نَصْرِ

الآثار : جمع أثر . وهو ما أثره المسلمون من العلم ، وما يقتدى به عنهم . كما قال الله تعالى : « وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ »[٢] ، أى ما سنّوه من سنة حسنة ، وعلم يعمل به من بعدهم .

ووائل هو وائل بن أيوب[٣] ، وأبو نوح: هو صالح بن نوح ، وهما فى ولاية المسلمين ، وأما نصر[٤] فأحسب أنه من أهل خراسان ، ويكنى بأبى عبد الله .

[١٨] إنَّ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ فِي قَوْلِهِمْ ... مَا سَالَ مِنْ خَدَشٍ وَمِنْ عَقْرِ

المسفوح : المصبوب . تقول : سفحت دَمه ، وسفحت الإناء إذا صببته . وسفحت عينه بالدمع إذا صببته .

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ، وكان يكنى أبا عقيل ، وهو آخر من مات من الشعراء أصحاب القصائد المعلقات على أستار الكعبة ، ويقال ، إنه أدرك الإسلام فأسلم ، وعاش فى الإسلام سنتين ، وبعضهم يعده فى الصحابة ، وله معلقة مطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

(٢) الآية مكية رقم ١٢ من سورة يس .

(٣) ويكنى أبا أيوب الحضرمى من مشاهير علماء الإباضية القدماء .

(٤) هو نصر بن سليمان من الثقات الفضلاء الإباضيين فى خراسان .

والدم المسفوح . دم الأوداج[١] . ويقال كل دم طرى ، وكل جرح من بدن صحيح مسفوح .

قال السنالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّوْقَ لَجَّ مُبَرِّحاً وَأَرْجَعَ قَلْبِي نَشْوَهُ بَعْدَ مَا صَحَا
وَأَصْبَحْتُ مَا يَشْفِي جَوَى النَّفْسِ غَيْرُهُ مِنَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ تَجُودَ فَتَسْفَحَا

أى منصب . وقال الله تعالى : « أو دَمًا مَسْفُوحاً »[٢] .

قال الشاعر :

أَرَانَتْ بِعَيْنَيْكَ الدُّمُوعُ السوافِحُ فلا الْعَهْدُ منسىٌّ ولا الدَّمْعُ نَازِحُ

[١٩] وَمَنْ رأى فى ثَوْبِهِ شَائِعاً دَماً إِذَا جُمِّعَ كالظُّفْرِ

بأن وجده ، أعنى الدم فى الثوب ، وقد صلى فى وقت يجوز أن يكون قد حدث بعد الصلاة ، غسله ، ولا نقض عليه .

وإن وجده فى حال يعلم أنه صلى وهو فى ثوبه ، غسله وأعاد الصلاة ، وذلك إن كان فوق الظفر فى المقدار .

وإن كان دون ذلك غسله ، ولا إعادة عليه . وإن رآه قبل الصلاة وهو فى المقدار كالظفر ، فتعمد للصلاة وصلى ، فصلاته فاسدة .

وإن أبصره قبل الصلاة ، ثم نسى حتى صلى به ، فلا نقض عليه ، ولا بدل .

---

(١) العروق فى الجسم .

(٢) الآية مكية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام .

وقال بعض : يبدل .

والشائع : المتفرق فى الثوب .

[٢٠] أَبْدَلَ مَا صَلَّى بِهِ عَامِداً أَوْ نَاسِياً لَيْسَ بِذِى عُذْرِ

العمد : القصد إلى الشىء من غير خطأ ولا نسيان . تقول : عمدت إلى كذا أى قصدت إليه . قال الله تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ بِهِ قُلُوبُكُمْ »[1] ، أى قصدتم إليه .

وفى الأثر : من صلى بثوب فيه دم ، أو نجاسة متعمدا لذلك ، ثم تاب وندم، كان عليه البدل والكفارة لجميع الصلوات .

وقال بعضهم : عليه كفارة واحدة ، وأما إذا صلى بثوب نجس على الخطأ والنسيان كان عليه البدل ، ولا كفارة عليه .

[٢١] وَأَلْزَمُوهُ قَطْعَ تَسْبِيحِهِ إِنْ كَانَ فِى الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ

ألزموه أى أوجبوا عليه أن تقطع صلاته ، وتسبيحه صلاته ، والسبحة الصلاة .

قال أبو عبيدة فى معنى قول الله تعالى : « وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ »[2] ، قال : نصلى ، ونقدس ، أى نطهر ، ونذكرك بالتقديس ، « قالَ رَبِّ

---

(١) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية مدنية رقم ٣٠ من سورة البقرة .

أَعْلَمُ بِمَا تَعْلَمُونَ »[1]، وأما الظهر فهو مأخوذ من الظهيرة، والظهيرة شدة الحر ، وسميت العصر عصرا ويقال صلاة العشى وآخر النهار ، ويقال للعشى عصر وقصر حيث يدنو غروب الشمس .

[٢٢] كَذَاكَ إِنْ أَبْصَرَهُ وَاحِدٌ فِي ثَوْبِ ذِي التَّقْدِيمِ وَالْأَمْرِ

وإن أبصره واحد ، الهاء راجعة إلى الدم، فى ثوب ذى التقديم، يعنى الإمام الذى يصلى بهم ، حتى يقدم الإمام إماما غيره يصلى بهم ، ويستأنف معهم الصلاة وإن رأى الإمام فى ثوب نفسه انصرف وقدم غيره ، وإن صلى بعد ما أبصره انتقضت صلاته وصلاة من صلى خلفه .

[٢٣] أَعْلَمَهُ كَيْلَا يُصَلِّى بِهِمْ وَيَنْتَحِى عَنْهُمْ إِلَى الطُّهْرِ

أى أعلمه ، لئلا يصلى بهم وثوبه نجس ، وينتحى ويتنحى واحد ، وهو أن ينزل إلى الماء ، والطهر والطهور الماء ، كما قال الله تعالى : « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا »[2] ، معناه مطهراً لكل أذى .

يعنى ، ينتحى إلى الطهر ، أى إلى أخذ ثوب آخر طاهر .

[٢٤] فَالنَّقْضُ فِي هٰذَا كَذَا حَدُّهُ إِنْ كَانَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ يَدْرِ

حده موضعه ، ومن ذلك حدود الأرض أى مواضعها ، يقول : النقض فى هذا نقض الصلاة ، هكذا أجده ، إن كان صلى بالنجاسة ولم يدر فعليه البدل ، ويدرى يعلم .

---

(١) الآية مكية رقم ١٨٨ من سورة الشعراء ، ولا دلالة على الاستشهاد بها ، وألفاظها محرفة فى الأصل .

(٢) الآية مكية رقم ٤٨ من سورة الفرقان .

[٢٥] وَالْجَسَدُ الْمَسْفُوحُ رِجْسٌ وَلَوْ كَانَ كَوَخْزِ الإبَرِ الشُّمَّرَ

والنجس الذى ليس بطاهر ، والأنجاس الأخباث . وأنجس الأنجاس عندنا البول ، ثم العذرة ، ثم الدم ، ثم الجنابة .

والأبوال كلها نجسة ، وفيه لغتان ، نجَس ونجِس ، والجسد الدم نفسه ، ودم جسد وجاسد ، أى قد يبس ، والجساد الزعفران ، وثوب مجسد ، مسبغ معصفر ، أى مصبوغ بالعصفر .

[٢٦] وَكُلُّ جُرْحٍ لَمْ يَقْرْ قَطْرُهُ صُلِّىَ بِهِ وَالْقَلْبُ فِى حَذَرْ

يقر: يسكن . وأصله يقرى ، ولكنه اضطر[1] إلى تسكينه وحذف الكسر . تقول: رقا الدم ، وقرى الدم يرقى رقاء ورقوا . والهاء فى صلى به أى بالجرح وقطره ، والحذر : المحذور ، تقول : حذر يحذر .

والمعنى فى هذا : إن صلى ويحذر ثوبه أن يمسه الدم .

حذر وحذر ، بسكون الذال وفتحها .

قال الشاعر :

وَلَرُبَّمَا حَذَرَ الْفَتَى مَا لَيْسَ يُنْجِى مِنْ حَذَرْ

---

(١) الفعل مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، فالسكون لضرورة الشعر بدل الكسرة تحت الراء .

[٢٧] فَإِنْ أَصَابَ الثَّوْبَ شَيْءٌ فَقَدْ أَلْزَمَهُ النَّقْضَ بِلَا عُذْرِ

[٢٨] وَلْيَحْشُهُ ثُمَّ لِيُصَلِّى بِهِ مِنْ بَعْدِ إِسْبَاغٍ مِنَ الطُّهْرِ

تفسير البيتين: يأمره بحشو الجرح إن أمكنه حشوه بقطن، أو خرقة ويسكن، ثم يصلى من بعد الوضوء.

وإسباغ المـاء فى اللغة: المبالغة، وأن يعم الجارحة. وقد أمر النبى ﷺ فى الوضوء بالإسباغ، وفى الاستنشاق بالإبلاغ.

وقال النبى ﷺ: إذا توضأت فأسبغ، وإذا استنشقت فأبلغ، إلا أن تكون صائما[١]. وإسباغ الوضوء هو أن يغسل جوارح الوضوء كلها، إلى أن يفيض عليهن الماء، ويقطر من الجوارح على الأرض، فحينئذ يكون مسبغا ولا يكون الإسباغ إلا كالمسح بالدهن، والذى به الدم السائل من جرح أو رعاف[٢] ولم يقر، وحضرت الصلاة، فإن هذا يغسل ذلك الدم.

[٢٩] وَلْيُومِ مُنْكَبًّا إِذَا جُرْحُهُ فِى أَنْفِهِ كَانَ أَوِ الثَّغْرِ

وَلْيُومِ: من الإيماء. منكبا: أى منحنيا على وجهه. تقول: انكب ينكب انكبابا، وهو على الوجه خاصة. والأنف معروف. والثغر: الفم، وسمى ثغرا، لأنه باب من أبواب البدن، ومن ذلك سميت البلدان الثغور. وذلك فى الصلاة يومىء منكبا بغير سجود، إذا كان فى أنفه دم، أو [فى] ثغره.

(١) رواه أبو داود الدولابى فيما جمع من حديث الثورى عن عاصم بن لقيط «إذا توضأت فأبلغ فى المضمضة والاستنشاق ما لم تكن صائما»، وليس له رواية بلفظ آخر.

(٢) الرعاف هو الدم الذى يسيل من الأنف.

[٣٠] وَإِنْ يَكُنْ فِي وَجْهِهِ لَمْ يُطِقْ غَسْلًا لَهُ إِذْ دَمُهُ يَجْرِي

تفسير البيتين : لم يقدر ، تقول : أطاق الشيء إذا قدر عليه واستطاعه ، ويغسل ما حول العفر ، ويتيمم بعد ذلك ، بحثى العفر ، والعفر : التراب . الحثوة : القبضة من التراب ، وحقبة أيضا .

قال الشاعر :

وَظَلَّ رِدَاهُ الْعَضْبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَا فَرَسٍ بَيْنَ الرِّجَالِ عَفِيرُ

[٣١] فَإِنَّهُ يَغْسِلُ مَا حَوْلَهُ وَلْيَتَيَمَّمْ بِحَثَى الْعَفْرِ

ظل : أقام يومه . والسلا : سلا الفرش الذى يكون فيه الولد . وعفير : معفر بالتراب .

وذكر التيمم وشرحه ، وما يجوز التيمم به ، وما لا يجوز ، يجيء بعد هذا فى القصيدة فى موضعه ، إن شاء الله .

[٣٢] وَالْجَمْعُ فِي هٰذَا لَهُ وَاسِعٌ إِنْ كَانَ لَمْ يَقْصُرْ وَلَمْ يَقْرِ

يقول : يجوز له أن يجمع الصلاتين ، الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء الآخرة يصلى آخر الأولى وأول الآخرة ، إن لم ينقطع عنه الدم ، وتكون صلاته بالتمام .

وإنما قال : الجمع له واسع ، أى يصلى الصلاتين جميعاً تماماً ، فى حال واحدة ، وذلك إذا لم ينقطع عنه الدم .

[٣٣] وَكَذَلِكَ الْمَبْطُونُ حِلٌّ لَهُ جَمْعُ الصَّلَاتَيْنِ بِلَا قَصْرِ

يقول : وكذلك يحل لمن بطنه مسترسل[1] ، ولا يتم له طهور ، أن يجمع

(١) المبطون هو الذى يشتكى من بطنه ، ومعنى ، أن بطنه مسترسل ، أى يسيل منه الغائط على غير العادة .

الصلاتين فى آخر وقت الأولى ، وأول وقت الآخرة ، ويصليهما جميعاً فى وقت واحد ، ولا تكون صلاته قصرا ، كصلاة المسافر ، بل تكون تماما .

وإذا كان المريض مبطونا ، فإنه يأمر أهله بوضوئه ، ولا يدع الصلاة .

وإن كان كلما وضأوه انتقض وضوؤه ، ولا يقدر أن يحفظه ، فليستنج ، وليمسك بقطنة لطيفة على دبره ، ويغسل مواضع الوضوء ، وليتوضأ ، وإن تيمم أيضا فلا بأس إذا كان لا يقدر أن يحفظ وضوءه من كثرة بطنه .

[٣٤] وَلْيَتَيَمَّمْ إِنْ يَكُنْ بَطْنُهُ مُسْتَرْسِلًا مُتَّصِلًا يَجْرِى

والتيمم يأتى شرحه بعد هذا . والمسترسل : المتتابع الذى يتبع بعضه بعضا مأخوذ من الإرسال وهو التتابع ، ومن قوله تعالى : « وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا »[1] ، أى متتابعات بالمعروف ، يعنى بذلك الملائكة عليهم السلام .

يقول : يجوز لمن هذه حاله من وجع بطنه ، ولا تتم له طهارة ، ولا وضوء ، يجوز له التيمم بالتراب ، ويصلى كيفما قدر ، ويجمع الصلوات على ما ذكرنا .

[٣٥] وَمَا دَمُ الْجِرْجِيشِ فِى قِلَّةٍ يُفْسِدُ يَوْمًا وَلَا كُثْرِ

الجرجيش : البعوض . والفصيح من الكلام أن يقال : القرقش ، وهو كذلك فى كتاب المنطق عن ابن السكيت[2] ، وكذلك وجدته فى كتاب العين القرقش ،

---

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة المرسلات .

(٢) ابن السكيت هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، نشأ ببغداد ، وسمع من الفراء وغيره ، وقد نبغ فى النحو وعلوم اللغة ، وكان معلما للمعتز العباسى ولى عهد الخليفة المتوكل ، مات سنة ٢٤٣ هـ .

فلا أدرى فيه لغة أم جرى فى ذلك تصحيف ، وأبو بكر فلا يتوهم عليه فى هذا الحرف الجرجيش فيه لغة صحيحة على ما وجدت .

ولا بأس بدم البعوض فى قول حتى يصير كالظفر ، وأكثر القول أنه طاهر.

[٣٦] وَلَا دَمُ اللَّحْمِ إِذَا نُقِّيَتْ   مَذْبَحَةُ الشَّاةِ مِنَ النَّحْرِ

النحر : الحلق ، وهو موضع الذبح ، وقال الربيع[1] : ولا بأس بدم اللحم إذا غسل موضع المذبحة ، ولا يعاد منه الوضوء ، إذا كان من دابة قد غسل منها المذبحة والأوداج وكذلك يوجد عن المسلمين رحمهم الله .

[٣٧] وَلَا دَمُ الْبَرْغُوثِ مُسْتَكْرَهٌ   وَلَا دِمَاءُ السَّمَكِ الْبَحْرِ

والبرغوث : دُويبة سوداء صغيرة ، تثب ، وتجمع البراغيث ، وفى لغة أهل عمان الكدوك بالدال .

قال الشاعر :

أقول والقول يبقى بعد صاحبه   لا بارك الله فى ليل البراغيث

وقيل : البرغوث دويبة سوداء ، لها قرص شديد ، يأكل الناس .

وفى الأثر عن المسلمين : أن دم السمك والبق والبراغيث، ونحو هذا طاهر .

---

(١) هو الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدى العمانى البصرى ، فقيه مشهور ، من أهل الباطنة فى عمان ، أصله من غطفان ، وقد أدرك جابر بن زيد ، وكان قد خرج إلى البصرة لطلب العلم ، وكانت البصرة إذ ذاك عمانية بأولئك الرجال الركب الذين خرجوا مع عمرو بن العاص رسول النبى صلى الله عليه وسلم ونزلوا البصرة ، ثم زادوا فيها لما صارت بصرة المهلب بن أبى صفرة ، وهو عمانى أزدى .

[٣٨] وَالضَّمْجُ وَالْقُرْدَانُ فِي رَأْيِهِمِ لَيْسَ بِمَكْرُوهٍ وَلَا حِجْرِ

اختلف أصحابنا فى دم الضمج[١] والقردان[٢] والحلمة[٣] ، فذهب بعضهم إلى أن كل واقع عليه اسم دم فهو نجس ، إلا ما قام دليله .

واحتج بقوله عز وجل : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ »[٤] الآية ، فعم كل دم وأخبر أنه حرام .

ومن ذهب إلى أنه غير نجس ، جعله فى صفة العلق ، والطحال ، ودم الكبد فلذلك لم يحكموا بتنجيسه ، والحلم والقراد إذا وقعا فى شيء .

[٣٩] وَبَعْضُهُمْ حَرَّمَهُ كُلَّهُ وَحَرَّمَ الْمَسَّ مِنَ الْخَمْرِ

رطب ، وأخرجا حيين فلا بأس ، فإن ماتا فيه نجساه ، والحجر بالكسر : الحرام ، ومنه قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً »[٥] ، أى حراما محرما والحجر أيضا بالكسر : العقل . قال الله تعالى : « هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ »[٦] ، أى لذى عقل .

والحجر أيضا : حجر الكعب . والحجر أيضا : الفرس الأنثى ، والخيل ، والحجر أيضا : بلد الأمامة والحجر بالفتح : ذيل القميص ، وحجر بضم الحاء : اسم رجل . أى حرم الدم .

---

(١) آفة تصيب الإنسان .
(٢) دويبة كالقرد .
(٣) الصغيرة من القردان أو الضخمة .
(٤) الآية مدنية رقم ٣ من سورة المائدة
(٥) الآية مكية رقم ٢٢ من سورة الفرقان .
(٦) الآية مكية رقم ٥ من سورة الفجر .

والخمر مسه حرام ، وليس فيه اختلاف ، ولكنه ختم شعره ، وذلك مما يجوز للشاعر .

[٤٠] وَالْقَيْحُ وَالْبِيسُ فَمَا فِيهِمَا بَأْسٌ وَلَا فِي الْكَرْشِ مِنْ أَصْرِ

القيح : المدة لا يخالطها دم . هو بفتح القاف وإسكان الياء . والكرش بفتح الكاف وكسر الراء هو لكل ما يجتر ، الكرش أيضاً الجماعة من الناس . وفي الحديث : الأنصار كرشي وعيبتي[1] . وكرش الرجل : عياله ، وسكن الراء للضرورة .

من خرج من قضيبه من مخرج البول قيح نجسه ، وإن كان من غير ذلك لم ينجسه .

والقيح الصديد ، وما يخرج من البدن منهما ، والدم المهتاس لا نقض فيه .

والقيح هو ما يخرج من قرحة أو دمل أو جرح ، يكون أبيض غلوظا ، أو رقيقا .

والبيس الدم ، وهما طاهران لا نقض فيه . والإصر : الإثم ، والإصر : الثقل والعهد ، قال الله تعالى : « وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي »[2] ، أي عهدي وميثاق .

---

(١) وتكلمته ، هم الشعار والناس الدثار ، رواه العسكري في الأمثال عن أنس ، ولمعنى الحديث روايات أخرى .

(٢) الآية مدنية رقم ٨١ من سورة آل عمران .

[٤١] وَبَعْضُهُمْ شَدَّدَ فِي فَرْثِهَا وَمَا بِهَا وَاللهُ ذُو غَفْرِ

الفرث وماؤه حرام، ويفسد ما أصاب؛ لأنه مجتمع العاق والبول في الكرش ثم يؤدى البول إلى المثانة .

وأما ما في الأمعاء فلا بأس به ، ولا يفسد ما أصابه، لأنه خالص مالئ الوضع من البول .

ودسع[1] الشاة مفسد .

وقوله : ذو غفر ، أي ذو ستر . تقول : غفرت الشيء إذا غطيته ، وسترته. ومنه الغفر سمى مغفرا ، لأنه يستر الرأس .

ومغفرة الله تعالى : ستره . وقول الرجل للرجل : ادمغ ثوبك ، فإنه أغفر للوسخ ، أي أستر .

[٤٢] وَتَنْقُضُ الطُّهْرَ بِأَسْمَائِهَا إِنْ سُمِّيَتْ بِالْقُبْحِ وَالْهَجْرِ

الهجر : الفحش من الكلام . والقبح : القبيح .

وقال الربيع : كل شيء خبيث من الكلام ، فهو ينقض الوضوء .

وقيل : إن منيرا[2] قال : لا ينقض ، ما لم يشتم به أحد ، ثم قال : ينقض ، وإن لم يرد به شتم أحد ، إذا ذكر شيئاً من العورات باسمها ، وأشباه ذلك .

---

(١) هو القيء .

(٢) هو منير بن النير الجعلاني ، من بني ريام ، أحد زعماء العلم وحملته من البصرة الى عمان ، عاش طويلا ، وقد قتل سنة ٢٨٠ هـ في حروب محمد بن نور بعمان زمن الخليفة العباسي المعتضد ، وهو من تلامذة الربيع بن حبيب .

وزعم أبو الوليد هاشم[١] أنه سأل موسى[٢] عن ذكر البول ، قال : كل شيء ذكرت فيتوضأ منه .

وقيل : إن ذكر العذرة باسمها ، لا ينقض ، حتى يذكر عذرة رجل باسمه .

وكذا قيل في البول وإذا قال لرجل سلحت، وفلان سلح ، نقض وضوءه.

[٤٣] مَا جَمَعَ الْفَرْجَانِ إِنْ سُمِّيَا بِالْقُبْحِ مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرْ

أو ما كان من أسماء جميع الفرجين من الأسماء القبيحة ، وذكر بذى الأسماء القبيحة ولو كانت أسماؤها ، انتقض وضوء من فعل ذلك .

ومن ذكر الفروج بأسمائها القبيحة ، انتقض وضوؤه ، فإن نسى حتى ذكر ذلك ، فلا بأس .

وكل معصية مما توجه الوعيد إلى صاحبها فإنها تنقض الوضوء ، مثل شتم للسلمين ، أو لعنهم ، أو اغتيابهم ، أو قذفهم ، أو بهتهم ، أو قبحهم ، أو أن يبرأ منهم .

والفرج : اسم لجميع سوءات الرجال والنساء ، والقبلات وما حولها كله فرج والقبل : فرج المرأة ، وكل فرج بين شيئين فهو فرج ، وكذلك سائر الدواب .

[٤٤] وَالْبَوْلُ وَالْغَائِطُ حَدُّهُمَا فِي الْغُسْلِ مِنْ خَمْسٍ إِلَى عَشْرِ

الغائط : ليس هو من الحدث ، إنما هو المكان للحدث . كنى عنه باسم المكان .

---

(١) هو هاشم بن عبد الله الخراسانى أحد الثقات الفضلاء الإباضيين فى خراسان .

(٢) هو موسى بن أبى جابر الأزكوى ، وقد كان مرجعا للمسلمين وحجة أهل العلم فى الدين.

والغائط ما اطمأن من الأرض ، فأجرى على اسم الموضع ، كما سمى الحدث النجو ، والنجو مأخوذ من النجوة ، والنجوة : ما ارتفع من الأرض .

وقال فى الغسل: من خمس إلى عشر ، فأراد خمس عركات إلى عشر عركات.

وقال بعض : يغسل من البول ثلاث مرات ، ولم يجعل للغائط حدا .

وأما من قعد فى نهر وعرك موضع الغائط ثلاث مرات ، ولا يعلم أنه بقى من الأذى شيء أجزأه ذلك ، وما بقى فى اليد من العرف[١] بعد الغسل ، فلا نرى به بأسا .

[٤٥] وَقِيلَ لَا بَأْسَ إِذَا لَمْ يَفِضْ مِنْ سِمَةِ الْجُرْدَانِ وَالدُّبُرْ

السمة : ثقب الفرجين ، ثقب القبل ، أو ثقب الدبر من الرجل . والجردان من أسماء الذكر . والجردان : غرمول الفرس[٢] .

ومن بال ولم يفض بوله على سمة ذكره ، ولا استنجى عليه، وكذلك الغائط، إذا رمى به رميا ولم يظهر، ولم يبق على ظاهر البدن شيء من النجاسة، فليس عليه غسل ذلك الموضع ، لايتعمد بغسل ما ظهر من النجاسة ، دون ما ظهر .

[٤٦] وَمَنْ تَأَتَّى بِهِمَا شَائِمًا أُلْزِمَ نَقْضَ الطُّهْرِ بِالصِّغَرْ

تأتى : تعمد وقصد ، قال الشاعر :

الْحُصْنُ أَدْنَى لَوْ تَأَتَّيْتَهُ مِنْ حَثْيِكِ التُّرْبَ عَلَى الرَّاكِبِ

الحصن جمع حصان ، وهى المرأة الحقيقة .

---

(١) أى الرائحة .

(٢) الفرس للذكر وللأنثى من الخيل أو هى فرسة .

قوله بهما ، يعني البول والغائط ، من شتم بهما الناس انتقض وضوؤه .
والصغر : الذل والمهانة .

وسمعت من يقول : تأتاه بالمد ، يعني قصد العمد ، وتأتاه بالتشديد : يثبت ويجلس ويقيم .

قال قائل :

أَلَمَّتْ بِنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ اخْتِلَاسَةً   فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الهَوَى النَّظَرَ الخَالِسُ

تَأَنَّتْ قَلِيلًا وَهْيَ تُرْعَدُ خِيفَةً   كَمَا تَتَأَنَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ

[٤٧] وَالرِّيقُ لَا بَأْسَ بِهِ إِنْ جَرَى   مِنْ نَائِمٍ فِي نَوْمِهِ غَمْرِ

يحتمل أن يكون عنى بقوله غمر بالغين المعجمة ، يعني به الغمر الذي لم يجرب الأمور .

قال الشاعر :

أَنَاةً وَحِلْمًا وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا   فَمَا أَنَا بِالوَانِي وَلَا الضَّرِعُ الغَمْرُ

ويحتمل أن يكون على التميز ، كما تقول : لعمرى لقد كان كذا وكذا[1] .

والريق هو الريل . والريل ليس نجسا عند الفقهاء ، لأنهم لا يتيقنون من خروجه من الجوف وموضع الطعام ، وإنما يجتلب من موارد الفم ، ومجارى الريق . ولو حكم بنجاسته لشق ذلك على الناس .

---

(١) كذا فى الأصل . والصواب غمر كما هو وارد فى القصيدة مما لا يقتضى هذا الشرح الذى لا مبرر له .

[٤٨] وَالطَّيْرُ حِلٌّ سُؤْرُهُ كُلُّهُ   وَخَزْقُهُ مِنْ كُلِّ ذِى ظُفْرِ

السؤر : ما بقى فى الإناء من الشراب بالهمزة . وسور البناء بلا همز .

قال الشاعر :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَضَعْضَعَتْ   سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ[١]

إشارة إلى الإناء إذا بقيت فيه بقية . ومنه ما روى عن النبى ﷺ : إذا شربتم فاسأروا[٢] .

عن الربيع : أن ما لا يؤكل لحمه من الطير ينقض خزقه . وقيل كل ما يحل أكله لا بأس بخزقه .

سِوَى الْعُقَيْبَاتِ وَأَوْلَادِهَا   وَأَجْدَلَ لَيْسَ بِذِى وَكْرِ

يقال : عقاب وعقيبات وهو القلوب . وهى ذوات المخالب .

وأجدل : نوع من الصقور ، وجمعه أجادل .

وعند أهل عمان : الأجدل ، الذى يخرج فى الإبل يرعى ويأكل نبق السدر ، وآخر القيظ .

يقال : خَزَق العقاب وسؤره نجس .

والغالب على العقاب التأنيث ، كما أن الغالب على الذباب التذكير . يقال عقاب وعقيبات ، ويقال للواحد . ذباب وأذبة ، وجمعه ذباب .

---

(١) هو عبد الله بن الزبير ، وكان مقتله يوم الثلاثاء ، لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعين (٦٩٢ م) .

(٢) ليس لهذه الرواية ذكر معروف فى كتب الأحاديث المعروفة .

[٤٩] كَذَاكَ خَرْقُ الْحُقْمِ رِجْسٌ إذَا   كانَ أَنِيساً غَيْرَ ذِى ذَعْرِ [1]

الأنيس : المستأنس . والذعر : الفزع . وخرق الحمام الأهلى ذرقه نجس ، وسؤره طاهر ، وريش الطير كله طاهر .

وذرق الحمام الوحشى لا يفسد ، إلا حمام مكة الوحشى ، فإنه قيل مفسد ، لأنه يرعى الكنف .

والأنيس : الذى يسكن مع الناس فى الدور والبيوت .

والطير الذى يفسد ذرقه ، فبيضه لا يفسد ، إلا أن يكون فى البيض شىء من الدم .

[٥٠] وَغُرَّةُ الدِّيكِ فَرِجْسٌ وَمَا   فِى سُؤْرِهِ بَأْسٌ لِذِى حَضْرِ

وفى الحديث عن النبى ﷺ : لعن بائع العذرة ومشتريها [2]. وغرة الديك: مفرقه .

وعن النبى ﷺ : إياكم ومشارة الناس ، فإنها تدفن الغرة .

والغرة العين معجبة الحسن . والغرة القبيح .

والدجاج إذا كان يرعى ويأكل القذر ، فهو نجس ويقال: الدجاج خنازير العرب ؛ لأنها لا تدع شيئاً من القذر إلا أكلته . وإن كان محبوسا فليس قذره بشىء ، ولا سؤره نجسا .

---

(١) الحقم هو الحمام الأهلى .

(٢) لم أعثر لهذا القول على رواية فى كتب الحديث . وكذلك من القول المنسوب للرسول عليه السلام بعده .

[٥١] إنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوقِ مِنْقَارِهِ شَيْءٌ مِنَ النَّتْنِ لَدَى النَّقْرِ

النتن : القذر ، والنتن : الريح الخبيثة ، والنقر : المنقار .

وقال : لدى النقر : أى عند النقر ، وهو تناوله الشيء من الماء وغيره بمنقاره .

[٥٢] وَكُلُّ سَبْعٍ سُؤْرُهُ مُفْسِدٌ وَمَسُّهُ مُخْضَوْضَلَ الشَّعْرِ

السباع معروفة ، مثل الذئب ، والضبع ، والنمر ، والكلاب ، وغير ذلك .
وإنما سميت سباعا لأنها تسبع فى الليل ، أى تطلب المأكل .

والسباع من الطير كل ذى ناب ومخلب ، مثل الغراب والرخم ، والعقاب الذى يرعى الجيف والميتة .

وقوله مخضوضل الشعر : المخضوضل : الرطب والندى . أى وشعر السباع نجس ، وكذلك شعر الكلاب ، كان رطبا ، أو يابسا فهو نجس .

واستثنى الصيد من الوحش من الظبي والأرنب ، وما أشبه ذلك مما يصاد ويؤكل .

[٥٣] قِيلَ سِوَى الصَّيْدِ وكلبِ الَّذِى كَلَّبَهُ بِالأَمْرِ وَالزَّجْرِ

واستثنى كلب الصيد المكلب ، يعنى المعلم ، الذى كلبه صاحبه ، أى علمه بأمره ، وزجره .

وكلب الصيد فيه اختلاف : فبعض المسلمين جعله بمنزلة الكلاب ، وألحقه بها فى سؤره ومسه ، وبعض ذكر أن سؤره ومسه ليس بنجس . والله أعلم .

وقيل فى الكلب إذا خرج من النهر وهو رطب ، والماء يجرى من شعره وجلده ، أن ذلك الماء طاهر غير نجس ، وجعله بمنزلة الماء الجارى . ولا بأس به .

وسؤر السباع كلها مفسد ، إلا الكلب المكلب فإنه قيل لا يفسد سؤره ، ولا من مسه وهو رطب .

قال أبو محمد[1] : عندى أن الكلاب لا تنتقل حاله لصيانة أهله عن حكم الكلاب من أن يكون سبعا ، فإنه يقطع الصلاة ، وسؤره نجس . والله أعلم .

[٥٤] وَالْفَارُ وَالسِّنَّوْرُ سُؤْرُاهُمَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ بِلَا شَجَرْ

الشجر : الاختلاف فى الاختلاط ، ومنه قوله تعالى : « حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ »[2] ، أى اختلط ، وسميت الشجرة شجرة لاختلاف أغصانها .

واختلف الناس فى سؤر الهر والفأر ، فقال بعضهم : سؤر الهر نجس كسؤر الكلب .

وقال آخرون طاهر ، واحتج هو بما روى عن النبى ﷺ أنه كان يضع الإناء إلى الهر ليشرب ، والفأر مثله . ومن ذهب إلى تطهيرها كان الفأر من الهوام .

---

(١) أبو محمد هو الشيخ الفقيه الفضل بن الحوارى وكان معاصرا لعزان بن الصقر وكان يضرب بهما المثل فى العلم والفضل فى عمان .

(٢) الآية مدنية رقم ٦٥ من سورة النساء .

[٥٥] رَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْهُدَى   وَشَدَّدَ البَاقُونَ فِي الأَمْرِ

وأنه وحشى ، وأن البلوى به كثيرة ، ولا يمكن الناس التوقى من سؤره وبعره .

وقد ألحق كثير من الناس الفأر بالسنور فى حكم الطهارة .

ومن حجة من طهره أن حكمه فى الأصل الطهارة ، فمن ادعى أنه نجس، فعليه الدليل .

وكان محمد [١] بن محبوب يقول : إن بعر الفأر لا يفسد ، ومختلف فى قرضه الثوب وغيره .

[٥٦] وَمَخْطَمُ السِّنَّوْرِ إِمْسَاسُهُ   يَذْهَبُ مِنْ ذِى الطُّهْرِ بِالطُّهْرِ

الطهر : هو الوضوء ، وكان بعض المسلمين يكره مخطم السنور [٢] ، ولم ير به أبو محمد بأسا .

ولا فرق بين مخطمه وفمه ، وسائر جسده ، ولا يفسد منه سؤره ، ولا نفطه ، ولا دموعه ، متوضئا ، ولا غير متوضىء ، ولا يفسد منه غير طرحه وبوله .

[٥٧] وَالْفَارُ إِنْ بَالَ فَرِجس إذا   مَا بَالَ فِي الْحُبِّ أَوِ التَّمْرِ

[٥٨] وَقَرْضُهُ الثَّوْبَ وَإِبْعَارُهُ   رِجْسٌ مَعَ الْبَادِينَ وَالْحَضْرِ

قرض الفأر الثوب نجس ، وكذلك قرض الأمحاة ، والأجدل ، وفى قرض الفأر نجس .

---

(١) وهو ابن العلامة محبوب بن الرحيل ، وهو المعروف بأبى عبد الله ، أما أبوه فمعروف عند المشارقة بأبى سفيان القرشى الصحارى ، من علماء الطبقة الثانية .

(٢) السنور هو القط ــ والخطم هو مقدم الأنف والفم ، ومن الطير المنقار .

[٥٩] وَقَالَ بَعْضٌ إِنْ يَكُنْ وَاقِعاً   فِي الدُّهْنِ مِنْ ثُلْثٍ إِلَى عُشْرِ
[٦٠] فَمَا بِهِ بَأْسٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ   شَطْرًا وَكَانَ الدُّهْنُ فِي شَطْرِ
[٦١] وَمَا بِهِ فِي الرُّزِّ بَأْسٌ وَلَوْ   أَنْضَجَهُ الطَّبَّاخُ فِي الْقِدْرِ

تقول: أرز ، وأرز ، ورز ، ورز ، أربع لغات، وإذا وجد بعر الفأر مطبوخا في الأرز ، فبعض كره ، وبعض لم يكره .

قال أبو عبد الله : إن وجدته في لبن ، فلا أشربه، وقوله : إذا لم يكن شطرا معناه إذا كان في شطر ، وقد تكون بمعنى كان ، لأنه إذا لم يكن فكأنه يقال أن يكون ذلك فقط .

وبعر الفأر إذا وقع في سمن مائع ، أو دهن ، أو عسل ، فعلى قول يفسد ، وقول آخر : حتى يكون عشرا إلى ما أكثر ، ثم يفسد .

ولا بأس بالفأر إذا وقع في الخل وأخرج حيا ، وكذلك في الماء والدهن والسمن .

وما جرى هذا المجرى ، وقال بعض : قذر ، ولا بأس به .

والشطر : الناحية والجانب . قال الله تعالى : « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ »[1] ، أي نحوه وقصده، والشطر : بعض الشيء . يقول: هذا شطر هذا، أي نصفه .

[٦٢] وَاسْتَقْذَرُوا الْفَأْرَ بِلَا حُرْمَةٍ   خُرُوجُهُ حَيًّا مِنَ الْجُحْرِ

استقذروه إذا خرج حيا من ماء ، أو خل ، أو دهن، وما جرى هذا المجرى بلا حرام ، ونصب حيا على الحال .

(١) الآية مدنية رقم ١٤٤ من سورة البقرة .

[٦٣] وَمُفْسِدٌ سُؤْرُ الْأَمَاحِي مَعَ الْـ أَوْزَاغِ وَالْأَرْقَمِ ذِي الزِّرِّ

سؤر الإمحاة والأوزاغ والأرقم الحية ، ذى الزر ، أى ذى البزاق .

والوزغ بلغة أهل عمان : اللغ[1] ، وهو دويبة تمشي على أربع ، وفى ظهرها خطوط ، وظهرها أغبر . وصنف منها أوحش من هذا الجنس . أحمر صاحب له عينان ثابتتان ، وله غراغر فى حلقه . وطرح هذا كله نجس . وهو يسكن البيوت والمساجد .

وسؤر اللغ الذى يكون فى البيوت نجس ، والحية والأماحى نجس .

وإن لدغت واحداً وهو متوضئ انتقض وضوؤه .

[٦٤] كَذَاكَ مَا مُتِّنَ بِهِ فَاسِدٌ فَاسْمَعْ وَمَا سَمْعُكَ ذَا وَقْرِ

يقول : كل ما متن فى شىء هـذه الذى ذكرتها من الأماحى ، والحية ، والأوزاغ ، وجميع الهوام مما له دم . فتن فيه ، فقد أفسدته .

والوقر : بفتح الواو الثقل فى الأذن . ومنه قوله تعالى : « وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ »[2] ، أى صمم . يقال منه : وقرت أذنه وهى موقورة ، إذا كان لا يسمع شيئاً .

[٦٥] وَخَزْقُهَا رِجْسٌ وَرِجْسٌ مِنَ الـ ضِّفْدَعِ إِنْ جَاءَتْ مِنَ الْبَرِّ

وَخَزْقُهَا أى طرح الأماحى، والأوزاغ ، واللغ، والحيات ، وما تقدم ذكره نجس . وطرح الضفدع إن جاءت من البر نجس والضفدع القرة .

---

(١) هو المعروف باسم البرص بضم الباء .

(٢) الآية مكية رقم ٥ من سورة فصلت .

وإذا ماتت فى وعاء فيه خل ، فإنه ينجس . وبعرها وبولها إذا جاءت من البر نجس ، ولا بأس به إن جاءت من الماء .

وإن ماتت فى المـاء ، لم تفسده ، وإن ماتت فى طعام أفسدته . وإن ماتت فى قدر أفسدت ما طبخ فيها .

[٦٦] وَمَا بِهِ بَأْسٌ وَلَا بَوْلُهَا يُفْسِدُ إِنْ جَاءَتْ مِنَ النَّهْرِ
[٦٧] وَمَا بِهِ مَاتَتْ فَرِجْسٌ سِوَى الْمَاءِ لِذِى الْقِلَّةِ وَالْكَثْرِ
[٦٨] وَكُلُّ مَا لَا دَمَ فِيهِ فَمَا فِيــــهِ فَسَادٌ يَا أَبَا النَّضْرِ

وكل ما لا دم فيه مثل العقرب ، والدبى ، والخنفساء ، والصرصر ، والجعل ، والذرة ، والسقاط ، والعنـكبوت ، والصراخ ، لا يفسد ما ماتت فيه من طعام ، أو ماء ، أو دهن ، أو خل ، أو غير ذلك .

[٦٩] وَمَا بِيُبْسِ الْمَاءِ مُسْتَـكْرَهٌ مِنْ كُلِّ مَا صِينَ مِنَ الْحُمْرِ

وقوله : وما بيبس الماء مستـكره ، ويبس المـاء هو العرق من الدواب . وقيل إن الإبل أول مايبدو عرقها أسود ، ثم يصفر ، وهو كما [قال الشاعر][1]:

• يَصْفَرُّ لِلْيُبْسِ اصْفِرَارَ الْوَرْسِ •

وفى الأثر من كتاب الضياء[2] . ولا بأس بعرق الإبل ، والبقر ، والغنم ، ذكورهن ، وإناثهن فى حين جريهن ، وبعد جريهن ، وسؤرهن ، وكذلك لا بأس بسلح الإبل ، والحمر جمع حمارة .

(١) مكانه بياض فى الأصل .
(٢) مؤلفه سلمة بن مسلم العوبى الصحارى ، وهـو من طاحية ، علامة مشهور ، وفقيه مذكور ، صاحب كتاب أنساب العرب ، وقد عاش فى القرن الخامس الهجرى .

[٧٠] وَالْإِبِلُ وَالْخَيْلُ وَمَا لَمْ تَصَنْ أَعْرَاقُهَا مُفْسِـــدَةٌ عَمْرِي

الأعراق : جمع عرق وهو ما جرى من ماء الجلد . عرق يعرق عرقا .

وإذا صينت هـذه الدواب من الأنجاس ، وربطت على معالفها ، فلا بأس بعرقها .

وقوله : عمرى ، أراد به القسم . وقيل: عمرى دهرى . وفى اليمين قوله تعالى: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »(١) .

واختلفوا فى أعراق ما لا يحبس ، ولا يصان منها . قال أبو الحسن(٢) : أحب من لم ينجس ، لأنه إذا كان ظهرها طاهرا ، فلا ينجس عرقها .

[٧٠] وَقِيلَ لَا بَأْسَ بِأَرْوَاثِهَا مَعًا وَبِالشَّاةِ وَبِالْبَقَرِ

يقول : لا بأس بأرواث الإبل والخيل والحمير ، وبأرواث الشاة ، والبقر . والبقر جمع بقرة .

وفى نسخة : وقيل لا بأس بأسوارها يعنى سؤر هـذه المذكورات . وروث ما يؤكل لحمه ، غير نجس . الدليـل على ذلك : ما روى أن الجن اشتكوا إلى النبى ﷺ قلة الزاد ، فقال عليه السلام: كلما مررتم بعظم ، فاذكروا اسم الله عليه ، فهو لكم لحم عريض، وكلما مررتم بروث، فهو علف لدوابكم . قالوا : يارسول الله إن بنى آدم ينجسون علينا ، فنهى النبى ﷺ أن يستنجى بالروث والرمة .

---

(١) الآية مكية ٧٢ من سورة الحجر .

(٢) هو على بن محمد بن على من قرية بسيا من أعمال بهلى ، عالم عامل .

[٧٢] وَالإِبِلُ مَا مَحَتْ بِأَذْنَابِهَا   رِجْسٌ كَرِجْسِ الْقَيْءِ فِي الْقِدْرِ

محت : ضربت . والإبل إذا ضربت بأذنابها من سلحها ، فهو مفسد ، ومن طار به شىء من ذلك لا يعلم أنه مما ضربت به من أذنابها ، فلا فساد عليه ، حتى يعلم .

ومعنى كرجس القىء فى القدر ، أى هو مثل نجاسة القىء فى القدر .

[٧٣] وَالْمَاءُ مِنْ أَكْرَاشِهَا مُفْسِدٌ   مُكَرَّهٌ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ

ومن أكراشها : يعنى من أكراش الدواب التى مضى ذكرها ، ما خرج من فيها من ماء أو علف فهو نجس .

والسهل : ما سهل من الأرض ، ولم يكن حزنا . والوعر ما صلب وخشن . يقول : وعر السبيل أى الطريق . وعر وعرا . وهو وعر ، وجمعه وعور .

قال الشاعر :

أَقَامُوا ضِفَاءَ الْخَلْقِ وَصَانُوا حِمَى الْعُلَا
وَأَلْقَوا يَدَ النُّعْمَى عَلَى الْوَعْرِ وَالسَّهْلِ[1]

[٧٤] وَبَعْضُهُمْ رَخَّصَ فِي قَيْئِهَا   مَعْ شَرَرٍ مِنْ بَوْلِهَا نَزْرِ

رخص بعض المسلمين فى الجمال والشرار الذى يطير من بولها ، ما لم يسبغ القدم . ويوجد ذلك عن الربيع بن حبيب[2] . ومختلف فى رجع الأنعام .

(١) كذا فى الأصل ، والبحر هو الطويل وفى الشطر الأول كسر .

(٢) هو الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدى الفراهيدى العمانى البصرى ، فقيه مشهور ، من أهل الباطنة من عمان ، أدرك جابر بن زيد وحمل عنه العلم .

وعن أبي عبد الله(١) لو رجع الخيل والحمير وما لا يجتر فلا بأس به .

وكان القياس أن يكون رجيع ما لا يؤكل لحمه نجسا .

والشرر الذى يطير من بول الإبل ما لم يسبغ القدم ، لا بأس به

قال الشاعر :

وَمَا اللَّيْلُ بِالمُزْدَادِ طُولًا إِنَّمَا ... تَمَلُّ دُجَاهُ مُقْلَةٌ نَوْمُهَا نَزْرُ(٢)

أى قليل .

[٧٥] وَلَمْ يَرَوْا بَأْسًا بِأَرْوَانِهَا ... مِنْ كُلِّ حَرْجُوجٍ وَمِنْ جَفْرِ

لا بأس بسؤر الإبل والخيل والحمير ، ولا بأس بالطهارة والوضوء منه والشرب ، ونفط الحمار من أنفه ، وزبله ، ودسمه ، وروثه ؛ لا بأس بذلك كله .

والحرجوج الناقة والقادة القلب . والجفر : الفحل من الإبل الذى قد جفر ولم يبق فيه ضراب .

وسألته عن أعراق الدواب ، والإبل ، والحمير ، وأرواثها ، ولعابها ، وما يخرج من مناخيرها فقال : لا بأس بذلك كله .

[٧٦] وَحَرَّمُوا الْقَمْلَ وَمَا مَسَّهُ ... وَرَخَّصُوا فِي الصُّوْبِ وَالذَّرِّ

القمل هوامّ ابن آدم ، والصُّوْب بيضه .

---

(١) هو الإمام محمد بن محبوب .

(٢) المقلة هى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، أو الحدقة ، والمراد العين .

(٣) جمع عرق بفتح الراء وهو الماء الذى يخرج من مسام الجلد .

قال الشاعر :

تَرَى الصِّبْيَانَ عاكِفَةً عَلَيْهِ ‏ ‏ ‏ ‏ كَعَنْفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا

والقدر النمل الأسود والأحمر فى القمل ، ودم القمل نجس، يفسد قليله وكثيره.

[٧٧] وَكُلُّ شَيْءٍ مَسَّهُ مُشْرِكٌ ‏ ‏ ‏ ‏ أَفْسَدَهُ رَطْباً مَدَى الدَّهْرِ

كل شيء رطب مسه مشرك أفسده . قوله مدى الدهر . المدى : الغاية . والدهر . قيل : مرور الأيام والسنين ، وقيل مرور الليالى والنهار .

[٧٨] قِيلَ وَلَوْ نَظَّفَ أَطْرَافَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِالْمَاءِ وَالْأُشْنَانِ وَالسِّدْرِ

يقول ولو غسل أصابعه وكفيه ، وأطراف الأصابع . والسدر : يعنى ورق السدر وهو الغسل .

فَإِنَّهَا إِنْ عَرِقَتْ أَفْسَدَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ مَا مَسَّ مِنْ طِيبٍ وَمِنْ عِطْرِ

الماء فى إنها راجعة إلى الأطراف . وقد وجدت فى الأثر : أن المجوسى إذا غسل يديه غسلا جيدا ، وعجن للمسلم عجينا ، أن ذلك جائز .

وكذلك اليهودى والنصرانى ، إن غسل يده ، ثم عرقت من بعد ، فقد أفسدت ما مست .

[٧٩] وَاللَّحْمُ لَا تَأْكُلْهُ إِنْ حَا ‏ ‏ ‏ ‏ زَهُ عَنْكَ مَجُوسِيٌّ وَرَا جُدْرِ

المجوسى: منسوب إلى المجوس . يقال إن المجوس وهى فارسية معربة ، وأصله مركوس . وذلك أنهم نسبوا إلى رئيس لهم كان كثير شعر الأذنين ، فقالوا له

بالفارسية موكوس، ثم عربت الكلمة موجوس، ثم أسقطوا الواو وقالوا مجوس. ثم قالوا فى النسبة : مجوسى .

يقول : لا تأكل لحما من عند مجوسى ، قد حازه ومنعه ، وواراه عنك جدر.

[٨٠] وَلَيْسَ فِي بَيْعِهِمْ يَابِسًا   بَأْسٌ وَلَا قَوْلٌ لِمَنْ يَزْرِ

يقول : ليس ما باعوه من الفاكهة اليابسة وغيره من اليبوسة بأس ، وما باعوه من الرطوبات أو مسُّوها ، فهى مفسدة .

وقوله يزر : أى يعيب . تقول : زرى يزرى فهو زار .

قال الشاعر :

كالثَّعْلَبِ السَّارِى إلَى عُنْقُودِهِ   لِيَنَالَهُ فَصَفَى وَأَعْيَا الثَّعْلَبُ

[وقال آخر] :

هٰذَا حَامِضٌ وَاحَبَّةٌ مِنْـ   ـهُ أَلَذُّ وَأَطْيَبُ

[٨١] وَالثَّوْبُ مَقْمُوطًا يُصَلَّى بِهِ   إنْ بَاعَهُ لَيْسَ بِذِى نَشْرِ

نصب مقموطا على القطع ، والمنشور المفتوح . تقول نشرت الثوب إذا فتحته. وما باعه من الثياب المقموطة، فلا بأس بها، وما كان منشورا ، فلا يصلى فيه.

[٨٢] وَبَيْعُهُ الدُّهْنَ حَلَالٌ إذَا   لَمْ يَمْسَسِ الدُّهْنُ مِنَ الخِدْرِ

يقول : يمس ويمسس . والهاء فى بيعه راجعة إلى الذمى والمشرك .

وتقول جائز الشراء من عند الذمى الدهن ، إذا كان فى الظروف مسدودا غير مفتوح .

والخدر : الستر . وهو ها هنا الظروف وغيرها .

وقيل: لابأس بالأدهان التي يبيعها المشركون إذا لم يعلم أنهم مسوها بأيديهم، لأنها تحمل من بلاد الإسلام في قوارير الزجاج ، وينتقل في مثلها . فأما ما كانوا يتولونه بأيديهم ، فلا .

[٨٣] وَقِيلَ لَا بَأْسَ بِخَيَّاطِهِمْ   مَا لَمْ يَبُلُّ الْخَيْطَ بِالثَّغْرِ

تفسير البيتين . الثغر : الفم .

[قال الشاعر] :

وَبِثَغْرٍ ذِى عَوَارِضَ غُرٍّ   مِثْلُ دُرُّهُنَّ كَالْأُقْحُوَانِ(١)

كره أبو عبد الله محمد بن محبوب ، الغسّال من أهل الكتاب ، والخياط ما لم يبل الخيط بريقه .

[٨٤] كَذَلِكَ الْغَسَّالُ أَيْضًا   وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ أُولُو وَعْرِ

الوعر: المكان الصلب . يقول: وعر السبيل، وهو وعرة. استعار أهل الوعر لأهل التشديد .

واختلفوا في غسال أهل الكتاب ، ولا نقول ذلك ، وتقول : وعر المكان إذا صار وعرا .

قال الشاعر :

هُوَ الْمَنْزِلُ الْآلَافُ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ
بَنُو أَسَدٍ حَزْنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْ وَعْرًا

(١) الأقحوان بالضم هو البابونج والعوارض الغر ، أى البيضاء .

[٨٥] وَمَا جُلُودُ الْمِسْكِ إِصْرٌ وَمَا فِى دُهْنِهَا إِنْ بِيعَ مِنْ إِصْرِ

الإصر : الإثم . والإصر : العهد . وإنما سماه إصرا ، لأن النجاسة تقبله على القلب .

وكره الربيع ، ومحبوب ، ومحمد بن محبوب دهن المسك الذى توضع الجلود فيه ، وكثير من الفقهاء .

وكان أبو عبيدة ، وأبو حفص ، وأبو زياد ، لا يرون به بأسا . وربما دهنوا به .

وقيل إن أبا عبيدة ، قال : لا أطيب امرأتى بشىء أحب إلىّ منه .

وعن النبى عليه السلام أنه قال: أطيب الطيب المسك[1]. والمسك من الطيب مكسورة الميم ، يقال فاح المسك .

[٨٦] وَكُلُّ شَىْءٍ طَاهِرٍ أَصْلُهُ فَهْوَ عَلَى سَيَسَانِهِ يَجْرِى

وفى خطبة لعائشة[2] رحمها الله تصف أباها أبا بكر رحمه الله ، وتذكر فعل

(١) رواه أبو داود الطيالسى وأحمد والحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد .

(٢) عائشة أم المؤمنين ، وزوج رسول الله الأمين ، بنت أبى بكر الصديق ، القرشية التيمية ، أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر . وقد ولدت عائشة بعد بعثة الرسول بأربع سنين أو خمس ، وتزوجها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالمقدقبل الهجرة بسنتين فى شوال وهى ابنة ست سنين ، وبنى بها وهى ابنة تسع ، كما رواه مسلم والنسائى عنها .

وقد روى أبو عمرو بن السماك أن عائشة قالت : إنى لأفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بأربع ، ابتكرنى ولم يبتكر امرأة غيرى ، ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل على إلا فى بيتى ، ونزل فى عذرى قرآن يتلى ، وأتاه جبريل بصورتى مرتين قبل أن يملك عقدى .

وقد روى الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريتك فى المنام قبل أن أتزوجك مرتين ، وروى الترمذى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاءنى بك جبريل فى خرقة خضراء ، فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة .

قريش عنده : فما ذلوا له صفاة ، ولا قصفوا له قناة ، ولا قصوا له كتيبة ، فمر على سيسانه حتى ضرب الدين بجرانه[١] .

قولها على سيسانه ، أى على طريقته . وفى الأثر : كل شىء على حكم الطهارة ، حتى تصح نجاسته ، وكل شىء نجس ، فهو على حكم نجاسته ، حتى تصح طهارته .

[٨٧] وَالشَّاة إن بَالَتْ عَلَى ضَرْعِهَا   فَطَهَّرَهُ التُّرْبُ لَدَى الطُّهْرِ

والشاة يقع ضرعها فى بول أو غيره ، فإذا يبس ، وتقلبت به فى التراب ، وذهب ذلك منه ، فقد طهر ، وإن لم يغسل بالماء . وكذلك كل ما يقع فى الدواب من النجاسات .

[٨٨] كَذَلِكَ النَّعْلُ إذَا اسْتَنْجَسَتْ   وَالْخُفُّ وَالسُّخْدُ مِنَ السَّطْرِ

والسخد ماء ساخن يخرج بخروج الولد .

ومن وطئ بنعليه فى نجاسة ، ولم تلحق النجاسة بالنعل ، فإذا خطا بها سبع مرات طهرت . وإن لصقت النجاسة بها طهرت بالماء ، ما دام لها عين قائمة .

وعلة من قال بتطهير النعل بغير غسل ، قول النبى ﷺ : أيما إهاب دبغ فقد طهر[٢] .

ومن وطئ على بول يابس ، أو عذرة يابسة وأثره رطب ، فلا بأس به .

[٨٩] قِيلَ وَمَا اسْتَنْجَسَ مِنْ كُلِّ مَا   يَنْشَفُ مِنْ قِذْرٍ وَمِنْ جَرٍّ

وينشف معناه يشرب المـــاء . والقدر بكسر القاف : قدر الطين ها هنا ، لا قدر الصفر .

---

(١) الجران هو العود .

(٢) رواه الشافعى وعبدالرزاق والترمذى عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمر، حسن صحيح.

[٩٠] بَالَغْتَ فِي الْغُسْلِ لَهُ حَسْبَ مَا أَدْرَكْتَ مِنْ جَهْدِكَ فِي الْقَدْرِ

القدر بفتح القاف : الاجتهاد ، لا قدر الصفر . والجرار هي جرار الخزف . والجرار : الأوعية التي يشرب فيها الماء إذا أفسدت ، أو كانت من آنية المجوس، وضع فيها الماء ، حتى يدخل مداخل الأول خمس مرات، ويبالغ في غسلها وعركها؛ وإن كان وعاء لا يدرك بالعرك ، خضخض بالمـاء ، واجتهد في عركه وغسله ، ولو كان من آنية الصفر والنحاس .

[٩١] وَبَاقِرُ الدَّوْسِ فَقَدْ رَخَّصُوا فِي بَوْلِهَا فِي سَاعَةِ الْحَصْرِ

وإنما قالوا ما كان في حال الدوس لا يحكم بنجاسة الحب لاختلاط التبن به، وعلو التبن عليه ، ومن شأن الحب النزول ، والتبن الارتفاع .

[٩٢] وَبَوْلُهَا فِي الْحُبِّ إِنْ أَوْزَغَتْ حِجْرٌ حَرَامٌ أَيُّمَا حِجْـــرِ

[٩٣] وَحَبْلُهَا إِنْ مَسَّهُ بَوْلُهَا وَهْيَ عَلَى الْمَرْجَلِ لِلزَّجْرِ

المرجل : بفتح الميم وكسر الجيم حيث يقف الزاجر . والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم القِدر من الصفر والنحاس والحجر .

مسألة :

وإذا وقع حبل الزاجر في البول ثم تمرغ بالتراب ، ثم وقع في المـاء ، فلا بأس به .

وإذا وقع في المـاء ولم يتمرغ بالتراب أفسده . وقال في الزاجرة تبول البقر في الحب ثم يجرى الرشا فيه ، ثم يجرى في التراب ويقع في المـاء . إنه لا بأس بذلك .

[٩٤] فَمَا بِهِ بَأْسٌ إذَا مَا جَرَى فِي التُّرْبِ بَعْدَ الْبَوْلِ وَالْعَفْرِ

[٩٥] وَيُفْسِدُ الْمَاءَ إذَا جَاءَهُ رَطْبًا عَلَى حَالَتِهِ يَسْرِي

نصب رطباً على الحال . وقوله : يسرى أى يجرى .

[٩٦] وَقِيلَ لَا بَأْسَ إذَا لَمْ يَفِضْ مِنْ دَمِ شَقٍّ كَانَ أَوْ عِقْرِ

العقر : الجرح ولعله بكسر العين . وبضم العين دية الفرج . والفعل عقر يعقر.

اختلف أصحابنا فى صفة الدم المسفوح ، فقال بعضهم : ما انتقل من مكانه وسفح إلى غيره . وأما ما كان ظهوره لا يتعدى الجرح الذى خرج منه ، فليس بمسفوح ولو امتلأ فم الجرح .

وقال بعضهم : المسفوح كل دم طرى . وأما دم القروح فلا .

[٩٧] وَالعَلَقُ الْجَامِدُ إخْرَاجُهُ مِنْ مِنْخَرِ الطَّاهِرِ لَا يَصْرِي

والعلق ليس بنجس حتى يكون دما مسفوحا ، والذى يخرج من الأنف غير مسفوح .

وقوله : لا يصرى : أى لا يقطع الوضوء .

[٩٨] وَبَوْلُ مَنْ يَرْضَعُ تَطْهِيرُهُ صَبٌّ بِلَا عَرْكٍ وَلَا عَصْرِ

واختلف الناس فى بول الصبى الذى لم يطعم الطعام . واتفقوا على أن بول الجارية نجس قبل أن تطعم الطعام .

قال أبو محمد : وعندى أنهما فى النجاسة سواء ، لما روى أن عليا[1] سأل

---

(١) هــو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، بويع بالخلافة سنة ٣٥ هـ .

النبي ﷺ ، عن بول الرضيع، فقال: ينضح بول الصبي بالماء، ويغسل بول الجارية.

[٩٩] والطهر للبئر إذا استنجست   نزحُ ثلاثينَ إلى عشرِ

[١٠٠] بِدَلْوِهَا ثُمَّ قَدْ استنظفت   هِيَ مَعَ الدَّلْوِ بلا حفرِ

قال الشيخ : والبئر إذا بقى منها دلو واحدة لم تنزح ، وفي ذلك اختلاف . قال بعض إنها تستفرغ بالنزح ، وقال بعضهم : إذا خرج منها ذلك الدلو فقد طهرت .

وإذا نزحت البئر عشر دلاء وفرغ ماؤها طهرت .

ومنهم من يقول إنها تجمم[1] حتى تستفرغ الأربعين .

[١٠١] وَقِيلَ لَا يُفْسِدُها مُفْسِدٌ   إنْ لَمْ تَكُنْ تَنْزَحُ مِنْ غزْرِ

والبئر إذا لم تكن تنزح فلا يفسدها شيء ، مثل الفأر والعصفور إذا ماتا فيها .

وعن ابن محبوب : إذا خرجت ولو ملأى ، ولو نصفا فلا يبخسها شيء مثل هذا ، والبحيرة التي لا تنقص قليلا ، ولا كثيراً . .

وقد روى عن النبي ﷺ في ماء البحيرة ، وهي الطوى[2] الكثيرة الماء . شبهها بالبحرى ، وأجرى على اسمها تصغير البحر .

عن أبي محمد[3] ولا بأس بما بقي في البئر من الرائحة إذا نزحت على ماقال به المسلمون .

---

(١) أي تترك حتى يجتمع ماؤها فتنزح .

(٢) أي البئر .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عمر السمائلي فقيه ، عماني المشهور .

[١٠٢] وَلَيْسَ يُنْتَنْجَسُ مَاءٌ إِذَا مَا كَانَ فِي المِقْدَارُ وَالجَزْرِ
[١٠٣] كَأَرْبَعِينَ مِنْ جِرَارٍ إِذَا قَدَّرْتَهَا مِنْ أَوْسَطِ الجَرِّ

الجرار هى القلال . وقيل عن الربيع إذا كان الماء بقدر أربعين قـــلة ، لم ينجسه شيء .

وقال أبو صفرة[1] : والقلة : الجرة الـكبيرة . والقلة تسعة عشر مـكوكا بالصاع .

أبو محمد . القلة فى لغة العرب ما يقل بالأيدى ، والـكوز يسمى الجرةالصغيرة والـكبيرة أيضا يقع عليها اسم قلة .

وقال الشاعر :

وأقفر من حضارة ورد أهله وإن كان يسقى من قلال وحنتم

الحنتم صروف النبيذ ، وهى الخضرة .

وأ كثر قول أصحابنا أن القلة هى الجرة التى يحملها الخدم فى العادة الجارية .

والقلة مأخوذ من استقل فلان بحمله ، وأقله ، إذا أطاقه وحمله .

والجرة : الحب الـكثير الذى لا يستطيع القوى من الرجال أن يقله ويحمله ، ويدل على هذا ، لعله قول الشاعر :

فَظَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَّـكَانَا وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَلِهِ

(١) هو عبد الملك بن صفرة الأزدى العمانى عالم وفقيه وهو الذى رتب كتب جابر بن زيد ... بن السائب الندبى العمانى فى الحديث .

[١٠٤]وَإِنْ يَكُنْ لَيْسَ بِمُسْتَجْمِعٍ وَكَانَ فِى الرَّمْلِ أَوِ الصَّخْرِ
[١٠٥]مُتَّصِلاً طُولاً فَحَرَّكْتَهُ لَمْ يَضْطَرِبْ عَبْراً إِلَى عَبْرِ

العبر : الجانب . والعبر : شط الوادى . وتقول بلغ المـاء عـبر الوادى أى جانبيه .

وكل ماء قائم إذا حرك من طرفه ، لم يتحرك من الطرف الآخر ، فقد جاء الأثر أنه كثير ، ولا ينجسه شىء .

سمعت أبا يوسف[1] يفسر ما ينجس من الماء ، مما لا ينجس ، فقال : هو أن يكون فى حوض عظيم ، أو غدير ، وما أشبه ذلك ، فيبلغ من كثرته إذا حرك منه جانب ، لم يضطرب الجانب الآخر ، فهذا عنده لا يحمل نجسا ، فإن بلغ اضطرابه الجانب الآخر ، فهو نجس .

ولا أعلمنى إلا وقد سمعت محمد بن الحسن[2] يقول ذلك أو نحوه .

وقال أصحابنا وكل ما حرك من طرف رجع ، ولم يتحرك من الطرف الآخر ، فقد جاء الأثر أنه كثير ، ولا ينجسه شىء .

مسألة :

التقدير فى حركة الماء ، لا وجه له ، لأن الحركة تختلف [من] حركة الثقيل ، وحركة الخفيف ، مثل الماء الكثير إذا حرك من أوله ، لم يتحرك من آخره .

(١) أبو يوسف هو يعقوب بن محمد القاضى (١١٣ ـ ١٨٣ هـ) صاحب أبى حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، وتلميذه ، وكان أشهر من دون مذهب أبى حنيفه .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن الحسن النزوانى المحشى على كتاب جامع ابن جعفر ، عالم عمانى وفقيه .

[١٠٦] وَلَيْسَ يُسْتَنْجَسُ أَيْضًا وَلَا يَنْجُسُ نَهْرٌ مَاؤُهُ يَجْرِى

ما وقع فى الماء من نجاسة فغير لونه ، أو طعمه ، أو رائحته ، أفسده ولو كان ماء جاريا ، مثل الفلج الذى يغسل فيه الكرش يوم النحر .

[١٠٧] حَتَّى تَرَى الرِّجْسَ لَهُ غَالِبًا فِى اللَّوْنِ وَالذَّوْقِ وَفِى النَّشْرِ

الذوق : هو الطعم ، وهو الذوق باللسان والشفتين ، والنشر : الريح . ويكون النشر فى النتن والطيب . وإذا كان ماء[١] يجرى فانقطع من أوله وآخره ، ويبقى يجرى من الوسط ، فهـو جار من الموضع الذى يجرى فيه ، وإذا حمل بعرة شاة، أو لفظة ، أو نحوها ، فهو جار لا يفسده من النجاسة إلا ما يغلب عليه .

وما ينقطع من السواقى بعد أن يرفع الفلج فلا بأس أن يتوضأ منه بلااستنجاء ولو لم يجر ، إذا لم يعلم به بأسا .

[١٠٨] وَمَا بِرِيحِ الْفَرْجِ بَأْسٌ إِذَا جَاءَتْ مِنَ الْغَانِيَةِ الْبِكْرِ

البكر والثيب فى هذا واحد . وإنما ذكر البكر لسبب القافية[٢] .

ولا نقض على المرأة فيما خرج من قبلها من ريح ، وينقض ما خرج من دبرها، لأنه مجرى الطعام .

قال هاشم الخراسانى[٣] : خرجنا إلى مكة فسمعت امرأة تسأل الربيع عن امرأة وجدت فى قبلها ريحا ، وتسمع صوتا . قال : لا بأس عليها ، وخروج الريح

(١) فى الأصل ، كتب الناسخ باقى الكلام بعد البيت الذى يليه .
(٢) وهى حرف الراء .
(٣) هو هاشم بن عبد الله الخراسانى . فقيه مشهور بالعلم ، وهو منسوب إلى خراسان .

من قبل المرأة لا ينقض طهرها ، لأن الريح لم تتصل بالجوف ، وتنفصل عن الطعام النجس فى الجوف .

وإنما ينقض خروجها من الدبر الذى هو مجرى الطعام النجس . هكذا قيل . والله أعلم .

[١٠٩] وَكُلُّ مَا يَخْرُجُ مُسْتَكْرَهُ رِجْسٌ مِنَ الْحُلْقُومِ وَالدُّبُرْ

الحلقوم : مجرى الطعام والشراب . قال الله تعالى : « فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ »(١) يعنى الروح ، روح ابن آدم . وقيل الحلقوم مجرى النفس .

وكل ما خرج من الحلقوم من طعام ، أو قىء ، أو ماء ، أو دابة ، فهو ينقض الوضوء .

كذلك ما خرج من الدبر ، من غائط ، أو دابة ، أو ريح ، أو صوت ، نقض الوضوء . وهذا ما لا اختلاف فيه من أصحابنا .

[١١٠] وَلَيْسَ فِى النَّظْرَةِ بَأْسٌ إِلَى الْكَفَّيْنِ وَالْوَجْهِ مَعَ الثَّغْرِ

الثغر : الفم . والنظر إلى أبدان النساء على العمد محرم ، إلا الوجه والكفين . وقال ابن محبوب : من نظر وجه امرأة ، أو كفها متعمدا ، لم ينقض وضوؤه ، فإن أبصر ساعدها متعمدا ، انتقض وضوؤه .

ومن رأى وجه امرأة تستتر منه ، فلا نقض عليه ، فإن نظر رجليها عمدا انتقض وضوؤه .

---

(١) الآية مكية رقم ٨٣ من سورة الواقعة .

[١١١] عَمْداً وَلَوْ أَدْخَلَ إِبْهَامَهُ فِي فَمِهَا وَهْوَ عَلَى طُهْرِ

نصب عمدا على خبر ليس[١] [فى البيت قبله] . والإبهام: الإصبع ، وجمعها أباهم .

ويمكن أن يكون نصب عمدا على الحال[٢] . وليس فى النظر إلى وجهها وكفها بأس ، ولو كان متعمداً لذلك .

وقال جابر بن زيد[٣] : إذا مس الرجل فرجه ، والمرأة فرجها بيديهما ، فليتوضآ .

وكان حيان الأعرج[٤] يقول : لا ينقض الوضوء مس الذكر ، إلا من حيث يخرج البول .

وكان أبو عبيدة يقول : القضيب كله ينقض الوضوء .

---

(١) كذا فى الأصل ، والصواب أن نصبه على التميز ، إذ أن خبر ليس هو شبه الجملة ، الجار والمجرور فى الشطرة .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو غير وارد حيث لا يوجد للحال صاحب الحال .

(٣) أحد أئمة السنة ، روى عن ابن عباس وابن عمرو روى عنه عمرو بن دينار ، وتوفى سنة ٩٣ هـ . وقد أمضى عمره فى البصرة مع أنه عمانى ، مثل أكثر زملائه من كبار التابعين ، وكانت البصرة أحد مراكز العلم فى ذلك الحين ، وقد عاش جابر بن زيد يجاهد لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل ، ويدعو الناس سرا وجهرا إلى الشريعة لتكون أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس ، وكان يبارك الثورة التى تطيح بالظلم ، ويكافح فى صبر وعزيمة طغيان الظالمين وأضاليل المبتدعين ، والإباضية يصدرون عن رأيه فى جميع أمورهم ، كما كان يصدر عنه كثير غيرهم من المسلمين ، ويعتبر جابر بن زيد من أول المؤلفين للكتب فى الإسلام وله كتاب اسمه ، ديوان جابر ، وهو مفقود . ويقال : إنه احترق ضمن ما حرق فى مكتبات بغداد إثر غزو التتار لبغداد .

(٤) واحد من الشيوخ الفقهاء الذين تلقوا العلم عن جابر بن زيد .

[١١٢] إنْ لمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ شَهْوَةٍ فَهْوَ بِهِ فِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ
[١١٣] وَالْمَسُّ لِلثُّقْبَيْنِ نَقْضٌ لَدَى الطُّهْرِ مِنَ الْخُبْرَةِ وَالْحُبْرِ

الثقبان هما السكوان من القبل والدبر ، والحبرة والحبر : الشابان الحسنان .

والحبر الثياب الملونة الحسنة .

وروى عنه ﷺ أنه قال : من مس فرجه قاصدا متعمدا ، وليس دونه ستر ، فليتوضأ[1] .

وحدث يزيد بن أبي حبيب[2] أن عائشة رحمها الله كانت تقول : من مس الفرج الأسفل والأعلى انتقض وضوؤه .

وقال جابر بن زيد : ومس الفرج بظاهر الكف لا نقض فيه ، على أكثر قول الفقهاء ، وإنما المس عندهم بباطن الكف .

[١١٤] وَمَا يَمَسُّ الْفَرْجِ بَأْسٌ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالطِّفْلِ ذَوِي الصِّغَرِ

ومس الفروج كلها ينقض الطهارة ، إلا ما لا حرمة له من فروج الدواب .

قال أبو محمد والنظر[3] .

---

(١) رواية الحديث بهذا اللفظ غير واردة في كتب الأحاديث ، والرواية المعروفة ، من مس فرجه فليتوضأ ، عن سبرة ، وعن جابر ، وعن أم حبيبة .

(٢) مولى الأزد ، روى عن بعض الصحابة ، وأكثر روايته عن التابعين ، كان مفتي أهل مصر ، وقد قال الإمام الليث بن سعد ، يزيد عالمنا وسيدنا ، وهو بربري الأصل ، أبوه من أهل دنقلة . ونشأ بمصر ، ويروى سعيد بن عفير ، أن زبان بن عبد العزيز أرسل إلى يزيد ، ائتني لأسألك عن شيء من العلم ، فأرسل إليه ، بل أنت فأتني ، فإن مجيئك إلى زين لك ، ومجيئي إليك شين علي ، توفي عام ١٢٨ هـ .

(٣) هو العالم الفقيه الشيخ أبو بكر أحمد بن النظر السموألي ناظم ديوان الدعائم .

[١١٥] مَا لَمْ يَكُنْ رَطْبًا وَفِى مَسِّهِ   فَرْجُ الْأُنَاثِى أَعْظَمُ الْوِزْرِ

يوجب أن يكون مس فروج الصبيان أيضاً ، ينقض الطهارة ، لأن لهم حرمة الإنسان .

وعنه فى موضع آخر : أنه لا نقض على من مس فرج صبى أو صبية ، إلا أن يمس الفرج [بشهوة][1] ، والوزر : ذنب وإثم . ومنه قوله تعالى : « فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا »[2] ، أى جبلا ثقيلا من الإثم .

وقوله تعالى : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ »[3] . قال أبو عبيدة : إثمك .

[١١٦] وَفِى الْمَمَالِيكِ بِلَا شَهْوَةٍ   إِمْسَاسُهُمْ حِلٌّ بِلَا عُقْرِ

وحكم العبيد الحبس وغيرهم ، من سائر المماليك فى الستر والنظر كحكم الناس وهم عراة ، كذلك الإماء لا بأس بمسهن ، ما لم يكن لشهوة ، فلا ينقض وضوء من فعل ذلك .

والعقر : الصداق . والأمة ليست كالحرة . إلا أن الأمة لا ينقض النظر إلى بدنها كله على العمد ، إلا النظر إلى السرة والركبة وما بينهما وكذلك المس ، إلا النظر إلى السرة ، ونفس الفرج المتعمد لذلك ينقض .

[١١٧] قِيلَ سِوَى الْفَرْجِ وَلَمْ يَجْعَلُوا   فِى الْحُرْمَةِ الْمَمْلُوكَ كَالْحُرِّ

[١١٨] وَالنَّظَرُ الْعَمْدُ حَرَامٌ إِلَى   حُرْمَةِ بَيْتٍ أَوْ إِلَى سِتْرِ

ومن نظر فى منزل قوم انتقض وضوؤه .

(١) مكانه بياض فى الأصل .
(٢) الآية مكية رقم ١٠٠ من سورة طه .
(٣) الآية مكية رقم ٢ من سورة الشرح .

وكان محمد بن محبوب يقول : من نظر إلى جوف منزل قوم متعمدا انتقض وضوؤه .

وقال أكثر الفقهاء غيره: لا نقض عليه حتى يتعمد النظر إلى حرمة فى المنزل .

وقال أبو على[1] : إذا نظر المتوضئ فى بيت قوم متعمدا ، فما أرى على وضوئه نقضا ، إلا أن يكون نظر فرجا متعمدا .

[١١٩] كَذَلِكَ إِنْ أَبْصَرَ طِرْسًا وَمَنْ أَصْغَى بِأُذْنَيْهِ إِلَى سِرٍّ

الطرس : الكتاب . يعنى كتاب غيره من كتب السر وغير ذلك ، إلا ما قد استثنوه فى دفاتر الحكام وكتب العلم .

ومعنى قولنا أصغى : أى مال بسمعه . وتقول : اصغ إلى حديثى ، أى أمل سمعك ، ومنه قوله تعالى : « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا »[2] ، أى مالت .

ومن نظر إلى عنوان كتاب أحد وقرأه ، فلا نقض عليه ، وكذلك من استمع سرًّا بين اثنين أو ثلاثة فى بيت قوم ، فقد انتقض وضوؤه .

[١٢٠] وَقِيلَ لا بَأْسَ إِذَا أَبْصِرَتْ دَفَاتِرُ الْحُكَّامِ وَالتَّجْرِ

التجر : جمع تاجر . وجمع التجر تجارة ومن نظر إلى دفاتر الحكام أو كتبهم الظاهرة ، فلا نقض وإن وصل كتاب إلى جماعة، فقرأه واحد منهم، فى مغيبهم، لم يفسد وضوؤه لأن هذا يجرى من عادات الناس ، وكلهم فيه شرع يقرأونه ، فإن قرأوه جميعا ، ثم أخذه واحد منهم ، فهذا يعرف من طريق التعارف بينهم .

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان من عقرنزوى . من علماء عمان المشاهير ، عاش فى القرن العاشر الهجرى .

(٢) الآية مدنية رقم ٤ من سورة التحريم .

[١٢١] وَاللَّيْلُ لِلنَّاسِ لِبَاسٌ مِنَ الْـ   أَعْيُن   فِى   الظَّلْمَاء   وَالْبَدْرِ

لباس أى ستر. ومنه قوله تعالى : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً[1]، أى سترا لكم.
وقوله تعالى : هُنَّ لِبَاسٌ لَكُم وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ[2] ، أى هن ستر لكم
وأنتم ستر لهن .

يقال لامرأة الرجل : هى لباسه وإزاره ، ومحل إزاره .

والنظر المحرم فى الليل والنهار سواء إذا تيقن الناظر ، وتبين له ما نظر من
المحظور عليه ولا فرق عندى من الليل والنهار .

والبدر : القمر . وسمى بدرا ، لمبادرة الشمس ليلة أربعة عشر . وقد سمى
بدرا لامتلائه وتمامه .

[١٢٢] وَمَنْ رَنَا فَرْجَ امْرِىءٍ بَالِغٍ   عَمْداً   فَمَا   أَوْلَاهُ   بِالْطُهْرِ

الرنو : إدامة النظر . تقول : رنا يرنو رنوا ، إذا أدمت النظر إلى الشىء .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : ملعون من نظر إلى فرج أخيه[3] .

وعن بعض الفقهاء أنه قال : لعن الله الناظر والمنظور إليه[4] عمدا . وذلك
إنما يكون فى المحارم . ومن ارتكب هذا ، فقد ارتكب كبيرا .

[١٢٣] وَمَا عَلَى الزَّوْجَيْنِ إِنْ أَبْصَرَا   ذَلِكَ   من   نَقْضٍ   وَلَا   إِصْرِ

النقض : فساد كل عمل من بناء وغيره . والنقض : اسم البناء المنقوض .

---

(١) الآية مكية رقم ١٠ من سورة سبأ .
(٢) الآية مدنية رقم ١٨٧ من سورة البقرة .
(٣) ليس لهذا القول رواية بين الأحاديث .
(٤) القائل هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد روى الحديث بدون لفظ (عمدا) رواه البيهقى والحسن مرسلا ، والديلمى عن ابن عمر .

والإصر : أصله الميثاق الغليظ ، وكل عقد وعهد فهو إصر، ثم يصير الإثم والوزر إصرا ، لأن صاحبه يحمله .

ومنه قوله تعالى : وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا[1] ، وهم اليهود والنصارى وهي للمواثيق .

[١٢٤] وَيَلْزَمُ النَّقْضُ الَّذِى مَسَّهُ   وَمَا عَلَى الْمَمْسُوسِ مِن وِزْرِ

وإذا مس الرجل فرج امرأته انتقض وضوؤه ، وإذا مست هي فرجه انتقض وضوؤها دونه ، وإنما النقض على الفاعل فقط . ولا إجماع في هذا ، ولكن هذا اتفاق من أصحابنا .

والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : من أفضى بيده إلى فرجه انتقض وضوؤه[2] . وعنه ﷺ : ويل للذين يمسون فروجهم ، ثم يصلون .

[١٢٥] وَتَنْقُضُ الطُّهْرَ بِإِمْسَاسِهَا   عِظَامُ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْخَبَرِ

الشرك في اللغة هو من أشركته في الأمر . والميت المشرك ينقض الوضوء ، وعظام المشرك إذا كانت يابسة أو رطبة ، وعليها لحم أو رطوبة ، فما خرجت منه وفارقته من النجاسة نقض وضوء من مسها ويده رطبة ، ويد الماس لها يابسة ، ولا نقض على وضوء ؛ لأن اليابسين إذا التقيا لم يأخذ أحدهما من صاحبه .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢) رواه الخطيب في المتفق والمفترق عن أبي هريرة بلفظ من أفضى بيده إلى ذكره فليتوضأ. ورواه الشافعي والطحاوي عن جابر بلفظ فيه زيادة: ليس بينهما ستر ولا حجاب .

[١٢٦] وَمَسُّهَا يَا بِسَةً جَائِزٌ وَاللهُ عِنْدَ السِّرِّ وَالْجَهْرِ

[١٢٧] وَكُلُّ مَيِّتٍ مَسُّهُ مُفْسِدٌ إِلَّا إِذَا طُهِّرَ لِلْقَبْرِ

ومس الميت ينقض الطهارة . بالسنة الواردة عن النبي ﷺ بقوله : مس الميت ينقض الطهارة[1] . واختلف أصحابنا فى الميت المؤمن .

وقال بعض لاينجس مسه . وقال أبو مالك[2] قد قيل فى مس الولى أنه لا ينقض وليس عليه العمل .

وقال أبو عبد الله محمد بن محبوب فى مس الميت هو ميت وإن كان وليا .

وقال أبو الحسن : حجة من لم ير النقض على من مس الميت .

[١٢٨] وَمَنْ تَوَلَّاهُ فَمَا مَسُّهُ مَيِّتًا بِمَكْرُوهٍ وَلَا حِجْرِ

المؤمن من قول النبي ﷺ : المؤمن لايكون نجسا . وفى خبر آخر : لاينجس حيا ولا ميتا .

وحجة من رأى النقض قوله ﷺ : مس الميت ينقض الطهارة ، قال فهو وإن لم يكن نجسا ينقض بالسنة . والله أعلم .

[١٢٩] وَكُلُّ مَنْ مَالَ عَلَى جَنْبِهِ وَغَطَّ وَاهِيَ الْعَقْلِ وَالْأَسْرِ

من اضطجع على جنبه ، وغط نخر ، والغطيط الشخار . والأسر : القوة . ومنه قوله تعالى « نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ »[3] ، يعنى خلقهم .

---

(١) كذا فى الأصل . ولم أعثر على رواية

(٢) هو الشيخ غسان بن الخضر الصلانى الصحارى . عالم عمانى مشهور .

(٣) الآية مدنية رقم ٢٨ من سورة الإنسان .

قال أبو عبدة : أمرهم شدخلقهم . النوم مع الاضطجاع . لقول النبي ﷺ: إنما الوضوء على من نام مضطجعا ، أنه ﷺ اتكأ فنام حتى غط . فنفخ ، ثم قام. فصلى ، فقلت له يارسول الله ، نمت. فقال ﷺ : إنمـــا الوضوء عند من نام مضطجعا(١) .

[١٣٠] وَكُلُّ مَنْ فَارَقَهُ عَقْلُه   بِسِنَةٍ جَاءَتْهُ أَوْ سُكْرِ

اتفق الناس على أن المتطهر إذا تغير عقله : انتقضت طهارته كان تغير عقله غشية أو جنونا ، قاعدا كان أو قائما .

وقال أبو الحسن من استند إلى شيء مما يمكن النوم عليه ، ونعس ، فأحب أن ينقض وضوؤه . والسكر نقيض الصحو .

[١٣١] فَلْيَتَطَهَّرْ نَاقِضاً طُهْرَهُ   فَالدِّينُ يُسْرٌ لَيْسَ بِالْعُسْرِ

يقول : الدين يسر أى واسع ، واليسر : الغنى والسعة . والعسر الضيق .

واليسر أيضاً السهل من كل شيء . ومنه قوله تعالى : ويسر لى أمرى .

[١٣٢] وَفِي الصلاتين لَدَى السَّفْرِ   تَيَمُّمٌ يُجْزِى وَلِلْـــــوَتْرِ

وقوله لدى السفر : أى عند السفر . معناه يجزئ تيمم واحد للصلاتين والوتر . إذا كان ذلك فى موضع واحد .

وتقول : سفَر مفتوح الفاء ، وسفْر مسكن الفاء . والتيمم بالصعيد ، أصاحه

---

(١) وتكملة هذه الرواية ، فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله رواه أبو دادود وقال منكر رواه الطبرانى الكبير والبيهقى عن ابن عباس .

التعمد ، يقال تيممتك ، وتأممتك . قال الله تعالى : « فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً »[1].

والتيمم فريضة فى كتاب الله عز وجل ، عند عدم الماء ، لا عذر لمن جهله .

[١٣٣] وإِنْ نَوىَ غُسْلا وَصَلى بِهِ أَجْزَاهُ فِى الَّليْلِ وَفِى الْفَجْرِ

معناه إن نوى تيمما لغسل من جنابة ، وصلى بذلك التيمم ماحضر فى وقت من الصلاة ، أجزأه ذلك ، كان تيممه فى الليل والفجر . والفجر ها هنا كناية عن النهار ما يلزمه من صلوات الليل . والله أعلم .

والفجر فى اللغة طلوع الصبح . كما تقول: انفجر الماء إذا طلع، وانفجر الصبح والنهار إذا طلع .

[١٣٤] وَلْيَتَيَمَّمْ إِنْ قَرَا أَوْ نَوَى تَطَوُّعاً فِى الْبَرِّ وَالْبَحْـــرِ

ومن يتيمم للطهارة فلا بأس أن يقرأ بذلك التيمم ، وأما صلاة نافلة ، أو جنازة ، أو فريضة ، فيتيمم لها . وإذا أراد أن يقرأ تيمم للقراءة . فإذا أراد أن يصلى نافلة تيمم لها أيضاً .

ومن أصول أصحابنا أن لـكل فريضة تيمما ، إلا فى حال الجمع .

قال الشيخ : وأما الشافعى[2] فيرى لـكل فرض تيمما ، كان جمعا أو إفرادا . وهو قول آخر .

---

(١) الآية مدنية رقم ٤٣ من سورة النساء .

(٢) هو محمد بن إدريس بن عباس صاحب المذهب المعروف ، وبنوشافع ومنهم الإمام الشافعى من بنى عبد المطلب بن عبدمناف ، وقد ولد الإمام الشافعى بغزة سنة ١٥٠ هـ.وذهب إلى مصر سنة ١٩٨ هـ بعد أن تلقى العلم فى مكة والمدينة وبغداد وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ وله فى القاهرة قبر معروف ومسجد باسمه .

[١٣٥] وَلَا تَيَمَّمْ بِرَمَادٍ وَلَا هَكَ وَلَا بِالْمِلْحِ فِي السَّفَرِ

التيمم لا يجوز إلا بالتراب دون غيره . لأن الخطاب من الله تعالى يدل على ذلك بالصعيد وحده .

والشيح[١] جائز التيمم به ، إلا شيح يؤلم الوجه مثل الملح .

ويجوز للرجل أن يحفر حفرة يخرج منها التراب من عدم[٢] التراب .

[١٣٦] وَلَا بِمَا اسْتُنْجِسَ أَيْضًا وَقَدْ جُوِّزَ تُرْبُ الْجِصِّ فِي الْقَفْرِ

ولا يجوز التيمم بتراب نجس . والجص[٣] : قد مضى فيه القول والاختلاف فيه ، ما لم تمسه النار .

والقفر : المكان الخالى. وربما كان به كلأ قليل . وأقفرت الأرض والدار من أهلها ، فهى قفر ، وقفار ، وأقفر فلان من أهله ، وبقى وحده منفردا عليهم .

قال الشاعر :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِى وَلَا يُعِيدُ

[١٣٧] وَلَا تَيَمَّمْ بِتُرَابٍ بِهِ كُنْتَ تَيَمَّمْتَ سِوَى مَرِّ

ومر هنا يعنى مرة واحدة . وقيل لا يتيمم الرجل من التراب الذى سقط من ضربته الأولى ، وأجازوا له الصلاة عليها ، والله أعلم .

ومعنى قوله : ولا تيمم بتراب كنت تيممت به . وذلك أنه يعنى به ما وقع

---

(١) نبات معروف ، يؤخذ نبته فيجفف ، ويصلح للتداوى من بعض الأمراض .

(٢) أى إذا عدم التراب .

(٣) الجص معروف ، مرب كج ، والجصاص متخذه ، والجصاصات المواضع يعمل فيها .

من يديه عند ضربة التراب بكفه ، فيخرج ذلك مخرج الماء المستعمل الذى يسقط من على أعضائه ، فلا يجوز به الطهارة .

وأما الموضع من التراب الذى تيمم منه ، فيجوز أن يتيمم منه دفعة أخرى .

[١٣٨] وَارْمِ بِكَفَّيْكَ الْهَوَى نَاوِيًا تَيَمُّمًا مِنْ عَدَمِ الْعَفْرِ

وإذا عدم التراب ، وذلك أن يكون فى ماء أو طين ، أو موضع لا يقدر فيه على التراب ، فقيل : له أن ينوى للتيمم ويصلى .

مسألة :

ومن أصابه الخب[1] فى البحر ، فلم يقدر على الوصول إلى الماء ، فإنه يتيمم من تراب المتاع ، فإن لم يجد ، فحب أن ينوى الوضوء فى نفسه ويصلى ، فإذا قدر على الماء توضأ وأعاد تلك الصلاة وإن مضى وقتها ، وكذلك عندنا فى غير البحر .

قال أبو محمد : إذا صلى على ماأمكنه ، وقدر عليه ، فقد خرج من العبادة . والأمر بإعادتها بعد وجود الماء فرض ثان ، ولا نلزمه إلا بخبر يوجب التسليم على ماقدر عليه . والله أعلم .

[١٣٦] وَإِنْ تَوَضَّأْتَ بِلَانِيَةٍ فَصَلِّ لِلْفَرْضِ وَلِلْأَجْرِ

الأجر : النفل . والوضوء بضم الواو اسم الفعل . والوضوء بفتح الواو : اسم الماء الذى يتوضأ منه . وكذلك السحور بضم السين ، اسم الفعل . والسحور بفتحها اسم الطعام الذى يؤكل فى السحور .

(١) أى الدوار .

وكذلك الوقود بضم الواو : اسم اللهب . والوقود بفتحها : اسم الحطب . قال الله تعالى : وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ[1] . يريد : أمسوا حطبها. والله أعلم .

[١٤٠] وَقِيلَ إِنْ لَمْ يَنْوِلَمْ يَنْتَفِعْ بِذَلِكَ الطُّهْرِ مَدَى الدَّهْرِ

الدهر : مرور الأيام والسنين . والنية : فرض من أعمال الطاعة كلها . والنية عقد بالقلب ، وعزيمة على الجوارح . وهى لب العمل ، ويجب على العبد إحكامها.

والفرائض فى الوضوء ست خصال : الماء الطاهر ، والنية ، وغسل الوجه ، واليدين ، ومسح الرأس ، وغسل القدمين .

والسنة فى الوضوء ست خصال : التسمية ، وغسل اليدين ، والاستنجاء والمضمضة ، والاستنشاق ، وغسل الأذنين .

وجدت فى الأثر عن رجل توضأ وضوء الصلاة،ولم يحضر نية لوضوئه ذلك، فسألت عمر بن المفضل[2] ، فقال : إذا أحكم وضوءه وحافظ عليه ، وحضرت الصلاة ، فليصل .

[١٤١] وَإِنْ نَوَى ٱلأَجْرَ وَصَلَّى بِهِ فَاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غَفْرِ

الأجرها هنا:التطوع والنفل. يعنى،أنه إن توضأ ونوى بوضوئه لصلاة نافلة ، ثم حضرت صلاة فريضة ، جاز له أن يصلى بذلك ، ولولم ينو لصلاة الفريضة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٦ من سورة التحريم .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعله الفضل ، أعنى عمر بن الفضل بن الحوارى .

وبين هذا قوله : وصلى به يعنى الفريضة، إلا أنه أضمرها ، ولم يمكنه ذكرها لوزن الشعر .

والعفو : التجاوز. والغفر : الستر. ومنه سمى المغفر مغفرا ، لأنه يستر الرأس. ويقال : اصبغ ثوبك ، فإنه غفر لوسخه ، أى أستر .

[١٤٢] وَكُلُّ مَنْ جَامَعَ لَمْ يَغْتَسِلْ حَتَّى يُرِيقَ أَلْبَوْلَ مُسْتَتِرْ

والمأمور به الجنب ألا يغتسل حتى يستبرىء ، فإن اغتسل ولم يرق البول ، وخرج منه شيء من جنابة ، أعاد الغسل ، وإن لم تخرج منه جنابة فلا إعادة عليه. ومن أعاد الغسل لم يعد الصلاة ؛ لأن الغسل إنما لزمه بما خرج منه ، وقد زال عنه الغسل بالتعبد الأول ، وهذا غسل ثان .

[١٤٣] وَقِيلَ يُجْزِيهِ إِذَا بَلَّهُ بِغَيْرِ عَرْكٍ بَلَلَ الْقَطْرِ

قوله يجزيه معناه يغنيه ويكفيه ، من قوله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً »[١] ، أى تغنى .

والقطر : المطر . والغسل من الجنابة فريضة فى كتاب الله تعالى . وهى أمانة يسأل عنها العبد يوم القيامة .

ومن أراد الاغتسال من إناء ، جعل الإناء عن يمينه ، ويبدأ بغسل كفيه ، ثم غسل الأذى ، ثم توضأ وضوء الصلاة . وإذا طهر الأذى ، فلا بأس أن يمس يديه ويعركها بيده ، ويردها إلى الماء .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٢٣ من سورة البقرة .

وإن وقع فى نهر فبدأ بالغسل قبل الوضوء ، فلا بأس . وإن قدم جارحة قبل الأخرى فلا بأس .

[١٤٤] وَضَرْبُ مَوْجِ الْبَحْرِ جُثْمَانَهُ   يُجْزِيهِ مِنْ أَذِيَّةِ الْغَمْرِ(١)

يجزيه ويكفيه . الجثمان : الشخص والبدن بمنزلة الجثمان .

عن بشير بن محمد بن محبوب : معروض على أبى الحوارى . وعن رجل أصابته الجنابة ، فدخل البحر أو النهر ، فاغتسل وانغمس فيه ، ولم يغسل النجاسة ، أيطهر ؟ قال : حتى يغسل النجاسة .

[١٤٥] وَيُقْلِعُ الْقَارَ لَدَى غُسْلِهِ   وَمَا يَغْشَاهُ مِنْ قِشْرِ

يقول : إذا كان على بدنه طلاء من دواء ، أو قار ، أو غير ذلك ، مما لا يصل الماء معه إلى بدنه قلع ذلك الطلاء ، والدواء ، واغتسل . إلا أن يكون مثل جبائر فى اليد ، أو فى الرجل ، أو فى صدره كسر ، أو فى جنبه ، ويخاف أنه إذا قلعه لحقه الضرر ، ويخاف منه الـكرار ، وغير ذلك من المضار ، بالغ فى غسله ، واجتهد على مسحه . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . معناه طاقتها . ومعنى قوله : لدى غسله ، أى عند غسله .

[١٤٦] لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ   مِنْ خَلَلِ الْبَشَرَةِ وَالشَّعْرِ

الماء من أنها راجعة إلى الجنابة ، لأنها تخرج من صلب الإنسان من خلل البشرة .

---

(١) الغمر الماء الـكثير ، والأذية والأذى بمعنى .
(٢) مكانه ما فى الأصل .

والبشرة : ظاهرة جلد الرجل . وهى البشرة بتسكين الشين ، والبشرة بفتح الشين ، والأدمة : باطن الجلد . ومنه قوله تعالى : فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ[1] ، أى جامعوهن .

والمباشرة : الجماع . سمى بذلك لمس البشرة ، والبشرة ظاهر الجلد .

قال أبو محمد[2] : الواجب على الجنب أن يتطهر للصلاة قبل الاغتسال .

[١٤٧] وَلَيْسَ فِي الْوَدْيِ اغْتِسَالٌ وَلَا   الْمَذْيِ وَلَا الْمَنِي بِـــــلَا انْتِشَارِ

الاغتسال : الطهارة . قال الله تعالى : وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا[3]. والمنى : غليظ ، وله رائحة كرائحة الطلع[4] ، وهو الجنابة . وبه توجد الشهوة ، ويضطرب القضيب ويقذف .

والمذى هو الذى يخرج قبل الانتشار وبعده ، ويخرج رقيقا .

قال محمد بن الحسن[5] : رقيق ، أصفر إلى البياض .

والوذى : رقيق ، يجىء بعـــد البول . والوذى بالذال والدال ، ويكون كالخويط ؛ ويلزم الرجل أن يعرف الفرق بين هذه المعانى .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٨٧ من سورة البقرة .

(٢) هو الفضل بن الحوارى . وقد كان يضرب به المثل فى الفضل والعلم ، وقد قتـــل بالقاع من صحار فى وقعة عظيمة بين أهل عمان .

(٣) الآية مكية رقم ٦ من سورة المائدة .

(٤) أى طلع النخل .

(٥) هو أبو الحسن محمد بن الحسن النزوانى المحشى على جامع ابن جعفر .

[١٤٨] وَفِي الخِتَانَيْنِ إِذَا اسْتَجْمَعَا   وَالْتَقَيَا الْغُسْلُ بِلَا عُــــذْرِ

الختانان : موضع القطع من الرجل والمرأة . والختانان هما الفرجان . وهو ذكر الرجل وقبل المرأة .

اتفق أصحابنا وكثير من مخالفينا على وجوب الغسل فى التقاء الختانين ، إن لم يكن إنزال ، لما روى عن النبى ﷺ ، أنه قال : إذا قعد الرجل من المرأة بين شعبها الأربع وأجهد نفسه ، فعليه الغسل[1] ، أنزل الماء ، أو لم ينزل . لما روت عائشة قالت : كنت أفعل أنا ورسول الله ﷺ .

يريد الاغتسال من التقاء الختانين .

وروت أم كلثوم عن عائشة أن رجلا سأل النبى ﷺ عن من جامع ثم يكسل[2] ، هل عليه غسل ؟ وعائشة جالسة .

فقال النبى ﷺ : أنى لأفعل ذلك ، أنا وهذه ، ثم نغتسل .

[١٤٩] وَلَيْسَ فِي اسْتِجْمَامِهِ عِنْدَهُمْ   بَأْسٌ وَلَا فِي سُؤْرِهِ الْخَضْرِ

الخضر البارد وهو بفتح الخاء وكسر الضاد . والاستجمام العرق . والهاء فى استجمامه راجعة إلى الجنب ، وكذلك فى سؤره راجعة إلى الجنب ، والحميم العرق . قال الشاعر :

إِذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كَانَ فَيْضُ حَمِيمِهَا   عَلَى مَتْنَيْهَا كَالْجُمَانِ لَدَى الْخَالِ[3]

---

(١) رواه أحمد وعبد الرزاق عن عائشة وأبو داود عن أبى هريرة بلفظ : إذا قعد بين شعبها الأربع وألزق الختان بالختان فقد وجب الغسل .

(٢) أى يرتخى ذكره فلا يستكمل أمره .

(٣) الجمان بالضم هو اللؤلؤ . والخال نوع من الكحل يوضع على الخد تجميلا وحسنا .

استجمت عرقت . وشبه عرقها بالجمان ، وهو اللؤلؤ الصغار ، والحميم : الماء الحار ، والحميم مطر القيظ . ويروى الصيف . يقول : لا بأس بعرق الجنب وسؤره.

[١٥٠] كَذَلِكَ الْحَائِضُ أَيْضاً فَمَا فِي سُؤْرِهَا بَأْسٌ أَبَا بَكْرٍ[1]

يقول : الحائض أيضاً لا بأس بعرقها وسؤرها من الشراب . وأما سؤرها للوضوء ، فقد كره بعض المسلمين أن يتوضأوا بسؤرها، إذا بقى فى الإناء شيء من طهارتها من الماء . والله أعلم .

[١٥١] فَهَذِهِ مُحْكَمَةٌ شَزْرَةٌ مِنْ مُحْكَمٍ عقدته شَزْرِ

فهذه يعنى بها القصيدة . محكمة أى مشتقة من محكم ، أى من ذى محكمة .

والعقدة والعقد من الشد والقوة . والمحكم : الذى قد أحكم أموره . والشزر ما أدبر عنك من القيل ، وهو ما أدبر به عن صدرك ، وهو الدبير .

والشزر : ما أقبل عليك من القيل . كما قال الشاعر :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[2]

[١٥٢] طَبٌّ تَوَلَّى نَظْمَهَا مَاهِرٌ عَضٌ رَبِيطٍ جَأْشُهُ ذِمْرِ

الطب : العالم بالأمور . تقول : أنا طب بهذا الأمر ، أى عالم به ، وربيط الجأش : أى ثابت العقل . ويقال : إذا مدح الرجل إنه لربيط الجأش . وإذا اضطرب عند الفزع ، يقال إنه لواهى الجأش .

---

(١) المراد هنا قول أبى بكر أحمد بن محمد أبى بكر من أهل نزوى ، عالم وفقيه .

(٢) الغدا ترجع غديرة ، وهى الذؤابة والقطعة من الشعر ، والعقاص هو ضفيرة الشعر ، ومثنى من التثنى والمرسل المترك على حاله .

والذمر : الشجاع . والذمر : الداهية ، وجمعه أذمار فهو بالكسر .

والذمر : بفتح الذال مصدر ذمرت الرجل أذمره ذمرا ، أى خصصته ، وحرضته على القتال .

[١٥٣] أَفْرَغَهَا الْكِيرُ إِلَى قَالَبٍ أَخْلَصَهَا مِنْ دَنَسِ الشِّعْرِ

أفرغها أى صبها . يقول أفرغت الماء إلى بدنى ، أى صببته . ومنه قوله تعالى : « رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا[1] أى أصبب .

وتقول : كير الحداد ، ولاتقول كور لأنه خطأ . والكور : الغور[2] . لعله الغوار .

والكير : موضع الحداد . ووجدت فى بعض الكتب أن الكير الذى ينفخ فيه الحداد ، والكور : المبنى الذى يكون فيه النار .

أخلصها أى صفاها .

[١٥٤] وَاسْتَنْزَلَتْهَا هِمَّةٌ نَازَلَتْ فِيهَا السِّمَاكَيْنِ إِلَى الْغَفْرِ

استنزلها : الهاء راجعة للقصيدة أى أنزلتها ، أى جعلتها همة عالية فى العلم والأدب .

ويقال فلان بعيد الهمة ، إذا كان طالبا للمعالى مع منازل السماكين .

والغفر والسماكان نجمان أحدهما الأعزل ، والآخر الرامح . والسماك الأعزل: كوكب أزهر أحد ساقى الأسد . والسماك الرامح : هو الساق الأخرى من الأسد .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٥٠ من سورة البقرة .

(٢) أى المكان أو الصقع ، ومنه كورة .

[١٥٥] فَانْتَظَمَتْ أَسْطُرُها كُشُرًا   يَكَدْنَ أَنْ يَفْضَحْنَ بِالْكَشْرِ

انتظمت من النظم وهو التصاق الشيء بالشيء . والنظم : ما نظم على السلك. والسلك الخيط . والكشر : الضحك وهو فوق التبسم . والكشر : ظهور الأسنان عند الضحك . ويقال فى غير ضحك : كشر عن أنيابه إذا أبداها .

ومعنى قوله يكدن أى يقربن . ومن هذه الحالة تقول : كاد يفعل كذا وكذا . وكدت . وهذا يأتى بعد هذا فى موضعه .

[١٥٦] كَأَنَّمَا السَّطْرُ إِذَا شِمْتَهُ   يُسِرُّ بِالضِّحْكِ إِلَى السَّطْرِ

سطور الكتاب بكسر السين ، والسطر بفتح السين[1] .

ومعنى شمته : نظرته . والشيم : النظر . تقول : شمت البرق أى نظرته .

ومعنى قوله : يسر بالضحك أى يظهر . وأسر : من الأضداد . تقول : أسر الشيء إذا أظهره ، وأسر إذا كتم . ومنه قوله : « وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ »[2] .

[١٥٧] كَعِقْدِ غِيدٍ عَلَى نَحْرِهَا   مُفَصَّلٌ بِالدُّرِّ وَالشَّذْرِ

العقد : القلادة وجمعها عقود . والنحر موضع القلادة . والغيد : الغادة الفتاة الناعمة فلا يكون الغيد إلا فى الشباب . والفصل : الذى قد فصل بغيره ، مثل اللؤلؤ بالذهب ، والشذر بالذهب . وقيل [الشذر هو] الحرز الأخضر .

تمت . وهى هاهنا مائة وسبعة وخمسون بيتا .

* * *

---

(١) كذا فى الأصل ، والسطر بفتح السين هو الصف من الشيء كالكتاب والشجر وغيرهما، وليس فيه ماينطق بكسر السين كما ذكر .

(٢) الآية مكية رقم ٥٤ من سورة يونس .

القصيدة السادسة

غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه وصلاة العيد وصلاة الجمعة

وقال فى صلاة العيدين ، وغسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ، وصلاة الجمعة ، وما يجوز من ذلك ، ومالا يجوز .

[١] أتَأمُلُ بَعْدَ شَيْبِ الرَّأسِ عُمْرا   وَمَنْ آخَيْتَهُ قَدْ مَاتَ طُرًّا

أتأمل : أترجو . إذ الأمل الرجاء . أى أتأمل بعد شيب الرأس والكبر ، أن تعمر ، وجمع الأمل : آمال . وفى منثور الحكم: لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال .

قال الشاعر :

حَتَّى مَتَى أنتَ بِالآمالِ مُسْتَنِداً   إذَا انقَضَى أمَلٌ أمَّلْتَ آمَالَا

وتقول : آخيت الرجل ، أواخيه إخاء ، وكذلك آكلته أو اكله إكالا ، إذا أكلت معه .

وقوله طرا : أى جمعا . تقول: طرهم يطرهم طرا إذا جمعهم. ومثل ذلك سميت طرر الثوب لأنها تجمع جوانبه .

[٢] فَمَا زَخْرَفْتَ لِلدُّنْيَا فَدَعْهُ   وَزَخْرِفْ لِلْبِلَا كَفَنًا وَقَبْراً

زخرفت : عمرت وزينت من بناء حسن ، وفسيل ، وغير ذلك . وأصل

---

(١) من بحر الوافر .

الزخرف : التزين والزينة . قال الله تعالى : يُوحِي بَعْضُهم إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غرُوراً[1] . يعني الباطل المزين بالحسن .

[٣] تَظُنكَ خَالِداً تحصِى اللَّيَالِي   وَمَرَّ شُهُورِهَا شَهْراً فَشَهْراً

تظنك من الظن الذى هو ضد اليقين . لأن الظن على ضربين : شك ويقين .

فأما الشك فأكثر من أن تحصى شواهده ، أو تبين دلالته .

وأما معنى اليقين فقوله تعالى : « فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقِعُوها »[2] . أى أيقنوا بغير شك .

قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ بِالْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ

معناه تيقنوا . وقوله : تحصى الليالى : أى تحسبها وتعدها . والإحصاء: العلم .

ومعنى قوله : تظنك خالدا : أى تحسب أنك باق لإحصاء الليالى والشهور . وهذا من الغرور .

[٤] فَسَوْفَ يَسُوقُ أَشْهُرَهُنَّ يَوْمٌ   يَسُوقُ إِلَيْكَ مَجْزَرَةً وَنَحْراً

يسوق : يحث . والسوق : الحث . ومنه قولهم : ساق الدابة أى حثها ، والفاعل السائق . المجزرة : القطعة التى يجزر عليها اللحـام ، وسمى القصاب جزارا ، لأنه يجزر الغنم وغيرها .

---

(١) الآية مكية رقم ١١١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية مكية رقم ٥٣ من سورة الكهف .

قال الشاعر :

لَسْتُ بِرَاعِى إِبِلٍ وَلَاغَنَمْ   وَلَابِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ[1]

وهذا تشبيه . وإنما السائق لك الموت الذى يقبض الأرواح ، ويجزرها ، وينحرها .

[٥] أَخُو الدُّنْيَا يَبِيتُ بِهَا غَرِيراً   يُقَلِّبُ أَمْرَهَا بَطْناً وَظَهْراً

أضاف الأخ إلى الدنيا على المجاز والتوسع . وكل من سكن الدنيا سمى أخاها وصاحبها وساكنها . والغرير : الغافل ، الجاهل بالأشياء حتى يفجأ . والغر : الذى لم يجرب الأمور . وامرأة غريرة كذلك .

ومعنى قوله : يقلب أمرها ، أى أمر الدنيا بطنا وظهرا ، ولا يعلم مايأتيه من الفجائع ، فهو غرير .

قال الشاعر :

وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيماً   وَأَنْتَ لِكُلِّ مَاتَهْوَى رَكُوبُ
وَتُصْبِحُ ضَاحِكاً ظَهْراً لِبَطْنٍ   وَتَذْكُرُ مَاعَمِلْتَ وَلَاتَتُوبُ

[٦] وَمَايَدْرِى أَمَوْتٌ أَمْ حَيَاةٌ   يَكُونُ صَبَاحَهُ مَاذَاكَ يُدْرَى

نصب صباحه على الظرف . والمعنى: يكون الموت صباحه أو مساءه ، مايدرى ذلك .

---

(١) الوضم هو الحصير أو الخشب الذى يفرش لوقاية اللحم عن الأرض .

[٧] أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَابُوسِ بْنِ هِنْدٍ وَمَا قَدْ غَالَ لُقْمَانًا وَحُجْرًا

قابوس بن المنذر بن النعمان اللخمى، وأمه هند. وذلك أن أباه النعمان بن المنذر[١] النعمان ابن ماء السماء ، كان قد تزوج بهند بنت الحارث الملك بن عمرو المقصود ابن حجر آكل المرار الكندى. وكان قد غلب اسم أمه على اسم أبيه، وكذلك كان أخوه عمرو بن هند ، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر . وكانت العرب تلقبه ، مُضَرْفطُ[٢] الحجارة لهيبته ، وشدة سطوته ، وغاله الموت أهلكه .

قال الشاعر :

فَأَصْبَحَ بَيْتُ الْفَخْرِ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَغَالَ امْرَأً بِمَا كَانَ يُخْشَى غَوَائِلُه

غال : أصله الخديعة . تقول : فلان يغول فلانا، أى يخدعه ويغتاله . والغول: المنيّة والغول أن يغتال الشراب صاحبه .

وأما لقمان[٣] من بقية عاد الأولى ، وهو لقمان بن عاد .

وفيه قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَهْلَكَ تُبَّعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وعَادِيَا

وكان بين وفد عاد الذين بعثهم يستسقون من مكة .

وأما حجر فهو حجر بن الحارث الملك بن عمرو المقصود آكل المرار ، وله خبر طويل . وهو أبو امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر .

---

(١) فى الأصل المنذر بن النعمان ، وقابوس اسم معرب كاووس ، كما يقول صاحب القاموس المحيط ، ولعله فاعول من قبس ، والقبس محركة: شعلة النار تقبس من النار، ويراد به النور.

(٢) فى الأصل مضرط ، ولعل الصواب ماذكر ، والتضرفط هو الركوب والاحتواء .

(٣) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، آية ١٣ من سورة لقمان .

[٨] وَغَالَ الْحَوْفَزَانَ وَغَالَ طَسْماً   وَبَعْدَهُمُ أَنُوشِرْوَانَ كِسْرىٰ

وغال الحوفزان . سمعت أن الحوفزان كان وزيرا لعاد بن إرم . واسمه مشتق من الحفز . وحفزت الرجل بالرمح ، أى طعنته . وسمى الحوفزان ، لأن بسطام ابن قيس حفزه بالرمح .

قال الشاعر :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ   سَقَتْهُ نَجِيعاً مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَلَا

وتقول : كسرى بكسر الكاف وفتحها أيضا . وطسم بن لاوذ بن سام ابن نوح . وكان للاوذ من الأولاد : دفارس ، وجرجان ، وطسم ، وجديس ، وعمليق .

قال الشاعر :

فَكَأَنَّ طَسْماً قَبْلُ كَانُوا عُتْوَةً   بِكَ وَالْعَمَالِيقُ الأُولَى وَجَدِيسَا

وأنوشروان هرمز بن كسرى ، وهو من ملوك العجم بفارس .

قال الشاعر :

إِنَّ كِسْرَى سَمَّى عُمَانَ مَزُونَا   وَمَزُونُ يَاصَاحِ خَيْرُ بَلَدِ

ذات مزارع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد .

[٩] تَعَلَّمْ أَنَّ تَقْوَى اللهِ حِصْنٌ   مِنَ الْبَلْوَى وَخَيْرُ الزَّادِ ذُخْرَا

خير الزاد التقوى .

قال الشاعر :

وَمَالَكَ غَيْرُ تَقْوَى اللهِ زَادٌ إذَا جُعِلَتْ إِلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى

يعنى النفس .

وقال الشاعر :

كُلُّ الذَّخَائِرِ غَيْرُ تَقْـ ـوَى ذِ الْجَلَالِ إِلَى نَفَادِ

فَتَزَوَّدُا تَقْوَى الإلَـ ـهِ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ زَادِ

[١٠] إِلَى كَمْ يَقْرَعُ القرآنُ أُذْنِى كَأَنَّ بِهَا عَنِ الْقُرْآنِ وَقْرَا

يقرع : أى يلقى فى أذنى ما يدخل فى مسامعى من المواعظ والحكم ، وأصل القرع الضرب ومنه قرع الرماح بعضها ببعض

وأجل ما سمعته آذان الورى قرع القلوب بحكمة الحكماء .

والوقر : الثقل فى الأذن بفتح الواو . قال الله تعالى : وَفِى آذَانِهِمْ وَقْراً[1].

قال الشاعر :

أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِى الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا

فَمَا عُذْرِى بِجَهْلِى عِنْدَ رَبِّى وَهَلْ أَنَا وَاجِدٌ فِى الْجَهْلِ عُذْرَا

أى فبأى شىء أعتذر إلى ربى ، والجهل قد غلب علىّ ، وهل أجد عذراً فى ذلك .

والعذر والاعتذار . الرجوع عن ذنب فرط ، وذنب سلف .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٥ من سورة الأنعام .

قال الشاعر :

إقْبَلْ مَعاذِرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً أَبَرَّ عِنْدَكَ فِيما قَالَ أَوْ فَجَرا

فَقَدْ أَجلَّكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يَعْصِيكَ مستَتِرَا

[١١] صَلَاةُ الْعِيدِ أَرْبَعَةٌ وجوهاً إِذَا صَلَّيْتَهَا فِطْراً ونَحْرا

نصب وجوها على التفسير والتمييز ، ونصب فطراً ونحراً على الظرف ، كأنه قال : إذا صليتها فى فطر ، أو فى نحر[1] .

[١٢] فَسَبْعٌ أَوْ فَتِسْعٌ أَوْ فَعَشْرٌ وَوَاحِدَةٌ تُـكَبِّرُهُنَّ وَتْرَا

وجه[2] سبع تكبيرات ، ووجه تسع تكبيرات ، ووجه إحدى عشرة تكبيرة ، ووجه ثلاث عشرة تكبيرة . والوتر : الفرد . والشفع : الزوج .

[١٣] وَثِنْتَانِ وَوَاحِدَةٌ وَعَشْرٌ مِنَ التَّـكْبِيرِ تَجْهَرُهُنَّ جَهْرَا

الوجه الثالث عشر الذى يستعمله أهل عمان ، ويكبر هذه الوجوه كلها جهرا لا سر فيها .

[١٤] فَخَمْسٌ بَعْدَ إِحْرَامٍ وَخَمْسٌ وَقَدْ صَلَّيْتَ ثُمَّ رَكَعْتَ أُخْرَى

[١٥] إِذَا انْقَضَتِ القِرَاءَةُ ثُمَّ كَبِّرْ ثَلَاثاً إِذَا خَشَعْتَ وَقُمْتَ تَقْرَا

[١٦] وَبَعْضٌ قَالَ أُولَاهُنَّ سِتٌّ وَأُخْرَاهُنَّ سَبْعٌ وَهْوَ أَحْرَى[3]

---

(١) أى فى عيد الفطر أو فى عيد النحر والأضحى .

(٢) أى رأى وقول وطريقة .

(٣) أحرى أى أولى وأوفق .

[١٧] وَفِي عَشْرٍ وَوَاحِدَةٍ فَسِتٌّ   إِذَا أَحْرَمْتَ ثُمَّ نَشَأْتَ تَقْرَا

[١٨] وَفِي أُخْرَى الرُّكُوعِ تَقُولُ خَمْسًا   إِذَا انْقَضَتِ الْقِرَاءَةُ ثم تترا[١]

[١٩] وَفِي تِسْعٍ وأَرْبَع ثم خَمْسٍ   عَلَى مَا قَدْ وَصَفْت كَفَاكَ خَيْرًا

[٢٠] وَفِي سَبْعٍ فَأَرْبَع ثُمَّ تَتْلُو   ثَلَاثًا لَا تُجَاوِزْهُنَّ قَدْرَا

وقوله تتلو أى تتبع ثلاثاً بعد الأربع ، والتالى التابع .

وهذا وجه من أراد أن يكبر سبع تكبيرات. كبر بعد تكبيرة الإحرام أربعا ، ثم قرأ الحمد ، وسورة ، وركع ، وسجد ، ثم قام إلى الركعة الثانية ، فقرأ الحمد وسورة. فإذا فرغ من القراءة فى آخر ركعة ، كبر ثلاثا ، وأتم صلاته .

وأجمع فقهاء المسلمين على أن صلاة العيدين سنة فى الأمصار، والقراءة والجماعة ، ولا ينبغى أن تترك .

ولو اجتمع قوم من أهل الأمصار على تركها ، كانوا قد تركوا أمرا واجبا ، يأثمون فيه . ولو تركه واحد ، أو جماعة بعد أن يقوم به غيرهم، رجونا ألا يكونوا مأثومين .

وهو من الواجب الذى يكفى[٢] فيه بعض عن بعض .

[٢١] بِغَيْرِ إِقَامَةٍ وَبِلَا أَذَانٍ   يَقُولُ ثَلَاثَةٌ قُلًّا وَكُثْرَا

القل القليل ، والكثر الكثير .

---

(١) تترى أى تتابع .

(٢) أى فرض كفاية إذا قام به البعض سقط من الباقين .

قال الشاعر :

وَقَدْ يُقْصِرُ القُلُّ الفَتَى دُونَهُ وَقَدْ كانَ لَوْلَا القُلُّ طَلَّاعَ أَنْجُدِ[١]

ونصب سبعة لأنه خبر كانوا [مقدم] .

[٢٣] وَقَالَ بِخَمْسَةٍ أَيْضًا أُنَاسٌ وَقَالَ بِبَعْضِهِم مَنْ كَانَ أَحْرَى

قيل : إذا اجتمع يوم العيد ثلاثة ، اثنان والإمام ، صلوا جماعة ، وقيل : حتى خمسة ، وقيل : حتى يكونوا سبعة ، وقيل : حتى يكونوا عشرة .

وقوله أحْرى : أى أحرى فى الفتوى ، ماض فى القول . يقول فلان له جرأة فى الكلام .

وقال بخمسة أيضاً أناس . وقال بضعفهم ، وهو ضعف الخمسة فصار عشرة .

[٢٤] كَذَلِكَ فِى الإِمَامَةِ وَاحْتَذَوْهَا عَلَى شُورَى الإمامِ غَدَاةَ مَرَّا

شورى بينهم . قال الله تعالى : « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ »[٢] ، أى لا ينفردون برأى ، حتى يجتمعوا عليه .

وقيل إنه ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأحسن ما يحضرهم مما يتشاورون فيه .

وذلك أنه لما طُعن[٣] عمر بن الخطاب رحمه الله ، اختار ستة نفر ، لم يأل أن يختار أفضلهم عنده ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى ابن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، فجعل شورى للمسلمين أليهم .

---

(١) الأنجد أى المرتفعات الصعبة المرتقى .

(٢) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة الشورى .

(٣) طعنه أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة .

[٢٥] يُصَلِّى وَاحِدٌ بِهِمُ خَطِيبُ وَمَنْ عَنْ خَطْبَةٍ أَعْيَى فَيَقْرَا

وإذا صلوا جماعة، فلا بد أن يتكلم[1] بهم رجل بما فتح الله من الكلام.

وقد قيل ما يكتفى به فى خطبة العيد : أن يحمد الله ويثنى عليه ، ويصلى على النبى ﷺ ، ويستغفر لذنبه وللمؤمنين وللمؤمنات .

وإذا أتى قوم والإمام يخطب ، فليصلوا طاعة ، فإن كان الإمام قد فرغ من الخطبة ، فليصل بهم أحدهم ويخطب بهم . وإن خطب بهم ، وصلى فى الموضع الذى صلى فيه القوم فلا بأس .

[٢٦] وَلَوْ كَانُوا نِسَاءً أَوْ عَبِيدًا فَيَسْتَمِعُونَهُ صَمْتًا وَفِكْرَا

وإن لم يحضر مع الإمام إلا نساء أو عبيد ، صلى بهم صلاة العيد ، وخطب فيهم ، ويكونوا بدورهم إلى موضع مجتمعهم فى مخرجهم .

ومن صلى بقوم صلاة، ثم حضر بعد ذلك رجال ونساء ، لم يجز أن يصلى بهم ثانية. والله أعلم .

وأصحابنا يصلون قبل العيد ما شاءوا ، ولا يصلون بعده . وأجاز من أجاز منهم بعد الفطر ، ولم يصل بعد النحر . والله أعلم .

[٢٧] وَأَيَّةُ سَاعَةٍ مَا صَحَّ مَرُّوا إِلَى جَبَّانِهِمْ فِطْرًا وَنَحْرَا

فقال بعض الفقهاء : إذا صح خبر يوم العيد بعد زوال الشمس ، أخروا البروز إلى الضحى من غدهم ، وإن جاء الخبر قبل ذلك برزوا .

---

(١) يعنى خطبة صلاة العيد .

وقال من قال : يبرزون متى جاء الخبر ، ولو بالعشى . والقول هو الأول .

والجبان هو المخرج ، لا يكون إلا موضعا براحا .

وقيل : الجبان والجبانة موضع القبور . والمشرق : الموضع الذى يصلى فيه يوم العيد ، وسمى المشرق ، لأن صلاة العيد بعد شروق الشمس .

[٢٨] هِلَالُهُمْ أَصَحَّ لَهُمْ بُكُوراً　　ضُحًى أَوْ صَحَّ هَاجِرَةً وَعَصْرَا

البكور : أول النهار . والهاجرة : سميت هاجرة بالوقت ، والهجير نصف النهار .

والضحى : ارتفاع النهار ، و [قيل] الضحى فويق ذلك . والضحاء ممدود إذا امتد النهار عند انبساطها .

والعصر : آخر النهار .

فصل : حكى عن المزنى[1] أن النهار اثنتا عشرة ساعة، فأول ذلك البكور، ثم الشروق ، ثم الرأد ، ثم الضحى ، ثم المنوع ، ثم الحور، ثم الهجير ، ثم العشى، ثم العصر ، ثم العشاء ، ثم القصر ، ثم الطفل . والأصل : العشى .

[٢٩] وَبَعْضٌ قَالَ بِالتَّأْخِيرِ إِنْ لَمْ　　يَبِنْ إِلَّا زَوَالُ الشَّمْسِ ظُهْرَا

[٣٠] وَحِلٌّ أَنْ يُصَلُّوا حَيْثُ شَاءوا　　إِذَا مَا حَاذَرُوا مَطَرًا وَأَمْرَا

تفسير البيتين : ويكون بروزهم إلى الجبان للصلاة فيه ، إلا أن يكون مطر،

---

(١) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيي المزنى المصرى ، ولد سنة ١٧٥ هـ ، ولما شب طلب العلم وروى الحديث حتى إذا جاء الشافعى مصر سنة ١٩٩ هـ تفقه به،وكان عالما مجتهدا مناظرا، غواصا على المعانى الدقيقة ،وهو الذىألف الكتبالتىدارعليها مذهبالشافعى، توفى سنة٢٦٤هـ.

أو خوف ، أو شيء يحول بينهم وبين البروز ، فيصلون حيث شاءوا وأمكنهم من مسجد وغيره .

[٣١] وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ التَّكْبِيرَ صَلَّى وَحِيداً رَكْعَتَيْنِ وَقَدْ أَبَرَّ

يقول : ومن لم يعرف التكبير وكيفيته فى صلاة العيدين ، صلى ركعتين ، كما يصلى النافلة ، وينوى بهما صلاة العيد ، فقد أحال ذلك عنه .

ومعنى قوله وقد أبر : أى أتى بالبر فى فعله أو أبرأ نفسه من أدائها . والله أعلم .

[٣٢] وَمَنْ سَبَقَ الْإِمَامُ وَجَاءَ يَسْعَى فَأَدْرَكَ رَكْعَةً وَمَضَتْهُ أُخْرَى

[٣٣] فَيُبْدِلُهَا بِتَكْبِيرٍ إِذَا مَا أَجَادَ وَإِنْ يَكُنْ غُفْلًا وَغِرًّا

[٣٤] فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِى التَّكْبِيرِ شَىْءٌ إِذَا هُوَ كَانَ فِى التَّكْبِيرِ غَمْرًا

تفسير الثلاثة الأبيات : يعنى من سبقه الإمام بركعة وأدرك معه ركعة ، فإذا سلم الإمام قام إلى الركعة التى فاتته وكبر فيها على ما كبر الإمام .

وقال أبو عبد الله : من سبقه الإمام بركعة فى صلاة العيد ، وهو لا يحسن التكبير صلى بركعة إذا لم يحسن تكبير الصلاة . وقوله غفلا وغرًّا ، وفى التكبير غرا .

الغفل : الغافل عن الأشياء لا يعرفها ، ولا يحسنها .

الغر : الذى لم يجرب الأمور . والمؤمن غر كريم(١) .

---

(٢) روى عن أبى هريرة ، وعن كعب بن مالك قول رسول صلى الله عليه وسلم : المؤمن غر كريم والفاجر طب لئيم ، وقال الترمذى إنه غريب .

والغمر : الذى لم يحذر الأمور ولم يجربها .

[٣٥] وَيُحْرِمُ ثُمَّ يَنشَا فَلْيُكَبِّرْ   وَيَسْتَعِذِ الْإِلَهَ الفَرْدَ وَسِراً

[٣٦] وَإِنْ يَكُنْ اسْتَعَاذَ فَلَا عَلَيْهِ   وَيُحْرِمْ وَلْيُكَبِّرْ ثُمَّ يَقْرَا

يقول : إذا صلى المصلى صلاة وجه ، ثم أحرم ، ثم كبر على أثر الإحرام التكبير الذى قد وصفناه فى أول ركعة من الصلاة ، وفى الأوجه التى ذكرناها ، ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب .

ثم قال : وإن أمكن استعاذ قبل تكبيرة الإحرام ، ثم كبر بعد الاستعاذة ، فلا بأس عليه .

وقوله ينشا : معناه يبتدئ .

[٣٧] وَمَا تَكْبِيرَةٌ زَادَتْ بِنَقْضٍ   فَيَجْعَلُ نَقْضَهَا نَقْضًا وَإِصْرَا

[٣٨] وَبَعْضٌ قَالَ إِنْ نَقَصَتْ فَنَقْضٌ   وَلَيْسَ يَرَى عَلَى مَنْ زَادَ وِزْرَا

قال بعض المسلمين من زاد تكبيرة فى صلاة العيد ، أو نقصها ، فعليه النقض .

وقال من قال : النقض على من نقص ، ولا نقض على من زاد .

وقال من قال : لا نقض على من زاد ، ولا على من نقص ، وهو رأى أبى على ، وأبى عبد الله رحمة الله عليهما . وهو أحب إلينا .

فلو أنهم انصرفوا ، ثم صح أن الإمام نقص تكبيرة ، فإن ذكروا ذلك قبل زوال الشمس من اليوم فليرجعوا أيضاً على قول من يقول بالنقض .

[٣٩] وَفِى التَّشْرِيقِ بَعْضٌ قَالَ كَبِّرْ   إِذَا صَلَّيْتَ يَوْمَ النَّحْرِ ظُهْرَا

[٤٠] وَكَبَّرَ بَعْضُهُمْ فِيهَا عَشِيًّا   وَكَبِّرْ ثَالِثَ الأَيَّامِ عَصْرَا

التشريق تأتى صفته وانشقاقه[1] بعد المسائل .

قال محمد بن محبوب : يبدأ بالتكبير بعد النحر ، على أثر صلاة الظهر ، إلى أن يكون على أثر صلاة العصر من اليوم الثالث ، غير يوم النحر ، آخر أيام التشريق .

[وسئل] عن التكبير أيام التشريق أهو واجب ؟ قال : يستحب ، وليس هو بواجب .

قيل له : أهو سنة ؟ قال : ليس هو بسنة . وهو بدعة[2] ابتدعها بنو أمية ، فاستحسنها المسلمون ، فعملوا بها .

[٤١] وَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ طُرًّا عَلَى مَنْ   تَعَمَّدَ تَرْكَهُ لَمْ يَأْتِ نُكْرَا

* * *

[٤٢] وَغُسْلُ الْمَيْتِ يُجْعَلُ تَحْتَ سِتْرٍ   وَيُسْتَرُ فَرْجُهُ بِالثَّوْبِ سَتْرَا

[٤٣] وَتَغْسِلُ أَيْمَنَ الشِّقَّيْنِ رَأْساً   وَنَاحِيَةً وَيُمْنًا ثُمَّ يُسْرَى

غسل الموتى فرض على الكفاية ، قال عليه السلام . فرض على أمتى غسل موتاهم ، والصلاة عليهم .

---

(١) هى ثلاثة الأيام من أيام عيد الأضحى ، وسميت تشريقا لأن الهـدى لاسينحر حتى تشرق الشمس .

(٢) أى ابتدعوها دون أن يكون لها أصل فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله الأمين .

ولا يبادر بغسل الميت إلا أن يتحقق موته، خوفا من السكتة[1] والريح العارضة يستمير منها سيلان الأنف ، استرخاء اليدين ، افتراق الزندين .

والميت إذا أردت غسله ، نزعت ثيابه إلا خرقة تستر بها عورته ، ثم تغسل كفيه ، ثم توضئه ، ثم تغسله .

[٤٤] وَيُقْعِدُهُ عَلَى رَفَقٍ قَلِيلاً فَيَعْصِرُ بَطْنَهُ بِالرِّفْقِ عَصْرَا

ويستحب أن يقعده فيعصر بطنه عصرا رقيقا، ثم يفض عليه الماء حتى ينقى.

وقال أبو محمد: يعصر بطن الميت عند غسله، قبل أن ينجى ويمسح مسحا تاما، يغسل بماء قراح بغير غسل ولا أشنان غسله واحدة يمررها الغاسل على أعضائه ، الأول يبدأ بشق رأسه الأيمن ، ويختم يقدمه اليسرى .

واعلم أن الماء الأول نجس . كذلك قال أبو محمد ، وأبو مالك .

[٤٥] وَتَغْسِلُهُ بأشْنَانٍ وَسِدْرٍ وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِنْ أَعْدَمْتَ سِدْرَا

ثم تغسله بماء ثان تجعل فيه الغسل والأشنان[2] كما وصفت له من طريق ابن عباس .

إن آدم لما حضرته الوفاة ، أتته الملائكة بحنوط[2] من الجنة ، وكفن من الجنة ، فغسلوه ثلاث غسلات ، أولاهن بماء قراح ، والثانية بماء وسدر . والثالثة بماء فيه كانور .

---

(١) مرض يصيب القلب فيسكن عن حركته ، وقد يعود إذا أراد الله ، ولم يكن سكونه موتا ، ويروى كثير من القصص عن أناس حسب الناس أنهم ماتوا ، وبعد أن دمنوا فى قبورهم قاموا ، ثم ماتوا فى قبورهم جوعا وعطشا .

(٢) العطور .

(٣) الحنوط كل طيب يخلط للميت .

وكفنوه فى ثلاثة أثواب ، وصلوا عليه ، وكبروا أربعا ، وقالوا : يا آدم هذه سنة ذريتك من بعدك .

[٤٦] وَتَجْعَلُ فِي أَخِيرِ الْمَاءِ شَيْئًا مِنَ الْكَافُورِ حِينَ رَجَوْتَ طُهْرَا

رجوت من الرجا . والرجاء : الطمع ممدود .

[٤٧] وَتَحْشُو كُلَّ بَابٍ مِنْهُ قُطْنًا يُلَفُّ ذَرِيرَةً وَيُذَرُّ ذَرَّا

قيل : لابن آدم تسعة أبواب : فيه ، ومنخاره ، وعيناه ، وأذناه ، وفرجاه ، وقيل : سرته باب منه .

ومعنى قوله يلف ذريرة أى يلف الذريرة بالقطن ، ويذر على القطن ذرا .

ويحشى من الميت مواضع بالقطن والحنوط وهى الأذنان ، والعينان ، والمنخران ، والفم والقبل والدبر . وأما غير ذلك فلا .

[٤٨] وَفِيمَا كَانَ يَلْبَسُ أَدْرِجُوهُ فَقَدْ أَبْلَيْتُمُ فِي الْجَهْدِ عُذْرَا

أدرجوه : كفنوه . والبياض فى الكفن أحب إلى الفقهاء .

وعلى ابن عباس أنه قال : ألبسوا ثياب البياض ، فإنها [أطهرو] أطيب ، وكفنوا بها موتاكم[1] .

وقال عليه السلام : من استطاع أن يحسن كفن أخيه ، فليفعل .

وعنه ﷺ : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه[2] فإنهم يتزاورون »

ويكفن فيما أمكن من الثياب .

(١) رواه الحاكم وأحمد والترمذى حسن صحيح ، وابن سعد .
(٢) رواه أبو داود عن جابر بدون الزيادة بعد .

[٤٩] وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيماَ سَالَ غُسْلٌ إذَا هو فِي مُلاَءَتَيْهِ أُمْرِرَا

للملاء ممدود مضموم جمع ملاءة ، وهي اللاحف من الأكفان . وقوله : أمرا أي شدا كما تقول مررت الحبل إذا شددته ، وحبل ممرور : مشدود .

قال الشاعر :

[عُوِّضْتُ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ مُلَاءَةً خَلَقًا وَلَيْسَ مَعُوضَةَ المُعْتَاضِ

[٥٠] وَبَعْدَ الْغُسْلِ إِنْ يَكُ سَالَ شَيْءٌ وَلَمْ يَقْطُرْ فَمَوْضِعُ ذَاكَ يُعْرَا

يعرى : يشد الثوب أو غيره

وقيل : إذا خرج من الميت شيء غسله ، فإن كان الذى خرج سائلا ، أو قاطرا ، أعيد غسله، وقال من قال إلى خمس مرات . وإن لم يكن سائلا،أو قاطرا أعيد غسل ذلك المكان وحده .

وإنما ذلك قبل أن يكفن . فإذا كفن ، فلا أرى إعادة غسله .

وفى قوله إن يك سال شيء : حذف النون والواو ، وكان الأصل يكون . لأنه شرط وفعله[1] الفاء التي فى موضع .

[٥١] وَيُغْسَلُ كُلُّهُ إِنْ كَانَ يَجْرِي وَإِنْ لَمْ يَجْرِ طَهِّرْ ذَاكَ وِتْرَا

قوله وترا : أى ثلاث مرات ، وقيل خمس مرات .

[٥٢] وَأَوْلَى النَّاسِ عِنْدَ الْغُسْلِ زَوْجٌ وَزَوْجَتُهُ بِهِ أَوْلَى وَأَحْرَى

الزوجان بعضهما أولى ببعض فى الحيا والممات .

---

(١) فى الأصل وجوابه .

وقد جاءت الأخبار عن العلماء : وجدت فى الأثر يرفع عن أبى نوح[1]، عن امرأة[2] جابر بن زيد أنه أوصاها أن تغسله . وقال هى أحق بذلك من غيرها .

وكذلك الزوج وامرأته . وقوله أولى وأحرى : أى أحق وأجدر .

والمرأة يرسل شعرها ولا يعقد .

[٥٣] وَمَيْتٌ إنْ تَوَلَّتْهُ نِسَاءٌ   صَبَبْنَ الْماءَ فَوْقَ كِسَاهُ قَطْرَا

قال الشيخ : يحسن أن تكون الواو بمعنى كم . خفض ميت لأن الواو بمنزلة رب . ورب تخفض بها ، فكذلك الواو إذا كانت بمعناها[3] .

وإن مات رجل مع النساء ، ولم يكن رجل يغسله ، صببن الماء عليه من فوق الثياب .

ويجوز للنساء غسل الصبى ، مالم يكن فى حد من يستحى ويستتر .

وكذلك الصبية أيضا ، إن غسلها من الرجال ذو محرم منها : وهى عندنا أشد من الصبى ونصب قطرا على المصدر[4] .

[٥٤] إذَا مَا كَانَ ذَا جُنُبٍ فَأَمَّا   إذَا ذَا مَحْرِمٍ لَا قَيْنَ حُرَّا

ذا جنب وهو الغريب الذى ليس بمحرم ولا بقريب .

---

(١) عالم جليل وواحد من ثلاثة فقهاء أخذ عنهم الإمام الربيع بن حبيب ، العلم .

(٢) اسمها آمنة ، رحمها الله .

(٣) كذا فى الأصل ، وهو تخريج على أن لفظ ميت مجرور ، والرواية بالرفع أولى ، على أنه مبتدأ ، خبره جملة صببن الماء .

(٤) يعنى بقوله على المصدر ، أى أن نصبه على أنه مفعول مطلق مبين النوع أى صببن الماء صبا قطرا ، وأرى أن نصبه على أنه حال .

[٥٥] غَسَلْن جِلَادَهُ وَبقَيْنَ مِنْهُ مَـكَانَ الْفَرجِ رَأْرأَةً وَهَصْرَا

[٥٦] وَبعْضٌ قَالَ إنْ يَكُ أَجْنَبِيًّا إِذَا يَمَّمْنَهُ بِالْتُرْبِ عَفْرًا

جلاده : ظاهر جلده وبدنه . وكنت سألت الشيخ أبا علىّ عن نفسير الرأرأة وهصرا .

فقال لى : نظرا ، ومسًّا . ووجدت بعـد ذلك : الرأرأة : تحديق النظر . تقول : رأرأت بصرى ، ورأرأت عيناه : أى نظر فى عمد وتحديق .

ولألأت مثل رأرأت .

[٥٧] كَذَاكَ إِذَا وَلِيتَ فَتَاةَ قَوْمٍ وَكَانَتْ غَادَةً غَيْدَاء بِـكْرَا

وليت أى توليت . والفتاة الشابة ، وكذلك الشباب ، وكذلك إذا ماتت المرأة مع الرجال ، وليس لها معهم محرم ، ولا امرأة ، إلا ذمية ، أو مشركة ، فإن الرجال يصبون عليها الماء صبا ، من فوق الثياب . وقيل لا تغسلها المشركة .

والميت إذا مات بين ظهرانى العبيد والمماليك ، فليس عليهم أن يغسلوه ، ولا يصلوا عليه .

[٥٨] وَإِنْ يَكَ مُحْرِما أَدْرَجْتُموهُ بِثَوْبَيْهِ وَلَمْ تَدنُوهُ عِطرًا

الدرج الطمن حيث لايدرى . والمحرم أى الحج .

[٥٩] وَيُطْهَرُ وَجْهُهُ وَالرَّأْسُ أَيْضًا إِذَا هُوَ حَلَّ لِلحِدْثَانِ قَبْرَا

ومن وضع الميت فى قبره ، فليقل باسم الله ، وعلى ملة رسول الله .

[٦٠] وَفِي الشُّهَدَاء لَاتَغْسِلْ شَهِيداً   أُصِيبَ بِمُعْرَكِ الهَيْجَاء صَبْرًا

المعرك والمعركة موضع الحرب ، وهو الموضع الذى يزدحم فيه للحرب يسمى معركا .

وأما الشهيد فإذا قتل فى المعركة ، فإنه لا يغسل ، ويكفن فى ثيابه التى قتل فيها ، ولا يدع عنه إلا الخفان ، والكمة . فإذا كان فوق الكمة عمامة ، تركت بحالها .

وإذا كان الشهيد حيا[1] غسل ، لما روى فى خبر حنظلة[2] حين قتل غسلته الملائكة .

[٦١] سِوَى جُنُبٍ وَيُدْفَنُ فِي كِسَاهُ   وَيُنْزَعُ خُفُّهُ نَزْعاً فَيُعْرَى

[٦٢] وَإِنْ يَكُ كَانَ ذَارَمَقٍ فَأَوْدَى   وَقَدْ عَدَّى مَكَانَ الحَرْبِ شِبْرَا

الرمق بقية من النفس والحياة ، والرمق : النظر . وأودى أهلك .

وإذا حمل الشهيد من المعركة ، وفيه رمق حياة حتى مات من بعد ، فهذا يغسل .

[٦٣] فَبَعْض قَالَ لَيْسَ عَلَيْهِ غُسْلٌ   وَبَعْضٌ قَالَ يُغْسَلُ وَهْوَ أَحْرَى

[٦٤] وَمَلْحَمَة اللُّصُوصِ وَمَا أَصَابُوا   فَيُغْسَلُ وَاجِباً فَتْكاً وَقَسْرَا

الملحمة : المقتلة .

---

(١) المقصود أنه لايزال فى حال النزع وخروج الروح .

(٢) حنظلة أربعة عشر صحابيا منهم خمسة محدثون .

[٦٥] وَقِيلَ إِذَا الوَرَى تَرَكُوا ثَلَاثًا فَقَدْ حملوا بِمَا تركُوهُ كُفرَا

الورى : الناس والخلق والبرية .

[٦٦] صَلَاةُ جَماعَةٍ وَصَلَاةُ مَيْتٍ وَثَالِثُهَا الجِهَادُ إِذَا اسْتَحَرَّا

[٦٧] وَمَنْ مِنْهُمْ بِذَلِكَ قَامَ أَجْزَا إِذَا مَا الكُلُّ كَانَ بِهِ مُقِرَّا

[٦٨] وَلَا لِلَابَاءِ ثُمَّ الزَّوْجُ أَوْلَى مِنَ الأَبْنَاءِ إِنْ صَلَّوْا وَأَغْرَا

[٦٩] وَبَعْدَ الإِخْوَةِ الأَعْمَامُ أَوْلَى تَكُونُ صَلَاتُهُ عَقًّا وَبَرًّا

أى هؤلاء أولى بالصلاة عليها ، كانوا عاقين الميت ، أو بارين . والعاق : قاطع الرحم .

ومن روى عفا بالفاء ، فليس بشىء ، لأن مصدر العف عفاف .

[٧٠] وَمَنْ جَمَعَ الجَنَائِزَ فَلْيُقَدِّمْ ذَوِى الأَسْنَانِ مِمَّنْ كَانَ أَقْرَا

وَلَا يجوز ترك الجنازة ، وتعطيل القيام بها ، وما يجب على المسلمين من فرض دفن موتاهم والصلاة عليهم إذا كان نَوح وأصوات مناكر لا يمكن صرفها .

وقد روى أن الحسن بن أبى الحسن(١) البصرى ، صحب جنازة وخلفها نَوْح ، فقال له رجل من أصحابه ، يا أبا سعيد ، أما تسمع إلى هذا المنكر ؟ وهمّ الرجل بالانصراف . فقال الحسن : ياهذا إن كنت كلما سمعت منكرا ، تركت لأجله معروفا ، أشرع ذلك فى دينك .

(١) الحسن البصرى هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى ، كان من سادات التابعين وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، نشأ بوادى القرى وكان مولده بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفى بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة من الهجرة .

[٧١] رِجَالًا ثُمَّ صِبْيَانًا وَيُثْنِي ... بِذُكْرَانِ الْعَبِيدِ إِذَا اسْتَمَرَّا
[٧٢] وَبِالنِّسْوَانِ بَعْدَهُمُ وَيَأْتِي ... بِأَمْوَانٍ فَيَجْعَلُهُنَّ دُبْرَا

الأموان : جميع أمة ، وإماء. كما تقول إخوة وإخوان . وإذا اتفقت الجنائز من الرجال قدم نحو القبلة أقرؤهم وأفضلهم ، وكذلك فى القبر . فإن استووا فى ذاك قدّم أسنّهم .

وإن كان رجال وصبيان ، كان الرجال ، ثم الصبيان ، الأكبر ثم الأصغر .

[٧٣] وَوَجِّهْ ثُمَّ كَبِّرْ ثُمَّ كَبِّرْ ... إِذَا أُمَّ الْكِتَابِ قَرَأْتَ مَرَّا

تفسير البيتين : ومن قام إلى الصلاة على الميت فليوجه كتوجيه الصلاة ، ويقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، ثم يكبر ، ثم يستعيذ ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ، ثم يكبر ثانية، ثم يقرأ فاتحة الكتاب، ثم يكبر الثالثة ، ثم يحمد الله ويصلى على النبى ، ويستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات .

وقيل عن النبى ﷺ . قال : كبّرت الملائكة على آدم(١) ، وصلى الله عليه أربعا .

وكبر أبو بكر على النبى أربعا .

[٧٤] وَتَقْرَؤُهَا لِثَانِيَةٍ وَتُثْنِي ... بِثَالِثَةٍ مِنَ التَّكْبِيرِ أُخْرَى
[٧٥] وَتَنْصِبُ فِي الدُّعَاءِ لِمَنْ تُوَالِي ... وَتُولِي اللهَ تَسْبِيحًا وَشُكْرَا
[٧٦] وَتَسْأَلُ عَفْوَ ذَنْبِكَ مُسْتَجِيرًا ... وَذَنْبَ الْمُسْلِمِينَ تَجِدْهُ بَرَّا

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن أنس بلفظ ، كبرت الملائكة على آدم أربعا .

[٧٧] وَلاَ تَدْعُو لِطِفْلٍ لَاتُوَالِي أَبَاهُ ، وَلاَ لِذِي كُفْرٍ أَصَرّا

العفو : المحو . وقيل الصفح . ونصب مستجيرا على الحال . الطفل : الصغير . والجارية الصغيرة طفلة . وإن كان الميت له ولاية ، دعى له بما فتح الله من الدعاء .

وكان بعضهم يقول : لا أحب أن يكون لهذا الدعاء حد معروف ، فيتخذ سنة ، إلا مافتح الله .

وفى بعض الآثار يقول : اللهم إن فلانا عبدك وابن عبدك ابن أمتك توفيته وأبقيتنا بعده . اللهم أبدله دارا خيرا من دار ، وقرارا خيرا من قرار ، وأهلا خيرا من أهله .

[٧٨]وَلاَ يَصْرِى صَلاَتَكَ مَرُّ كَلْبٍ وَلاَ جُنُبٍ إذَا فِي الصَّفِّ مَرَّا

يصرى معناه يقطع .

وقوله يصرى : يقطع . ومنه قوله تعالى: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ[1] . فمن جعل صرت أصور بضم الصاد ، جعل صرت وقطعت وفرقت .

[٧٩] وَلَيْسَ عَلَيْكَ فِي فَاتَ رَدٌّ فَقَدْ شَرَعَ الإلٰهُ الدِّينَ يُسْرَا

يقول : إن سبقك الإمام بشىء من القراءة والتكبير ، وفاتك ذلك فأدركت شيئا ، فليس عليك إعادة مافات .

ومن سبقته الجنازة ، صلى ما أدرك ، ولا بدل عليه .

وقال غيره : فإن أدرك تكبيرة أو ثلاثا وسلم الإمام ، فليتم التكبير ، مالم يرفع الميت من موضعه . وإذا رفع الميت سلم ، ولا تكبير عليه ، ولا بدل فى ذلك .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٦٠ من سورة البقرة .

والصلاة على الميت فى كل وقت جائزة ، إلا فى ثلاثة أوقات ، ولايدفن : عند طلوع الشمس وعند غروبها ، ونصف النهار فى الحر الشديد .

[٨٠] وَمَنْ جَعَلَ ٱلتَّيَمُّمَ عَنْ فَوَاتٍ   أَصَابَ ٱلْحَزْمَ فِيهِ وَكَانَ ذَمْرَا

الذمر : الشجاع ، والذمر : الرجل الحازم . ومن كان غير متطهر، فمنهم من قال : يتيمم ويصلى وقال قوم إن انتقض وضوؤه تيمم وصلى .

وأرجو أنه إن خاف الفوت تيمم وصلى . وإن زاد الإمام التكبير أو نقص ، فلا إعادة عليه .

[٨١] وَمَنْ جَا تَائِباً صَلُّوا عَلَيْهِ   بِأَجْمَعِهِمْ إِذَا رَجَمُوهُ طُرّا

يعنى من جاء تائبا من الزنى بعد إقراره بذلك ، ثم رجموه ومات ، صلوا عليه .

والرجم أصله الرمى . قال الله تعالى : وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِين[١] ، أى مرامى والمرجوم إذا جاء تائبا صلى عليه .

[٨٢] وَصَلِّ عَلَى ٱلْجَنِينِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ   مَدَامِعُهُ وَأَوْدَى مُسْتَقِرّا

الجنين الطفل مادام فى بطن أمه . وسمى جنينا لاستتاره . وجمعه : أجنة أجمع أهل العلم على أن الطفل إذا عرفت حياته واستهل[٢] ، صلى عليه .

وقال قوم : إذا لم يستهل لم يصل عليه . وهو قول الشافعى ، وأصحاب الرأى .

---

(١) الآية رقم ٥ من سورة الملك .
(٢) استهلال الطفل بكاؤه عند الوضع .

وقال قوم يصلى عليه وإن لم يستهل .

وروى ذلك عن ابن عمر ، وبه قال سعيد بن المسيب .

وقوله أودى : أى مات . والمولود إذا استهل صلى عليه . واستهلاله أن تتبين حياته بصياح أو غيره .

[٨٣] وَفِى صَفِّ النِّسَاءِ تَقُومُ أُنْثَى   إِذَا عَدِمُوا الرِّجَالَ بِهِمْ فَتَقْرَا

وفى الجامع ـ وعن أبى عبد الله يجوز أن تصلى المرأة على الجنازة بالنساء، إذا لم يكن رجل ، رجلا كان أو امرأة، وتكون فى وسط صف النساء. والصلاة على الجنازة بالليل ، مثل الصلاة بالنهار .

[٨٤] فَتِلْكُمْ سُنَّتَانِ صَلاَةُ مَيْت   وَعِيدٍ فِيهِ تَخْرُجُ كُلُّ عَذْرَا

والصلاة على الميت سنة من سنن الإسلام ، بعد غسله ، وتكفينه ، وكذلك صلاة العيدين سنة من سنن الإسلام .

والعيد يسمى عيدا ، لأنه يعود فى كل سنة . والعذراء : البكر ، وجمعها عذارى .

وروى[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال : أخرجوا الغوانى ذوات الخدور يشهدن العيد ودعوه .

* * *

---

(٣) ليس لهذه الرواية ذكر فى كتب الحديث .

[٨٥] وَأَمَّا الْجُمُعَةُ الْمُسَمَّى إِلَيْهَا   فَتِلْكَ رَوْضَةٌ فِي الدِّينِ زَهْرَا

الجمعة . خص به ، لأن الناس يجتمعون فيه .

عن أنس بن مالك[1] ، عن النبي ﷺ ، قال: عرضت على الأيام فرأيت فيها نورا ، فقلت ياجبريل ، ماهذا ؟ قال : هذه الجمعة .

ورأيت نكتة سوداء ، فقلت ياجبريل ، ماهذه النكتة السوداء ، فى هذا البهاء والنور ؟ قال : تلك الساعه[2] تقوم يوم الجمعة .

والسنة فى الجمعة أربع خصال : الغسل، ومس الطيب ، والبكور ، والإنصات فى الخطبة .

[٨٦] فَتَارِكُهَا ثَلَاثًا مُسْتَتَابٌ   فَإِنْ يَجِدُوا لَهُ فِي التَّرْكِ عُذْرَا

[٨٧] وَإِلَّا فَهْوَ عِنْدَهُمُ رَفِيضٌ   مَهِيضُ الْكَسْرِ لَيْسَ يُطِيقُ جَبْرَا

الرفيض : المتروك . تقول : رفضت الشيء إذا تركته ، والمهيض : المكسور الذى لايجبر كسره .

ومن ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات بلا عذر ، هلك ، ولا بدل عليه فى صلاته التى صلاها يوم الجمعة حتى تلزم الجمعة .

---

(١) هو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له صحبة طويلة وحديث كثير ، وملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم منذ هاجر إلى أن مات ، ثم أخذ عن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى بن كعب ، وعمر طويلا ، روى له البخارى ثمانين حديثا ، وخرج له مسلم سبعين حديثا ، وخرجا له معا ١٢٨ حديثا ، وتوفى سنة ٩٣ هـ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن أنس بلفظ: عرضت على الأيام فعرض على فيها يوم الجمعة فإذا هى كمرآة بيضاء ، وإذا فى وسطها نكتة سوداء فقلت ، ماهذه ؟ قيل الساعة .

قال أبو محمد أيضا : من تركها ثلاث جمع من غير عذر . فوها لك بذلك .

قال النبي ﷺ :

إذا ابتلت النعال ، فالصلاة فى الرحال .

[٨٨] وَأَوَّلُهُمْ كَمَنْ أَهْدَى بَعِيراً وَآخِرُهُمْ كَمَنْ بِالْبَيْضِ أَسْرَى

عن قتادة قال: ذكر لنا أن الله يبعث ملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد يكتبون كل من جاء فى ساعة كذا وكذا ، فالأول كرجل قدم بدنة[١] ، وكرجل قدم بقرة ، وكرجل قدم شاة ، وكرجل قدم طيرا ، وكرجل قدم بَيْضَة .

وإذا قعد الإمام طويت الصحف . وقيل إنهم يكتبون حتى يخطب الإمام ، فإذا خطب لم يكتبوا .

[٨٩] وَلَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ بِهَا جُنَاحٌ وَلَسْتُ أَرَى عَلَى الكُفَّارِ وِزْرَا

قولهم بها جناح أى إثم . قال الله تعالى : وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ[٢] . أى لا إثم عليكم فى التعريض فى القول بالمعروف .

وقال الله تعالى : وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ[٣] .

والوزر أيضا : الإثم والذنب . وقوله تعالى : فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا[٤] ، أى حملا ثقيلا من الإثم .

---

(١) الناقة تهدى إلى الكعبة .
(٢) الآية مدنية رقم ٢٣٥ من سورة البقرة .
(٣) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الأحزاب .
(٤) الآية مكية رقم ١٠٠ من سورة طه .

[٩٠] وَلَا الصِّبْيَانِ إِنْ بَكَرُوا تَجَارًا   بِهَا أَوْ بَايَعُوا فِي الْوَقْتِ تَجْرَا

بكروا من البكرة . تقول : بكروا ، وابتكروا . وقوله بها : الهاء راجعة إلى الجمعة . بايعوا فى الوقت تجروا . أى ليس على الصبيان صلاة الجمعة ، ولا عليهم إن باعوا أو اشتروا فى وقت الأذان وغيره بأس . وأما غيرهم من البالغين ، فلا يجوز ذلك .

قال هاشم : من اشترى بعد الأذان ، فالبيع فاسد ، وإن اشترى قبله فالبيع تام .

[٩١] وَلَا تَلْغُو إِذَا الْخُطَبَاءُ قَامَتْ   وَلَا تَنْطِقْ لَدَى الْخُطَبَاءِ هَجْرَا

يقال : لغا فى كلامه يلغو لغوا ، وقد لغا بالشىء والخطيب يقدم رجله اليمنى ، ويضعها على العتبة ، وإن أراد أن ينفتل انفتل على يمينه ، حتى يقبل إلى الناس

ومن شهد الجمعه استقبل القبلة، ولا يستدبرها إلا الإمام الذى على الخطبة ، فإنه لابد أن يستقبل الناس ، وكذلك الخطيب يدبر بالقبلة ، ويستقبل الناس فلا يمكنه فى هذه الحالة استقبال القبلة .

[٩٢] وَيَخْرُجُ مَنْ تَكَلَّمَ ثُمَّ يَأْتِي   فَيُنْصِتُ مُسْتَكِينًا مُسْتَقِرًّا

والإنصات : الاستماع . والاستكانة : السكون . والاستقرار : القرار . لقول النبى ﷺ من لغا فلا جمعة له[1] .

(١) رواه ابن أبى شيبة بلفظ ، من قال لصاحبه ، يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغا ، عن عبيد الله بن عبد الله مرسلا .

قالوا : فلما كان الصمت واجبا ، فترك الواجب وتكلم بما قد نهى عنه عند الخطبة وهى مالا تكون الجمعة إلا بها ، لم تصح له جمعة ، فأمروه بالخروج من المسجد ، وأمروه بالدخول إليه ، فى جملة الداخلين .

[٩٣] وَلَوْ قَالَ اتَّقُوا اللهَ اقْتِدَاءً وَلَمْ يَخْرُجْ عَرَاهُ النَّقْضَ صُغْرَا

عراه : لزمه وأصابه وغشيه ، يقال : عراه الشيء .

وَلَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِى احْتِبَاءٍ وَصَهْ لَغْوٌ فَخَلِّ اللَّغْوَ حِذْرَا

تقول : احتبى الرجل من الاحتباء وهو الحبوة بالثوب . وأما الحبا ، فهو من العطاء ، واحدته حبوة أى عطية .

ويجوز للرجل أن ينظر إلى سقف المسجد ، وأن يحتبى وينظر وراءه يوم الجمعة .

ويروى عن النبى ﷺ ، أنه قال : من قال : صه فقد لغا ، ولا جمعة له . ومعناه اسكت .

[٩٤] فَإِنْ خَرَجَ الْإِمَامَ فَمَا بِنَزْوَى تُصَلَّى جُمْعَةً بِالنَّاسِ قَصْرَا

تفسير البيتين : قال أدركت أشياخى يقولون أصل الجمعة بصحار[1] . قيل له : مالك لا تصلى الجمعة بصحار ؟ قال : أنا مسافر ولو كنت مقيما لصليتها .

---

(١) صحار مدينة ومشهورة ميناء هام فى سلطنة عمان ، وهى محاطة بسور مربع الشكل ، فى كل زاوية من زواياه الأربع قلعة ذات طابقين ، ويروى بعض المؤرخين أنها سميت باسم صحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام .

[٩٥] وَيَلْزَمُ فِي صَحَارٍ بِكُلِّ وَقْتٍ   وَخَلْفَ أَئِمَّةِ الْعُدْوَانِ طُرًّا

والجمعة ثابتة بصحار ما كان أمر للسلمين قائما. ولومات الإمام. وأما الجوف فالجمعة[1] مع الإمام فإن مات أو سافر صلى الناس بعده أربع ركعات.

وقال جابر بن يزيد: الرواح إلى الجمعة فقال له حبيب[2]: أخلف الحجاج[3]؟ قال له جابر نعم.

[٩٦] وَبَعْضٌ قَالَ كُلُّ مِن عُمَانٍ   مِصْرٌ فَأَوْجَبَ حِفْظَهَا بَرًّا وَبَحْرا

[٩٧] وَبَعْضٌ قَالَ يَجْبِي مَا حَمَاهُ   إِذَا هُوَ حَازَهَا مِصْراً فَمِصْرا

يجبى: معناه يجمع. ما حمى: أى ما منعه عن الظلم والتعدى. ومنه قوله «يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ»[4]. أى يجمع كما يجبى الماء الجابية.

فيمن لا يرى الصلاة خلف قومنا: فالذى نحن عليه، ومضى أسلافنا من الفقهاء، أنه لا بأس بالصلاة خلف أئمة قومنا، إذا أقاموا الصلاة لوقتها.

[٩٨] وَمَصَّرَهَا أَبُو حَفْصٍ وَسَمَّى   مَنَابِرَهَا وَسَرَّ بِهَا وَسَرَّا

أبو حفص[5] عمر بن الخطاب رحمه الله. مصر: جزيرة العرب. وها فى مصرها راجعة إلى الجزيرة.

والمنابر: جمع منبر. وكل منبر فى مصر الذى فيه الجمعة ويخطب عليه.

---

(١) المراد داخل عمان.
(٢) لعله الربيع بن حبيب، وكان قد أدرك جابر بن زيد.
(٣) أى أخلف الحجاج بن يوسف الثقفى تصلى؟ وفى الأصل، اختلف، بدل، أخلف.
(٤) الآية مكية رقم ٥٧ من سورة القصص.
(٥) الحفص هو ولد الأسد، وبه كنى عمر بن الخطاب، لابنته حفصة أم المؤمنين.

وكان ضمام[1] يقول : كل أرض من أرض أهل الذمة والعرب ، أقيمت فيها الحدود ، فيها جمع .

وأبو حفص رحمه الله مصر الأمصار من جزيرة العرب .

[٩٩] فَمَصَّرَ مَكَّةَ وَالشامَ قِدْماً وَيَثْرِبَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا وَقَرَّا

استقر بها يعنى بيثرب[2] . أى كان فيها مقيما .

[١٠٠] وَسَمَّى الْكُوفَتَيْنِ وَأَرْضَ صَنْمَا
فَقَامَ الْحَقُّ مُنْتَصِباً وَدَرَّا

الكوفتان : يريد الكوفة والبصرة . وصنعاء : بلد باليمن .

[١٠١] وَحَدَّ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ مِصراً فَتَمَّتْ سَبْعَةً عَدَداً وَقَدْرَا

الأمصار مكة والمدينة ، والبصرة والكوفة ، والشام ، واليمن ، والبحرين ، وعمان .

مصر فى هذه سبعة أمصار .

[١٠٢] وَلَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِذَا تَعَدَّى صَحَارًا جُمْعَةً إِنْ حَلَّ قَفْرَا
[١٠٣] وَقَدْ وَهَنَتْ صَحَابَتُهُ وَمَلَّتْ وَلَمْ تَبْلُغْ ثَلَاثِناً وَعَشْرَا

وهنت : ضعفت . ومنه قوله تعالى : « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ »[3] . أى تضعفوا وهو من الوهن والضعف .

(١) هو ضمام بن السائب الندبى العمانى أحد حملة العلم إلى بلاد الإسلام .
(٢) هى المدينة المنورة .
(٣) الآية مدنية رقم ١٣٩ من سورة آل عمران .

[١٠٤] وَإِنْ فَسَدَتْ صَلَاتُكَ مَا بْتَدِلْهَا   كَمَا صَلَّيْتَهَا   لَا تَغْلُ كِبْرَا

لا تغل : الغلو ، وهو مجاوزة الحد .

[١٠٥] لِأَنَّ خَطَابَةَ الْخُطَبَاءِ قَامَتْ   بِشَطْرٍ وَالصَّلَاةُ تَكُونُ شَطْرَا

الشطر : الناحية والجانب . قال الله تعالى : « فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ » . أى قصد المسجد الحرام ونحوه . والشطر النصف . وشطر الشيء نصفه أيضاً .

يقول : من فسدت عليه صلاة الجمعة عند الإمام . فإن ذكر فى وقت الصلاة، أبدلها صلاة الظهر أربع ركعات . لأن هذه صلاة لم تصح له . وإن ذكرها بعد أن فات الوقت ، صلاها قصرا كما لزمته مع الإمام . فهذا فى المقيم ، ولا جمعة على من كان على فرسخين .

[١٠٦] وَأَمَّا سَافِرٌ صَلَّى صَلَاةً   تَمَامًا كَانَ فِيهَا مُسْتَقِرًّا

[١٠٧] فَيُبْدِلُهَا إِذَا فَسَدَتْ عَلَيْهِ   بِسَاعَةِ وَقْتِهَا فِى الْوَقْتِ قَصْرَا

[١٠٨] وَإِنْ وَلَّى وَفَاتَ الْوَقْتُ صَلَّى   تَمَامًا حِينَ ذَاكَ إِذَ تَحَرَّى

يقول : وأما المسافر إذا صلى بصلاة الإمام المقيم . فإذا فسدت عليه صلاته التى صلاها مع الإمام المقيم ، وذكرها فى الوقت قبل أن يفوت وقتها صلاها صلاة نفسه قصرا .

وإن ذكر ذلك وقد فات الوقت ، صلاها بصلاة الإمام ، كما لزمته .

في المسافر يصلى بصلاة المقيم ، فقال : إن اعتقد التمام ، رأيت عليه البدل ، ولكنه يصلى بصلاة الإمام ، هكذا جاء الأثر من قول المسلمين .

[١٠٩] فَخُذْهَا كَالْعَرُوسَةِ مُزْدَهَاةً   تَضَوَّعَ نَشْرُهَا حَلْيًا وَعِطْرًا

خذها ، أغراء بها . يعنى هذه القصيدة أى حسنة كالعروس ، مزدها معجبة بنفسها المتهاونة بغيرها . يقال : زها فلان يزهو : إذا كان معجبا ، وتضوع : تحرك وفاح . والضوع والوضوع أصله التحرك .

قال امرؤ القيس :

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا   نَسِيمُ الصَّبَاحَاتِ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

[١١٠] تَهَادَى فِي أَكِلَّتِهَا وَتَكْسُو   بَيَاضَ الطِّرْسِ لَيْلًا مُكْفَهِرًّا

تهادى أى تمايل وتبختر فى مشيها ، وإكلتها : جمع أكاليل . والمكفهر : الأسود .

[١١١] كَأَنَّ سُطُورَهَا أَنْمَاطُ دُرٍّ   بَلُحْنَ بِطِرْسِهَا خُضْرًا وَصُفْرًا

الطرس : الكتاب وجمعه طروس . والسطور : جمع سطر وهو الطريقة من الكتاب . قال الله تعالى : وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ[١] .

تقول : كتب الرجل يكتب كتابا ، فهو رجل كاتب ، والمفعول منه مكتوب والمفعول مسطور .

[١١٢] تُرِيحُ الْهَمَّ عَنْكَ فَمَا نُبَالِى   إِذَا أَنْشَدْتَهَا قَرًّا وَحَرًّا

تريح من الراحة ، أى تذهب عنك الهم والحزن ، وتجلب لك السرور والجذل

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة الطور .

عند إنشادها ، يعنى هذه القصيدة لما فيها من الألفاظ الحسنة والمعانى المستظرفة .

ونصب قرا وحرا على الظرف ، وهو ظرف زمان ، أى فى حر وقر .

[١١٣] حِبَاكَةَ مَاهِرٍ وَنِتَاجَ غَضٍّ تَمَلَّى حِقْبَةً خَيْراً وَشَرّاً

الحياكة : أصلها النسج ، ثم صار كل صانع من شعر وكلام وخطبة حائكا وصانعا .

وقيل فى الحديث : هذا حائك كلام ، وليس بكلام ، وليس بحائك برود .

وهذا على المجاز والتوسع ، لا على الحقيقة . والماهر : العالم المتبحر فى الشىء .

يقال : فلان قد مهر فى علم كذا وكذا ، إذا أخذ منه مأخذا واسعا .

والنتاج : أصله الولد .

تمت وهى ها هنا مائة وثلاثة عشرة بيتا

* * *

القصيدة السابعة[1]

فى الصيام وأحكامه

وقال فى الصيام :

[١] أَهْلًا بِشَهْرِ الصَّوْمِ مِنْ شَهْرِ   بِالنَّاطِقِ الْمَحْمُودِ فِى الذِّكْرِ

خير الشهور رمضان[2] ، وخير الأيام الجمعة ، وقيل أيضاً : الفطر والأضحى.

ونصب أهلا على المصدر . لقولهم أهلا وسهلا ومرحبا ، معناه أتيت أهلا ، وأتيت سهلا ، لا حزنا . أى سعة لا ضيقا .

وسمى الشهر شهراً لشهرته . والصوم فى اللغة : الإمساك . وقول مريم عليها السلام : « إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً » أى صمتا .

وقوله : بالناطق المحمود فى الذكر . الناطق: نعت لشهر رمضان . والناطق : المتكلم والمعبر بما فيه من الخير والفضل . والذكر : القرآن . ومنه قوله تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ » أى القرآن .

[٢] أَهْلاً بِهِ وَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ   خَيْرَ الشُّهُورِ وَسَيِّدَ الدَّهْرِ

خير الشهور رمضان ، وخير الأيام يوم الجمعة . وقيل أيضاً الفطر والأضحى .

وقيل سيدات الليالى سبع : أولهن ليلة من رجب ، وليلة من رمضان ،

---

(١) من بحر السريع .

(٢) الرمض هو شدة الحر ،ويقال لشهر الصوم رمضان اشتقاقا من رمض الصائم أى اشتد حر جوفه ، أو لأن شهر رمضان يحرق الذنوب ، ويقال ، إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها ، فصادف رمضان زمن الحر .

وليلة القدر ، وليلة الأضحى ، وليلة عاشوراء[١] ، وليلة الفطر ، وليلة عرفة[٢] .

والدهر عند العرب اختلاف الليل والنهار . وقيل : مرور الأيام والليالى .

وخفض خير على البدل من الماء التى فى به .

[٣] نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   فِيهِ وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

وحدث فى بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن فى شهر رمضان، فى ليلة القدر جملة إلى سماء الدنيا ؛ وسميت ليلة القدر : لأنه يقدر فيها أحكام السنة، وما فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فى كل سنة فيها شهر رمضان ، وليلة القدر .

[٤] وَتُفْتَحُ الْفِرْدَوْسُ فِيهِ لِأَهْلِهِ   وَتَضَمَّخُ الْخَيْرَاتُ بِالْعِطْرِ

الفردوس : الجنة . وهى بلغة الروم البستان . وقوله تضمخ أى تلطخ .

وقال القرسيمى :

وَتَبَسَّمَتْ عَنْ وَاضِحَاتٍ ضُمِّخَتْ   قُضُبَ الْأَرَاكِ الْمِسْكَ مِنْ سَلْسَالِهَا[٣]

[٥] وَتُغَلَّقُ النِّيرَانُ عَنْ صُوَّامِهِ   وَيُغَلُّ كُلُّ عَمَرَّدٍ عِفْرِ

تغلق : تقفل ، وتوصد ، وتشد . تقول : أغلقت الباب . ويُغل : يجعل فى

---

(١) العاشر من المحرم .

(٢) أى ليلة التاسع من شهر ذى الحجة وهو يوم الوقوف بعرفة .

(٣) التبسم والابتسام نوع من الضحك ، والواضحات المراد بها الأسنان ، والأراك شجر يستاك بعيدانه ، والمسك معروف ، والسلسال هو الماء العذب أو البارد .

عنقه غلا وأغلال جمعه . قال الله تعالى : « إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا »[1] ، « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا »[2] .

والعمرد : المارد ، والعمرد الطويل ، والعفر : من الجن والإنس والشياطين .

والعفريت من الجن: النافذ الأمر. قال الله تعالى: «قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ »[3] وهو النافذ الأمر .

[٦] وَعَلَى الْجَمِيعِ مِنَ الْوَرَى أَنْ يَخْرُجُوا
بَعْدَ الصِّيَامِ صَبِيحَةَ الْفِطْرِ

الورى : الناس . قيل : لما هاجر النبي ﷺ ، وأنزل الله عليه فرض صيام شهر رمضان ، فلما انقضى رمضان ، وكان صبيحة شوال ، أمر الناس أن يجتمعوا إليه ، رجالهم ونساءهم ، فلما طلعت الشمس نهض بهم إلى الجبان فصلى بهم .

والرواية متواترة أن النبي ﷺ ، صلى صلاة العيد ، وحرض عليها حتى النساء .

[٧] حَتَّى الْكِعَابِ مِنَ الْحِجَالِ فَمَا لَهَا عُذْرٌ وَمَا لِلشَّيْخِ مِنْ عُذْرِ

الكعاب: جمع كاعب وهي التي قد كعب ثديها إذا استدار. وسميت الكعبة كعبة لتدورها . ويقال : سميت بذلك لتربيعها . ومنه كعب الإنسان لتدوره .

---

(١) الآية مكية رقم ٨ من سورة يس .
(٢) الآية مدنية رقم ٤ من سورة الإنسان .
(٣) الآية مكية رقم ٣٩ من سورة النمل .

ويقال : كاعب ، وكعاب ، وكواعب . قال الله تعالى : « وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا »[1] معناه نساء ، وقد كعب ثديهن .

والحجال : واحدتها حجلة ، وهى الخدور والستور . حجلت العروس إذا اتخذت لها حجلة .

[٨] أَكْرِمْ بِهِ يَوْماً وَأَعْظِمْ قَدْرَهُ   يَوْمَ الْجَزَا وَمَثَابَةَ الْأَجْرِ

يوم أكرم به وأعظم على التعجب . والهاء راجعة إلى العيد . وهذا على مجاز الأمر ، وليس بأمر على الحقيقة . وقوله يوم الجزاء ، أى ذلك يوم الجزاء . والجزاء من المجازاة وهو إعطاء شيء مثله . والمثابة : مفعلة من الثواب فى الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، وهى المجازاة بالعمل . قال الله تعالى : « هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ »[2] أى جوزى الكفار بفعلهم .

والمثابة : العود بعد المضى . قال الله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ»[3] أى مرجعاً فى حجتهم وعمرتهم كل عام .

[٩] وَالصَّوْمُ فِيهِ بِشَاهِدٍ مُتَخَبِّرٍ   وَالْفِطْرُ فِيهِ بِشَاهِدَىْ بِرٍّ

الصوم : الإمساك . والفطر : الاسم من الإفطار . والفطر : القوم المفطرون. يقال : هؤلاء قوم فطر . وهؤلاء قوم صوم ، [والمتخبر ذو الخبرة والدراية] .

فإذا صام الناس بقول الثقة ثلاثين يوما ، ولم يروا هلال شوال ، فليس لهم

(١) الآية مكية رقم ٣٣ من سورة النبأ .
(٢) الآية مكية رقم ٣٦ من سورة المطففين .
(٣) الآية مدنية رقم ١٢٥ من سورة البقرة .

أن يفطروا ، لأن الثقة مقبول قوله تقليدا، فإذا صح العلم بوجوبها، وثبوت عقدها، لم يزل إلا بعلم مثله يزيل حكم ما وجب من فرضها .

[١٠] فَإِنِ اخْتَفَى فَاسْتَفْرِغُوا أَيَّامَهُ كُمَّلا كَذَلِكَ قَالَ ذُو الْخَبَرْ

اختفى : يعنى الهلال هلال شوال . وقوله : استفرغوا أيامه ، يعنى شهر رمضان . وذو الخبر : هو النبي ﷺ ، وهو قوله عليه السلام : صوموا لرؤية هلال شهر رمضان، وأفطروا لرؤيته ، فإن غمى عليكم، فأتموا العدة ثلاثين يوما(١) .

فصل: يقال غم عليّ، وجَمّ، ولُبِّس، أى ستر. ومنه غممت الشيء إذا سترته . ومنه الغم . قال الله تعالى : « ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً »(٢) أى مبهما ملتبسا مغطى ، لا تدرون ما هو . وقيل غمة أمره ظلمة .

[١١] إِنَّ الزَّكَاةَ مِنَ النُّفُوسِ صِيَامُهُ وَطَهَارَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الطُّهْرِ

يقول : صيام شهر رمضان زكاة عن النفوس والأبدان ، كما أن الأموال فيها الزكاة ؛ وكلاهما من الله تعبد لعباده . وكذلك الصلاة أيضاً من أعمال البدن .

وعن النبي ﷺ ، عن الله عز وجل : الصوم جنة ، يجتن بها عبدى من النار والصوم لى ، وأنا أجزى به(٣) .

---

(١) روى عن أبى هريرة ، وبمعناه . روى عن ابن عمر وعن ابن عباس .

(٢) الآية مكية رقم ٧١ من سورة يونس .

(٣) رواه ابن جرير عن أبى هريرة .

[١٢] وَصِيَامُهُ بِالحِلْمِ فِيهِ وَبِالتُّقَى لِلّهِ لَا بِاليُبْسِ وَالضُّمْرِ

يقول : صيام شهر رمضان بالصمت والحلم ، وترك الكلام القبيح ، والنظر إلى المحارم ، واجتناب الكذب والزور ، وما يؤدى من قول وفعل ، إلى وزر وإثم ، لا بالجوع والعطش .

والحلم ها هنا الصمت ، والتقى ، والخوف . ومنه قوله تعالى : « لَكِنِ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ »(١) .

[١٣] صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ بَدْرِهِ ثُمَّ افْطِرُوا

أيضاً لِرُؤْيَتِهِ بِلَا شَجْرِ

الشجر : الاختلاف والاختلاط . ومنه قوله تعالى : « حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ »(٢) .

قال السجستانى(٣) : فيما اختلط بينهم ، وكذلك القوم فى تشاجر أمرهم ، أى فى اختلاط ، واختلاف . وقل : صوموا إذا رأيتم الهلال ، هلال شهر رمضان ، وأفطروا إذا رأيتم هلال شوال .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٠ من سورة الزمر .

(٢) الآية مدنية رقم ٦٥ من سورة النساء .

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشيمى بن القاسم ،الإمام أبو هاشم السجستانى ، البصرى ، الكوفى ، كان إماما فى اللغة وعلومها وفى الآداب وفى القرآن الكريم ، وفى الشعر ، صاحب مؤلفات عديدة . ولد حوالى سنة ١٦٠ هـ ومات فى سنة ٢٥٠ هـ . وقد تتلمذ على الأخفش إمام اللغة ، وجلس إلى غيره من العلماء ، أمثال أبى عبيدة ، وأبى زيد ، والأصمعى ، وروح بن عبادة ، ثم صار أستاذا صاحب حلقة تدريس فى مسجد البصرة ، يحضرها المتأدبون أمثال أبى العباس المبرد العالم اللغوى المشهور ، وقد روى عنه ابن دريد عالم اللغة المعروف .

وأحب لمن رأى هلال رمضان ، أن يذكر اسم الله كثيرا .

وقيل يقول عند رؤية الهلال : ربى وربك الله الذى لا إله إلا هو . اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والسلام ؛ والمغفرة ، مما تسخط وتكره .

[١٤] وَكُلُوا لِمُسْتَطِشَمْسِهِ وَوُجُوبِهَا حَتَّى يَبِينَ تَنَفُّسُ الْفَجْرِ
[١٥] وَدَعُوا الشُّكُوكَ وَمَا يَرِيبُ وَكُلَّمَا يَدْعُو إِلَى التَّخْيِيرِ وَالْخَتْرِ

يقول : سقطت الشمس : إذا غربت . الشكوك : جمع شك ، وهو ما ارتبت فيه .

والشك : ضد اليقين . والتخيير ، والخيار ، والخيرة : واحد وهو الوقوف عن الأمر . والختر : أشد الغدر .

قال الشاعر :

وإنكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ مَلأتَ يديكَ مِنْ خَتْرٍ وَغَدْرِ[1]

[١٦] وَالصَّوْمُ بِالثِّقَةِ الرَّضِيِّ إِذَا اخْتَفَى عَنْهُمْ وَغَابَتْ سُنَّةُ الْبَدْرِ

سنة البدر : رؤية الهلال . وسنة كل شىء : وجهه وصفحته . واستعمار البدر من الهلال ، لأن من سنته يكون بدرا ، والعرب تفعل ذلك . وتسمى البدر بدرا لمبادرته الشمس قبل أن تغيب ليلة أربع عشر . كأنه يبادر الشمس بطلوعه قبل أن تغيب . أى يعجلها .

---

(١) الختر هو الغدر ، وهو هجاء .

وسألته عن صيام شهر رمضان بشاهد وبشاهدين ، قال : يصام بشاهد ، ويفطر بشاهدين .

[١٧] صَامُوا ثَلاثِينَ سِوَى الْيَوْمِ الذى   شَهِدَ الرِّضَى بِهِ مِنَ الشَّهْرِ

والرضى : هو العدل . والرضى المقبول : الشهادة .

[١٨] وَالْعَدْلَةُ الأُنْثَى يُرَدُّ مَقَالُهَا   إِذْ هِيَ نِصْفُ الْعَادِلِ الْحَبْرِ

العدل من الناس الرضى والعدل يكون للواحد ، وللجمع . والحبر : العالم ، والحبر الشاب والحبرة : الشابة .

وقد ذكر أن امرأة رأت هلال شهر رمضان . فسئل أبو المؤثر[1] عن الصيام ، فلم يره ، وأكل ، وأمر الناس بالأكل ، ولا يصوم الناس بشهادة امرأة برؤية الهلال . ولو كانت عدلة ، ولا بشهادة أهل الذمة ولو كانوا عدولا فى دينهم .

[١٩] وَإِذَا رَأَى شَوَّالَ يَلْمَعُ بَدْرُهُ   أَحَدٌ وَأَفْطَرَ دُبْرَةَ الْعَصْرِ

دبرة العصر : مؤخر العصر . كما يقول دبر البيت والكعبة أى مؤخرها .

[٢٠] فَعَلَيْهِ يَوْمَ أَفْطَرَ جَاهِلاً   بَدَلًا لِذَاكَ الْيَوْمِ فى الْقَدْرِ

البدل : العوض من الشيء . يقول هذا بدل هذا ، أى عوض منه . والقدر : معناه المقدار . ويوم أبصر هلال شوال ، يوم ثلاثين يوما من شهر رمضان فى النهار فقالوا ، لولا أن الهلال كان هذه الليلة الماضية ، لما أبصرناه ، فأفطروا ، فعليهم الكفارة لذلك اليوم .

---

(١) هو الشيخ الجليل أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصى ، كان ضريرا ومن أجل فقهاء عمان .

[٢١] وَكَذَاكَ يَوْمُ الشَّكِّ إِنْ هُوَ صَامَهُ　　أَحَدٌ بِجَهْلٍ وَهْوَ لَا يَدْرِي

[٢٢] فَعَلَيْهِ يُبْدِلُهُ وَلَوْ قَامَتْ بِهِ　　شُهَدَاءُ بِرٌّ أَيُّمَا بِرِّ

البر : هاهنا الصدق . والبر : العدل المرضى الصادق .

ومن أصبح يوم الشك على عقد الصيام . فإن جاء الخبر فى ذلك اليوم ، أنه من شهر رمضان اعتدبه ، وإن لم يجئ ذلك اليوم الخبر ، وجاء من الغد ، أو فى الشهر أن ذلك اليوم كان من رمضان ، لم يعتدبه ؛ وكان عليه بداله .

[٢٣] وَعَلَى الْوَرَى أَنْ يُمْسِكُوا عَنْ أَكْلِهِ　　حَتَّى يَؤُوبَ مُسَافِرُ الْمِصْرِ

الورى : الناس . والهاء فى أكله عائدة إلى يوم الشك .

ويؤوب : يرجع . والمأمور به الناس يوم الشك أن يمسكوا عن أكله إلى وقت الضحى ، فى ذلك اليوم . فإن صح الخبر أتموا الصيام ؛ ولم يجز لهم الإفطار إذا صح أنه من شهر رمضان . ولو بشاهدى عدل .

وإن لم يصح إلى ذلك الوقت ، فجائز لهم أن يفطروا .

[٢٤] فَإِنِ اعْتَدَوْا قَبْلَ الضُّحَى مُتَصَبِّحُوا　　وَأَتَاهُمُ الْعُسَفَاءُ[1] بِالْخُبْرِ

الاعتداء : من التعدى ، وهو التجاهل فى الفعل . والضحى : الوقت الذى يستحب صلاة الضحى فيه امتداد النهار ، وقرب أن ينتصف النهار ، وهو حين ترمض الفصال[1] وتصبحوا من الصباح . والعسفاء : الخبراء واحدهم عسيف

---

(١) الفصال هى صغار الحيوانات التى انفصلت عن أمهاتها بعد بلوغها من القوة أن تبحث لنفسها عن غذاء وتستقل عن أمهاتها .

[٢٥] كَانُوا جُفَاةً فِي الْفِعَالِ وَأَمْسَكُوا
عَنْ أَكْلِهِمْ وَاللهُ ذُو غَفْرِ

[٢٦] وَإِنْه اعْتَدَى عَادٍ فَتَمَّ أَكْلَهُ عَمْداً فَذَاكَ يَبُوءُ بِالْوِزْرِ

[٢٧] وَإِنْ ادَّعَى جَهْلاً وَقَالَ حَسِبْتُهُ حِلاً كَحِلِّ الْحَيْضِ وَالسَّفْرِ

[٢٨] لَمْ يُلْزِمُوهُ سِوَى قِبَالَةِ يَوْمِهِ وَاللهُ أَوْلَى فِيهِ بِالْعُذْرِ

[٢٩] وَكَذَاكَ إِنْ هَاعَ الطَّعَامَ وَقَاءَهُ ثُمَّ اسْتَتَمَّ الْيَوْمَ بِالْفِطْرِ

يقول : هاع يهوع هوعا ، إذا جاءه القيء . وإذا تكلف قلت : تهوع .

ومن ذرعه القيء وهو صائم فى شهر رمضان ، فلا قضاء عليه .

ومن استقى : قال الشيخ معنى استقى : أى رد شيئا مما استقى فى حلقه بعد أن خرج على لسانه ، قاصدا هتك حرمة الشهر ، كان عليه فى قول أصحابنا القضاء والكفارة .

[٣٠] وَالْمُشْرِكُونَ إِذَا أَتَوْا فَتَحَنَّفُوا وَالْبَالِغُونَ بِهِ ذَوُو الصِّغْرِ

فتحنفوا : يعنى أسلموا . والحنيف ما كان على دين إبراهيم عليه السلام .

وإذا أسلم المشرك فى بعض رمضان ، فعليه أن يصوم مابقى منه ، وليس عليه مامضى .

وإذا أسلم المشرك فى بعض رمضان ، فعليه أن يصوم مابقى منه ، وليس عليه مامضى .

الدليل على ذلك قول الله تعالى : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَاقَدْ سَلَفَ[1] فأخبر أن ماتقدم فى حال الكفر مغفور لهم إذا أسلموا .

ومن أسلم من شركه وبلغ الحلم ، فليس له أن يأكل بقية يومه .

[٣١] فَالْقَوْلُ أَنَّ عَلَيْهِمُ إِبْدَالَهُ   وَصِيَامَ يَوْمِهِمُ عَلَى الْحَصْرِ

وأما قوله وصيام يومهم على الحصر ، أى على المنع لا يجوز أن يأكله . والاختلاف فيما قد مضى .

وكنت سألت أبا على[2] عن الصبى ، إذا بلغ فى شهر رمضان . ما يلزمه فى ذلك ؟ فرفع الاختلاف فيه . قال : يعجبنى إذا كان الصبى صائما ، ثم بلغ ، فليس عليه بدل .

وإن بلغ فى الشهر وكان مفطرا ، فيعجبنى أن يكون عليه بدل ما مضى .

[٣٢] هٰذَا وَفِيهِ رُخْصَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ   فِى هَدْمِهِ عَنْهُمْ بِلَا إِصْرِ

هدمه : تركه . هذا على قول من يرى عليهما ما مضى من الشهر ، أعنى المشرك والصبى إذا أسلم المشرك ، وبلغ الصبى . يقول : هدمت عنك حقى ، أى أى تركته لك .

[٣٣] وَإِذَا ذَكَرْتَ وَكُنْتَ تَأْكُلُ نَاسِيًا   فِيـــــهِ فَأَمْسِكْ سَاعَةَ الذِّكْرِ

---

(١) الآية مدنية رقم ٣٨ من سورة الأنفال .

(٢) هو الشيخ أبو على الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان من عقر نزوى .

[٣٤] وَكَذَاكَ إِنْ أَحْيَيْتَ نَفْسَكَ مِنْ صَدَى
ثُمَّ اعْتَمَدْتَ بِهَا عَلَى الزَّجْرِ[1]

[٣٥] فَعَلَيْكَ شَهْرَانِ وَشَهْرٌ ثَالِثٌ بَدَلًا لِيَوْمِكَ أَيَّمَا شَهْرِ

إذا اعتمد على الشرب فوق ما يحيي به نفسه .

[٣٦] وَإِذَا تَحَصْحَصَ سَبْقُ يَوْمٍ بَعْدَ مَا
سَنَحَ الصِّيَامُ بِرُؤْيَةِ الْبَـــــدْرِ

تحصحص : صح وتبين . قوله تعالى : « الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ »[2] .

[٣٧] صَدَرُوا بِلَا بَدَلٍ وَإِنْ هُوَ جَاءَهُمْ
فِيهِ تَعَقُّبُهُمْ لَدَى الْأَمْـــــرِ

وهذا إذا صح معهم أنه سبقه يوم من رمضان قبل انقضائه ، فعليهم بدله .

وإن صح ذلك بعد انقضاء رمضان ، فلا بدل عليهم . وهذا معنى البيتين .
والله أعلم .

[٣٨] وَالصَّوْمُ وَالإِفْطَارُ مِنْكَ بِنِيَّةٍ تَنْوِي بِهَا فِي اللَّيْلِ لِلْأَجْرِ

والنية فرض من أعمال الطاعات . والنية عقد بالقلب .

والفرض فى الصيام خمس خصال : العلم بالشهر ، والنية ، والإمساك عن الطعام والشراب ، والجماع ، واستفراغ طرفى المفترض .

---

(١) الصدى هو شدة العطش .

(٢) الآية مكية رقم ٥١ من سورة يوسف .

[٣٩] وَعَلَى الْكَبِيرِ إِذَا تبايَنَ ضَعْفُهُ إِطْعَامُ ذِي سَغَبٍ وَذِي عُمْرٍ

السغب : الجوع . إن الشيخ الكبير والعجوز ، والعاجزين عن الصوم يفطرون .

فأوجب قوم أن يطعم عنهم فى كل يوم مسكيناً .

قال الله تبارك وتعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ»(١)

[٤٠] فِي كُلِّ يَوْمٍ أَكْتَتَانِ فُطُورُهُ وَسُحُورُهُ فِي كُلِّ مَا يُجْزِي

إن شاء أعطى الفقير فطوره وسحوره ، وإن شاء أعطى حباً ، على ما تكون الكفارات . يجزئ : عن المرض والكبر .

والتأكيد على النية للصوم ، لما ينالون من عظم الثواب .

[٤١] أَوْ أَنْ يَصُومَ وَلِيُّهُ بِقِصَاصِ مَا يَأْتِيهِ مِنْ إِرْثٍ وَلِيِّ الذُّخْرِ

الوراثة الميراث . والذخر: ما يدخره الإنسان . بقصاص ما يأتيه أى بقدر ما يخصه من الميراث . وهذا إذا صام ولى الشيخ عنه .

[٤٢] وَعَلَى الْجَمَاعَةِ أَنْ يَكُونَ صِيَامُهُمْ تَبَعًا لِصَوْمِ الْأَوَّلِ الذَّمْرِ

الذمر : الأصل . وهو نعت للأول .

[٤٣] فَإِذَا الْفَسَادُ أَصَابَ صَوْمَ أَخِيرِهِمْ فَسَدَ الصِّيَامُ بِهِ مِنَ الْجَذْرِ

[يروى] أن عجوزاً كبرت على عهد جابر بن زيد رحمه الله ، فقال له

---

(١) الآية مدنية ١٨٤ من سورة البقرة .

نوقداها : إنها قد عجزت عن صوم شهر رمضان ، فقال لهما : صوما عنها ، فأتيا جابرا يحولان السبعة ، فقال في أخته ؟ قالا : نعم ، قال : أطعما عنها

والجذر : الأصل ، وأصل اللسان يسمى جذرا

[٤٤] مِنْ أَجْلِ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْهُمْ وَاحِد
وإذا أبواه ... تركوا ... عن ... القهر

من أجل : أى من جراء أن الصوم واحد ، فإن ... أبواه أن يصوموا ، أو يطعموا ، تركوا ولم يعرض لهم ، ولم يجبروا على ذلك .

وعلى كل وارث أن يصوم عن من يرثه ، إذا لم يطق وهو حي .

[٤٥] وَالفِطْرُ بَعْدَ الفَرْسَخَيْنِ مُجَاوِزٌ لِأَخِي النَّوَى فِي البَرِّ وَالبَحْرِ

والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، قال الخليل [1] : الفرسخ ثلاثة أميال ، أو سبعة آلاف خطوة ، ومن تعدى الفرسخين جاز له الإفطار .

والمسافر له أن يفطر ، غنيا كان ، أو فقيرا .

[٤٦] وَإِذَا المُسَافِرُ وَالمَرِيضُ تَجَرَّعَا فِيهِ زُعَاقَ المَوْتِ وَالكَشْرِ

قوله تجرعا من الجرع ، كما قيل الموت كأس ، والزعاق : سم ناقع .

والمريض الذى يجوز له الإفطار ...

قال : إذا لم يشته الطعام وهو الخبز والتمر جاز له أن يفطر .

---

(١) هو الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين ، واحد من مشاهير العلماء العمانيين .

[٤٧] لَمْ يُلْزَمَا بَدَلًا وَإِنْ يَكُ عُوفِيَا   مِقْدَار خَمْسٍ مِنْهُ أَوْ عَشْرِ

فمن أفطر فى سفره ، أو مرضه ، ثم مات من ذلك المرض الذى كان أفطر فيه، فى شهر رمضان، فلا بدل على هذين فيما كان أفطر ، وإن رجع إلى بلده ، أو صح من مرضه ، فعليه بدل تلك الأيام .

[٤٨] كَانَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمَا بِقِصَاصِ مَا   صَحَّا وَعَادَ مُسَافِرُ الْمِصْرِ

بقصاص : يعنى بقدر الأيام التى مرض فيها ، وسفر المسافر .

ومسائل هذا داخلة فى البيت الأول .

[٤٩] وَإِذَا تَطَاوَلَ بِالْمَرِيضِ ثَوَاؤُهُ   حَتَّى يَحُولَ الْحَوْلُ فِى الْعَصْرِ

ومن أفطر فى شهر رمضان فى مرضه أو سفره ، حتى حال الثانى ، إن قدر على الصوم صام ، وأطعم عن الماضى ، كل يوم مسكينا .

وثواؤه : إقامته فى المرض . قال الله تعالى : « وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِى أَهْلِ مَدْيَنَ »(١) .

[٥٠] صَامَ الأَخِيرَ إِذَا أَطَاقَ صِيَامَهُ   وَلِمَا مَضَى إِطْعَامُ ذِى فَقْرِ

ولو أن مريضا بقى فى مرضه فى شهر رمضان ، ثم الثانى، ثم الثالث ، ثم قدر، فصام الشهر الذى حضر ، وأطعم لما مضى ذلك من بعده ، ويصوم عن كل شهر متتابعا . وإن أفطر فيما بين الشهور ، فلا بأس .

---

(١) الآية مكية رقم ٤٥ من سورة القصص .

[٥١] وَعَلَيْهِ إِنْ قَدَرَ الصِّيَامَ يَصُومُهُ أَيْضاً بِلاَ كَلفٍ وَلاَ جَبْرِ

أى لايكلف ، ولايجبر ، إلا أن قدر .

التكلف : تكلف الشيء وأنت لاتقدر عليه .

قال الشاعر[1] :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَالَكَ يَسْأَمِ

[٥٢] وَعَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يُتَابِعَ صَوْمَهُ مَا كَانَ مِنْ بَدَلٍ وَمِنْ نَذْرِ

ولايكون صومه إلا متتابعا إن كان بدل شهر رمضان ، أو كفارة يمين ، أو نذرا أو غير ذلك .

[٥٣] وَعَلَيْهِ صَوْمٌ بِالْهِلَالِ إِذَا بَدَا مَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ وَمِنْ وَفْرِ

النقص : النقصان . والوفر : الزيادة .

[٥٤] وَإِذَا تَعَرَّضَ لِلَّيَالِي صَامَهُ عَدَداً ثَلاَثِينَ بِلاَ كَسْرِ

فمن أراد البدل ، فاعترض الأيام، يصوم ثلاثين يوما، ولوكان الناس صاموا تسعة وعشرين يوما .

[٥٥] وَعَلَى الْمُسَافِرِ أَنْ يُقَدِّمَ نِيَّةً فِي اللَّيْلِ لِلإِفْطَارِ فِي الْقَفْرِ

إذا أراد المسافر الإفطار ، اعتقد النية فى الليل ، ومن خرج مسافرا ونوى

---

(١) الشاعر هو زهير بن أبى سلمى قاله فى معلقته المشهورة بعد أن طال عمره وسئم ماتجىء به الحياة من المشقة ، واللام فى لاأبالك زائدة ، والتقدير لاأباك أى موجود ، ويقول المبرد فى كتابه الكامل ، لا أبالك هى كلمة فيها جفاء وغلظة ، والعرب يستعملونها عند الحث على أخذ الحق والإغراء .

الإنطار من الليل جاز له الإفطار فى النهار ، إذا صار فى حد الفرسخين . وإنما تـكون منه بالنية فى الليل إذا صار فى حد السفر . وذلك فى الليل قبل طلوع الفجر .

[٥٦] وَإِنِ الْمَرِيضُ أَوِ الْمُسَافِرُ أَفْطَرَا مِنْ غَيْرِ مَا نِيَّةٍ وَلاَ أَمْرِ

[٥٧] لَمْ يُلْزَمَا بَدَلاً سِوَى مَا أَفْطَرَا فِيهِ بِشُرْبٍ كَانَ أَوْ هَصْرِ

الهصر : الأكل . ومنه قيل للأسد هصور ، لأنه يأكل أى أكول .

[٥٨] وَالْفِطْرُ بَعْدَ الصَّوْمِ فِي السَّفْرِ هَدْمٌ لِصَوْمِ الْعَقِّ وَالْبِرِّ

هدم : أى ترك وإهمال . والعق من العقوق . والبر من البر[1] .

والمعنى فى ذلك : أن من صام فى سفر ، ثم أفطر فيه بعد أن صام ، فإنه قد هدم ، ما قد صامه فى سفره ، كان عاقا ، أو بارا .

والهدم : أصله السفر ، وهو فى هذا بمنزلة النقض .

[٥٩] وَإِذَا نَوَى سَفَراً فَأَفْطَرَ عِنْدَهُ فِي اللَّيْلِ ثُمَّ ابْنَ فِي الْخُدْرِ

ابن : أقام . قال القريعى :

قيلٌ أَبْنِ بِنَزْوَى وَالبِلَادِ مَعاً يَعُومُ فِي تُحَفٍ مِنْهُ وَأَلْطَافِ

القيل[2] : دون الملك الأكبر .

---

(١) وفى الأصل والمعق الفرض والبر النفل .

(٢) أصله قيول بفتح أوله وسكون الياء وكسر الواو ، فحذفت كسرة الواو للنقل فالتقى ساكنان ، وقد سمى به لأنه يقول مايشاء فينفذ .

[٦٠] حَتَّى اسْتَقَلَّ وَقَدْ تَرَحَّلَ يَوْمُهُ   مُسْتَقْبِلَا لِلْقَفْرِ بِالْعِطْرِ [1]

استقل : استوى راحلا من بلده . وقد ترحل يومه : ارتفعت شمسه .

قال الشاعر :

وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرَفِيَّةِ فَوْقَكُمْ   شُعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَحَّلُ [2]

الترحيل : انبساط الشمس .

[٦١] فَعَلَيْهِ إِبْدَالٌ لِمَا قَدْ صَامَهُ   مِنْ شَهْرِهِ بِالْعَنْفِ والصَّغْرِ

العنف : الميل . والصغر : المذلة .

ومن نوى فى الليل أن يسفر ، ونوى فى الليل أن يصبح مفطراً ، فلم يخرج من بلده حتى أصبح ، ثم خرج مسافرا ، ثم أفطر فى يومه ذلك ، فعليه بدل ما مضى من صومه .

[٦٢] وَإِذَا نَسِيتَ فَمَا عَلَيْكَ تَخَرُّجٌ   يَوْماً وَلَا بَدَلٌ مَدَى الدَّهْرِ

يعنى . وَمَن نسى حتى أكل أو شرب ، أو جامع ، فعليه بدل ذلك اليوم .

وقال من قال : لا شىء عليه فى النسيان ، وهو قول جابر بن زيد رحمه الله ، والبدل أحب إلىّ .

[٦٣] هَذَا وَقَوْمٌ يُلْزِمُونَكَ مِثْلَ مَا   فِيهِ نَسِيتَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِى

ومن غيره :

وقال من قال عليه البدل : إذا جامع ناسيا ، وأما إن أكل أو شرب ، فلا بدل عليه .

(١) القفر المراد به الأرض المقفرة الجرداء ، والعطر معروف .

(٢) المشرفية هى السيوف نسبة إلى مشارف الشام .

[٦٤] وَإِذَا أَسَاغَ الْمَاءَ عِنْدَ طَهَارَةٍ   لِفَرَائِضِ الصَّلَوَاتِ وَالطُّهْرِ

أساغ . إذا دخل الماء حلقه سهلا من غير عمد. ومنه قوله تعالى: لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ[١] .

[٦٥] مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ كَانَ ذَاكَ فَمَا بِهِ   بَدَلٌ وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ وِزْرٍ

[٦٦] وَعَلَيْهِ إِنْ يَكُ ذَاكِرًا لِصِيَامِهِ   وَطُهُورِهِ لِنَوَافِلِ الْأَجْرِ[٢]

[٦٧] تَبْدِيلُهُ هَذَا وَإِنْ يَكُ مُكْرَهًا   وَاللهُ يَعْلَمُ حَالَةَ الْقَهْرِ

وأما من سبقه الماء فى حلقه ، وهو يتوضأ للفريضة ، أنه لا بدل عليه ، ولو كان يتوضأ لها قبل وقتها .

وأما إن كان وضوؤه لنافلة ، فعليه بدل ذلك اليوم .

[٦٨] وَعَلَى الَّذِينَ اسْتَكْرَهُوهُ صِيَامَهُ

وَاللهُ عِنْدَ السِّرِّ وَالْجَهْرِ

وكذلك من أكره حتى يدخل فى حلقه شىء من ماء أو طعام ، ويجوز إلى جوفه ، فلا شىء عليه ، وعلى من أكرهه مثل ما على من أفطر فى شهر رمضان من الوزر .

وأما الكفارة فلا . وقال من قال عليه الكفارة .

---

(١) الآية مكية رقم ٦٦ من سورة النحل .

(٢) قوله إن يك ، أصلى يك يكن فعل مضارع مجزوم بإن فعل الشرط وعلامة جزمه السكون . على النون المحذوفة لضرورة الشعر .

[٦٩] وَالْمُرْضِعَاتُ فَقَدْ أَجَازَ جَمِيعُهُمْ إِفْطَارَهُنَّ لِقِلَّةِ الدَّرِّ

وقد قيل المرضع أن تفطر ، إذا خافت أن يذهب لبنها ، ويهلك ولدها

وقال من قال : إذا لم تجد له غذاء .

[٧٠] وَالْحَامِلَاتُ كَمِثْلِهِنَّ وَلَا أَرَى

بَأْسًا بِذَوْقِ الْخَلِّ وَالْمُرِّ

والحامل إذا خافت على ولدها أن تطرحه[1] ، فلها أن تفطر ، ثم تقضى شهر

رمضان . وكذلك للرضع .

[٧١] وَالْكَيْلُ لِلطَّحْنِ الدَّقِيقِ وَسَفْيِهِ

لِلتُّرْبِ غَيْرَ مُكَرَّهٍ حِجْرِ

والطحن بكسر الطاء : الاسم . والطحن بضم الطاء : المصدر .

ولا بأس بكيل الحب والدقيق ، وبسفى[2] التراب ، ولا ينتقض صومه

ولو تنخم فخرج التراب من حلقه .

وإن أمكنه أن يلوى ثوباً على منخريه وفيه ، فهو أحب إلىّ .

[٧٢] وَقَالُوا وَلَوْ دَخَلَ التُّرَابُ مَرِيَّهُ أَوْ هَاعَهُ مِنْ دَاخِلِ الصَّدْرِ

ويروى مَرِيئَهُ بالياء مهموز . رأس المعدة مرئ الإنسان وغيره ، يجرى

الطعام إلى جوفه . هذا من كتاب الجمهرة .

---

(١) أى ينزل منها سقطا .

(٢) السفى هو الغبار .

ومعنى هاعه أى قاءوه من القىء .

قال الشاعر :

مَا هَاعَ عَمْرٌو حِينَ أَدْخَلَ حَلْقَهُ ... يَا صَاحِ رِيشَ حَمَامَةٍ بَلْ قَاءَهُ

[٧٣] مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ وَالذُّبَابُ وَكُلَّمَا ... أَمْضَاهُ مِنْ وَرِقٍ وَمِنْ تِبْرِ

والورِق بكسر الراء : الفضة .

وإن وقع فى فيه شىء من غير عمد الطعام ، مثل الفضة والذهب ، والحجارة والدواب مثل الذباب ، فجاز على حد الغلبة منه ، ولا نقض عليه .

وعن موسى بن على[1] ، فى صائم طرح فى فيه حصاة فجازت ، قال : لا يفسد عليه صومه .

ومن ابتلع درهما ، أو ذبابا ، فما نبرئه من الكفارة . قول محمد بن محبوب .

[٧٤] وَأُحِبُّ إِنْ كَانَ الطَّحِينُ يَكِيلُهُ ... وَالثَّوْبُ فَوْقَ الأَنْفِ وَالثَّغْرِ

الثغر : الفم .

وفى الجامع[2] : إن أمكنه أن يلوى على فيه ومنخريه ثوبا ، فهو أحب إلىّ .

[٧٥] وَسَعُوطُهُ حِلٌّ وَبَعْضٌ عَابَهُ ... وَيَحِلُّ كُحْلُ الْعَيْنِ بِالصَّبْرِ

فلا بأس أن يقطر الصائم فى أذنه الماء والدواء ، إذا احتاج إلى ذلك من علة

---

(١) واحد من المشايخ العلماء العمانيين عاش فى القرن التاسع الهجرة أيام الإمام عبد الملك ابن حميد ، وكان له شأن فى أحداث ذلك الوقت .

(٢) أى جامع ابن جعفر الأزكوى .

وقد كره ذلك من كره . وكذلك السعوط(١)

وأكثر القول أنه لا يستنشق الصائم

ومن غيره : ولا بأس أن يستنشق الصائم .

قال أبو الحسن رحمه الله : ولا نحب للصائم أن يستنشق بالسعوط ولا يقطر في أذنه ، ولا أنفه ، ولا حلقه ، ولا يجعل شيئاً من الدهن ، ولا الماء ، ولا الدواء في المجاري التي تؤدي إلى الحلق ، لأن ذلك مما يؤدي إلى الجوف .

[٧٦] وَإِذَا أَذَتْهُ ضُرُوسُهُ فَأَبَانَهَا بَصَقَ النَّجِيعَ وَكَانَ فِي حَذَرِ

الحذر والتحذير [بمعنى] أبانها : يعني قلعها ، وأصل البين : الفراق .

والنجيع : الدم . ولا بأس أن يقلع الصائم ضروسه ، أو يعرض بخروج دم من فيه حتى أخرجه لعلة عرضت له .

من الضياء(٢) : ومن أذته ضروسه وهو صائم في شهر رمضان ، فقلعه ، أو سخنه بالنار [illegible] ، إلا السكر [illegible]

[٧٧] وَمَوْضِعُ رِيقِهَا أَيْ رِيقِ رَأْسِهِ إِلَّا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنَ الصَّدْرِ

ومن غرق ريقه ، أو ما ينحدر من رأسه ، فلا بأس ، وأما إن كان من الصدر فإنه لم يصل على لسانه ويقدر على لفظه ، فلا بأس .

---

(١) السعوط مسحوق يتخذ من ورق الدخان ويوضع في الأنف للتداوي ، وقد يصير مزاجا وعادة ، لايستطاع الإقلاع عنها .

(٢) كتاب الضياء في الفقه والشريعة ويقع في [illegible] جزءا [illegible] ومنه مختصر تحت عنوان « كتاب النور » مؤلف كتاب الضياء هو الشيخ سلمة بن مسلم بن عيسى بن مسلمة [illegible] وقد تورط هو وأخوه [illegible] بن عيسى بن مسلمة في معركة الروضة سنة ٤٠٨ هـ ، وقد ذكر [illegible] اسم الكتاب دون ذكر مؤلفه .

[٧٨]وَعَلَيْهِ حِينَ يَصِيرُ فَوْقَ لِسَانِهِ   يَرْمِي بِهِ فِي أَعْمَقِ الْقَعْرِ

أعمق القعر : يعنى به فى أسفل التراب .

[٧٩]وَيُصَابُ تَكْرِيهاً وَغَيْرَ مُحَرَّمٍ   مَا اسْتَنْقَعَ الصُّوَّامُ فِي النَّهْرِ

وكره أن يستنقع الصائم فى النهر الماء ، بلا أن ينقض ذلك صومه .

ومن غيره : ومن الاستنقاع فى الماء الذى يكره للصائم ما هو ؟ فذلك الذى يستنقع[١] فى الماء ، يريد بذلك القوة على صيامه ، والاستعانة به عليه .

[٨٠] وَالْحَقْنُ فِي قُبُلِ الْمَرْأَةِ لِعِلَّةٍ   حِلٌّ وَتُكْرَهُ حُقْنَةُ الدُّبْرِ

ولا يحتقن الرجل ولا المرأة فى الدبر فى النهار . فإن احتقن ، قيل إن عليه بدل ما مضى من صومه .

ولا بأس أن تحتقن المرأة فى القبل[٢] فى النهار فى شهر رمضان .

ومن غيره : وقد قيل ذلك للرجل أيضاً ، لأن القبل ليس مجرى الطعام .

[٨١] وَعَلَيْهِ فِيهِ نَقْضُ مَاقَدْ صَامَهُ   حِينَ احْتَشَى حَقْناً بِلَا عُذْرِ

[٨٢] والرَّطْبُ فِي صَدْرِ النَّهَارِ سِوَاكُهُ
حِلٌّ وَبَعْدَ إِقَامَـــــةِ الظُّهْرِ

ومن كتاب الضياء[٣] : وأحب للصائم استكثار السواك واستعماله .

---

(١) أن ينزل إلى الماء فيغمر جسده بالمـاء ترطيبا له .

(٢) القبل ضد الدبر ، للرجل والمرأة ، مثل الفرج .

(٣) يقع فى أربعة وعشرين مجلدا ،ومؤلفه هو الشيخ أبو إبراهيم سلمة بن مسلم الصحارى العوتبى صاحب كتاب الأنساب .

ومن استاك بسواك رطب فى رمضان ، أو يابس ، لم يضره ذلك ، سواء كان فى أول النهار ، أو آخره .

والنبى ﷺ قد حث على السواك ، ولم يفصل بين أول النهار وآخره .

وفى رواية أخرى أنه قال عليه السلام : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[1] .

[٨٣] فَلَا يُسْتَحَبُّ وَيُسْتَحَبُّ سِوَاكُهُ بِالْيَابِسِ الذَّاوِى لَدَى الْعَصْرِ

الذاوى : بين اليابس والرطب . ويستاك الصائم أول النهار بما كان من عيدان يابسة وإن استاك برطب من العيدان ، واستاك فى آخر النهار ، لم يتصون ذلك ينقض صومه ، ولا يتعمد لإجازة البزاق الذى يجتمع من السواك الرطب .

[٨٤] وَأُحِبُّ أَنْ يَلْقَى الطَّعَامَ بِرِيحِهِ مِنْ غَيْرِ مَا سَوْكٍ وَلَا نَشْرِ

وفى الجامع : وقيل إن فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك إذا كان نقيا .

وقيل إن للصائم فرحتين : فرحة عند الفطور ، وفرحة يوم يلقى ربه .

[٨٥] مَخْلُوفُ رَائِحَةِ الصِّيَامِ وَنَشْرِهِ كَالْمِسْكِ عِنْدَ اللهِ فِى النَّشْرِ

الخلوف : الرائحة المتغيرة . والنشر : الريح الطيب .

ويستحب للصائم أن يفطر على رائحة الصيام ،ولا يستاك عن الفطور ،بلا تحريم لذلك .

---

(١) رواه ابن جرير عن أم حبيبة أم المؤمنين .

[٨٦] وَصِيَامُ شَهْرِ الصَّبْرِ مَأْمُورٌ بِهِ   وَالْبِيضُ تُذْهِبُ عِلَّةَ الصَّدْرِ

شهر الصبر : رجب . والبيض : ثلاثة عشر ، وأربعة عشر ، وخمسة عشر[1] .

[٨٧] وَمَنِ اعْتَدَى بِالْأَكْلِ وَهُوَ يَظُنُّهُ   حُرْمًا فَوَافَقَ غُرَّةَ الْفِطْرِ

اعتدى من العدوان . والعدوان : التعدى ، يظنه : أى يتيقنه ويتعمد حراما ، والظن من حروف[2] الأضداد ، أحدهما الشك ، والآخر اليقين .

[٨٨] قَالُوا فَلَا بَدَلٌ عَلَيْهِ وَقَدْ أَتَى   فِي عَقْدِ نِيَّتِهِ عَلَى الْكُفْرِ

من الجامع : ومن اعتدى فأفطر فى آخر يوم من شهر رمضان ، ثم صح أنه يوم الفطر فقد أسىء[3] فى فعله ، وعليه التوبة ، ولا بدل عليه ، ولا كفارة ، وقد أراد شيئا رفع عنه . وقال بعض : إنه كمن أفطر فى شهر رمضان . والأول أحب إلىّ .

[٨٩] وَالْكَذِبُ يُفْسِدُ صَوْمَهُ فِي يَوْمِهِ   عَمْدًا بِلَا غَلَتٍ وَلَا حَصْرِ

الغلت : الغلط .

---

(١) الأيام الثلاثة أو الخمسة الأولى من شهر شوال بعد اليوم الأول . وهو يوم العيد ، وهى أيام يصومها المسلمون تبييضا لوجوههم يوم تسود وجوه . وفى القاموس المحيط ، إن أيام البيض هى أيام الليالى البيض ، وهى الثالث عشر إلى الخامس عشر ، أو الثانى عشر إلى الرابع عشر . ولا يقال الأيام البيض .

(٢) المقصود بالحروف اللفظ بحروفه . لأن الظن اسم ، ويراد به الشىء أو نقيضه ، أى أن له استعمالين .

(٣) أى أساء وأخطأ .

ومن كذب متعمدا فى يوم من شهر رمضان : فعليه بدل ذلك اليوم . وقد قال من قال لا بدل عليه .

عن النبي ﷺ أن الصوم والوضوء ينقضان بالكذب المتعمد عليه .
وكذلك عنه : غيبة المؤمن تنقض الوضوء والصوم .

[٩٠] وَإِذَا رَنَا طِرْساً وَفَرْجاً عَامِداً   أَوْ سَاخَ مُسْتَمِعاً إِلَى مِبرٍ

رنا : نظر . ساخ : معناه ألقى سمعه ، وأماله إلى الاستماع .
قال الشاعر :

أَسَاخَ إِلَىَّ مُسْتَمِعاً مَقَالِتِى   وَكَانَ سِفَاهُ فِى ذَاكَ الْمَقَالِ

[٩١] فَوُضُوءه نَقْضٌ وَيَمْضِى صَوْمُهُ   فَاسْمَعْ وَمَا سَمْعُكَ ذَا وَقْرِ

الوقر : الثقل فى الأذن . والطرس : الكتاب .

[٩٢] وَإِذَا تَشَابَهَتِ الشُّهورُ بِبَلْدَةٍ   لَمْ يُدْرَ مَا رَمَضَانُ مِنْ شَهْرِ

تشابهت : أى اشتكلت واختلطت .

[٩٣] فَصِيَامُ شَوَّالٍ يَقُومُ مَقَامَهُ   وَصِيَامُ شَعْبَانٍ إِلَى هَدْرِ

والهدر : الترك .

وقيل : من كان فى بلاد الشرك ، فالتبست عليه الشهور ، فلم يعرف شهر

رمضان يتحرى شهرا بصومه كشهر رمضان ، إنه إن وافق شهر رمضان فصامه، أو صام شوالا أو شهرا غيره من بعده ، فقد قضاه . وإن كان إنما صام شهرا من قبله مثل شعبان أو غيره ، فلا يجزئ عنه . وعليه بدل شهر رمضان .

[٩٤] إنْ كَانَ ذَاكَ قَضَى لِمَا ضَيَّعْتَهُ   وَصِيَامُ ذَاكَ جَهَالَةُ الْغِرِّ

الغر : الغافل الذى لم يجرب الأمور : [والقضى القضاء والأداء] .

[٩٥] وَإِذَا تَعَمَّدَ لِامْتِرَاءِ مَنِيِّهِ   فَعَلَيْهِ كَفَّارَاتُ ذِي الْعُهْرِ

الامتراء : والاستخراج .

قال الشاعر :

كَأَنَّهَا ضَرْبُ رِيحٍ تَمْتَرِي بَشَماً   لِمِرَّتِه فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَدَاراً(١)

ومنيّه يعنى المنى ، وهو الماء الدافق ، والعهر : الفجور .

ومن عبث بذكره حتى أمنى فى شهر رمضان نهارا ، فهو كمن أفطر ، وعليه البدل والكفارة إذا تعمد إنزال النطفة ، ولا بدل عليه إذا لم يعالج .

[٩٦] هَذَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيمَا جَاءَهُ   شَيْءٌ بِلَا دَلْثٍ وَلَا عَصْرِ

[٩٧] وَكَذَاكَ إِنْ طَرَقَ الْخَيَالُ وِسَادَةً   بِالْبِيضَةِ الرَّجْرَاجَةِ الْبِكْرِ

الطارق : ماأتاك ليلا . والخيال : الحلم ، وهو ما يتخيل لك فى المنام . والبضة

(١) البشم شجر عطر الرائحة ، يستخرج من ورقه صبغة سوداء للشعر ، وفى الشطر الثانى كسر الوزن ، والبيت من بحر الطويل .

الرقيقة الجلـــد كانت بيضاء ، أو آدما [1] . والرجراجة : التى ترتج فى مشيها ، وقيل : الناعمة ، كأنها لاعظم فى جسدها .

والوساد المنام [2] : لإن الوساد من سبب المنام ، فكنى عنه .

[٩٨] صُبْحاً فَقَامَ إِلَى الْغَدِيرِ مُبَادِراً لِيَمُوضَ فِي إِدْيَةِ الْغَمْرِ

الإديه ما تخلفه السيول فى الأودية . ليموض : أى يغتمس فى الماء . والغمر : الماء الكثير .

قال الشاعر :

أَخَضَّنِي مَقَامُ الْغَمْرِ إِنْ كَانَ سَرَّنِى سَنَا بَارِقٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ [3]

[٩٩] أَيْضاً فَلَاشَيْءَ عَلَيْهِ وَإِنْ يَكُنْ فِي الْغُسْلِ قَصَّرَ سَاعَةَ الذُّعْرِ

نصب ساعة على الظرف . والذعر : الفزع .

قال الشاعر :

عَرَضْنَ لَنَا يَوْماً وَهُنَّ نَوَافِرٌ
قَبْلَ الرَّكْبِ كالسِّرْبِ الْمُرَوَّعِ بِالذُّعْرِ

[١٠٠] فَعَلَيْهِ مَالَزِمَ الْمُقَصِّرَ وَالَّذِى أَمْذَى لِشَهْوَةِ رَبَّةِ الْخِدْرِ

الخدر : الستر ، وجمعه خدور .

قال الشاعر :

وَقَدْ كَانَتِ الْأَزْوَاجُ تُهْدَى بِتُرْبِهَا إِلَى أَرِيجِ الْمِسْكِ مِنْ رَبَّةِ الْخِدْرِ

---

(١) أى سمراء .
(٢) أى مايضعه النائم تحت رأسه .
(٣) السنا هو الضوء .

[١٠١] أَيْضًا فَلَا شَيْءٌ عَلَيْهِ وَإِنْ يَكُنْ
أَمْنَى وَسَالَ الشَّـــــبْرُ بِالْقَطْرِ

وجدت أن الشبر اسم للجماع . والمذى الذى يخرج قبل الانتشار وبعده ، ويخرج رقيقا فعليه الوضوء ولا غسل عليه ، ولا نقض صوم .

والمنى يكون غليظا . والشبر فى قوله : كناية عن الذكر .

[١٠٢] فَعَلَيْهِ نَقْضُ صِيَامِهِ مِنْ عَقْرِهِ فَيُعِيدُهُ بَدَلًا مِنَ الْعَقْرِ

وقوله نقض صيامه من عقره فيعيده بدلا . والعقر : الأصل .

ومن نظر إلى فرج امرأة فأمنى . قد قيـل : إن كان لم يزل ينظر إليها ، ويشتهى ذلك حتى أمنى ، فعليه بدل ما مضى .

وقال من قال : عليه الكفارة إذا تعمد إنزال النطفة ، وكذلك إن كان مسها . وأما إن نظر خطفة فأمنى ، فعليه بدل يومه .

وقال من قال : لا بدل عليه . وكذلك إن مس خطفة ولم يرد إنزال الماء ، فعليه بدل يومه ، وذلك فى امرأة وغير امرأة .

[١٠٣] وَعَلَى الَّذِينَ تَغَيَّبَتْ أَحْلَامُهُمْ إِبْدَالُ مَا صَامُوا بِلَا حِجْرِ

الأحلام : العقول . ومن ذهب عقله فى شهر رمضان كله ، فعليه بداله .

[١٠٤] وَمَنْ كَانَ مَجْنُونًا وَبَعْضُ حَطِّهِ عَنْهُمْ وَقِيلَ كَذَاكَ وَالسِّحْرِ

ومن أخذه الجنون حينا ، ويفيق حينا فى شهر رمضان ، وذهب عقله يوما أو يومين فأما الصائم ، فعليه بدل ما أفطر منه . وأما الصلاة ، فإن عقل فى وقتها صلاها ، وإن انقضى وقتها ، فلا بدل عليه .

[١٠٥] وَعَلَى الْمُسَافِرِ أَنْ يَحُوزَ صِيَامَهُ فِي سَفْرِهِ بِتَيَمُّمِ الْعَفْرِ

يحوز : يعنى يحرز صيامه . والعفر : التراب والتيمم ، وكيفيته ، وصفته فقد مضى قبل هذا ، غير أن التيمم القصد للشيء ، هذا أصله .

قال الشاعر :

فَإِنْ تَكُ حُبْلَى قَدْ أُصِبْتُ صَمِيمَهَا مُعَمَّدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

أى قصدت مالكا .

[١٠٦] إِنْ كَانَ أَجْنَبَ وَهُوَ فِي دَاوِيَّةٍ غبراء ذَاتِ مَهَامِهٍ غُبْرِ

والداوية : المفازة . والداوية : الفلاة الملساء ، واشتقاقها من داوية اللبن لملاستها والداوية : المفازة . والمهامه : الفلاة أيضاً ، واحدها مهمه ، وتثنيتها مهمهان .

قال الشاعر :

وَمَهْمَهٍ كَسَرَابِ التُّرْسِ لَيْسَ بِهِ إِلَّا الصَّدَى سَمْلَقٍ بِالْجِنِّ عَرَّافِ[1]

[١٠٧] فَتَيَمُّمٌ لِصِيَامِهِ وَتَيَمُّمٌ لِلْغُسْلِ قَبْلَ تَبَلُّجِ الْفَجْرِ

فتيمم قبل الصبح لصومه . فإن جهل ، فلا نقض عليه .

[١٠٨] وَخَرِيدَةٍ قَدْ بِتُّ غَيْرَ مُرَوَّعٍ مِنْهَا مَكَانَ السَّحْرِ وَالنَّحْرِ

خفض خريدة على معنى ورب خريدة . والخريدة : البكر لم تمس . والروع : الفزع . والسحر : الرئة . والنحر : الحنجرة ، يريد الجيد والصدر

(١) السملق هو المنخفض أو القاع ، يصف الصحراء بالتيه وبالرعب .

وهو ما بين الترائب والنحر ، والسحر الذى يسحر به . وجمع الساحر : سحرة ، وسحار .

[١٠٩] حَتَّى إذَا حَسَرَ الظَّلامُ قِنَاعَهُ   قَامَتْ وَوَاكِفُ دَمْعِهَا يَجْرِى

حسر : انكشف وزال ذهب الليل ، وأقبل النهار ، ومنه حسرت المرأة عن وجهها إذا كشفت قناعها عن وجهها ، وحسر الفارس عن رأسه ، إذا كشف عنه البيضة[1] .

وتقول : وكف الدمع ، وسال ، وانهمل ، وهمل ، وسفح ، وعسق ، وجرى . كل ذلك معناه واحد .

[١١٠] فَعَلَى الْمُجَامِعِ وِزْرُهَا مَعْ وِزْرِهِ   إنْ كَانَ جَامَعَهَا عَلَى الْقَهْرِ

وإن استكرهها[2] على ذلك ، فعليه بدل ما مضى ، يلزمه ويلزمها ، ولا شيء عليها ، والقهر ، والقسر ، والجبرة والجابرة واحد وهو الغلبة أيضا .

[١١١] فِى الصُّبْحِ أَوْ يَكُ نَامَ بَعْدَ جِمَاعِهَا

لِيَقُومَ   قَبْلَ   الصُّبْحِ   لِلطُّهْرِ

ومن أصابته الجنابة ليلا ولم يغتسل حتى أصبح ، فعليه بدل ما مضى من صومه إلا أن يك على نية أن يقوم فى الليل يغتسل . أراد ذلك ولم ينتبه ، فغسل من حينه . فعليه بدل يومه .

---

(١) ما يغطى به رأسه ووجهه .

(٢) أى أكره من يحل له وطؤها ، زوجة أو أمة .

[١١٢] فَمَضَى النُّعَاسُ بِهِ فَأَصْبَحَ نَائِماً　　فَعَلَيْهِ يَوْمٌ يَا أَبَا النَّضْرِ

ذهب به اليوم حتى أصبح ، فليغسل حين قام ، ويبدل يوما مكانه .

[١١٣] هَذَا وَإِنْ يَكُ نَامَ بَعْدَ جِمَاعِهَا　　جَهْلاً فَمَا فِي الْجَهْلِ مِنْ عُذْرِ

وإن جهل أيضا وترك ، لم يعذر بذلك الجهل .

[١١٤] فَعَلَيْهِ صَوْمُ الشَّهْرِ مُرْتَجِعاً بِهِ　　وَالْقَصْرُ مَفْرُوضٌ عَلَى السَّفْرِ

ومن أجنب ليلا فى شهر رمضان ، فترك الغسل متعمدا حتى أصبح ، فعند أصحابنا أن عليه بدل ما مضى ، وقد أفسد عليه ذلك ما مضى من صومه ، رجلا كان أو امرأة ، وإن جهل ذلك أيضا وترك ، لم يعذر بذلك الجهل .

[١١٥] وَالْفِطْرِ يَوْمٌ لَيْسَ يَقْطَعُ فِطْرُهُ
صَوْماً　　وَصَوْمُ صَبِيحَةِ النَّحْرِ

ولا يجوز صوم يوم الفطر ، ولا يوم النحر تطوعا ، ولا فى كفارة .

فإن كان عليه كفارة وقد أخذ فى الصباح قبل النحر فإنه يفطر يوم النحر ، ويصبح يوم الدخر(١) صائما لتمام كفارته .

[١١٦] فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْجَمِيلُ تَلَاؤُهُ　　ذِى الْعِزِّ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِ

الحمد لله يقول الشكر لله ، وهو أن صنع لخلقه فحمدوه . وقوله الجميل تلاؤه أى الحسن نعاؤه .

والآلاء : للملكوت ، والواو والتاء زائدتان ، مثل الرحموت ، والرهبوت من الرحمة والرهبة .

(١) كذا فى الأصل . ولعله يقصد اليوم التالى .

والكبر : العظمة . قوله تعالى : « وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى العظمة .

[١١٧] حَمْداً كَثِيراً دَائِماً شُكْراً لَهُ   اللهُ رَبُّ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

نصب حمداً وشكراً على المصدر . والشفع فى العدد : اثنان . والوتر : واحد. وقيل : الوتر الله تعالى ، والشفع الخلق ، خلقوا أزواجا . وقيل : الشفع والوتر ، الصلاة منها شفع أربع ركعات وركعتان ، ومنها ثلاث ركعات [وتر] .

قال أبو عبيدة : الشفع : الزكا وهو الزوج ، والوتر الخسا وهو الفرد .

قال الشاعر فى الخسا والزكا :

إِذَا هَوَى فى جَنَّةٍ غَادَرَهَا   مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ خَساً وَهْيَ زَكَا

تمت وهى هنا مائة وسبعة عشر بيتاً

* * *

القصيدة الثامنة[1]

فى

الزكاة والغنائم[2]

وقال فى الزكاة ووجوبها ، والغنائم والجزائر والصوافى وأحكام ذلك ، وزكاة الفطر ، وما يؤخذ من نصارى العرب .

[١] مَا هَاجَنِي رَسْمٌ وَلَا مَرْبَعُ وَلَا شَجَانِي طَلَلٌ بَلْقَعُ

هاجنى وهيجنى : ذكرنى ، وأثار شوق وحزنى . وشجانى أيضاً : أهمنى : والشجن : الهم والحزن . والرسم : الأثر وجمعه رسوم.

وطلل الإنسان : شخصه . والبلقع : الفلاة التى لا شىء فيها ، وجمعه بلاقع .

والمربع : حيث يرتبعون إليه فى صيف وشتاء .

[٢] وَلَا حَمَامُ الْأَيْكِ رَادَ الضُّحَى عَلَى الْأَفَانِينِ إِذَا يَسْجَعُ[3]

الأيك : الشجر الغليظ الملتف . الضحى : ارتفاع النهار ، ونصبه على الظرف أراد فى رأد الضحى .

قال الشاعر :

مُطَوَّقَةً وَرْقَاءَ تَسْجَعُ كُلَّمَا دَنَا الصَّيْفُ وَإِنْزَالُ الرَّبِيعِ فَأَنْجَمَا[4]

---

(١) من بحر السريع .

(٢) كذا فى الأصل ، والعنوان فى الديوان ، وقال فى زكاة الثمار وفى زكاة الأنعام . وفى أسنانها ، وفى زكاة السرقة وما أشبه ذلك .

(٣) الأفانين جمع أفنون ، وهو الحال والضرب من الشىء .

(٤) الورقاء نوع من الحمام ،وتسجع أى تهدل بصوتها،وأنجم الزرع إذا بدأ زهر إثماره.

[٣] لكِنْ شَجَانِي زَمَنٌ فَادِحٌ وَحَادِثٌ مِنْ خَطْبِهِ أَشْنَعُ

عطف بلكن على قوله ما هاجنى رسم ولا مربع . شجانى : أهمنى وأحزننى .

زمن فادح : أى ثقيل على أهله فى تصرفه وتقلبه .

والخطب : الأمر . والخطوب شدائد الدهر . الخطوب : الأمور .

وقوله أشنع : أى أشد وأقبح .

[٤] وَمِنْ زَكَاةٍ فَرْضُهَا وَاجِبٌ عَلَى أُولِي الْأَمْوَالِ لَمْ تُمْنَعِ

الزكاة مأخوذ من الزكاء ، وهو النماء والزيادة . سميت بذلك لأن إخراجها ينمى المال أى يكثره . وقوله على أولى الأموال أى على أهل الأموال .

[٥] يَا جَامِعَ الْمَالِ عَلَى أَنَّهُ تَتْرُكُهُ وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ

ويحك : ترحم ، وقيل : ويل كلمة تقال عند الهلكة . وقيل : ويل واد فى جهنم .

قال الشاعر :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ[٢]

قال الأصمعى[٣] : ويل فتوح ، وويس استصغار ، وويح ترحم .

[٦] جَمَعْتَهُ ثُمَّتَ خَلَّفْتَهُ لِغَافِلٍ لَمْ يَدْرِ مَا تَجْمَعُ

العرب تقول : ثمّ وثمّت ، وهما بمنزلة [واحدة] .

---

(١) العطف هنا غير وارد .

(٢) ويح هنا بمعنى الترحم ، والملحد هو موضع لحد الميت .

(٣) إمام من أئمة اللغة العربية ، وقد كان يقيم فى البصرة ، وعاش طويلا وتوفى عام ٢١٦ هـ .

قال الشاعر :

ثُمَّتَ قُمْنَا إلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعْرَاقُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ[1]

والغافل : الغار بالشيء لا يعلمه .

[٧] فَعَاثَ فِيمَا كُنْتَ عَنْ أَكْلِهِ نَفْسُكَ إِنْ تَاقَتْ لَهُ تَرْدَعُ

عاث : أفسد . والعيث : أشد الفساد .

قال الشاعر :

فَعَاثُوا عَيْثَهُمْ فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَعِثْنَا عَيْثَنَا فِيمَنْ يَلِينَا

تاقت أى اشتهت . يقول : تاقت نفسى إلى كذا وكذا ، أى اشتهت .

والردع : الزجر والنهى . تقول . ردعته فارتدع ، أى نهيته عن شيء يفعله .

[٨] صَارَ إِلَيْهِ وَافِراً كُلُّهُ وَأَنْتَ مِنْ أَوْزَارِهِ تَضْلَعُ[2]

من أوزاره : من أثقاله وآثامه . تضلع : أى تميل . والضلع : الميل .

[٩] إِذَا دَعَا الدَّاعِي فَلَبَّيْتَهُ وَالرَّأْسُ مِنْ خِيفَتِهِ مُقْنِعُ

المقنع الرافع رأسه .

قال الشاعر :

اتمعض رَأْسِي نَحْوَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَطْمَعَا

---

(١) الجرد جمع أجرد ، وهو من الحيوان قصير الشعر ، ومسومة أى معلمة ومميزة . وأعراقها أى أجسادها .

(٢) فى الأصل تطلع ، وفى الديوان تضلع ، وهو الصواب ، تقول ضلع يضلع أى مال ، ورغب .

[١٠] تَهْوِى إِلَيْهِ مُهْطِعًا نَحْوَهُ لِمَرْجِعٍ مَا ذَلِكَ الْمَرْجِعُ

وللمهطع الذى يقبل على الشيء ببصره .

وقوله تعالى : « مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ »(١) . مهطعين : مسرعين أى المسرعون إلى المنادى . ومنه قوله تعالى: « فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ »(٢) أى يحركونها .

قال ابن عباس : المهطع : الناظر .

[١١] لَيْسَ لَهُ فِى قَوْمِهِ شَافِعٌ وَلَا حَمِيمٌ عِنْدَهُ شَفِيعُ

الشافع : الطالب لغيره ، فيستشفع به إلى المطلوب . والحميم : القريب الذى يودك وتوده . والحامة : خاصة الرجل من أهله ووالده ، وذى قرابته .

قال الله تعالى : « فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ »(٣) « وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا »(٤) أى قريب قريبا .

والحميم مطر القيظ . والحميم قيل إنه العرق . وقيل إن الحميم ها هنا : الماء الحار .

[١٢] يَخْرُجُ مِنْ حُفْرَتِهِ كَنْزُهُ وَهُوَ شُجَاعٌ عِنْدَهُ أَقْرَعُ

أى يخرج من قبره الكنز شجاعا(٥) أقرع ، وهو الغول(٥) طوقا فى حلقه.

---

(١) الآية مكية رقم ٤٣ من سورة إبراهيم .
(٢) الآية مكية رقم ٥١ من سورة الإسراء ، ونغض ينغض كنصر أى تحرك واضطرب.
(٣) الآية مكية رقم ١٠٠ من سورة الشعراء .
(٤) الآية مكية رقم ١٠ من سورة المعارج .
(٥) القيظ هو الحر ، وفى الأصل القيض ، بإبدال الضاد طاء .
(٦) الثعبان .

[١٣] يَلْسَعُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُقْبِلًا وَمُدْبِراً أَنْيَابُهُ تَلْمَعُ

اللسع واللدغ واحد . يزعم أعرابى أن من الحيات ما يلسع ، وليست له أنياب[1] .

[١٤] يُدَعُّ دَعًّا وَهْوَ مُسْتَسْلِمٌ إِلَى جَحِيمٍ نَارُهَا تَسْطَعُ

الدع : الدفع فى وجوهم . تدفعهم خزنة النار على وجوهم . مستسلم أى منقاد . متذلل . وقوله تسطع أى تعلو فى التهاب .

[١٥] كَالْبَذْجِ الْمَخْلُوعِ عَنْ أُمِّهِ فِى الذُّلِّ مَا يَرْقَا لَهُ مَدْمَعُ

البذج : ولد الضأن الذى ألقته أمه قبل أن يأكل الحشيش .

قال النبى ﷺ : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج[2] — من الذل — .

وقوله : ما يرقا له مدمع . أى يقصر . والمدمع : مجتمع الدمع .

[١٦] قُولَا لِمَنْ يَكْنِزُهَا فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا يَأْمُلُهَا تَنْفَعُ

يكنزها يعنى الزكاة . فلذلك أنث الفعل . وكل مال لم تخرج منه الزكاة ، فهو كنز ، ويحتمل أن يكون الفعل أى جمله الكنوز . والله أعلم .

[١٧] وَحَوْلَهُ أَهْلُ الطَّوَى حُوَّمٌ صُورٌ إِلَيْهِ نُزَّعٌ جُوَّعُ

الطوى : الجوع . تقول : رجل طاو ، وامرأة طاوية .

---

(١) هذا الزعم حقيقة .

(٢) رواه أنس ، وتكملة الحديث . كأنه بذج ، فيقول الله تعالى ، يا ابن آدم ، أنا خير شريك ، وماعملت لى ، فأنا أجزيك به ، وما عملت لغيرى فاطلب ثوابه ممن عملت له .

والحوم : العطاش . والصور : جمع صاير . أى يدورون حوله ، ويصيرون إليه .

[١٨] بِكُلِّ دِينَارٍ لَهُ كَيَّةٌ يُكْوَى بِهَا الْأَبْهَرُ وَالْأَخْدَعُ

الأبهر والأخدع : عرقان مستبطنان العنق . وهما الأخدعان والأبهران ، والوتينان . ومنه قوله تعالى : « ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ »(١) .

والوتين نياط القلب ، إذا قطع مات صاحبه .

[١٩] فَامْهَدْ لِجَنْبَيْكَ التُّقَى مَضْجَعاً فَكُلُّ ذِى جَنْبٍ لَهُ مَضْجَعُ

فامهد : أى وطىء . والمهاد : الفراش الوطىء . ومنه قوله تعالى : فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ(٢) .

[قال] السجستانى [أى] فيوطئون .

وقال أبو عبيدة يمهدون : يكسبون ويعملون ويستعدون .

والمضجع : الموضع الذى ينام فيه ويضطجع ، والاضطجاع : الافتعال .

[٢٠] وَكُلُّ حِصْنٍ قَائِمٌ سَمْكُهُ وَإِنْ تَرَاخَى عُمْرُهُ يَصْرَعُ

السمك : ماارتفع من البناء . تراخى عمره : أى طال .

[٢١] قَدْ كَادَتِ الْأَرْضُ تُسَوَّى بِنَا لَوْ لَا شُيُوخٌ خُشَّعٌ رُكَّعُ

كادت قاربت ومعناه كادت الأرض . ومنه قوله [تعالى] لو تسوى بهم(٣) .

---

(١) الآية مكية رقم ٤٦ من سورة الحاقة .

(٢) الآية مكية رقم ٤٤ من سورة الروم .

(٣) فى الأصل : قوله تسوى بنا . وإذا كان المراد بالقائل الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فإن قوله عز وجل ما ذكر .

أى ندخل فيها حتى نعلوها والخشع : الخضع المصلون . والركع : جمع راكع . ركع الرجل : إذا انحنى .

[٢٣] وَالْعُشْرُ فِيمَا كِيلَ مِنْ كُلِّ مَا تَغْرِسُهُ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ تَزْرَعُ

العشر معروف وهو مازاد على التسعة[1] من الكيل والوزن . والغرس : مثل فسيل النخل، والغرس: الشجر . والزرع مايزرع بذرا كان أو تحويلا ، مثل الذرة والحنطة والشعير والدخن وغير ذلك .

[٢٤] وَلَيْسَ فِى حِرَفٍ وَلاَ عَصْفَرٍ وَالتِّينَ وَالرُّمَّانَ مُسْتَمْتَعُ

الحرف مثل بذر البصل ، والجرجر والبقل ، والعصفر : الشوران .

[٢٥] وَبَذْرُ كُلِّ الْبَقْلِ أَيْضاً مَعَ الْـ زيتون أيضاً لَا عُشْرٌ لَهُ يَرْفَعُ

[٢٦] والدَّقُّ وَالْجَلُّ فَمَا فِيهِمَا عُشْرٌ ، وَلاَ الْكُرْسُفُ وَالْخِرْوَعُ

الجل : قصب الزرع . والكرسف : القطن ، والخروع السمسم .

[٢٧] وَالْجَوْزُ وَالْجَلَوْزُ أَيْضاً وَلاَ الْفَرْسَكُ وَالْمُنْتَضِدُ الْمُونِعُ

الجوز معروف ، والجلوز : اللوزة . والفرسك : الخوخ . وقيل الفرسك شجر مثل الخوخ فى القدر ، أملس ، أحمر وأصفر . والمنتضد : الموز . والمونع : المدرك وهو النضيج .

---

(١) مازاد على التسعة هو العشرة ، أما العشر بضم العين وسكون الثانى فهو واحد من عشرة أجزاء : وهو المراد .

[٢٨] وَمَاعَلَى ذِى الْعُشْرِ مَالَمْ تَصِلْ   خَمْسَةَ أَوْسَاقٍ لَهُمْ مَطْمَعُ

الوسق : ستة أجربة[1] . إذا بلغت الثمرة خمسة أوسق ، وجبت فيها الزكاة والوسق : ستون صاعا .

[٢٩] وَالْوَسْقُ سِتُّونَ عَلَى كَيْلِهِمْ   بِالصَّاعِ إِذْ تَحْمِلُهُ الأَصْوُعُ

والأصوع : جمع صاع وهى المكاييل . وقوله تحمله أى ترفعه .

[٣٠] وَمَكَّةُ عَشْرٌ وَمَا حَوْلَهَا   وَيَثْرِبٌ وَالْيَمَنُ الْأَوْسَعُ

سميت كذلك لأنها تبك الذنوب ، أى توهبها ، كأنه أخذ من قولهم : بك الفصيل ضرع أمه إذا امتص مافيه كله .

[٣١] وَالجَوّ وَالْبَحْرَيْنِ إِذَا سَارَعُوا   ثُمَّ عُمَانٌ أَهْلُهَا أَسْرَعُوا

الجو هى اليمامة ، والجو الهواء ، والجمع الجواء . والجو : كل ماطمأن من الأرض .

[٣٢] وَفَارِسٌ إِذْ أُخِذَتْ عَنْوَةً   صَافِيَةً أَرْجَاؤُهَا أَجْمَعُ

فارس هى الأهواز[2] التى استفتحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، والعنوة : القهر وهو ما أخذ بالسيف . أرجاؤها : معناه على جوانبها ونواحيها .

---

(١) جمع جراب .

(٢) الأهواز نطاق على سبع كور بين البصرة وبين فارس ، لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن الأهواز ، ولا تفرد واحدة منهن بهوز ، وهى رامهرمز ، وعسكر مكرم ، وتستر ، وجنديسابور ، وسوس ، وسرق ، ونهر تيرى .

[٣٣] وَلَيْسَ يُعْطَى فى بِنَاءِ مَسْجِدٍ وَدَيْنِ مَيْتٍ حِينَمَا يَخْنَعُ
[٣٤] أَوْ كَفَنٍ أَوْ فِي شِرَا مُصْحَفٍ وَلاَ لِذِى الثَّرْوَةِ أَوْ يَشْسَعُ

وقيل لاتعطى فى دين ميت ، ولا كفن ميت ، ولافى بناء مسجد ، ولاشراء مصحف ، ولافى حج ، ولالمملوك ، ولالغنى غير مسافر ، ولالمن يعوله الغنى من أولاده الصغار ، والمصحف : بضم الميم وكسرها . والشاسع : البعيد ، والثروة والثراء ممدودا المال ، يقول : رجل مثر : أى غنى .

[٣٥] وَهْىَ عَلَى ذِى الْفَقْرِ أَوْ عَامِلٍ أَوْ غَارِمٍ آمَاقُهُ تَدْمَعُ

ذى الفقر : الحاجة ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم .

وفى التفسير : أن الفقراء ، فقراء المسلمين . الذين لايسألون الناس ، والعاملين عليها الذين يجبون الصدقات . والمؤلفة قلوبهم[1] . قيل إنهم كانوا اثنى عشر رجلا من قادة العرب ، دخلوا فى الإسلام كرها ، منهم أبو سفيان وأصحابه .

---

(١) المؤلفة قلوبهم أى الذين يستميلهم المسلمون إليهم ، وكانوا أصنافا ، فمنهم أشراف من العرب كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا . فيرضخ لهم ، ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيتألف قلوبهم بإجزال العطاء كعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، والعباس بن مرداس ، ومنهم فئة يترقب الرسول الكريم بإعطائهم إسلام نظرائهم ، ولعل الصنف الأول كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس الذى هو خالص ماله ، وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء من الصدقات على قتال الكفار ومانعى الزكاة .

وقد سقط سهم هؤلاء بالإجماع لما أن كان ذلك لتكثير المسلمين ، فلما أعز الله جل وعلا الإسلام وأعلى كلمته استغنى عن ذلك .

[٣٦] وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَفْرُوضَةٌ وَابْنُ سَبِيلٍ لَوْنُهُ أَسْفَعُ

لونه أسفع : أى متغير لونه . يقال : فلان سفعته الشمس والنار إذا غيرت لونه .

وفى سبيل الله ، يعنى فى الجهاد . وابن السبيل هو المسافر ، غنيا ، أو فقيرا .

[٣٧] وَسَهْمُ مَنْ كَاتَبَتْهُ سَادِسٌ لَهُ مَكَانٌ وَلَهُ مَوْضِــــعُ

وفى الرقاب هم المكاتبون ، وذلك أن الرجل يكاتب على يمينه . والكتابة هاهنا بيع[1] « فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا »[2] يعطى العاملين ما يستحقون عنده ، ويقسم كل صدقة قرية على فقرائها .

[٣٨] يُفَضَّلُ الأَفْضَلُ فِي قَسْمِهَا وَكُلُّ مَنْ فِي دِينِهِ أَوْرَعُ

الورع : أشد التحرج . أى مضيق على نفسه أمور الدنيا ، فى هذا الموضع الورع .

ويقال الورع : الوقوف عن الشبهات ، ولا يدفع على من يتقوى بها على معصية الله .

---

(١) أى أنها عقد فيه إيجاب وقبول ، والمكاتبة هى أن يقول المولى لمملوكه ، كاتبتك على كذا درهما تؤديه إلى وتعتق ، فيقول المملوك قبلته ، فإن أداه عتق ، وقد قيل إن معناها ، كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال ، ويجوز أن يؤدى مال المكاتبة جملة ، حالا ، ومؤجلا ، ومنجما ، أى مقسطا ، وعند الشافعى لا يجوز الأداء إلا مؤجلا منجما ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى ، إن علم الوالى فى مملوكه الأمانة والرشد والقدرة على الأداء بتحصيله من وجه حلال ، والأمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين والتصدق عليهم وإعطائهم سهما من الصدقات ، يعينهم على أداء أقساطهم التى كوتبوا عليها فكالرقابهم ، وقيل بأن تبتاع منه الرقاب فتعتق .

(٢) الآية مدنية رقم ٣٣ من سورة النور .

[٣٩] وَالنَّهْرُ عُشْرُ ما سَقَى سَائِحًا وَمَاسَقَى الْمُسْتَحْنَفَرُ الدَّعْدَعُ

وفي الحديث(١) : لا يدخل الجنة عشار ، وهو الذي يأخذ العشر . والسائح: الماء الجاري . والمستحنفر : المطر الغزير الذي ينشر الأرض من شدة وقعه ، وهو الوابل . والدعدع : شدة الحركة . والدعدعة : تحريك الشيء .

[٤٠] وَالْغَرْبُ مَا أَيْنَعَ مِنْ سَقْيِهَا فَفِيهِ نِصْفُ الْعُشْرِ إِذْ يونِعُ

الغرب : الدلو . والغرب يؤنث ويذكر ، وكذلك الدلو .

وقوله النواضح وهي الإبل التي يزجر عليها : يقال : أنضح الرجل : إذا استقى على البعير . وقوله يونع ، أي يدرك ويستحصد .

[٤١] ومَا سَقَى هَذَا وَذَا قَدَّرُوا ذَلِكَ فِي إِحْصَاء مَا يُجْمَعُ

الإحصاء : العدد والحساب ، وقوله قدروا : ميزوا إذا جعلوا كل شيء على حده وقدره .

[٤٢] مِنْ عَدَدِ الأَيَّامِ فِي ذَا وَذَا بِالشِّرْبِ يُحْصِي عَدَّهَا الأَرْوَعُ

الشرب : ما شرب من الماء الشرب : بكسر الشين هو النصيب . والشرب: بفتح الشين الجماعة يشربون . والشرب : بضم الشين مصدر .

والأروع : الذي روع حاله الناظرين إليه .

[٤٣] وَقِيلَ بَلْ هِيَ عَلَى أُسِّهَا فِي الأَصْلِ مِنْ تَأْسِيسِهَا تَتْبَعُ

أسها وتأسيسها : أصلها . وتتبع : تتلى . والتابع : التالي .

(١) كذا في الأصل .

[٤٤] وَهْيَ عَلَى مَا أَدْرَكَتْ زُكِّيَتْ   مَقَالَةٌ   ثَالِثَةٌ   تَشْرَعُ

فتشرع بشين . وروى عن النبى ﷺ : فيما سقت السماء والأنهار العشر .

وما تسقى بالدلاء فنصف العشر ، أو سقى بقرب فنصف العشر .

وما سقى بالنهر والزجر فيعلم أنه نصف أو ثلث ، أو ربع أخذ بالحساب .

[٤٥] وَالْبَعْلُ عُشْرٌ وَهْوَ مَا لَمْ يكن   غَرْبٌ   وَلَا   نَهْرٌ   بِهِ   يَهْمَعُ

البعل : النخل التى تشرب بأصولها ولا تسقى بزجر ولا نهر ففيها العشر إذا بلغت[1] ثلاثمائة صاع .

[٤٦] وَقِيلَ بَيْعُ النَّخْلِ مَا لَمْ تَكُنْ   تُعْرَفُ   بِالْأَلْوَانِ   أَوْ   تُونِعُ

الألوان جمع لون . وهو الأخضر ، والأصفر ، والأحمر . وتونع : تدرك ، أو يغلب الزهو احمرار الثمرة وصفرتها إن أراد ذلك البائع فلا يجوز على كل حال وهو نقض . والزهو إذا احمر البسر .

وأما طنى[2] النخل فقال من قال من الفقهاء إنه جائز إذا عرفت بألوانها .

وقال من قال : حتى تصير النخلة إذا جذ العرق منها أثمر ، ولم يفسد .

[٤٧] وَمَا بِهَا إِنْ أَكِلَتْ كُلُّهَا   زَهْوًا   وَمَعْوًا   عُشْرٌ   يَصْدَعُ

يصدع . يقسم . وأصله التفريق . والمعو إذا رطب كله . والزهو : احمرار ثمرة النخل وهو النضج . والمعو الرطب .

---

(١) أى ثمرتها .

(٢) طناء النخل بيع ثمره قبل أن ينضج .

ومن أطنى نخلة فأكلها المطنى رطبا وبسرا ، وكان هذا الطنى يبلغ فيه ثلثمائة صاع ففيه الزكاة .

وعمل بهذا الرأى أئمة أهل عمان . منهم أبو المهاجر هاشم بن المهاجر الحضرمى .

[٤٨] وَقِيل إنْ كَانَ لِمَنْ بَاعَهَا تَمْرٌ سِوَاهَا بَاقِيًا يُرْفَعُ

[٤٩] فيه زَكَاةٌ وَجَبَتْ عِنْدَهُمْ وَبالَّذِى أَطْنَاه يُسْتَجْمَعُ

[٥٠] فَالْعُشْرُ فِيهِ وَاجِبٌ هَكَذَا وَصِيَّةُ الأَشْيَاخِ إذْ وَدَّعُوا

[٥١] وَحِصَّةُ الْعُمَّالِ مَضْمُونَةٌ فِي جُمْلَةِ الْأَمْوَالِ تُسْتَتْبَعُ

وإن كانت نخل لرجل وفيها حصة لعمال بعملهم ، وأطنى صاحب النخل نخله ، وحبس العمال حصتهم ، فأكلوها رطبا أو بسرا ، فلا زكاة عليهم فيما أكلوا

وإن حبسوها حتى صارت تمرا ، فهى محمولة على صاحب المال ، فإن كانت الصدقة تجب عليه . فعلى العمال الصدقة من ذلك التمر ، وإن لم تكن الصدقة تجب عليه فلا شىء على العمال .

[٥٢] وَيَجْتَبِى الْجَابُونَ أَعْشَارَهُمْ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ لَهُمْ يُجْمَعُ

يجتبى بمعنى يجبى ، وهو الجابى الذى يجبى الصدقات ، كما يجبى الماء فى الجابية

[٥٣] فَرْضاً وَخُبُوتاً وَأَشْبَاهَهُ إنْ كَانَ إنْ أَجْمَلْتَهُ يَطْلُعُ

الفرض والخبوت رقلان من أجود النخل ، وتمرها من أجود التمر .

قال بعض الرجاز :

إِذَا أَكَلْتَ رَائِبًا وَفَرْضَا ذَهَبتَ طُولًا وَذَهَبْتَ عَرْضَا[١]

اتفق الناس أنه من وجب عليه صرفان فأعطى بلعقا ، كان جائزا .

[٥٤] وَالْبُسْرُ مَقْلِيًّا يُزَكَّى وَمَا فِى حَشَفِ الدَّقْلِ لَهُمْ مَطْمَعُ

يقول : قليت البسر وقلوته إذا طبخته بالنار ، وهو المبسل . وبسر المبسل يحمل على التمر وتؤخذ الزكاة على قدره .

والحشف إذا كان أحشافه بعد أن حلا ، ففيه الزكاة ، ويتم به التمر ، وأما الحشف المر فلا ، والحرث إذا كان أحرث بعد أن حلا ففيه الزكاة .

[٥٥] كَذَاكَ مَا يَخْرُجُ مِنْ دُبْسِهَا قِيلَ تُزَكِّيهَا وَمَا يَتْبَعُ

الدبس : العسل . إذا نضد التمر بعد أن كنز . ولم يخرج منه زكاة ، ووقع من التمر دبس ، كان تبعا للتمر . وفى الدبس زكاة على ما ذكروا . والله أعلم .

[٥٦] وَلَيْسَ فِى الصَّافِى عَشِيرٌ لَهُمْ إِلَّا عَلَى حِصَّةِ مَنْ يَزْرَعُ

ولمن كان شريكه ذميا ، أو ممن لا تجب عليه الزكاة من صافية أو نحوها ، ولا صدقة عليه فى حصته ولو جاءت الأرض كلها بما تجب فيه الصدقة ، حتى تبلغ فى حصة كل واحد منهم الزكاة . ولا زكاة فى الوقوف[٢] ، ولا فى الصوافى[٣] .

[٥٧] وَلَيْسَ فِيمَا اجْتَاحَهُ قَبْلَ أَنْ يُحْصَدَ عُشْرٌ حَرْجَفٌ زَعْزَعُ

---

(١) الرائب هو اللبن الرائب .

(٢) أى الموقوفة بمعنى أنها محبوسة عن التصرف ، ولكن تستغل .

(٣) الصوافى هى الأراضى والدور التى جلا عنها أصحابها ، والأموال التى لاوارث لها ، والضياع التى آلت إلى السلطان باستخلاصه إياها ، وهذه حكمها أن تكون لبيت المال ، لفقدان المالك لها .

اجتاحه : أهلكه واستأصله . والحرجف : الريح الشديدة . والزعزع من نعتها . وهى تزعزع كل شىء تمر به وتحركه ، وتقلعه من موضعه . وقيل هى : القر والصرصر .

[٥٨] وَجَائِزٌ مِنْ قَبْلِ عِرْفَانِهِ كَيْلًا وَمَا الْمَبْلَغُ وَالْمَرْجِعُ

يعنى أو سلطان يغصب ما كده . ومن حصد ثمرة ماله بلا كيل ، فعند الحصاد أتت على الثمرة جائحة من نار أو سلطان . أو ريح ، أو مطر ، أو لصوص ، فاجتاحها ، فلا زكاة عليه .

فإن كان قد علم مقدار الزكاة بكيل الثمرة ، فإن أكثر قول أصحابنا توجب الزكاة .

[٥٩] وَلَيْسَ فِى الْحَرْثِ إِذَا بَاعَهُ عُشْرٌ بِمَا يَنْحَطُّ أَوْ يَطْلُعُ

ومن باع حرثه وقد صار علفا على أن يقلعه المشترى ، فتركه فى الأرض حتى أدركت فيه الثمرة ، وبلغت ثلثمائة صاع ، ففيه الصدقة ، وإن لم تبلغ فلا تحمل على البائع ، ولا على امشترى .

[٦٠] وَالرَّمُّ[1] عُشْرٌ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا دَخِيلٌ فِيهِمُ يَزْرَعُ

وقيل : من زرع فى الرم بلا رأى أهله ، وليس هو منهم ، أن عليه الزكاة فيما أصاب ، ولو لم تبلغ ثلثمائة صاع ، إذا كان أهل الرم تبلغ عليهم الصدقة ، لأن الزرع لهم .

---

(١) الرم هو الأرض غير المزروعة والتى لا يملكها أحد .

[٦١] أَوْ يَبْلُغُ الحَدَّ الَّذِى حَدَّهُ   مَنْ حَدَّهُ فِى الشَّرَفِ الأَرْفَعُ

يعنى أو تبلغ الزراعة الحد الذى تجب فيه الزكاة ، وهو ثلثمائة صاع ، والذى حد ذلك من تقدم ذكره من المسلمين ، من حده الأرفع فى الشرف ، وهذا على التقديم والتأخير والحد اللغة والبخت والحظ .

[٦٢] وَقِيلَ بَلْ فِيهِ وَلَوْ لَمْ تَجِبْ   إِنْ كَانَ لَا عَنْ مِنْحَةٍ تُزْرَعُ

هذا ما تقدم ذكره فى أول المسألة ، إذا زرع بلا رأى أهله ، ولا عن منحة منحوه ، وليس هو منهم . إن الصدقة فيما أصاب ، ولو لم تبلغ ثلثمائة صاع . ومنحة بكسر الميم .

[٦٣] وَتُحْمَلُ الأَعْشَارُ مِنْ كُلِّ مَا   تَدَارَكَتْ خُضْرَتُهُ فَاسْمَعُوا

أى الذمى يمنح المسلم أرضا ، والمنحة المعارة ليزرعها ، وقوله فلا أرض له : يعنى أن خراجها[1] على ربها المشرك ، ولا تسقط منه منحته إياها ، ولا يكون على المسلم خراجها .

[٦٤] وَإِنْ مَضَتْ بَيْنَهُمَا أَشْهُرٌ   ثَلَاثَةٌ أَشْهُرُهَا تَلْمَعُ

ومن كان له أرض رمّ فيها بر وشعير ودخن[2] ، حمل البر على الشعير والدخن وحده .

---

(١) الخراج هو مايدفعه أهل الذمة وأصحاب الكتاب الذين يعيشون فى بلاد المسلمين ، نظير حمايتهم والدفاع عن أنفسهم وأولادهم وأموالهم .

(٢) الدخن هو حب الجاورسى أو أصغر منه ، وهو أملس ، وربما كان هو القرطم .

ولو كان فيها بر وذرة ، فأدركت إحداها قبـــل الأخرى بشهر أو أقل أو أكثر ، فبلغت إحداها ثلثمائة صاع ، وعجزت الأخرى عن ذلك ، أن الصدقة فيها تحمل على الزراعة الأخرى إذا كان بينهما أقل من ثلاثة أشهر .

وإن كان بين إدراكهما أكثر من ثلاثة أشهر ، فلا تحمل على الأولى ، لأنها ثمرة أخرى .

[٦٥] لَمْ يُحْمَلِ الآخِرُ عَلَى أَوَّلِ كَذَاكَ نَضْرُ الذُّرَةِ الْأَفْرَعُ

الذرة والفرع : العالى من كل شيء ، ومن ذلك سمى شعر الرأس فرعا ، لأنه أعلى مكان . وجمع فرع : فروع .

قال الشاعر :

فَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنِعَامُهَا[1]

علا : ارتفع . والأيهقان : الجرجير البرى .

[٦٦] وَكُلُّ قَوْمٍ أَصْلُهُمْ وَاحِدٌ عَلَيْهِمُ الْعُشْرُ إِذَا اسْتَجْمَعُوا

والشركاء إذا زرعوا الأرض كلهم ، فبلغت الصدقة ، أخرجت من جملتها ، وإن لم تبلغ لم يحملوها على بعضهم بعض ، إلا إذا كان لغيرهم ما حمل بعضهم إلى بعض .

[٦٧] وَنِصْفُ مِثْقَالٍ عُشَيْرٌ لِمَا يَبْلُغُ عِشْرِينَ وَمَا يَطْلُعُ

عن النبى ﷺ أنه قال : ليس فيما دون عشرين مثقالا صدقة ، وعلى ذلك

(١) الجلهة الصخرة العظمية المستديرة ، وأطفلت أى أفرخت وولدت .

أجمع الصحابة . فإذا بلغ الذهب عشرين مثقالا ، وتمت عند ربها سنة ففيها الصدقة نصف مثقال ، وإن نقصت عن العشرين فلا شيء فيها .

[٦٨] وَالْعُشْرُ فِي أَرْبَعَةٍ بَعْدَهَا مِنْ أَنْضَرِ عِقْيَانِهِ أَنْصَعُ

وإن زاد على عشرين مثقالا ، فلا زكاة في زيادتها ، حتى تبلغ الزيادة أربعة مثاقيل فعليها عشر مثقال ، فإذا ملكت شيئاً من الذهب والفضة ، حمل بعضه على بعض بحساب .

[٦٩] وَفِي اللُّجَيْنِ الْعُشْرُ عِنْدَ الْوَرَى مِنْ مِائَتَيْنِ فَاسْمَعُوا ثُمَّ عُوا

اللجين : الفضة . وكذلك الدراهم والفضة والحلى إذا بلغت مائتى درهم وبقيت عند صاحبها سنة ، ففيها خمسة دراهم .

وإن نقصت عن مائتين ، فلا شيء فيها ، وإن زادت على الثلاثين ففي كل أربعين درهما ، درهم .

[٧٠] خَمْسَةٌ بِيضٌ صَرْفُهَا عَسْجَدٌ بِنِصْفِ مِثْقَالٍ لَهَا يَقْطَعُ

يقول : صرف كل خمسة دراهم بيض بنصف مثقال ، يكون صرف العشرين مثقالا مائتا[1] درهم والصرف بالخيار ، إن شاء أخذ من الحلى ، أو الذهب ، أو الفضة ، ذهبا وفضة ، على قدر ذلك ، وإن شاء أخذ منه ثمنه كما يباع ، إلا أن يريد صاحب الذهب والفضة أن يعطى عن الذهب ذهبا منه ، وعن الفضة فضة منه ، فذلك له .

---

(١) في الأصل ثماني بدل مائة .

[٧١] وَدِرْهَمٌ مِنْ أَرْبَعِيهَا لِمَنْ   أَعْشَرَهَا مَادُونَهُ مَدْفَعُ

قال النبي ﷺ[1] : ليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ، وليس فيما دون مائتى درهم صدقة .

[٧٢] وَالْإِبِلُ وَالْبَاقِرُ عُشْرَاها   لَهُ سَبِيلٌ وَاضِحٌ مَهْيَعُ

والمهيع : الطريق الواسع المنبسط على وجه الأرض . وهو مفعل من التهيع ، والتهيع : السراب يبسط على وجه الأرض ويتهيع .

[٧٣] إنْ حَالَ حَوْلٌ وَهْىَ مَعَ رَبِّهَا   مُلْمِعَةٌ أَوْ بَعْضُهَا مُلْمِعُ

وملمعة إذا كانت حاملا . وتقول : حبلت المرأة ، وحملت . وهى حامل ، وحبلى قال الله تعالى : فَحَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا . والخفيف . النطفة أى قامت وقعدت فلما أثقلت ، يعنى الولد فى بطنها .

[٧٤] شَاةٌ عَنِ الْخَمْسِ وَعَنْ ضِعْفِهَا   شَاتَانِ وَالضِّعْفُ لَهُ أَرْبَـــعُ

إذا بلغت الإبل خمسا وحال عليها حول ، ففيها شاة ، وإن نقصت عن الخمس ، فلا زكاة فيها ، وإن زادت على خمس ، فلا زكاة فى زيادتها ، وإذا بلغت عشرا ، ففيها شاتان .

[٧٥] وَإِنْ تَزِدْ خَمْساً فَفِيهَا إِذَنْ   بِنْتُ مَخَاضٍ سِنُّهَا أَوْضَعُ

والعشر لا شىء فى زيادتها حتى تبلغ خمس عشرة ، ثم فيها ثلاث شيــاه ، ثم لا شىء فيما زاد ، حتى تبلغ عشرين ، ففيها أربع شياه .

---

(١) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة، وليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة ، رواه مالك والشافعى .

فما بين الفريضتين لا يؤخذ منه ، حتى تتم الفريضة التالية .

[٧٦] وَابْنُ لَبُونٍ إِنْ تَكُنْ لَمْ تَجِدْ   بِنْتَ مَخَاضٍ سِنهَا أَرْفَع[1]
[٧٧] وَفِي ثَلاثِينَ وَستٍّ تَرَى   بِنْتِ لَبُونٍ ثُمَّ تُسْتَتْبَعُ
[٧٨] وَإِنْ تَزِدْ عَشْرا فَعَيْرانَةٌ   طَرُوقَةٌ لِلْفَحْلِ لَا تُمْنَعُ

ومن ستة وأربعين حقة طروقة للفحل . يعنى التى تستحق أن يحمل عليها .

ويقال للتى تستحق أن يحمل عليها الفحل يطرقها ، أى يضربها .

والعيرانة : الخفيفة ، الموثقة الخلق ، البسيطة .

[٧٩] وَإِنْ عَلَى السِّنِينَ زَادَتْ فَمَا   مِنْ مَدْفَعٍ دُونَ الَّتِي تَجْذَعُ

وهى التى استحقت أن يحمل عليها . والطروقة التى يطرقها الفحل وتقدر عليه .

العيرانة : الناقة شبهها بالعير فى مضيها ، وبسرعتها . والعير : الحمار من الوحش .

[٨٠] وَالسِّتُّ والسَّبْعُونَ تَصْدِيقُهَا   بِنْتَا لَبُونٍ فَرْضُهَا أَجْمَعُ
[٨١] وَإِنْ تَزِدْ وَاحِدَةٌ قَبْلَهَا   تِسْعُونَ فِي مَبْرَكِهَا وُقَّعُ
[٨٢] الْحِقَّتَانِ حُكْمُهُما عِنْدَهُمْ   طَرُوقَتَانِ فِيهِمَا مَرْدَعُ

سميت الحقة حقة . وجمعها حقاق وحقائق ، وهى التى استحقت أن يحمل عليها ، ومردع مدفع .

---

(١) ابن لبون هو ولد الناقة إذا كان قد استكمل عامه الثانى أو إذا دخل فى الثالث .

[٨٢] وَإِنْ تَعَالَتْ مِائَةً نَاقَةٍ مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ لَهَا مَرْتَعُ

المرتع : الأكل والشرب رغدا فى الريف ، إذا أكلت ما شاءت .

[٨٣] فَأَرْبَعٌ عَلَى ثَالِثَةٍ سِنُّهَا بِنْتُ لَبُونٍ إِنْ تَكُنْ تَرْبَعُ

[٨٤] وَكُلُّ عَشْرٍ طَلَعَتْ بَعْدَهَا فَهْيَ عَلَى حُسْبَانِهَا تَتْبَعُ

الحسبان الحساب ، والحسبان قال الله تعالى : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ[1] ، أى يطلعن ويغربن من مطالعهما ومغاربهما فى الصيف والشتاء .

والحسبان : المرامى ، واحدها حسبانة . قال الله تعالى . وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ، أى مرامى .

[٨٥] وَكُلُّ خَمْسِينَ لَهَا حِقَّةٌ تَنُوخُ فِي قَابِلِهَا الْأَصْبَعُ

تنوخ : تدخل ، والقابل : عِرْقٌ يستبطن فخذى الدابة ، وذلك إذا سمنت الدابة جملا كان أو فرسا ، لم ير القابل ، من سمنها ، ويرى القابل من فخذى الدابة إذا هزلت وقل لحمها .

[٨٦] وَالْأَرْبَعُونَ الْحَدُّ فِي سِنِّهَا بِنْتُ لَبُونٍ جَوُّهَا مُمْرِعُ

أراد فى الأربعين ابنة لبون فلذلك خفضها . جوها : مرعاها ، وهو الفلاة . وممرع : مخصب .

[٨٧] ثُمَّ عَلَى ذَا فَاقْفُهَا إِنْ تَكُنْ تَعْقِلُ أَوْ تُبْصِرُ أَوْ تَسْمَعُ

يقول : على هذا الحساب فاقفها ، فاتبع بعضها بعضا . وقولهم : قفوت القوم إذا تبعتهم . ومنه قوله تعالى : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ[3] .

(١) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الرحمن .
(٢) الآية مكية رقم ٤٠ من سورة الكهف .
(٣) الآية مكية رقم ٣٦ من سورة الإسراء .

قال أبو عبيدة : ولا تتبع مالا تعلم .

[٨٨] لَا يُفَرَّقُ الْجَمْعُ إِذَا زُكِّيَتْ يَوْماً وَلَا تَفْرِيقُهَا يَجْمَعُ

ففي الخمسة والعشرين من الإبل ، ابنة مخاض ، حتى يبلغ ستا وثلاثين ، ففيها ابنة لبون حتى تبلغ ستة وأربعين ، ففيها حقة ، حتى تبلغ واحدا وستين ، ففيها جذعة حتى تبلغ إحدى وعشرين ومائة .

[٨٩] وَالْعَيْنُ عِشْرُونَ إِذَا زُكِّيَتْ عَنْهَا وَخَمْسٌ جَذَعٍ أَنْزَعُ

العين : البقر . واحدتها عيناء ، والذكر عين .

[٩٠] فَكَالرِّبَاعِ الْحَقُّ فِي سِنِّهِ عَنْ كُلِّ خَمْسِينَ إِذَا تَرْبَعُ

تربع : تصير رباعا .

[٩١] ثُمَّ ثَنِيٌّ وَرُبَاعٌ وَمِنْ بَعْدِ رِبَاعٍ سُدُسٌ جَرْشَعُ

الجرشع : الغليظ الممتلىء .

[٩٢] بِنْتُ لَبُونِ الْإِبْلِ ثِنْيَانُهَا حِينَ تُزَكَّى الْبَقَرُ الضُّلَّعُ

الضلع : الضخمة الغليظة . ومنه قيل : فرس ضليع ، كما قال امرؤ القيس :

ضَلِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فُرْجَةٌ يُضَافُ فُوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

[٩٣] وَأَرْبَعُوهَا حَدُّهَا عَالِمٌ نَبِيهٌ فِي حَدِّهِ مِصْقَعُ

المصقع : الفصيح اللسان . والبقر في الصدقة بمنزلة الإبل ، يؤخذ منها مثل مايؤخذ من الإبل : ما كان منها أقل من خمس ، فلا صدقة فيه .

---

(١) المخاض الحوامل من الإبل وابن وابنة مخاض هو الناقة إذا لقحت أمه ، أو هو ما دخل عمره في السنة الثانية لأن أمه لحقت بالمخاض ، أي الحوامل ، وإن لم تكن حاملا .

فإذا بلغت خمسا ، وحال عليها حول عند ربها ، كان عليه شاة .

[٩٤] وَالشَّاءُ فِي تَيْعَتِهَا عِنْدَهُمْ   شَـــاةٌ وَلِلْحِقِّ سِنٌّ يَسْطَعُ

والشاء جمع شاة . والتيعة أربعون شاة فى صدقة الغنم ، فإذا زادت واحدة ، ففيها شاة .

قال الشاعر :

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ بِقُنَّةٍ   يَرُوحُ عَلَى آثَارِ شَـــائِهِمُ النَّمِرُ

[٩٥] ثُمَّ عَلَى الضِّعْفَيْنِ فِي ذَلِكُمْ   شَاتَانِ مِنْ أَوْسَاطِهَا تُقْرَعُ

الضعفين : يعنى ضعفى الأربعين ، فيصير ضعفين ، والأربعون مائة وعشرون وحينئذ يصير فى ذلك شاتان . وقوله يقرع : يضرب بالحساب .

[٩٦] وَالاِثْنَانِ إِنْ عَلَتْ بَعْدَهَا   فِيهَا ثَلَاثٌ غَنَمٌ رُتَّعُ

الرتع الأكل ، والشرب رغدا فى الريف . يقول : رتعت الإبل والغنم ، إذا رعت .

[٩٧] وَأَرْبَعٌ إِنْ بَلَغَتْ أربعًا   مِنْ مِائَةٍ مَادُونَهَا مَقْنَعُ

قنع رضى ، والقانع الراضى . نعوذ بالله من القنوع ، والخضوع ، والخنوع .

[٩٨] وَلَيْس لِلجَابِي كَرَّازٌ وَلَا   أَكُولَةٌ وَمَاخِضٌ مُلْمَعُ

الجابى : الساعى الذى يأخذ صدقه الماشية . الكراز بالتشديد : الكبش الذى يحمل عليه خراج الراعى والأكولة : هى التى تسمن للأكل ـ والماخض : الحامل ، وهى الملمع .

[٩٩] والتَّيِمَةُ الْغَيْطَا لِأَرْبَابِهَا شَرِيعَةٌ مَامِثْلُهَا تُشْرَعُ

التيمة الغيطا الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى .

والغيطا ، والغطاغط : السخال الإناث . الشريعة : السنة ، وهى سنة رسول الله ﷺ .

[١٠٠] وَلَا آهُ مَسْخَلَةٌ شَافِعٌ وَلَا الَّتِي تَظْلَعُ أَوْ تَجْمَعُ[1]

المسخلة هى الفائج . والشافع : التى تشفع ولدها . وتظلع أى تعرج ، وكذلك الجمع .

وليس على المصدق أن يأخذ المريضة ، ولا العوراء والجرباء . ولاجذعة ، ولا هرمة .

[١٠١] وَمَا خَطَا الْجِلْهَةَ زَكَّيْتَهُ أَوْ جَمَعَ الْمَعْطَنُ وَالْمَرْتَعُ[2]

يعنى ماخطا من السخال راعيا . والجلهة : شفير الوادى ، وغير ذلك من المرتفعة .

والمعطن : المبرك حيث تبول الإبل قرب الحياض .

والمرتع : المرعى حيث ترعى .

[١٠٢] وَلَيْسَ فِي النُّخَةِ عُشْرٌ وَلَا الْكُسْعَةِ وَالْجَبْهَةِ تُسْتَبْدَعُ

النخة : الحمير . والكسعة : العوامل من الإبل والبقر والحمير . والجبهة الخيل .

---

(١) هذا البيت غير مذكور فى القصيدة بالديوان .

(٢) ذكر هذا البيت فى الديوان بقوله وما خطا الجهلة الوادى زكيته : ولعل الصواب هو ماذكر .

والجبهة أيضا : الجماعة من الرجال .

وسمعت أن الكسعة : جماعة العبيد ، الذين يخدمون ، ويعملون الأشغال عند سادتهم ، وهم غير عبيد التجارة .

وفى كتاب شمس العلوم : النخة : البقر العوامل .

[١٠٣] وَقِيلَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْبَعٌ وَآخَرُ فِي مُلْكِهِ أَرْبَعُ

تفسير البيتين : الشركة الخالطة ، والشريكان الخليطان ، والشركاء الخلطاء هذا أصله وتقول : قنا الإنسان غنما وغيره، يقنو قنوا وقنوانا، واقتناه يقتنيه اقتناء كل ذلك يقال .

[١٠٤] وَنَاقَةٌ بَيْنَهُمَا شِرْكَةٌ أَقْنَاهَا ذَاكَ لِمَنْ يَرْضَعُ

لنفسه ، لا للبيع . ويقال هذا له قُنية ، واتخذ قنية النسل ، لا للتجارة .

وفى لغة أهل عمان وما يتمارفون بينهم أن يعطى الرجل الرجل ، بقرة ، أو شاة أو نخلة ، أو حمارة ، أو غير ذلك، يعلفها، فسهم بنصف ، أو ثلث ، أو ربع ، ومايتفقان عليه من السهم ، ويكون بينهما أجل معلوم ؛ فإذا انقضى الأجل الذى اتفقا عليه ، فأخذ كل واحد سهمه ، فهذه القنية والقنوة عندهم .

[١٠٥] فَإِنْ عَنْ كُلِّ امْرِىءٍ شَاتَهُ يَنْحَطُّ عَنْهُ نَاقَةٌ تُوضَعُ

وقال فى رجل له أربعة جمال فاقتنى واحدا لرجل له أربعة جمال ، وكان الخامس بينهما . فنقول : على كل واحد منهما شاة ، وتسقط عن كل واحد بقدر نصف جمل وهو عشر الشاة ، يرده الجابى على رب المال .

وعلى هذا يجرى ما يكون من هذا الباب .

[١٠٦] وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ مِنْ كُلِّ مَا خَلَّفَ أَهْلُ الْجَهْلِ وَاسْتَبْضَعُوا

السيوب : جمع سيب ، وهى الركاز ، وهى الكنوز الجاهلية . أخذ ذلك من السيب وهو العطية .

وبوجد : وأما ماأصيب من كنوز الجاهلية ، فى ذلك الخس على مايقسم الغنيمة فأقل مايجب فيه الخمس من كنوز الجاهلية خمسة دوانق .

وعلامة كنز الجاهلية يكون فى أوعيتهم ، أو يكون عليه علامتهم من صليب أو غيره .

[١٠٧] وَالْقِيْرُ وَالْكِبْرِيتُ مَا فِيهِمَا عُشْرٌ وَلَا الصُّفْرُ وَلَا الْأَيْدَعُ

القير : هو القار ، وهو يدخل فى حمل المراكب . والكبريت معروف ، وهو أصفر ، وقيل فيه جنس أحمر ، ولا يرى . وقيل : الأيدع شحم البقر .

[١٠٨] وَلَيْسَ فِي الْعَنْبَرِ عُشْرٌ وَلَا اللُّؤْلُؤُ إِذْ يُنْظَمْ أَوْ يُرْصَعُ

الترصيع : أن ينظم الدر والذهب واللؤلؤ والجوهر ، يفصل بين هذا وهذا ببعضه بعض .

قال الشاعر :

وَكَأَنَّمَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا

[١٠٩] هَذَا وَعَنْ كُلِّ امْرِئٍ صَاعُهُ لِلْفِطْرِ مِنْ مَأْكِلِهِ يَدْفَعُ

سنّ رسول الله ﷺ زكاة الفطر على الذكر والأنثى ، الحر والعبد والصغير

والكبير من المسلمين ؛ وهو صاع عن كل رأس ، من تمر ، أو بر ، أو شعير ، أو ذرة ، أو زبيب أو لبن مما وجبت فيه الزكاة من الحبوب .

وقيل تعطى مما .

[١١٠] الْحُرُّ وَالْعَبْدُ سَوَاءٌ بِهِ وَالشَّيْخُ وَالْمَرْأَةُ وَالْمُرْضِعُ

يأكل ، ويعطيها الغنى والفقير ويقال إن زكاة الفطر كفارة لما دخل فى الصيام من اللغو والنقص . والله أعلم .

وزكاة الفطر فريضة لاتفاق أصحابنا ، وكثير من مخالفينا على أن تاركها غير معذور . ولو كانت سنة مااتفقوا على وجوبها ، وهلاك تاركها .

ومن يخرج إن أراد أن يخرج تمـرا مكنوزا ، فقد أجاز بعض الفقهاء عن الصاع خمسة أرطال وثلث رطل . والتمر الثقيل وزن الصاع منه ثلاثة أمنان .

[١١١] وَإِنْ أَفَاءَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ غَنِيمَةً مِنْ وَقْعَةٍ تُوقِعُ

الغنيمة سميت غنيمة ، لأنها ربح . ومنه قيل فى الرهن ، له غنمه ، وعليه غرمه أى وعليه خسرانه .

[١١٢] كَانَ لِأَهْلِ الْحَرْبِ مِنْ قَسْمِهَا أَرْبَعَةٌ مِنْ بَيْنِهِمْ تُقْرَعُ

تقرع : تضرب بينهم بالسهام . والقرع الضرب باليد والحساب .

[١١٣] يُفَضَّلُ الْفَارِسُ ثُمَّ الَّذِى يَبْقَى سَوَاءٌ كُلُّهُمْ أَجْمَعُ

[١١٤] سِوَى أُولِى الشِّرْكِ وَعَبْدٍ لَهُ يُرْضَخُ شَىْءٌ طَعْمُهُ يَصْدَعُ

سوى أهل الشرك . يقول : إن حارب عند المسلمين يهودى أو نصرانى ،

أو عبد مملوك ، فليس له فى الغنيمة سهم ، وإنما يرضخ له . أى يعطى شيئا قليلا على مايرون من ذلك .

وكذلك قيل فى الميت فى قول الله تعالى : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينُ »(١) ، يعنى قسمة وصية الأقارب ، فارزقوهم منه .

[١١٥] وَيُقْسَمُ الْخُمْسُ عَلَى مِثْلِهَا أَرْبَعَةٌ مَا دُونَهَا مَقْرَعُ

قرع : ضرب فى الحساب . أى مادونها اختصار فى ضرب الفريضة .

[١١٦] ابن سَبِيلٍ وَيَتِيمٍ وَذِى مَسْكَنَةٍ أَوْلَادُهُ جُـــوَّعُ
[١١٧] وَأَرْبعُ السَّهْمَانِ أَقْسَامُهُ ثَلَاثَةٌ مَا نَقَّتِ الضَّفْدَعُ

السهمان : مثنى سهم . الضفدع : واحد الضفادع . تقول : نقت الضفدع تنق نقيقا ، إذا صاحت . وتقيفت تتقيف تقتقة ، وهى العلاجيم ، والعلاجم واحدها علجوم .

قال الشاعر :

الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى أَنَّنِى أَصْبَحْتُ كَالضُّفْدعِ فِى الْيَمِّ
إن فَتَحت فَاهَا امْتَلا مَاؤُهَا أَوْ سَكَتَتْ مَاتَتْ مِنَ الْغَمِّ

[١١٨] لِلّهِ سَهْمٌ وَنَبِيُّ الْهُدَى سَهْمٌ وَذِى الْقُرْبَى لَهُ مَوْضِعُ

فأما قسم الغنيمة ، فإنها تقسم على خمسة أسهم ؛ فأربعة من ذلك للمقاتلة

---

(١) الآية مدنية رقم ٨ من سورة النساء .

كلهم ، للفارس سهمان ، وللراجل سهم . فإن لم يكن فيهم فارس ، فلكل واحد سهم ، والوالى ، والصرارى[1] : والمقاتلة كلهم سواء .

[١١٩] وَالْخُمْسُ فِي مَالِ النَّصَارَى إِذَا كَانُوا نَصَارَى عُرُبًا يُوزَعُ

يوزع : يفرق . تقول : وزعت الفريضة ، إذا قسمتها .

وقيل : سموا النصارى ، لأنهم نصروا عيسى بن مريم ، عليه السلام .

وقيل : إنهم كانوا يسكنون قرية تسمى الناصرة[2] ، وكانوا يسفرون إليها .

ونصارى العرب يؤخذ منهم الفرض ، كما يؤخذ من المسلمين من الصدقة ، وهو الخمس . ولا جزية عليهم ، ولا صدقة عليهم .

[١٢٠] كَذَاكَ إِنْ كَانُوا يَهُودًا وَنَوْ تَمَاهُمُ فِي الشَّرَفِ التُّبَّعُ

قد مضى من الكلام فى اليهود إذا كانوا عربا ، ودخلوا فى العرب ، وأخذ منهم ما يؤخذ من نصارى العرب مالا يحتاج إلى إعادته .

وسمى اليهود يهودا بهذا الاسم ، لتوبتهم فى وقت من الأوقات ورجوعهم ، فلزمهم هذا الاسم من أجلها ، وإن كانوا اليوم قد نقضوها بعد ذلك .

ومنه قــول الله تعالى : « وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ »[3] . أى تبنا إليك ، ونماهم : رفعهم .

---

(١) هو الملاح فى السفينة جمعه صراريون .
(٢) بلدة شهيرة فى أرض فلسطين .
(٣) الآية مكية رقم ١٥٦ من سورة الأعراف .

[١٢١] وَمَا اشْتَرَى الذِّمِّيُّ مِنْ كُلِّ مَا   يَئُولُ فِي السِّلْمِ لَهُ مَرْجِعُ

سمى الذمى ذميا ، لأن النبي ﷺ ، أعطاهم الذمام والعهد، فصار بهذا الاسم معاهدا ، يئول : يرجع . السلم : الصلح .

وما اشترى الذمى من النخل ، والأرض ، والغنم ، والإبل ، والبقر ، من أرض المسلمين ، ولو تداولها ذمى بعد ذمى ، إذا كان أصلها من أموال المسلمين ، ففيها الزكاة على أهل الذمة صارت إليهم .

[١٢٢] فَهْوَ عَشِيرٌ حُكْمُهُ عِنْدَهُمْ   يَدْفَعُهُ الْأَقْرَعُ وَالْأَنْزَعُ

القرع : لما يكون من مواضع بالرأس لاشعر بها . رجل أقرع ، وامرأة قرعاء وجمعه قروع . والقرع داء يأخذ الفصلان ، ودواؤه الملح .

والأنزع الذى ليس فى مقدم رأسه شعر . تقول : رجل أنزع . وهو محمود من الرجال .

قال بعض الأعراب يوصى زوجته :

وَلَا تَنْكِحِى إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا   أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

[١٢٣] وَعَنْ يَدٍ يُعْطِيهِمُ جِزْيَةً   وَأَنْفُهُ مِنْ صِغَرٍ أَجْدَعُ

الجزية : القضاء . من جزى فلان فلانا بما عليه ، أى قضاه ، أخذ من قولهم : قد جزى إذا قضى .

ومنه قوله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا »[١] ، أى تقضى وأهل الحجاز يقولون : تجازيت دينى . وتجازى الدين أى تقاضاه .

(١) الآية مدنية رقم ٤٨ من سورة البقرة .

والجزية أيضا : الخراج المجعول على المشرك .

والجدع فى الأنف أو الأعضاء : القطع .

[١٢٤] وَفِى كُلِّ نَفْسٍ دِرْهَمٌ جِزْيَةً   وَدِرْهَمَانِ لِلَّذِى أَزْمَعُ

والجزية على ثلاثة منازل : درهم ، ودرهمان ، وأربعة دراهم ، لا أكثر من ذلك ولا أقل ، ولاتؤخذ عن كل سنة وإنما تؤخذ على كل شهر، إذا هلّ الهلال عن الشهر الماضى .

وهى على الغنى منهم أربعة دراهم ، والوسط درهان ، ودون ذلك درهم .

[١٢٥] وَمَا عَلَى أَرْبَعَةٍ إِنْ نَمَتْ   أَوْ طَلَمَتْ أَمْوَالُهُ مَطْلَعُ

[١٢٦] وَلَا عَلَى النِّسْوَانِ مِنْ جِزْيَةٍ   وَالطِّفْلِ وَالزَّمْنَى إِذَا أُضْجِعُوا

النسوان جمع نساء ونسوة أدنى العدد ، والزمنى : الشيوخ الذين حالفوا الفراش ، وقيل الزمنى : الذين طال بهم للرض .

قال أبو محمد رحمه الله : الجزية ساقطة عن النساء والعبيد بإجماع الإمة .

[١٢٧] وَلَا عَلَى رُهْبَانِهِمْ جِزْيَةٌ   وَلَا عَلَى الشَّيْخِ وَمَنْ يَرْضَعُ

عن أبى محمد رحمه الله ، وقال أصحابنا : ولاتجب على الرهبان ، ولا على الشيخ الفانى ، وقد وافقهم على ذلك بعض مخالفيهم .

والنظر يوجب عندى أخذ الجزية ، إلا من خرج بالإجماع . قال الله تعالى : « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . . إلى قوله حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ »[1] .

---

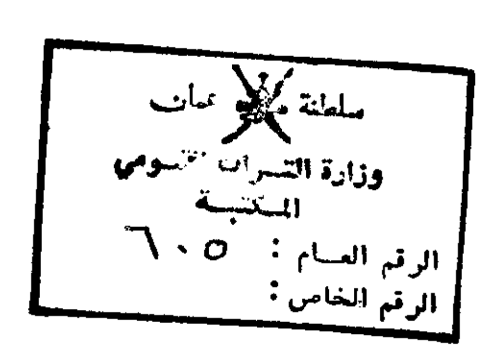
(١) الآية مدنية رقم ٢٩ من سورة التوبة .

[١٢٨] وَلَا عَلَى مَنْ دَارُهُ خَيْبَرُ مِنْ جِزْيَةٍ تَسْتَنُ أَوْ تُشْرَعُ

قال أبو الحسن : لاجزية على أهل خيبر(١) . إنما كان النبي ﷺ رفع الجزية فى معاملتهم لخيبر بشطر منها .

قال الشيخ : إنما تكون علامة اليهودى الخيبرى ، أن تكون يده اليمنى طويلة ، تنال ركبتيه إذا قام .

تمت القصيدة . وهى ها هنا مائة وثمانية وعشرون بيتا



(١) كانت غزوة خيبر فى شهر جمادى الأولى من السنة السابقة على الهجرة بين المسلمين وبين اليهود ، وقد قاتل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أشد القتال ، وفتح الله للمسلمين بالنصر فى خيبر حصنا حصينا ، ويرى بعض المؤرخين أن خيبر فتحت صلحا .

القصيدة التاسعة[1]

فى الحج

وقال فى الحج ، والمناسك ، ورمى الجمار ، والإحرام ، والطواف ، والسعى والذبح ، والحلق ، والوداع ، وغير ذلك . والوقوف بعرفة ، ومنى والزيارة ،والهدى ، والضحايا، وما يلزم فى قتل الصيد من الضحايا وغير ذلك

---

[١] عَزَمَ الْحَجَّ فَاسْتَعَدَّ الجِمَالا ثم عَالَا عَلَى الجِمَالِ الرِّجَالَا

العزم : ما عقدت عليه العقل من أمر أنك فاعله ، كما قالَ تعالى : لَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً . والاعتزام . لزوم القصد . ومنه قوله تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً[٢] .

وقال السجستانى : عزما ، رأيا معروفا عليه .

والحج فى كلام العرب : هو القصد . يقال حججت البيت، إذا ذهبت إليه .

[٢] وَأَجَابَ النِّدَا وَاعْتَزَلَ الْأَهْـ لَ وَخَلَّى الْأَوْلَادَ وَالْأَمْوَالَا

النداء ممدود ، وهو الدعاء من الصوت . ومعناه : أجاب دعاء إبراهيم عليه السلام ، قوله : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا »[٣] .

---

(١) من بحر الخفيف .
(٣) الآية مكية رقم ١١٥ من سورة طه .
(٤) الآية مدنية رقم ٢٧ من سورة الحج .

قيل : صعد إبراهيم عليه السلام على جبل قبيس[1] ، فنادى فى النـــاس : يأيها الناس ، أجيبوا ربكم ، إن الله يأمركم أن تحجوا بيته ، فأسمع إبراهيم كل مؤمن على وجه الأرض ، من كان فى أصلاب الرجال ، أو أرحام النساء .

[٣] وَعَصَى الْعَاذِلِينَ فِى اللهِ لَمَّا عَذَلُوهُ وَفَارَقَ الْعُـــــذَّالَا

العذل : آخر العتاب وأمضه . يقال : عذلت عذلا . وجمع عاذل : عذل ، وعذال ، وجمع عاذلة : عواذل .

ومن كلامهم : سبق السيف العذل .

ومعنى قوله : عصى العاذلين : أى ترك قولهم ، وعذلهم فى مسيرة الحج .

[٤] فَبَكَى حِينَ وَدَّعُوهُ وأَبْكَى الأَهْلَ حُزْنًا وَدَاعُهُ وَالْعِيَالَا

أبكى الأهل والعيال بكاؤه ، ووداعه لهم .

الوداع الاسم . ودعه توديعا ، وهو التشييع .

[٥] وَمَضَى صَامِداً إِلَى اللهِ فِى الْـ بِيدِ مُشِيحاً تَخَالُهُ رِسَالَا[2]

صامدا : قاصدا . تقول : صمدت فلانا إذا قصدته فى حوائجك .

والبيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة التى لا ماء فيها ، وهى الصحراء الواسعة البعيدة . سميت بذلك كما سميت مهلكة ، لأنه إذا حصل فيها شىء باد ، وهلك لبعدها .

---

(١) ويقال له أبو قبيس ، جبل بمكة ، سمى باسم رجل من مذحج حداد ، وهو أول من بنى فيه ، وكان يسمى الأمين ، لأن الركن كان مستودعا فيه .

(٢) تخاله أى تحسبه وتظنه .

[٦] ذَكَرَ الْقَبْرَ فَاسْتَرَاحَ إِلَى الْـ   قَفْرِ وَأَنْسَاهُ هَوْلُهُ الْأَهْوَالَا

القفر : الخالى من الأرض التى لا أنيس بها . وجمعه قفار .

[٧] مَلَأَتْهُ مَخَافَةُ اللهِ رُعْبًا   وَحَشَاهُ رَجَاؤُهُ بَلْبَالَا

وحشاه : معناه رجاؤه فى حشاه . والرعب: الفزع والخوف . ورجاؤه: خوفه. ومنه قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا »[1] ، أى يخافون لقاءنا .

والبلبال ، والبلابل واحد ، والبلبال وهو وسواس الهموم فى الصدر .

[٨] فَبَكَى نَفْسَهُ وَنَاحَ عَلَيْهَا   حِينَ نَاحَ الْمُتَيَّمُ الْأَطْلَالَا

البكاء يكون على النفس وعلى الميت . والأطلال: جمع طلل ، وهو ما شخص لك من أعلام .

والمتيم ، المحب المدلل الذى قد تيمه الحب والعشق .

[٩] وَقَضَى دَيْنَهُ وَلَمْ يُوصِ إِلَّا   بِوَصَايَا أَقَارِبِهِ لِلرِّجَالَا

[١٠] جَعَلَ الْحَجَّ فِي الْوَصِيَّةِ دَيْنًا   حِينَ أَوْصَى وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَا

أزمع بمعنى جد وعزم والترحال والارتحال واحد ، وهو شدّ الرحال على الدواب ، ويريد الحج ، ثم يدركه الموت فى الطريق قبل أن يحج ، فيوصى بتمامه، لأن ذلك لزمه ، وإن كان حين وقع فى يده خرج ولم يفرط ، فمات فى الطريق ، فأرجو ألا يلزمه .

وإن أوصى بتمامه ، فهو أفضل .

---

(١) الآية مكية رقم ٧ من سورة يونس .

[١١] وَرُوِي أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ   يُوصِ فَقَدْ مَاتَ كَافِراً بَطَّالَا

بطال : من البطالة ، والبطالة من الباطل .

[١٢] قَصَّ رَأْيَ الرَّبِيعِ نَصًّا وَبَعْضٌ   كَانَ قَدْ خَالَفَ الرَّبِيعَ فَقَالَا

قص : أخبر . ومنه قصص الأنبياء ، والأمم الخالية . ومنه قوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ »[1] ، أي أخبار يوسف عليه السلام، وإخوته، وأبيه ، اعتباراً لأهل العقول ، رأى الربيع بن حبيب البصري[2] رحمه الله . والرأي ما خفي منه ، ولم يظهر كله .

وعنه من وجب عليه الحج ، فلم يحج ، ولم يوص ، مات كافرا .

والنص : الرفع . تقول : نصصت الخبر ، والكلام عن فلان ، إذا رفعت عنه قوله .

[١٣] هُوَ دَيْنٌ يَقْضِيهِ مِنْ بَعْدِهِ الْـ   ـحَيُّ رَآهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَلَالَا

تفسير البيتين : هـذا قول من خالف الربيع ، ورخص له إذا كان دائنا وأوصى عند الموت . وقوله حلالا ، أي جائزاً له .

[١٤] وَأَرَادَ الْفَارُوقُ يُجْرِي عَلَى   مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ جِزْيَةً وَنَكَالَا

الفاروق عمر بن الخطاب رحمه الله ، سمي بذلك ، قيل إنه قتل منافقاً اختصم إليه رغبة عن قضاء رسول الله ﷺ ، فقال جبريل : قد سمى الله عمر بن الخطاب

---

(١) الآية مكية رقم ١١١ من سورة يوسف وذوى الألباب ، أي أصحاب العقول .

(٢) فقيه مشهور عماني من أهل الباطن ، وقد خرج إلى البصرة لطلب العلم . وقد أدرك جابر بن زيد وحمل عنه العلم .

الفاروق . قال رسول الله ﷺ : انظروا إلى ما صنع عمر، فقد صنع عمر شيئاً لله ، فيه رضى ، فوجدوه قد قتل منافقا .

والجزية : الخراج المجعول على المشرك ، لأنها قضاء منه لما عليه . وقد مضى فيها من الذكر ما فيه كفاية فى قصيدة الزكاة .

والنكال ، والتنكيل : العقوبة والعذاب . تقول : نكلت به ، ونكلته ، أى عاقبته .

قال الشاعر :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ ظُلْمًا حُسَيْنًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ[1]

[١٥] بَلَغَ السِّنَّ مُسْتَطِيعاً مِنَ النَّـ ـنَاسِ جَمِيعاً وَيَضْرِبُ الْآجَالَا

ذكر جابر بن زيد أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال : لقد هممت أن أبعث إلى أمصار المسلمين ، فلا يوجد رجل بلغ سنا ، وعنده سعة الحج إلا ضربت عليه الجزية[2] ، والله ما أولئك بمسلمين ، ثلاث مرات .

وفى حديث آخر عنه : لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار ، فلا أجد رجلا بلغ سنا ووجب عليه الحج ، فلم يحج ، إلا ضربت عليه الجزية . والله ما أولئك بمسلمين .

فهذه الرواية بمعنى البيت : بلغ السنّ مستطيعاً من الناس .

---

(١) حسين هو الحسين بن على بن أبى طالب والمخاطبون هم بنو أمية ، والمراد بأبشروا ، أى سيكون جزاؤكم عند الله تعالى العذاب والتنكيل ، لأن البشرى تكون فى الإنباء بالخير .

(٢) الجزية هى مايفرض على أهل الكتاب من اليهود والنصارى من مال يؤدونه لبيت مال المسلمين نظير أمنهم وأمانهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وضرب الجزية أى فرضها ، وفى كلام عمر تقبيح لقعود المسلم القادر عن الحج .

[١٦] وَاسْتَطَاعَ السَّبِيلَ مَنْ وَجَدَ الـ زَّادَ إِلَى مَكَّةَ وَخَرْفًا حَلَالَا

الاستطاعة فى اللغة : القدرة على الشىء . وقال الله عز وجل : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »(١) . فأوجب فرض الحج على المستطيع ، قال : « وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ »(٢) .

يقول : من قدر على الحج فلم يحج ، فقد كفر ، والله غنى عن عمله ، وعن العالمين .

السبيل : الطريق . والخرْف : الناقة الضامرة ، والحلال والحلالة : الناقة الضخمة من الإبل .

[١٧] فَإِذَا مَا افْتَرَضْتَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ بِحَجٍّ فَخَلِّ عَنْكَ الْجِدَالَا

افترضت : معناه ألزمت نفسك فرض الحج ، ودخلت فيه .

وقد اختلف الناس فى أشهر الحج، فقال قوم ثلاثة أشهر: شوال ، وذو القعدة، وذو الحجة .

وقال قوم: شهران وعشرة أيام: شوال ، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة، بكسر الميم ، وبهذا يقول أصحابنا .

[١٧] وَدَعِ الصَّيْدَ وَالنِّسَاءَ وَكُلَّ الـ طِّيبِ وَالْفِسْقَ وَالْمَعَاصِى اعْتِزَالَا

يقول : دع قتل الصيد ولا يحل لحمه ، وغشيان النساء، وكل الطيب مثل دهن طيب وغيره .

---

(١) الآية مدنية رقم ٩٧ من سورة آل عمران .

(٢) الآية مدنية رقم ٩٧ من سورة آل عمران .

وقال أبو المؤثر : ويستحب له أن يتقى الطيب قبل أن يحرم بيومين ، ولا يطيب ثيابه قبل احرامه ، ولا عند احرامه، ولا بعده ، ويتقى الرفث والفسوق، والعصيان والجدل .

[١٨] وَهَوَاعٌ مِنْ أَشْهُرِ الْحَجِّ وَالْعَشْـ ـرُ وَشَوَّالٌ فَاتَّقُوا شَوَّالَا

وهـواع : ذُو القعدة ، وعشرة أيام من ذى الحجة ، وشوال بفتح الشين . وسمى شوالا لشولان الإبل فيه بأذنابها عند اللقاح . وقد مر ذكره عند اشتقاق أسماء الشهور فى قصيدة .

[١٩] فَإِذا ما اعْتَمَرْتَ فِيهِنَّ فَاذْبَحْ حِينَ أَحْلَلْتَ لِلتَّمَتُّعِ مَالَا

العمرة لزوم المسكان والإقامة فيه للعمارة والصلاح . والمعتمر سمى بذلك لهذا المعنى .

ومن دخل مكة محرما بعمرة فى أشهر الحج ، فالهدى لازم له، وإن دخل محرما بحجة فى أشهر الحج ، فالهدى لازم له .

وإن دخل محرما بحجة فى أشهر الحج أو فى غيرها ، فلا هدى عليه ، ويكون على إحرامه ، إلى أن يرمى جمرة العقبة يوم النحر .

[٢٠] وَإِذَا مَا اعْتَمَرْتَ قَبْلَ شُهُورِ الْـ حَجِّ لَمْ يُلْزِمُوكَ فِيهَا خِلَالَا

[٢١] وَحَلَالٌ لَكَ الْحَلَالُ جَمِيعاً حِينَ أَحْلَلْتَ هـكَذَا اللهُ قَالَا

أى قدر خلال ، وهو مايتخلل به . تقول : أحل الرجل إحلالا ، وهو حل . والحل الرجل الحلال إذا خرج من إحرامه وأحرم، فهو محرم. والحلال الحلال

نفسه ، تقول : هذا الشيء حلٌّ بِلٌّ . ومنه قول العباس بن عبد المطلب فى زمزم : إذ لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حِلّ بِلّ ، أى حلال . وبل فى لغة العرب مباح .

[٢٢] وَعَلَى الْمُقْدِمِينَ صَوْمُ ثَلَاثٍ ثُمَّ سَبْعٍ إِذَا أَتَوْا قُفَّالَا

وهذا فى المحصور من مرض أو غيره ، ومن أصابه فى رأسه أذى فحلقه ، أو مرض فى جسده فداواه ، فكفارة ذلك إحدى هذه الخصال : ففدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك .

فالصيام ثلاثة أيام ، إلى سبعة أيام . والصدقة ستة مساكين إلى عشرة .

وقال من قال : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، والنسك : شاة .

ويقال صيام ثلاثة أيام قبل أن يحل .

والقفال : جمع قافل ، وهو الراجع من سفره ، ومن ذلك سميت القافلة قافلة ، ولا تكون قافلة ، إلا إذا رجعت من السفر ، ولا يقال لها قافلة ، إذا صدرت فى خروجها . هكذا وجدت فى كتب اللغة .

[٢٣] ثُمَّ أَحْرِمْ بِالْحَجِّ مِنْ مَسْجِدِ الْجِنِّ إِذَا مَا اعْتَمَرْتَ تَأْتِ كَمَالَا

تقول أحرم فهو محرم . والتلبية للإحرام سنة . ومن لم يلب بالحج ، لم يدخل فيه ، ولم يحرم ، لأن التلبية افتتاح الاحرام فى الحج .

ويستحب للمحرم إذا أحرم بالحج يوم التروية من مكة ، أن يكون وجهه قبل منى .

[٢٤] وَلْيَكُنْ بَعْدَ رَكْعَتَيْنِ لَدَى الْـ بَطْحَاء وَالْبَيْتِ فَارْفُض الْأَشْغَالَا

ارفض أى اترك . تقول : رفضت الشىء إذا تركته ، فصل ثم اقعد بمكة ، إذا كان يوم التروية وأردت الإحرام بالحج ، فادهن رأسك بدهن لاطيب فيه ، ثم اغتسل إن أمكنك ذلك ، وإلا ، أجزأك الوضوء ، ثم البس ثوبى إحرامك ، ثم ائت البيت فطف به سبعة أشواط ، وصل ركعتين لطوافك .

[٢٥] ثُمَّ لَبِّ الْإِلَٰهَ خَمْسًا فَخَمْساً وَمَتَى نَصْبَ نَاظِرَيْكَ قِبَالَا

ومن اعتقد الإحرام لبى ، حين يفرغ من ركوعه ، كان الركوع فرضا ، أو سنة .

والتلبية أن تقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، ولاشريك لك .

مأخوذ من : ألبّ فلان بالمكان : إذا لزمه . ومعنى لبيك : أنا مقيم على طاعتك ، وعند أمرك ، غير خارج من رأيك . ومعنى قبالا : مقابلة تقول أقبل فلان قبل فلان .

[٢٦] وَالْمَوَاقِيتُ ذَاتُ عُرُوقٍ مِنَ الْـ مَشْرِقِ إِنْ جِئْتَ أَوْ أَرَدْتَ نِزَالا

المواقيت : الحدود والعلامات التى منهن الإحرام والتلبية . ولا يجاوزهن إلا بالإحرام .

[٢٨] وَلِلْمَجْدِ قَرْنٌ وَلَمْلَمٌ لِلنَّا سِ الْيَمَانِينَ إِنْ أَرَدْتَ انْتِقَالَا

[٢٩] وَلِأَهْلِ الشَّامِ جُحْفَةٌ وَقْتٌ لَا تَجُزْهُ كَمَا تَرَى الْغُفَّالَا

الغفال . جمع غافل ، وهو الذى يغفل عن الصواب .

وسميت الجحفة : لأن السيل جحفها ، واحتمل أهلها ، وهى بضم الجيم .

[٣٠] ثُمَّ أَحْرِمْ مِنَ الْحُلَيْفَةِ إِنْ أَقْبَلْتَ مِنْ يَثْرِبٍ لَهَا إِقْبَالَا

هذه أربعة مواقيت ، لايجاوزهن إلى البيت إلا محرما .

ويثرب : مدينة الرسول ﷺ .

بيان ذلك : وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ومن دخلها من الناس يريد مكة ، ذى الحليفة ، لايجاوزها إلا محرما لمن أراد الحج أو العمرة .

ولأهل نجد واليمن الذين يأخذون على قرن ، ولأهل حضرموت ونجران ، قرنا ، لايجاوزها إلا محرما .

ولأهل العراق ، ومن سلك طريقهم : ذات عرق .

ولأهل الشام : الجحفة .

[٣١] حِينَمَا جَازَتِ الصَّلَاةُ وَإِلَّا فَانْتَفِلْهُ بِرَكْعَتَيْنِ انْتِفَالَا

[٣٢] ثُمَّ أَحْرِمْ بَعْدَ الْوُضُوءِ وَإِلَّا فَاغْتَسِلْ إِنْ أَطَقْتَ ثَمَّ اغْتِسَالَا

معنى قوله ثَمَّ اغتسالا بفتح الثاء : هو مكان متراخ ، هنا : مكان قريب وإذا بلغت إلى أحد هذه المواقيت ، وأردت أن تحرم ، فادهن بدهن لاطيب فيه من خل أوزيت ، أوما أشبهه ، ثم اغتسل بسدر أو خطمى ، إن أمكنك ذلك ،

وإلا ، أجزأك الوضوء ثم البس ثوبى إحرامك ، ثوبين جديدين ، لم يكونا قد لبسا ، أو مغسولين ، ولم يلبسا مذ غسلا . يستحب ذلك . وإلا أجزأك الإحرام بثيابك التى عليك ، ثم تصلى ركعتين ، إن لم تكن حضرت صلاة مكتوبة .

وإذا سلمت ، وأردت الإحرام ، فتقول : لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك . لبيك تمام التلبية بعمرة ، أو بحجة تمامها ، وبلاغها عليك .

[٣٣] فِي إِزَارٍ مُطْهَرٍ وَرِدَاء لَمْ يَمَسَّا طِيباً وَلَا جِرْيَالَا

الجريال : الزعفران .

[٣٤] يَسْقِيكَ بِالْحَفَاين كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُعِيدُهَا مِنْ كَفِّهِ جِرْيَالَا

[٣٥] وَيَجُوزُ الْإِحْرَامُ فِي كُلِّ حَالٍ كُنْتَ طُهْرًا أَوْ مُجْنِباً مِنفَالَا

الجنب : ذوجنابة لم يغتسل بعد من جنابته ، والمنفال : الذى لم يمس الطيب .

من أحرم وهو جنب أجزأه ، لأن الإحرام يلزم على حال ، وأحب إلينا ، والسنّة ، أن يكون على طهارة ، وعلى أثر فريضة إن كانت ، أو نافلة ، إن كانت وقت نافلة .

فعلى حال يجزئه إذا أحرم .

ويجزئه أن يحرم بثيابه الدنسة إذا كان يصلى فيها .

وإذا لم يجد الجنب الماء ، وقد بلغ الميقات ، فليتيمم ، ثم يهل .

[٣٦] تَشَهَّدْ وَلَبِّ سِرًّا وَجَهْراً وَتَوَخَّ الْغُدُوَّ وَالآصَالَا

الغدو : الغدوة ، والبكر : البكرة . وهى أول النهار ، وكذلك بكر كل شيء أوائله والبواكر من الأشجار والنخل وغيرها : الثمرة التى تبشر بها الناس .

والآصال : جمع أصيل وأصائل ، تصغيرها : أصيل ، وأصيلان ، وهى العشى . ومنه قوله تعالى : « وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا »(١) .

وقال الشاعر :

وَقَفْتُ بِهَا أَصِيلا كَىْ أَسَائِلَهَا أَعْيَتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

[٣٧] وَإِذَا مَاطَلَعْتَ سَهْباً أَوِ اسْتَقْبَلْتَ رَكْباً أَوِ اسْتَمَعْتَ مَقَالَا

السهب : الأرض البعيدة ، والجمع سهوب . والسهب المستوى من الأرض . وجمعه سهوب .

قال الشاعر :

وَعِزَّ الدِّينِ بِالْجَلَادِ وَلَكِنْ وُعُورُ الْعَدُوِّ صَارَتْ سُهُوبَا

وقيل السهب : الظاهر من الأرض . والركب : جمع راكب ، كما تقول : صاحب وصحب .

قال الشاعر :

تَذَكَّرْتُ مَيًّا بَعْدَ مَا حَالَ دُونَهَا سُهُوبٌ تَرَامَى بِالْمَرَاسِيلِ بِيدُهَا(٢)

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٥ من سورة الإنسان .

(٢) مى اسم محبوبته التى ذكرها .

[٣٨] وَشِعَارُ الْحَجِيجِ تَلْبِيَةُ الْحَجِّ بِذَاكَ النَّبِيُّ أَوْصَى وَقَالَا

التلبية تستحب برفع الصوت على أثر الصلاة ، وعلى كل شرف ، وعند قيام الراحلة .

قال رسول الله ﷺ : إذا أحرم الرجل أجابه الأفق الذى يليه ، حتى ينتهى الأفق .

ويكثر من التلبية إذا صلى ، وإذا استيقظ من نومه ، وإذا علا أكمة ، أو هبط واديا ، فإن التلبية شعار الحجيج ، وإذا استقبل ركبا وناسا . والركب : الناس الراكبون .

[٣٩] وَدَعِ الشَّعْرَ لَا تُرَجِّلْهُ وَالْقَمْلَ فَدَعْهُ وَلَا تَكُنْ قَتَّالَا

يقول : شَعْرٌ وشَعَرٌ ، وبَعْرٌ وبَعَرٌ . وترجيل الشعر : ترطيله وإذهابه .

والقمل : هوام ابن آدم ، وهو معروف .

قال الشاعر :

فَأَقْسَمْتُ جُهْداً بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِنَى وَمَا سُحِقَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمْلُ

[٤٠] وَإِذَا مَا نَزَعْتَ شَعْراً فَفِيهِ فِدْيَةٌ فَاحْذَرِ الْفِدَاءَ احْتِيَالَا

[٤١] لِثَلَاثٍ دَمٌ وَثِنْتَيْنِ مِسْكِينَانِ فَاعْلَمْ وَعَلِّمِ الْجُهَّالَا

وإن نتف شعرة فمسكين[1] ، وفى الثنتين مسكينان، وفى ثلاث إلى ما أكثر دم. وإن حلق دم ، وإن قصر دم ، وإن قطع ظفرا لزمه إطعام مسكين . وفى ثلاثة أظفار دم .

---

(١) أى فإطعام مسكين واحد .

ومن نتف ثلاث شعرات من لحيته ، ونتف أيضاً اليوم الثانى شعره ، فعليه فى الثلاث دم . وعليه فى الواحدة إطعام مسكين ، غداء ، وعشاء ؛ لأنه نتف فى يومين ، ولو نتف فى يوم واحد شعره كله ، لم يكن عليه إلا دم واحد .

[٤٢] وَإِذَا مَاقْتَلْتَ قَمْلا أَوِ اصْطَدْتَ جَرَاداً مِنَ الْجَرَادِ عِضَالَا

اصطدت : اقتنصت . والعضال : الجراد ، والعضال : الكبار منه .

ومن قتل قملة ، ففديتها حبة أو تمرة ، وفى الجراد حكومة ، وقيل تمرة ، وفى الذرة[١] لقمة ، أو قبضة من طعام .

وفى الضب صاع ، وفى الضبع كبش ، وفى الأرنب سخلة[٢] ، وفى الظبى شاة ، وفى الحمامة شاة ، وفى البقرة بقرة ، وفى الحمار جزور ، وفى النعامة بقرة ، وفى بيض النعامة نصف درهم ، وفى ولد النعامة ولد جزور مثله ، وفى ولد الحمار جزور مثله ، وفى بيض الحمامة نصف درهم ، وذلك كله يرجع إلى الحكومة[٣] .

ولا يقتل القملة ، ولا يلقيها ، فإذا آذته ، أخرجها من جسده ، ووضعها فى ثيابه ، وإن ألقاها حكم عليه ذو عدل بتمرة ، وتركها أفضل .

[٤٣] حَكَمَا عَادِلَانِ فِيهِ بِشَىْءٍ مِنْ طَعَامٍ كَمَا أَصَبْتَ مِثَالَا

وكل ما كان من جميع الصيد والطير ، ففيه الحكومة ، فما حكم العادلان من شىء ، فهو جزاء ، وليس فيه شىء مؤقت إلا اجتهاد الحكمين .

---

(١) بيض القمل .　　(٢) ولد الشاة .

(٣) أى إلى حكم يصدره من له الحكم العدل .

وقد بلغنا عن مسلم[1] وحاجب[2] فى زوج حمام وبيضتين ، لكل حمامة صاع من طعام ، وفى البيضتين فى كل واحدة نصف صاع .

والعدلان حكمهما عبادة . ألا ترى أنهما لو حكما ببدنة فى غزال ، أن حكمهما مردود .

[٤٤] وَحَرَامٌ مَا شَدَدْتَ سِوَى الـ زَّادِ عَلَى نَفْسِكَ الرُّقَى وَالْخَبَالَا

الرقى : جمع رقية ، وهى التمائم ، والعوذة والتعاويذ . والحرور الفاعل لذلك الراقى ، قال الله تعالى : كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ[3] ، أى من ترقاه .

ولا يربط الحاج المحرم ، ولا يشد على رأسه شيئا يحمله ، ولا يستر إلا بمنقة يشدها على نفسه وحقوه[4] ، دون رأسه ، فإن ذلك خصت فيه عائشة ، رضى الله عنها .

[٤٥] وَحَرَامٌ لُبْسُ السَّرَاوِيلِ لِلْمُحْرِمِ والا قُمْصِ فَاخْلَعِ السِّرْبَالَا

السربال : السراويل ، تذكر ، وتؤنث ، والتأنيث لها أكثر . والسربال القميص وجمعه سرابيل ، قال الله تعالى : وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ[5] .

فالتى تقى الحر والبرد : القميص من الثياب ، والتى تقى الناس فى الحرب هى الدروع من الحديد .

---

(١) هو الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة . (٢) من مشاهير العلماء .
(٣) الآية مكية رقم ٢٦ من سورة القيامة .
(٤) هو الكشح . (٥) الآية مدنية رقم ٨١ من سورة النحل .

[٤٦] وَالْخَوَاتِيمُ كَرِهُوا وَالْمَرَايَا وَأَحَلُّوا قَتْلَ الْأَفَاعِى اغْتِيَالَا

الخواتيم : جمع خاتم بفتح التاء ، وخاتم بكسر التاء ، وخاتام أيضا .

وكرهوا لبس الخواتيم ، وإن لم تتركها فلا بأس عليه .

والأفاعى : جمع أفعى ، وهى الحية . والمرايا : جمع مرآة .

والاغتيال : أن تقتله غيلة .

[٤٧] وَالْحُدَيَّا وَالْعَقْرَبَانِ مَعَ الْفَارِ وَيَبْنِى عَنِ الْجُرُورِ الظِّلَالَا

والحل والمحرم لا يقتلان فى الحرم شيئا ، ولا يقطعان من شجرة إلا ما أحل الله قتله ، مثل الفأر والحية ، والعقرب ، والوزغ[1] ، والحدأة .

وأما الغراب فلا يرميه ، إلا أن يريد خرق وعاء ، أو يجرح ظهر راحلته ، فإنه يرميه ، وإن قتله فلا شىء عليه .

والحديا : تصغير الحدا ، واحدتها حدأة ، والجمع حدا .

[٤٨] واقتل اللَّغ وَارْمِ عَنْ رَحْلِكَ الْغِرْبَانَ إِنْ خِفْتَ أَنْ تَضُرَّ الرِّحَالَا[2]

قال النبى ﷺ : خمس من الدواب لاجناح على من قتلهن ، وهو حرام ، الفأرة ، والعقرب ، والحدأة ، والغراب ، والكلب العقور ، ولا بأس أن يقتل الذئب إن أراده .

وإن ابتدأ قتله من غير أن يعرض له ، فأوجب أن يتصدق بتمرة ، وإن قتل الوزغ فيتصدق بقبضة من طعام .

(١) الوزغ بلغة أهل عمان هو دويبة تمشى على أربع وفى ظهرها خطوط .
(٢) اللغ هو البرص ، الحشرة المعروفة .

والسمسم ، والذرة ، والنملة ، من قتل منهن شيئا ، فلكل واحدة تمرة .

[٤٩] وَاكْتَحِلْ وَادْهِنْ بِمَا لَيْسَ فِيهِ عَرْفُ طِيبٍ كَالْعَنْزَرُوتِ اكْتِحَالَا

ويكحل المحرم عينه إن أراد بما فيه طيب .

[٥٠] أَوْ بِسَمْنٍ وَشَيْرَجٍ وَأَمِطْ عَنْكَ الْأَذَى مَا اسْتَطَعْتَ حَالًا فَحَالَا

أى فادهن بسمن ، أو دهن شيرج ، وهو دهن السمسم ، وأمط : معناه نح عنك الأذى .

[٥١] وَالْبَس النَّعْلَ وَاقْطَع الْخُفَّ مِمَّا يَلِي الْكَعْبَ إِنْ أَرَدْتَ انْتِعَالَا

[٥٢] وَاحْتَطِبْ وَاخْتَبِزْ فَإِنْ لَهِبَتْ شَعْرَكَ نَارٌ كَانَ الْفِدَا نَكَالَا

وقيل لا بأس فيما أخرج من حطب الحرم اليابس الميت ، وفيما سقط من الشجر ، من الورق والثمر .

والفداء : الجزاء . والنكال : العقوبة . تقول : نكلت فلانا إذا عاقبته .

ولا يلبس المحرم الخف إذا لم يجد نعلين ، إلا أن يقطعهما من أسفل الكعبين .

والمحرم يحتطب ، ويشد محمله ، ويقوم فى ضيعته ، ويخبز ، ويطبخ إن أراد .

ويتقى النار أن تلهب الشعر . فإذا لهبت شعره .

[٥٣] وَإِذَا مَا أَدْمَاكَ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ ذَاكَ لَمْ يُلْزِمُوكَ فِيهِ عِقَالَا

أصل العقال الصدقة . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين ارتد العرب والله لو منعونى عقالا مما أعطوه رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله ، وهو خير معين .

والعقال هنا استعارة ، جعله مكان المال .

ومن حك جسده حتى أدمى ، فلا شيء عليه ، مالم يقطع الشعر وينزع الجلد . فإن نزع الجلد فعليه دم .

[٥٤] وَإِذَا مَا ارْتَسَكَبْتَ نَهْيًا فَفِي النـ ـهْيِ فِدَاءٌ وَلَوْ شَكَوْتَ اعْتِلَالَا

ومن تسوك حتى خرج الدم من فيه ، فلا بأس عليه . وقيل : عليه دم .

وإن استاك فلا يدمى فاه ، وإن أدماه على عمد ، فلا بأس عليه .

وإن كان به دمل ، فليخرج مدّته وإن أدمى ، ولاشيء عليه ، وكذلك الشوكة ، إذا أخرجها ، وعالجها ليخرجها ، فأدمت ، فلا شيء عليه .

فمن ركب مانهى الله ورسوله ﷺ ، فعليه الجزاء ، ولواشتكى فى ذلك علة من العلل .

[٥٥] وَعَنِ النَّتْنِ فَاسْتُرِ الْأَنْفَ وَالْـ ـلِحْيَةَ وَأَكْشِفْ عَنْ رَأْسِكَ الطِّرْبَالَا

النتن : الريح الخبيثة . والمحرم يغطى على أنفه من النتن إن هاج عليه ، أو مرّ به ، ويغطى لحيته . وقد رخص فى أكثر من ذلك ، إلا أنا كرهنا أن يغطى شيئا من وجهه ، لما جاء فى الأثر : إن إحرام الرجل فى رأسه، والوجه من الرأس: وإحرام المرأة فى وجهها ، والوجه دون الرأس . ويمسك على أنفه ، والمـــرأة كذلك .

والطربال : الثوب الصغير ، ويجعل على الرأس .

[٥٦] وَإِذَا مَا غَطَّيْتَ رَأْسَكَ لَبَّيْـ ـتَ وَأَلْقَيْتَ دُونَهُ الأَحمالا

ولا يغطى المحرم رأسه ووجهه ، ويخرج رأسه فى إحرامه ولا يغطيه بشيء إلا أن يكون فوقه ولا يمسه .

وإن غطاه ناسياً ، كشفه ولبى ، ولا ضير عليه ، ولا يصب على رأسه ماء ساخنا ، ليقتل قملة .

وإن وجعه رأسه واحتاج إلى حلقه ، و ـفر بشاة ، أو إطعام ، أو صيام .

وإن احتاج إلى عمامة أو قميص من برد ، أو مرض كفّر ، لابد من الكفارة كما وضحت لك .

وأما تغطية رأسه ، فكذلك ، لأن لباس المحرم إزار ورداء ، كاشفا رأسه شعثا والغطاء هو الستر .

[٥٧] وَعَلَى الْبِئْرِ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَاغْتَسِلْ وَتَوَضَّأْ وَاحْطُطْ لَدَيْهَا الرِّحَالَا

[٥٨] وَامْضِ مِنْ عِنْدِهَا وَأَنْتَ تُلَبِّي وَإِلَى الْبَيْتِ مُقْبِلًا إِقْبَالَا

نصب مقبلا على الحال من قوله وامض مقبلا . ونصب إقبالا على المصدر .

[٥٩] قَدْ تَسَرْبَلْتَ بِالسَّكِينَةِ سِرْبَالًا وَغَشَّيْتَ بِالْوَقَارِ حَلَالَا

تسربلت بمعنى لبست قميصا . والسكينة فعيلة من السكون .

ومنه قوله تعالى : « ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ[1] »

فالسكينة فعيلة من السكون الذى هو وقار ، ، لا الذى هو ضد الحركة .

والسكينة الوداعة والوقار .

وقيل فى قوله تعالى : « يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ »[2]

قيل إن السكينة لها وجه مثل وجه الإنسان ، ولها رأس مثل رأس الهر ، وجناحان وهى من أمر الله تعالى . والوقار : الهدوء والطمأنينة . والله أعلم .

(١) الآية مدنية رقم ٢٦ من سورة التوبة .

(٢) الآية مدنية رقم ٢٤٨ من سورة البقرة .

[٦٠] فَإِذَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ تَوَلَّـ ــجْتَ فَهَلِّلْ وَكَبِّرِ الْمِفْضَالَا

تولجت : دخلت . هلل : قال : لا إله إلا الله . كبر : قل الله أكبر .

[٦١] وَعَلَى مَا أَوْلَى فَسَبِّحْهُ وَاحْمَدْ ــهُ كَثِيرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

على ما أولى : أى على ما أعطى . سبحه : نزهه عن أفعال المخلوقين .

تعالى : من العلوّ . والرفعة ، والشأن .

[٦٢] ثُمَّ قُلْ رَبِّ زِدْهُ فَضْلًا وَإِجْـ ــلَالًا وَزِدْ مَنْ يَحُجُّهُ إِجْلَالًا

[٦٣] أَنْتَ رَبِّي وَالْبَيْتُ بَيْتُكَ إِيَّا كَ تَعَمَّدْتُ بِالْمَطِيِّ ارْتِحَالَا

تعمدت : قصدت بنفسى ونيتى ، وارتحلت المطى ارتحالا .

تفسير هذه الأبيات :

إذا أتى المسجد الحرام ، اغتسل ، لأن الاغتسال والوضوء عند الإحرام والتلبية ومايقال فقد ذكرناه .

فإذا أتيت البيت ، ونظرت الكعبة ، فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، اللهم زد بيتك هذا شرفا وتعظيما ، وتكريما ، ومهابة ، وزد من عظمه وشرفه وكرمه ممن حج واعتمره تكريما ، واجعله رب من عبادك الصالحين .

فإذا وقفت على الباب ، وأردت الدخول ، فقل : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام وإليك السلام ، وإليك يرجع السلام ، فحينا بالسلام ، وأدخلنا دار السلام .

فإذا قصدت ماضيا إلى البيت وأنت تمشى فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، البلد بلدك ، والبيت بيتك ، جئت أطلب رضاك وإتمام طاعتك ، تمام الدعاء .

[٦٤] أَنَا ضَيْفٌ وَلِلضُّيُوفِ نُزُولٌ   فَاجْعَلِ الْعَفْوَ لِي مِنْكَ إِنْزَالا

الضيف : النازل عليك .

قال الشاعر .

وَأَبُو عَلِيٍّ ذُو السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى   مُعْطِى الْجَزِيلَ وَمُنْزِلُ الأَضْيَافَا

[٦٥] وَتَأَتِّى بَابَ الْعِرَاقِ مِنْهُ دُخُولَا   ثُمَّ أَخِّر عِنْدَ الدُّخُولِ الشِّمَالَا

معنى قوله تأتى : أى أقصد وتعمد باب العراق . قولهم فلان يتأتى الأشياء ، أى يقصدها ، ويتعمدها . يتأتى : يتهيأ . وتتأتى له الأشياء : أى تتهيأ له .

[٦٦] وَاسْأَلِ اللهَ رَحْمَةً وَقَبُولَا   تَجِدِ اللهَ وَاسِعاً مِفْضَالَا

الواسع : الغنى . يقال الله يعطى من سعته .

ومنه قوله تعالى : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ »[1] ، وذو غنى من غناه ، والقبول : التجاوز .

[٦٧] وَاسْتَعِذْهُ مِنْ شُحِّ نَفْسِكَ فَالـ   شُّحُّ أَرَاهُ عَلَى النُّفُوسِ وَبَالَا

استعذه : معناه امتنع به . وتقول إذا قصدت الباب : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . اللهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وقنا شح أنفسنا ، واجعلنا من المفلحين .

[٦٨] وَامْضِ قَبِّلْ إِنِ اسْتَطَعْتَ سَبِيلَا   حَجَرَ الْبَيْتِ وَاحْذَرِ الإِغْتِفَالَا

والسلام مأخوذ من الحجر ، لأن الحجر هو السلام ؛ فإذا أتيت الحجر فقل : اللهم كثرت ذنوبى ، وقل عملى ، فاغفر لى ذنوبى ، وتقبل توبتى ، وأقلنى عثرتى ، وتجاوز عن خطيئتى ، وحط عنى وزرى .

---

(١) الآية مدنية رقم ٧ من سورة الطلاق .

فإذا أتيت الحجر واستلمته،فقل: اللهم إليك بسطت يدى، وفيما عندك عظمت رغبتى ، فاجعل جائزتى فكاك رقبتى ، وأسعدنى فى دنياى وآخرتى .

[٦٩] ثُمَّ قُلْ عِنْدَ مَسْحِهِ كَثُرَتْ رَبِّ دُنُوبِي فَأَوْهَتِ الْأَعْمَالَا

أوهت : ضعفت . كما تقول : وهى البناء، ووهى الحائط، إذا ضعف ، وأراد السقوط .

[٧٠] فَاقْبَلِ الآنَ تَوْبَتِي وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي إِنَّنِي ارْتَكَبْتُ عُضَالَا

[٧١] أَوْ فَقُمْ نَحْوَهُ إِذَا لَمْ تَنَلْهُ حَيْثُ أَضْوَى سُهَيْلٌ ثُمَّ تَلَالَا

إذا وصلت إلى ركن الحجر استلمته ، وإلا ، فقم حياله ، ولا تؤذ أحدا .

ثم تقول عند ركن الحجر : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . اللهم إنى أسألك إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك، وإقرارا بربوبيتك ، واتباعا لسنتك ، وسنة نبيك محمد ﷺ .

[٧٢] واحْمَدِ اللهَ وَاسْتَعِنْهُ وَهَلِّلْهُ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ كَمَالَا

احمد الله : اشكره على ما صنع إلى خلقة فحمدوه .

وقال ابن عباس : الحمد لله : الشكر لله .

[٧٣] وَاحْذَرَنْ أَنْ تَكُونَ فِي الطَّوْفِ مَيَّالًا إِلَى الْحِجْرِ أَوْ لَهُ دَخَّالَا

الطوف والطواف واحد . والحجر : حطيم مكة . والحجر : حجر الكعبة بكسر الحاء .

والحجر أيضاً : الحرام . والحجر : العقل . قال الله تعالى : « هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ »[1] . أي لذي عقل . والحجر : الرملة الصغيرة من الجبل .

والحجر أيضا : بلد اليمامة . قال الله تعالى: « وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ »[2] .

والحجر : القرآن .

قال الشاعر :

فأَخْفَيْتُ مَا بِي مِنْ صَدِيقٍ وَإِنَّهُ ... لَذُو حَسَبٍ دَانٍ إِلَيَّ وذُو حِجْرِ

[٧٤] وَاحْمَدِ اللهَ فِي الطَّوَافِ وَكَبِّرْ ... هُ وَسَبِّحْهُ خَشْيَةً وَجَلَالَا

احمد الله : أي اشكره على ما صنع . والطواف : الاسم . والطواف : المصدر .

[٧٥] وابتدئ طَائِفاً مِنَ الحَجَرِ الأَسْـ ... ـوَدِ وَاخْتِمْ وَلَا تَكُنْ رَمَّالَا

الرمل : فوق المشي . ودون الخبب[3] . تقول : رمل البعير يرمل رملا ، إذا أسرع .

قال الشاعر :

هَلْ أَنْتَ يَوْماً مُعِيرِي نَظْرَةً تَرَى ... فِي رَمْلِ يَبْرِينَ عِيراً سَيْرُهَا رَمَلُ

(١) الآية مكية رقم ٥ من سورة الفجر .

(٢) الآية مكية رقم ٨٠ من سورة الحجر .

(٣) نوع من العدو السريع .

[٧٦] وَتَطَهَّرْ إنَّ الطَّوَافَ صَلَاةٌ   حَلَّلَ اللهُ فِى الطَّوَافِ لِلقَالَا

إذا أردت الطواف بالبيت ، فلذ بركن الحجر على يسارك قليلا،قدر مايقابل الباب ، ثم تأخذ بالطواف على يمينك من ركن الحجر .

وتقول عند ركن الحجر : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر اللهــم إنى أسألك إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، وإقرارا بربوبيتك،واتباعا لسنتك ، وسنة نبيك محمد ﷺ .

ثم تمشى فى الطواف ، وأنت تقول : سبحان الله ، والحمد لله إلى تمامه .

[٧٧] وَمَعِيبٌ بِغَيْرِ نَقْضٍ عَلَى مَنْ   ظَلَّ فِى الطَّوَافِ شَارِبًا أَكَّالَا

نصب شاربا وأكالا على الحال . ويجوز أن يكون نصب شاربا على أنه خبر ظل ، واسم ظل : من .

[٧٨] وَاسْأَلِ اللهَ رَاحَةَ الْمَوْتِ وَالْعَفْـ   ـوَ إِذَا مَا الْمِيزَابُ كَانَ حِيَالَا

الميزاب : يعنى ميزاب الكعبة .

وفى لغة أهل عمان : الميزاب فى الميزاب والمرزاب .

والعفو : الصفح والتجاوز . إذا قاصدت الميزاب فقل:الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر . اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت ، والعفو والتيسير عند الحساب ، والنجاة من العذاب ثم تمشى وأنت تقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

[٧٩] وَحذَا الرُّكْنِ فَاسْأَلِ اللهَ حُسْناً فِي جَمِيعِ الدَّارَيْنِ وَادْعُ ابْتِهَالَا
[٨٠] وَاسْتَعِذْ عِنْدَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْأَ حْزَانِ وَالْفَقْرِ وَامْتَثِلْهُ امْتِثَالَا

وإذا أتيت الركن الثانى اليمانى فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم إنى أعوذ بك من الفقر ، والكفر ، وضيق الصدر ، وعذاب القبر ، وموقف الذل فى الدنيا والآخرة ؛ تقول ذلك ، وأنت ترمل فى طوافك ثلاثة أشواط ، والمشى أربعة .

[٨١] وَاحْذَرَنْ لَا تَصِلْ فِي الحِجْرِ وَاقْصِدْ زَمْزَماً وَارِداً وَمِنْهَا نِهَالَا

سميت زمزم زمزما، لامتلائها ، وسعة مائها . والحجر : حطيم مكة .
ونصب واردا على الحال ، وقوله : نهالا من النهل . تقول : علل بعد نهل .
والنهل : الشرب ، والعلل بعده .

فإذا أتممت سبعة أشواط من الحجر إلى الحجر، خرجت من الطواف، فائت زمزم واشرب من مائها ، وصب على رأسك،وقل : اللهم إنى أسألك إيمانا تاما، ويقينا ثابتا ، ودينا قيما ، وعملا صالحا ، وعلما نافعا ، ورزقا حلالا واسعا ، وشفاء من كل داء.

[٨٢] ثُمَّ خَلْفَ الْمَقَامِ فَارْكَعْ إِذَا أَطَقْتَ وَأَلْحِقْ بَعْدَ الرُّكُوعِ سُؤَالَا

إذا رأيت مقام إبراهيم عليه السلام ، فصل خلفه ، أو حيث أمكنك من المسجد فإذا قضيت ركعتين فائت ركن الحجر ، وقم حياله ، واحمد الله ، وسبحه،

وهلله ، وكبره واثن عليه ، وصل على محمد ﷺ ، واستغفر لذنبك ، وللمؤمنين والمؤمنات ، وتسأله حوائجك لدنياك وآخرتك .

[٨٣] ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى الْمَقَامِ فَهَلِّلْ وَاحْمَدِ اللهَ وَارْفَعِ الْأَذْيَالَا

تفسير البيتين : الأذيال : جمع ذيل ، وهو طرف الإزار ، وقل اللهم . هذا مقام العائذين من النار ، فحرم لحمى على النار ، وادع بما بدا لك ولا تطل .

واعل الصفا ، أى اصعد عليه .

والصفا حجر أبيض ، والمروة حجر أسود . والصفا واحدها صفاة ، مثل الحصى والحصاة . ثم امض إلى الصفا من باب الصفا ، وهو بين الأسطوانتين .

[٨٤] وَامْضِ فَاعْلُ الصَّفَا حذا الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَاخْرُجْ مِنْ بَابِهِ وَتَعَالَى

الاسطوانتين المذهبتين . وقل اللهم افتح لنا أبواب رحمتك .

فإذا أتيت الصفا فاصعد عليه بقدر ما تقابل الكعبة ، ولا تعلون عليه .

وقال قوم بقدر خمس درجات . فإذا صعدت عليه ، فكبر سبع تكبيرات .

[٨٥] ثُمَّ هَلِّلْ وَكَبِّرِ اللهَ جِهَاراً وَعَجًّا إِذَا عَلَوْتَ الْجِبَالَا

العج : رفع الصوت . وفى الحديث : أفضل الحج : العج ، والثج ، فالعج ، رفع الصوت .

والثج : صب الدم ، يعنى الذبح .

[٨٦] ثُمَّ سَبِّحْ خَمْساً وَقُلْ هُوَ رَبِّى وَسِعَ النَّاسَ رَحْمَةً وَنَكَالَا

الرحمة الجنة ، والرحمة العافية ، والرحمة المطر ، والرحمة الشمس . ومن قوله تعالى : ثم ينشر رحمته . هكذا سمعت بعض من يقول . والنكال : العقوبة .

[٨٧] صَدَقَ الْوَعْدَ عَبْدَهُ وَثَنَى الْـ   أَحْزَابَ فِي الْحَرْبِ وَحْدَهُ وَتَعَالَى

الأحزاب : واحدها حزب ، وهم المحتزبون ، المجتمعون على قتال المسلمين.

[٨٨] وَادْعُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاسْتَغْفِرِ اللهَ   وَهَلِّلْ وَلَا تَكُنْ مِكْسَالَا

[٨٩] وَقُلِ اجْعَلْ كَفَّارَةً مَشْيَ الْيَـ   ـوْمَ لِمَشْيٍ مَشَيْتُهُ أَحْوَالَا

[٩٠] وَإِلَى الْمَيْلِ مِنَ حِذَا الْعَلَمِ الْـ   أَخْضَرِ فَارْمِلْ وَأَسْرِعِ الإِرْمَالَا

الرمل : فوق المشي ، ودون الخبب . والهرولة : دون الرمل .

وإذا انحدرت إلى الصفا قاصدا المروة ، تمشى وأنت تقول : اللهم اجعل هذا المشي كفارة كل مشي كرهته مني .

فإذا أتيت إلى العلم ، هرولت بين العلمين وأنت تقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، واهدنا الطريق الأقوم ، إنك أنت الأعز الأكرم ، وأنت الرب وأنت الحكم .

[٩١] وَقُلِ اغْفِرْ وَاهْدِ السَّبِيلَ إِلَهِي   وَتَجَاوَزْ عَمَّا عَمِلْتُ ضَلَالَا

[٩٢] وَعَلَى الْبِيضِ أَنْ يَهُزْنَ وَأَنْ لَا   يَرْمِلْنَ فِي السَّعْيِ عِنْدَهُ إِرْمَالَا

البيض : يعني النساء ، استعارة ومجاز لهن . وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتشديد والهرولة بالطواف ، لئلا يستهزئ المشركون بالمسلمين وينسبوهم إلى الضعف .

وليس على المرأة أن ترمل بين الصفا والمروة ، ولكن تسرع المشي .

[٩٣] وَإِذَا الْمَرْوَةَ اعْتَلَيْتَ فَهَلِّلْ   وَاحْمَدِ اللهَ وَاتْرُكِ الإعْتِلَالَا

[٩٤] تَبْتَدِي بِالصَّفَا وَتَخْتِمُ بِالْمَرْوَةِ سَبْعاً   وَتَحْسِبُ الْأَمْيَالَا

الأميال : جمع ميل ، وهى الأشواط التى تسعى بها ، فإذا أتيت المروة بعد انحدارك من الصفا ، فاصعد عليها ، بقدر ما تقابل الكعبة ، ثم ادع مثل دعائك على الصفا ثلاث مرات فى كل شوط ، وتقول عند الصفا ثلاث مرات ذلك الدعاء فإذا أتممت سبعة أشواط من الصفا إلى المروة ، فإذا انحدرت حلقت رأسك وعندئذ يحل الحلال إلا الصيد .

[٩٥] وَامْشِ فَارْمِلْ إِذَا وَصَلْتَ إِلَى الْ
مَيْلِ وَعُدْ كُنْ لِمَا مَضَى قَوَّالَا

[٩٦] وَأَجَازُوا عَلَى الصَّفَا السَّعْيَ مِنْ   غَيْرِ طَهُورٍ وَلَمْ يَرَوْهُ ابْتِذَالَا

إذا ابتدأ فى السعى وهو متوضىء ، ثم انتقض وضوؤه ، أتم سعيه ، وكذلك رمى الجمار .

وللرجل أن يشرب وهو يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يبيع ولا يشترى وهو يسعى ، وإن لم يجد الماء إلا بالشراء اشترى وشرب ، فإذا أجهده التعب فله أن يستريح ويبنى على سعيه ، وإن خرج لحاجة لابد منها ، وترك نية السعى ، فإذا رجع ابتدأ ، وإن لم يقطع نيته من السعى بنى على ما كان سعى . ومن نسى الرمل بين الصفا والمروة ، فلا دم عليه ، ولا شىء ، وقد ترك الفضل عندنا ، وقد أمر به الرجال ، وهو من السنة .

[٩٧] وَاحْتَلِقْ وَأَقْلِمِ الأَظَافِيرَ أَوْ قَصِّرْ وَأَحْلِلْ فَقَدْ ظَفِرْتَ الحَلَالَا

[٩٨] وَقُلْ اشْكُرْ حَلْقِى إِلَهِى وَاقْبَلْ تَفَثِى وَاغْفِرْ الذُّنُوبَ الطِّوَالَا

التفث : تنظيف من وسخ . وجاء فى تفسير قول الله : « ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ »(١) .

أى هو أخذ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبطين ، وحلق العانة .

والأخذ من الشعر كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال .

فإذا ذبحت ذبيحتك ، فاحلق رأسك ، وخذ من شاربك ، وعفًا عن لحيتك وقلم أظفارك ، واحلق عانتك .

وإن شئت صليت ركعتين ، ثم ذبحت فذلك يستحب .

وليس بواجب صلاة العيد بمنى . فإذا ذبحت وحلقت ، فقد حل لك الحلال كله إلا النساء والصيد ، حتى تزور البيت .

[٩٩] وَعَلَى البِيضِ أُصْبُعَيْنِ يقصُرْنَ وَقَصِّرْ إِذَا احْتَلَقْتَ السِّبَالَا

[١٠٠] وإذا ازدارت الفَتَاةَ فَحَاضَتْ نَفَرَتْ ثُمَّ لَمْ تَخَفْ انْتِقَالَا

الفتاة : الشابة . وإذا زارت المرأة البيت يوم النحر ، ثم حاضت ، فإنها تصدر مع أصحابها وتقف عند باب المسجد ، وتودع . وقيل عليها دم .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٩ من سورة الحج .

[١٠١] وَإِذَا طَوَّفَتْ فَحَاضَتْ وَلَمْ تَرْكَعْ
وَقَدْ جَدَّ أَهْلُهَا ارْتِحَالَا

جَدَّ أهلها : شمروا وأجدوا فى السير والارتحال. تقول: جد الرجل يجد جدا فى القيام فى الأمر بكسر الجيم .

[١٠٢] فَعَلَيْهَا دَمٌ وَتَرْكَعُ بَعْدَ الـ طُّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَا أَرَادَتْ حَلَالَا
[١٠٣] وَعَلَيْهَا الرُّكُوعُ بَعْدَ وَدَاعِ الْـ بَيْتِ وَالْحَقُّ يَدْحَضُ الْأَبْطَالَا
[١٠٤] وَعَلَيْهَا قَبْلَ الرُّكُوعِ دَمٌ إِنْ مَسَّهَا بَعْلُهَا فَنَالَتْ وَنَالَا

بعلها : زوجها . وهى بعلته . وجمعه بعول . قال الله تعالى « وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ »(١)

وإذا طافت امرأة طواف الوداع ، فلم تركع ثم حاضت وخرجت نافرة .
فإن باشرها زوجها ، فعليها دم . وإن ركعت قبل أن يطأها ، فلا بأس إذا كان ركوعها فى الحرم .

[١٠٥] وَعَلَيْهَا زِيَارَةُ الْبَيْتِ بَعْدَ الطُّـ هْرِ فَلْتَنْتَظِرْ وَلَوْ أَحْوَالَا
[١٠٦] وَعَلَيْهَا الْإِحْرَامُ وَالسَّعْيُ فَلْتُمْـ سِكْنَهُ
إِنْ فَاضَ فِى الثِّيَابِ وَسَالَا

الهاء فى تسكن راجعة إلى الحيض .

وكل امرأة إن أدت الإحرام وهى حائض أو نفساء، فإنها تغتسل ، وتستثفر

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢٨ من سورة البقرة ، ويقال للمرأة ، بعل ، وبعلة .

عما يمسك الدم عن ثيابها ، ثم تلبس ثيابها التى تحرم فيهـا ، فإذا دخلت مكة ، وقضت حجها ، لم تطف بالبيت إلا وهى طاهرة ، لأنها لاتدخل المسجد، ولا يجوز طوافها ، وهى لاتصلى ، إلا أن تـكون مستحاضة ، فإنها تمسك بشىء تحبسه ، وتقضى طوافها .

[١٠٧] وَعَلَى مَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ لَمْ يُحْرِمْ دَمٌ حِينَ ضَيَّعَ الْإِهْلَالَا

الإهلال : رفع الصوت بالتلبية .

وفى الحديث ، أن جبريل أتى النبى عليه السلام فقال : مر أصحابك برفع الصوت بالتلبية ، فإنه من شعار الحج .

ومن لم يحرم من الميقات حتى جاوز ، أحرم من حيث ذكر ، وإن تذكر فى الحرم ، لزمه لترك الإحرام من الميقات دم .

ومن لم يحرم وجاوز الميقات ، فعليه أن يرجع ويحرم منه ولا شىء عليه .

وإن خاف فوت الحج أحرم ، وعليه دم .

[١٠٨] وَدَمٌ أَنْ يَكُونَ قَدَّمَ نُسُكاً قَبْلَ نُسُكٍ وَخَالَفَ الْأَفْعَالَا

النسك : الإخلاص فى الدين . يقال : أنسك فهو منسك ، وناسك أى عابد. وقد نسك نسكا . والنسك : الدم ، ومنه قوله تعالى : « فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ ، أَوْ صَدَقَةٍ ، أَوْ نُسُكٍ »[١] ، أى دم .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٩٦ من سورة البقرة .

والنَسِيكة : الذبيحة ، والمنسك : الموضع الذى فيه الذبح ، ويخلص فيه العبادة والمنسك مكان النسيكة ، مثل مجلس معناه مكان الجلوس .

قال الله تعالى « لِكلّ أمةٍ جعلنا منسكاً هُمْ ناسِكُوهُ »[1] .

[١٠٩] وَعَلَيْهِ شَاةٌ إذا اصطاد ضَبْعاً — أَوْ عَسُولا أو أَرْنَباً أو غَزَالا

العسول : الذئب ، والعسلان سعيه وجريه ، وقيل : العسول : الثعلب .

قال الشاعر :

لَدْنٌ بِهَزِّ الرِّيحِ يَعْسِلُ مَتْنُهُ — فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

نصب الطريق على الظرف .

والعسول فى هذا البيت الذئب. ويمكن أن يكون معنى قول الشاعر: كما عسل الطريق الثعلب . ولا يعدم أن يكون مذكورا فى الكتب .

وفى الضبع كبش ، وفى الأرنب سخلة ، وفى الظبي شاة .

[١١٠] وَعَلَيْهِ يُهْدِي إذَا اصْطَادَ فِى الْ — حَرَمِ الْيَرَابِيعَ والضِّبَابَ السِّخَالَا

ويروى الليخالا .

اصطاد : اقتنص . والحرم بمعنى الحرم ، فسكّن : ولعله لغة ، كما قيل سقَم وسُقْم وعَدَم وعُدْم .

واليرابيع جمع يربوع . واليربوع أصغر من الضب وهو على شبهه .

وفى الضب : جدى ، وقال بعض : صاع :

---

(١) الآية مدنية رقم ٦٧ من سورة الحج .

قال الشيخ أبو بكر(١) : اليربوع مثل الفأر ، وفى ذنبه فراخة .

وفى اليربوع جَفرة وهى السخلة ، وقيل القطيمة .

[١١١] وَلِبيْضِ الرِئَالِ عُشْرُ بعيرٍ وَبَعِيرٌ إذَا يَصِيدُ الرِّئَالَا

الرئال جمع رئل وهو الظليم . والظليم : الذكر من النعام .

قال ابن عباس : إن كان فى بيض النعامة فرخ فدرهم ، وإن لم يكن فرخ فنصف درهم .

وقال غيره : فى النعامة ولد بعير مثله ، وفى الوعل بقرة ، وفى ولده ولد بقرة .

[١١٢] وَإذَا اجْتُثَّتْ دَوحَةً مَهَاةٌ وَإذَا اجْتُثَّ غُصْنُهَا الْمَيَّالَا

اجتثت : استؤصلت . والدوحة : الشجرة العظيمة . والمهاة : البقرة ، وجمعها مها وهى البقرة الوحشية ، فشبهت النساء بهن .

قال الشاعر :

تَنَازَعَت المَهَا شَبَهاً وَدُرًّا وَشَاكَلَتِ الْجُفُورَ بِهَا الظِّبَاءُ

[١١٣] فَعَلَيْهِ يُعْطِى بِكُلِّ قَضِيـ ـبٍ دِرْهَماً عِنْدَ وَزْنِهِ مِثْقَالَا

يكون درهم واف غير ناقص لا يكون وزنه مثقال ذهب ، وفى الحرلة وهى الشجرة الوسط شاة ، وفى القضيب والعود الصغير إطعام مسكين .

ومما ينبت مما يأكل الناس من الشجر فى الحرم ، فبعض رخص فيه . وبعض كرهه ، إلا ما زرعت ، فلك أن تزرع وتنزع .

---

(١) هو العالم الفقيه الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى بكر ، من أهل نزوى .

وبلغنا عن النبي ﷺ أنه رخص في الإذخر ، وهو الصخبر بلغة أهل عمان ، ويسمونه الأشنان ، يغسلون به أيديهم .

[١١٤] وَحَمَامُ الْحَرَامِ فِي كُلِّ فَرْخٍ مِنْهُ شَاةٌ فَافْهَمْ وَخَلِّ النِّضَالَا

الحرام والحرم واحد . والنضال: الرمي بالكلام. يتناضلون: أي يتحاورون بالكلام وأصل الرمي بالنشاب . والنضال يكون النظر بالعين . وفي الحمامة شاة، وفي فرخها شاة مثلها .

وقد شبهوا عيون النساء بالسهام .

قال الشاعر :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الكِنَاسِ رَمِيمُ

رَمَيْتُ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا ضَمِنْتِ لَكُمْ لَا يَزَالُ يَهِيمُ

وَلَوْ أَنَّنِي لَمَّا رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنْ عَهِدْتُنِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

[١١٥] وَسَوَاءٌ أَخْطَأْتَ أَوْ كَانَ عَمْداً أَوْ كِبَاراً قَتَلْتَ أَوْ أَطْفَالَا

[١١٦] وَعَلَيْهِ دَمٌ إِذَا نَامَ مِنْ دُونِ مِنًى هَكَذَا ابْنُ عَبَّاسَ قَالَا

وإذا غلب النوم عينيه فقام وهو قاعد ؛ فعن محبوب[1] أنه لا بأس عليه ؛ وإنما ذلك للمهموم والقاعد .

وأما من وضع جنبه في محمل ، أو في الأرض فنعس ، فعليه دم .

---

(١) هو أبو سفيان محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي ، علامة من فحول الرجال ، انتقل إلى عمان آخر زمانه حاملا علما جما وهدى واسعا ، ونزل صحار في شمال عمان .

[١١٧] وَإِذَا جَاوَزَ الطَّرِيقَيْنِ أَعْطَى دِرْهَمًا ذَا الْخَصَاصَةِ السُّؤَّالَا

الخصاصة : الحاجة والفقر . ومنه قوله تعالى : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ »[1]. أى حاجة وفقر . وأصل الخصاصة: الخلل والفرج، ومنه خصاص الأصابع ، وهى الفُرج التى بينها .

وحفظ أبو عيسى أن حد مكة مفترق الطريقين : طريق الطرق ، وطريق الناس إلى منى .

[١١٨] وَإِذَا نَامَ قَاعِداً لَمْ يَجِبْ شَيْءٌ إِذَا كَانَ نَاظِرًا جَمَّالَا

ناظرا : أى منتظرا . تقول نظرته وانتظرته . ومنه قوله تعالى : « انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ »[2]، أى انتظرونا ، وتحبَّسوا علينا ، وليس هو من النظر بالعين .

تقول : أنظرته إذا أخرته ، وكذلك بيع النظر أى التأخير . وقوله تعالى: « فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ »[3] .

وقيل : من نام وهو منتظر الأصحاب بمكة فى الزيارة ، أو فى المحمل ، غير متعمد للنوم ، فلا بأس عليه .

[١١٩] وَدَمٌ حِينَ أَخَّرَ الرَّمْىَ لِأْ جَمْرَةٍ فَاعْجِلْ بِرَمْيِهَا إِعْجَالَا

الجمرة : للرماة ، وهى جمار المناسك ، وهى ثلاث جمرات ، ترمى كل جمرة بسبع حصيات مع كل حصاة تكبيرة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٩ من سورة الحشر .
(٢) الآية مدنية رقم ١٣ من سورة الحديد .
(٣) الآية مدنية رقم ٢٨٠ من سورة البقرة .

ومن رمى الجمار ونسي جمرة العقبة حتى غربت الشمس ، قال يبدل رميها من الغد ثم يرمي الجمار كلها .

ومن رمى جمرة العقبة ، ثم الوسطى ، ثم الأولى ، فقد أخطأ ، وليس عليه بدل .

وإن أعاد الرمي ، فذلك أوثق .

[١٢٠] وَدَمٌ إِنْ أَضَاعَ مِنْ رَمْيِهَا الْـ أَكْثَرَ وَالطُّعْمَ تَرْكُهُ الإِقْلَالَا

فإن علم أنه رمى جمرة العقبة بأقل من سبع وترك ذلك عامدا ، حتى انقضت أيام الرمي ، فعليه دم ، وإن ترك حصاة من سائر الجمار ، فعليه إطعام مسكين واحد ، ولحصاتين مسكينان ولثلاث ثلاثة مساكين .

وإن ترك من الحصى الأكثر من الجمرة حتى ينقضي الرمي ، كان عليه بالأكثر دم ، وبالأقل إطعام . ولكل حصاة لم يرمها من الجمار إطعام مسكين .

وفي السبع حصيات من كل جمرة في كل يوم دم .

[١٢١] وَارْمِهَا مِنْ حَصَى الْحَرَامِ وَكَبِّرْ حِينَ تَرْمِي وَكُنْ لَهُ غَسَّالَا

ترمى الجمار بحصى الحرم ، ولا يغني حصى الحل . فإن رمى بحصى الحل ، أعاد ذلك بحصى الحرم ، فإن فات ذلك وأحل ، فعليه دم .

[١٢٢] وَارْمِ كُلَّ الْجِمَارِ سَبْعًا سَبْعًا لَا تَقِفْ عِنْدَهَا وَكُنْ مِعْجَالَا

وأجمع الفقهاء على أن الحصى الذي يرمى به مثل الجوزة والبندقة ، ومن رمى الجمرة وطرح رميه أبعد منها فإن أعادها ، وإلا فإطعام مسكين يتصدق به .

فإن وقعت رميته فى محمل واستقرت ، فليعد على السنة .

وقال من قال : إن صدمت المحمل ، ثم رجعت حتى وقعت على الجمرة ، وليس فى المحمل أجزأت عنه .

[١٢٣] وَارْمِهَا مِنْ حَدِّ الْسَيلِ وَلَا تَعْلُ عَلَيْهَا كَمَا تَرَى الْجُهَّالَا

واختلف الناس فى سبب رمى الجمار، فقيل كما به تفاؤل رمى الذنوب والمعاصى وطرحها ، وقيل : أصلها من إبراهيم عليه السلام ، لما ابتلى بذبح ولده إسماعيل ، وعزم على ذلك ، عرض له إبليس لعنه الله ليصده ، وليصد ولده ، فرماه بالحصى مرة بعد مرة هكذا قيل .

كما حكى فى السعى بين الصفا والمروة أن السبب فى ذلك أن إسماعيل عليه السلام ، لما حصل أنه مع أمه هاجر عطش، فقامت هاجر تطلب الماء من ناحية الصفا والمروة مترددة هناك ، إلى أن أنبع الله الماء نهر زمزم .

ولا يرم بما رمى به الناس من حصى . ومن رمى من ذلك الحصى ، فلا فساد عليه .

[١٢٤] ثُمَّ قُلْ إِنَّ هٰذِهِ حَصَيَاتِى يَا إِلٰهِى وَقِّنِى الزِّلْزَالَا

[١٢٥] وَبِرُغْمِ الشَّيْطَانِ فَادْحِرْهُ يَا رَبِّ وَزِدْهُ بِرَمْيِهَا إِذْلَالَا

أرغمه : أى ألصقه بالتراب . والرَّغام : التراب . وادحره : أى أبعده . ومنه قوله تعالى : « مَذْمُوماً مَدْحُوراً »[1] . الزلزال : الزازلة وهى الحركة .

(١) الآية مكية رقم ١٨ من سورة الإسراء .

فإذا فرغت من رميها فقل : اللهم هذه حصياتى ، وأنت أحصى لهن منى ، واجعلهن لى فى الآخرة ذخرا ، وأثبنى عليهن غفرانك ورضوانك .

ثم انصرف عنها من حيث جئت .

[١٢٦] وَإِذَا لَمْ تَزُرْ وَجَامَعْتَ أَبْطَلْتَ بِهِ الْـ حَـــــجَّ كُلَّهُ إِبْطَالَا

وإذا خرج الحاج ولم يزر ، فعليه أن يرجع حيث كان من سنته أو بعدها ، ولو كان بلغ مصره ، حتى يزور البيت ، فإن رجع فزار وسعى ولم يكن أصاب أهله لم يفسد حجه ، وعليه دم ، وقد تم حجه .

وإن كان أصاب أهله ، فعليه الحج من قابل ، ودم ، ويرجع يطأ حتى يزور البيت .

قلت لابن أبى ميسرة إنما لهذا الرجل فى سنته هذه التى حج فيها أن يزور البيت .

[١٣٥] وَدَمٌ إِنْ شَرِبْتَ بَعْدَ وَدَاعِ الْـ بَيْتِ شَيْئًا وَلَو شَرِبْتَ ثِمَالَا

ولا يشرب الرجل الماء وهو فى الطريق ، إلا أن يجهده العطش ، فله أن يشرب ، وله أن يشترى من الطعام مايعيش به ، وأما غير ذلك فلا ، إلا بمنى .

ويشترى ويبيع ماأراد إذا رجع إلى منى .

والثمال : جمع ثملة وثمايل أيضا ، وهى بقية ماشربت .

قال الشاعر :

وَأَدْرَكَ الْمُنتَقَى مِنْ ثَمِيلَتِهِ وَمِنْ ثَمَائِلِهِ يَسْتَنْشِيءُ الْعَرَبُ

[١٣٦] وَمِنًى إِنْ أَتَيْتَهَا فَاسْأَلِ اللَّـ ـهَ بَلَاغًا يُبَلِّغُ الآمَالَا

سميت منى لأنها يقدرفيها إراقة الدماء. قال تعالى: «مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى»(١) أى يقدر. وقيل سميت منى، لأن الله تعالى منّ فيها على إسماعيل بأن فداه من الذبح. وقيل سميت بذلك، لأن الله تعالى يعطى فيها من سأله المنى.

والبلاغ، والبلغة، والتبليغ أى كفاية. قال الضرير: سمعت أبا عمرو يقول: البلغ مايبلغك من الخير.

[١٣٧] وَاحْذَرَنْ أَنْ تَجُوزَهَا وَتَرَى الشَّمْـ ـسَ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا الأَجْبَالَا

معنى قوله يغشى: يغطى. ومنه غاشية السيف والسرج غطاؤه. والهاء فى تجوزها راجعة إلى منى.

وأما تعجيل من تعجل إلى عرفة ليلة منى، فقد أخطأ السنة.

وقال من قال: وإن عدا إلى عرفات إلى منى قبل طلوع الشمس، فلا كفارة عليه.

وأما من تعجل ليلة عرفات من منى، قبل عليه دم.

[١٣٨] وَاجْتَهِدْ فِي السُّؤَالِ حِينَ تُوَا فِي عَرَفَاتٍ وَلَا تَمَلَّ السُّؤَالَا

سميت عرفات، لأن جبريل عليه السلام كان يرى إبراهيم عليهما السلام المناسك، فيقول عرفت، فسميت عرفات بذلك.

---

(١) الآية مكية رقم ٤٦ من سورة النجم.

وقيل سميت عرفات ، لأن الخلائق يتعارفون فى ذلك الموضوع . ولا يجوز الوقوف بعرفة إلا بقصد وإرادة

[١٣٠] وَاجْتَنِبْ مَوْضِعَ الْأَرَاكِ وَقِفْ مِنْ
عَنْ يَمِينِ الْإِمَامِ أَوْ قِفْ شِمَالَا

اجتنب : ابعد ، والجنـــابة البعد . قال الله تعالى : « فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ »[1] ، أى بُعد . والأراك شجر ترعاه الإبل . تقول : إبل أوراك ، وهى التى قامت فى الأراك ولاتبرح .

[١٣١] اجْتَنِبْ عُرَنَةَ فَعُرَنَةُ تَلْوِى عَرَفَاتٍ جِبَالَهَا وَالرِّمَالَا

عرنة : موضع بعرفات . قال النبى ﷺ : كل عرفة موقف ، إلا بطن عرنة.

[١٣٢] وَحَلَالٌ أَشْجَارُها لَكَ فَاحْطِبْ وَابْنِ مِنْهَا مَصَانِعاً وَظِلَالَا

مصانع : جمع مصنعة، وهى الأبنية ، والمصنعة مايصطنع به ويستظل به. ومنه قوله تعالى : « وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ »[2] .

[١٣٣] وَأَفِضْ قَاصِدًا بِجَنْبِ أَفَاضَ النَّا سُ يَوْماً وَلَا تَكُنْ بَدَّالَا
[١٣٤] إِنَّهُ مَوْقِفٌ وَيَوْمٌ شَرِيفٌ يَرْفَعُ اللهُ عِنْدَهُ الْأَعْمَالَا
[١٣٥] فِيهِ يَقْرِى الْإِلَهُ زُوَّارَهُ الرَّحْمَةَ مِنْـــــهُ وَيَبْسُطُ الْأَفْضَالَا

يقرى : يضيف . والقرى : الضيافة . وقيل : القرى الإحسان إلى الضيف .

---

(١) الآية مكية رقم ١١ من سورة القصص .

(٢) الآية مكية رقم ١٢٩ من سورة الشعراء .

قال الشاعر :

وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالْقِرَى وَلِلْحَقِّ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ

[١٣٦] وَعَلَيْهِمْ يَنْزِلُ الْجُودُ مِنْ عِنْدِ جَوَّادٍ لا يَشْتَكِي الإِقْلَالَا

[١٣٧] جَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ دُعَاؤُهُمُ السَّقْـ فَ فَأَبْكَى دُعَاؤُهُمْ مِيكَالَا

جاب خرق ، ومنه قولهم جبت البلاد أى قطعتها . والسقف هاهنا : السماء .

قال الله تعالى : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا »(١) .

والمعنى : جاب دعاؤهم السماء ، أى خرقها وقطعها ومنه قوله تعالى : « وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ »(٢) ، أى خرقوا وقطعوا .

[١٣٨] وَاسْتَهَلَّتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَحُورُ الْـ عِينِ شَوْقًا إِلَيْهِمُ اسْتِهْلَالَا

استهلت من الاستهلال والتهلل ، وهو الفرح والسرور والبشر .

قال الشاعر :

فَيَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ

أى فيسر ويفرح بأكل القتلى .

وجنات عدن الإقامة . والعدن : موضع الإقامة .

---

(١) الآية مكية رقم ٣٢ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية مكية رقم ٩ من سورة الفجر .

[١٣٩] مَطَرَتْهُمْ سَحَائِبُ الْعُرْفِ عَفْوًا
أَرْسَلَتْهُ سَمَاؤُهُ إِرْسَالَا

مَطَرت السماء بالرحمة ، وأمطرت بالعذاب والغضب . يقول القائل : مطرنا من الحياة وفى المعنى الآخر : قال الله تعالى : « وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ »(١) .

ومعنى قوله إرسالا : شيئا بعد شيء .

[١٤٠] فَتَلَقَّاهُمُ السَّلَامُ بِرُوحٍ وَسَلَامٍ مُنَزِّلٍ إِنْزَالَا

السلام : الله . ومنه سمى الرجل عبد السلام ، فسمى نفسه عز وجل سلاما ، بالسلامة مما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان ، والفناء الموت ، والزوال والتغيير .

ومنه قوله تعالى : « لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ »(٢) ، وهى الجنة ، أى دار السلامة .

والسلام التسليم والتحية ، تقول : سلمت سلاما ، أى تسليما .

والسَّلَم شجر عظام ، واحدتها سلمة . والروح : البقاء والحياة .

[١٤١] أَىُّ وَفْدٍ أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ نُزَّعًا أَرْسَلُوا إِلَيْهِ سِلَالَا

أى : لها أربعة مواضع ، تكون استفهاما كقولهم أيهم أخوك؟ وأىّ القوم صاحبك؟ وتكون شرطية مثل: أيهم يكرمنى أكرمه ، وتكون خبرا كقولك أى القوم فى الدار أخوك ، وتكون نعتا كقولك : مررت برجل أى رجل .

(١) الآية مكية رقم ٥٨ من سورة النمل .
(٢) الآية مكية رقم ١٢٧ من سورة الأنعام .

والوفد جمع وهو معروف ، والواحد وافد ، وهم الذين يفدون على الملوك .

والنزع : المحبون ، المشتاقون ، والسلال والسل : الطرد .

[١٤٢] وَأَتَوهُ حَسْرَى طَلَائِحَ قَدْ مَلُّوا وَكَلُّوا مِنَ الْمَسِيرِ كَلَالَا

كلوا : غلبوا ، وعيوا ، والملال والسآم واحد ، وهى من العى أيضا .

والكلال والتعب واحد . وحسرى : جمع حسرة ، وهو المعنى الكامل . ومنه تقول : حسرت الناقة حسورا ، إذا عييت ، وحسر البصر إذا كل عن النظر فهو حاسر وحسير .

قال الله تعالى: « يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ »[1]. والحاسر: البعيد .

[١٤٣] شُعْثاً أَوْجَفُوا الْمَطِيَّ مِنَ الْ بُعْدِ إِلَيْهِ وَأَوْغَلُوا إِيغَالَا

الأشعث : المتغير من طول السفر ، وشعثان الرأس : وهو المتغير الرأس ، المسف الشعر ، أغبر ، غير دهين .

والإيجاف الإيضاع : وهو السرعة فى السير وأوغلوا من الإيغال ، وهو السير ، وأوغل القوم إذا أمعنوا فى سيرهم ، داخلين فى جبال ، أو أرض من العدو .

وفى حديث النبى ﷺ : إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المُنْبَتّ لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

---

(١) الآية مكية رقم ٤ من سورة الملك .

[١٤٤] فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ وَيْكَ وَلَا تَسْأَمْ
لَدَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ مَلَالَا

الجهد : بذل الطاقة من التقى والطاقة الوسع ، والاجتهاد : الأخذ فى الأمـر بالجد والتشمير .

وويك : قريبة من ويحك ، وهى ترحم . وقوله لا تسأم أى لا تمل .

قال زهير بن أبى سلمى :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

[١٤٥] وَابْكِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنْكَ وَأَسْبِلْ
مَاءَ عَيْنَيْكَ بِالْبُكَا إِسْبَالَا

الوداع والتوديع واحد . وأسبل دمعه ، وأجراه ، وسفحه ، وسفكه ، وصبه ، وسكبه كل ذلك إذا أجراه ، والوداع بمعنى وداع البيت الحرام عند الانصراف . فإذا أردت الخروج فائت البيت وطف سبعة أشواط ، ثم صل ركعتين ، ثم ائت زمزم ، فاشرب من مائها ، وصب على رأسك وقل كما وصفت لك عند العمرة . وكذلك تفعل عند الزيارة من الدعاء . ثم ارجع فقف بين الباب وبين الحجر الأسود فاعتمد بيدك على أسكفة(١) الباب حيث تبلغ ، ويدك اليسرى قابضة على أستار الكعبة ، ثم الزق بطنك بجدار الكعبة ، وادع بما فتح الله لك من الدعاء .

---

(١) بضم الهمزة والكاف وسكون السين مع تشديد الفاء ، وهى خشبة الباب التى يوطأ عليها .

[١٤٦] وَعَلَى الْبَنِيْتِ فَاسْكُب الدَّمْعَ سَحًّا
وَاسْقِهِ مِنْكَ وَاكِفًا وَسِجَالاً

تمام تفسير البيت الأول فتح الله لك من الدعاء، وقل : اللهم لك حججنا، وبك آمنا، ولك أسلمنا، وعليك توكلنا، وبك وثقنا، وإياك دعونا فتقبل نسكنا، واغفر ذنوبنا، واستعملنا لطاعتك، اللهم إنا نستودعك ديننا، وإيماننا، وسرائرنا وخواتم أعمالنا، وصلى اللهم على محمد النبي عليه وعلى آله السلام .

رجع إلى تفسير البيت الأخير: السّحّ : الصب فى كثرة، والواكف : الجارى . قال الشاعر :

تَبَاَبلْنَا بالْبِشْرِ مِنْ حُسْنِ غُرَّةٍ وَأَنْوَاء كَفٍّ بِالْمَوَاهِبِ وُكَّفِ

أى جارية .

[١٤٧] فَإِذَا مَا نَفَرتَ قُلْتَ إِلَهِى تَائِبٌ آيِبٌ إِلَيْكَ ابْتِهَالَا

النفر : الخروج فى سرعة ، ومنه قوله تعالى : انفروا خفافا وثقالا ، أى اخرجوا واعدوا شيوخا وشبابا فقراء وأغنياء . والآيب : الراجع، ومنه آب من من سفره أى رجع . ومنه قوله تعالى : « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهِمْ »[1] . أى رجوعهم

[١٤٨] قِنِى السَّيِّئَاتِ مِنْكَ وَكُنْ لِى نَاصِراً رَبِّ لَا تَكُنْ خَذَّالَا

الخذال أصله التأخير . ومنه قوله تعالى : « إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ »[2] .

[١٤٩] ثُمَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِكَ اللهَ يُصْلِح ذِكْرُكَ اللهَ مِنْكَ حَالًا فَحَالَا

* * *

(١) الآية مكية رقم ٢٥ من سورة الغاشية .
(٢) الآية مدنية رقم ١٦٠ من سورة آل عمران .

القصيدة العاشرة[1]

فى كفارة الأيمان

وقال فى كفارة الأيمان ، ومايجب فيها من حنث ومالايجب ، وفى الصدقة والعتق ، والحج ، وفى معنى ذلك وفى من يحلف باللمنة والقبحة . وأشباههما ، ومايجب فى ذلك .

[١] مَالِى وَلِلرَّبْعِ أَبْكِيهِ وَلِلطَّلَلِ   وَالْوَصْفِ لِلْبِيدِ والِحرباء وَالْوَرَلِ

الربع الدار ، حيث أقاموا .

قال زهير :

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا   الَا أَنْعِمِ صَباحاً أَيها الرَّبعُ وَاسْلَمِ

ومنزل القوم يسمى ربعا إذا كانوا فيه ، يقال ، ربع ، وربوع ، ورباع .

وفى الحديث ، إن قوما كانوا يعرفون البيت ، فإذا نزلوا البيد بعث الله عليهم جبريل ، عليه السلام ، فيقول ، يا بيداء بيدى ، فتنخسف بهم .

والحرباء ، وجمعها الحرابى ، وتصغيرها الحريباء ، والأنثى حرباة .

والحرباء إذا طلعت الشمس : استقبلتها .

والورل : يشبه الضب . وجمعه وِرلان .

[٢] والرَّاحِ مَا الرَّاحُ مِنْ هَمِّى وَلَاأَرَبِى   وَلَا عَلَى نَاقَةٍ أَبْكِى وَلَا جَمَلِ

خفض الراح عطفا على الربع والطلل ، ثم قال : ما الراح من همى ، فبقى أن يكون الراح من همته .

---

(١) من بحر البسيط .

والراح : الخمر . وسميت راحا ، لأنها صاحبها يرتاح إلى الكرم ، والأعمال الحسنة ، ويقال : فيه أريحية . وقيل : تريح صاحبها من الهم ، والفكر ، والغم قال عبيد[1] :

ثُمَّ اصْطَحَبْنَا كُمَيْتاً قَرْقَفاً أُنُفاً   مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ واللَّذَاتِ تَعْلِيلُ

والأنف الذى لا يشرب بعد .

وقوله أربى : أى حاجتى وطلبى . وواحدة الأرب : إربة وجمعها مآرب وهى الحوائج . قال الله تعالى : وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى[2] : أى حوائج .

[٣] وَلَا أُقْرِضُ شِعْرِىَ مَادِحاً مَلِكاً
وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ هَمِّى وَلَا أَمَلِى

أصل القرض : القطع . تقول فلان يقرض الشعر ، أى يقوله .

وقرض الفأر الثوب : قطعه .

وفى الحديث أن رجلا له ابن شاعر ، فنهاه أبوه عن قول الشعر ، فكمد الغلام بما اجتمع من القريض الممنوع ، والقريض الشعر فقال له أبوه فاقرض يابنى قال : هيهات ، حال الجريض دون القريض[3] ، وأنشأ يقول :

عَذِيرُكَ مِنْ أَبِيكَ يَضِيقُ صَدْراً   فَمَا تُغْنِى بُيُوتُ الشِّعْرِ مِنِّى

(١) هو الشاعر الجاهلى عبيد بن الأبرص ، عاصر امرأ القيس واتصل بملوك المناذرة ، والكميت الفرس يخالط حمرته قنوء ، والقرقف أى له صوت مرعب كالرعد . يخيف من يلقاه .

(٢) الآية مكية رقم ١٨ من سورة طه .

(٣) الجرض تحركة ابتلاع الريق بالجهد على هم ، وحال الجريض دون القريض أصبح مثلا عربيا ، يضرب لأمر يعوق دونه عائق ، وقد قاله جوشن ابن منقذ حين منعه أبوه من الشعر ، فمرض حزنا ، فرق له قلب أبيه ، وقد أشرف على الهلاك ، فقال يابنى ، انطق بما أحببت .

أَتَأْمُرُنِي وَقَدْ فَنِيَتْ حَيَاتِي بِأَبْيَـــــاتٍ تُرَجِّيهِنَّ مِنِّي
فَأُقْسِمُ لَوْ بَقِيتُ لَقُلْتُ قَوْلاً أَفُوقُ بِهِ قَوَافِي كُلِّ جِنِّي

وقوله من همى : أى من همتى ، وقوله أملى : أى رجائى .

[٤] وَلَا اطَّبَانِي إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا غِيدٌ يَصِدْنَ الْوَرَى بِالْأَعْيُنِ النُّجُلِ

أطبانى : دعانى ، ويطلبنى : يدعونى ، وأطباه : استماه .

يقول أطباه يطبيه ، واطّباه يطّبيه .

قال زهير :

يُقَيِّظُ بِالقِبَانِ وَكُلُّ فَجٍّ طَبَاهُ الدَّاعِي مِنْه وَالخَلَاءُ

يقيظ : أى أقام أيام القيظ . والقبان : جبل لبنى أسد .

وزخرف الدنيا : غرورها ، وزينتها ، وزهرتها . وأصل الزخرف : التزين .

ومنه قوله تعالى : « حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا »[1] ، أى زينتها .

والغيد : جمع غيداء ، وهى الناعمة ، والأعين النجل : الواسعة الشق فى العين .

[٥] إِنَّ الزَّمَانَ عَدَانِي عَنْ زِيَارَتِهَا وَعَنْ تِبَاعِ الصِّبَا وَاللَّهْوِ وَالغَزَلِ

عدانى ، وعادانى : صرفنى ، وشغلنى ، ومنعنى عن زيارتها .

قال الشاعر :

فَاصْرِمْ حَبْلَهَا إِنْ صَرَمَتْهُ وَعَادَكَ أَنْ تُلَاقِيَهَا العَدَاءُ

(١) الآية مكية رقم ٢٤ من سورة يونس .

عادك : صرفك ، وعداك : شغلك .

والغزل والمغازلة : مفاكهة النساء، والغزل:حديث الفتيان والجوارى ،والغزل: تكلف ذلك .

قال الستالى[1] :

وَرْدُ الْخُدود وَنَرْجِسُ المُقَلِ وَبُرُوقُ كُلِّ مُفَلَّجٍ رَتِلِ
سَلَكْتُ عَلَى حُكْمِ الْمشَيب بِهَا لِسُبْلِ الصِّبَا وَمَذَاهِب الغَزَلِ

[٥] وَوَخْطِ شَيْبٍ عَلَى رَأْسِى فَأَبْعَدَنِى عَن الْفَتَاةِ وَأَدْنَانِى مِنَ الْأَجَلِ

يقول : وخطه الشيب إذا خط رأسه ولحيته ، والاسم : الوخط .

يقول : لما شبت بعدت عن الفتاة ، وقربت إلى الأجل .

قال الشاعر :

فَوَارِسُ طَعَّانُونَ مَا زَال لِلفَتَى مَعَ الشَّيْب يَوْماً فِى عَوَارِضهم وَخْطُ

[٦] فَبَكَى الشَّبَابُ لِضِحْكِ الشَّيْبِ مُنْتَحِباً
وَقَهْقَهَ الشَّيْبُ عَنْ أَنْيَابِهِ الْعُصْلِ

بالصاد المهملة، وهو اعوجاج الناب مع شدته، ضحك الشيب بُدُوُّه وظهوره.

والانتحاب : أرفع من البكاء ونصب منتحبا على الحال .

وقوله : قهقه الشيب عن أنيابه العصل : هذا على المجاز والتوسع فى كلام العرب ، وليس ها هنا من الشيب ضحك، ولا من الشباب بكاء . ولكن لما كان مصير الشباب إلى الشيب والهرم ، حسن أن يقال ذلك .

---

(١) شاعر عمانى مشهور .

[٧] وَقَدْ قُلْتُ إذْ بَكَرَتْ حَوْرَاء تَعْذِلُنِي
عَلَى الصِّبَا قَدْكِ يَاحَوْرَاء مِنْ عَذَلِ

بكرت : من البكور . وحوراء : واحدة الحور . والحوراء : البيضاء.

وقوله : قدك ، أى حسبك وكفاك من عذلى ولومى .

قال الشاعر :

وَعَاذِلٌ فِي هَوَاهَا ظَلَّ يَعْذِلُنِي ... لَمْ يَأْلُ فِي نُصْحِهِ إلَى أَنْ قَالَ مَاقَالَا
فَقُلْتُ قَدْكَ فَإِنِّي لَا أُطِيعُ وَلَوْ ... أَكْثَرْتَ نُصْحَكَ لَوَاماً وَعَيْذَالَا

والعذل : أحر العتاب وأمضه .

[٨] عَاجَ الرَّدَى إنْ عُجْتُ الْمَطِيَّ عَلَى ... رَسْمٍ أُسَائِلُ عَنْ هِرٍّ وَعَنْ مَلَلِ

عاج يعوج . وعجت إليكم . وأصل العوج : عطف رأس البعير بالزمام والخطام .

والردى : الهلاك والرسم : المنزل الخالى ، الذى قد بقى فيه رسوم المنزل ، أى بقايا مثل الآيات فى الرماد ، وغير ذلك .

قال أبو العتاهية(١) :

وَلَسْتُ أَبْكِي لِلصِّبَا ... وَلَسْتُ أَبْكِي لِلطَّلَلْ
وَلَا لِرَسْمٍ دَارِسٍ ... دَمْعِي جَرَى ثُمَّ انْهَمَلْ

وهر ، وملل : اسم امرأتين .

(١) هو الشاعر إسماعيل بن القاسم ،ولد بالقرب من الأنبار . وعاش فى الكوفة ، وتلقى العلم فى حلقات العلماء والأدباء فيها ، واتصل بالخلفاء فى بغداد ،ومدح المهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون، وقد عاش حياته زاهدا . وصار من أعلام الشعر العباسى،وتوفى عام٢١١هـ.

قال امرؤ القيس :

وَهِرٌّ تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَا لِ وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابنُ عَمْرٍو حَجَرْ

[١٠] آ لَيْتُ حَلْفَةَ بِرٍّ غَيْرَ ذِي دَخَلٍ أَلَّا أَعُودَ إِلَى الصَّهْبَاءِ وَالْهَزَلِ

آ ليت : حلفت . معناه : حلفت حلفة بر ، أى يمينا صادقة .

والبر : الصدق . وهى الألية بالتشديد . وتقول : آليك وآ اوه .

والصهباء : الخمرة . والدخل ، والدغل : واحد . وهو الجناية .

والهزل : اللهو واللعب .والهزل: نقيض الجد والحق يقول وهزل يهزل هزلا .

قال الله تعالى : « وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ »[1] أى باللعب .

[١١] وَفِي الْيَمِينِ إِذَا أَرْسَلْتَهَا قَسَماً إِطْعَامُ ذِي فَاقَةٍ مِنْ أَوْسَطِ الْأُكُلِ

جمع اليمين : أيمان ، وتجمع فى أدنى العدد : أيمن . وقوله أرسلتها : معناه إذا أرسل اليمين ولم يتبعها استثناء على شيء يفعله ، أو لا يفعله ، وجلت عن يمينه النية والعقد على الفعل .

وفى الحديث : كان أبــو الشعثاء[2] وعائشة يقولان : اللغو مما جرى به الـكلام مما لا يعقدون عليه مرسلا ، والله ، وبلى والله ، فى غير تعمد ، ولا عقد عليه ، فذلك اللغو فيما بلغنا .

---

(١) الآية مكية رقم ١٤ من سورة الطارق .

(٢) هو الإمام جابر بن زيد ، والشعثاء اسم ابنته ، وبها كنى ، وقد توفيت فى مدينة الفرق بعمان ، وقبرها معروف بها .

[١٢] تَعُدُّهُمْ وَاحِدًا عَنْ وَاحِدٍ كَمَلًا   حَتَّى تُتِمَّ عِدَادَ الْعَاشِرِ الْكَمَلِ

تفسير البيت الأول قوله إطعام ذى فاقة . والفاقة : الفقر والأكل . قال الله تعالى : « تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ »(١) أى ثمرتها التى تؤكل .

تفسير البيت : تعدهم تحسبهم واحدا بعد واحد ، حتى تتم عددهم عشرة مساكين كما قال الله : « فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ »(٢) .

[١٣] تَعُمُّهُمْ بِغَدَاءٍ ثُمَّ تُتْبِعُهُمْ   مِنْ بَعْدِهِ بِعَشَاءٍ آخِرَ الْأُصُلِ

تعمهم : تجمعهم . كما تقول : عم وخص ، والعامة والخاصة .

والغداء ما كان فى أول النهار بالغداة . والعشاء ما كان فى العشى . والأُصل : جمع أصيل .

وجمع الجمع أصائل ، وهو العشى . ومنه قوله تعالى : « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ »(٣) .

والإطعام : أن يطعم كل مسكين قد أخذ حوزته من الطعام أكلتين .

[١٤] وَإِنْ أَرَدْتَ فَنِصْفُ الصَّاعِ تَدْفَعُهُ   بُرًّا لِكُلِّ فَقِيرٍ مُرْمِلٍ وَكِلِ

المرمل : الفقير وهو الذى زاده والوكل الذى يكل أمره إلى غيره .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٥ من سورة إبراهيم .
(٢) الآية مدنية رقم ٨٩ من سورة المائدة .
(٣) الآية مدنية رقم ١٥ من سورة الرعد .

قال الشاعر :

أَنَا أَبُو بُرْدَةَ إِنْ جَدَّ الرهـــ ـــلُ حَلَفْتُ غَيْرَ رِمْلٍ وَلَا وَكِلِ

الرمل : الضعيف ، وهو الرميل أيضا .

وقال آخر :

مِثْلِي قَلِيلٌ فَإِذَ هِجِتَنِي يَوْمَ حِفَاظٍ لَمْ تَجِدْنِي وَكِلَا

وقال المرمل إنه الفقير، قد جعل الله فى أنامل إبراهيم رزق الضعيف والمرمل.

[١٥] وَإِنْ دَفَعْتَ شَعِيرًا كَانَ أَوْ ذُرَةً فَدِرْهَمٌ رُبُعًا فِي قِيمَةِ الْبَدَلِ

[١٦] أَوْ قِيمَةُ الْبُرِّ مِمَّا شِئْتَ تَدْفَعُهُ مِنَ الْحُبُوبِ بِلَا حَيْفٍ وَلَا مَيَلِ

الحيف : الجور ، والحيف : البخس والنقصان ، والميل : العوج .

تقول فى الحائط ميل ، أى عوج .

وإن أعطاهم الحب ، فيعطى كل مسكين نصف صاع برا ، ومن الذرة أربعة أسداس ونصف ، والشعير مثل الذرة .

وقال محمد بن محبوب : الشعير مثل البر ، لـكل مسكين منه نصف صاع ، ومن أخذ بذلك فلا بأس .

[١٧] هَذَا لِمَنْ أَرْسَلَ الأَيْمَانَ مُتَّصِلَا أَوْ صَوْمُ يَوْمٍ إِلَى يَوْمَيْنِ مُتَّصِلِ

وإنما يجوز له الصوم . إذا لم يجد كسوة ، أو عتقا ، أو طعما .

[١٨] وَمَنْ تَأَلَّى عَلَى حَقٍّ لِيَقْطَعَهُ بِاللهِ عَمْدًا بِلَا وَهْمٍ وَلَا زَلَلِ

يقال تألى يتألى تأليا ، بمعنى حلف يحلف . قال الله تعالى : « وَلَا يَأْتَلِ

أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ »[1] أى يحلف ، وكذلك لايأتلى ، أى لايحلف ذو الفضل منكم والسعة ، أى لاتعطوا أولى القربى .

ومن يحلف على حق أخيه ليقطعه ظالما ، فعليه كفارة التغليظ : صيام شهرين أو عتق رقبة ، أو إطعام ستين مسكينا .

[١٩] أَوْ إِنَّهُ مُشْرِكٌ أَوْ عَابِدٌ وَثَنَاً   أَوْ عَاهَدَ اللهَ أَوْ أَصْغَى إِلَى الْجَهَلِ

المشرك الذى يدعى أن لله شريكا ، والوثن : ما كان من حجارة أو خشب . نسخة . ومن قال إنه مشرك ، أو أنه يعبد الأوثان ، أو أنه يهودى ، أو نصرانى ، أو مجوسى ، أو صابىء ، أو أعبد الشمس ، أو أعبد القمر ، أو مرتدا ، أو قرمطى ، أو رافضى ، أو مرجى ، أو قدرى ، أو شيعى ، أو زنديق ، أو ذمى ، أو أنه قاتل ، أو ظالم ، أو محرم ، أو خاسر ، أو فاسق وكل هذا تغليظ وكفارته صيام شهرين أو عتق رقبة أو إطعام ستين مسكينا أصفى مال .

[٢٠] أَوْ لَا عَفَا اللهُ عَنْهُ أَوْ نَوَى قَسَمَاً   أَوْ أَنَّهُ كَافِرٌ بِالْكُتْبِ وَالرُّسُلِ

عفا : صفح ومحا . قوله تعالى « وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عنهم »[2] ، أى محا الله ذنوبهم .

[٢١] فَكُلَّمَا أَوْعَدَ اللهُ الْعَذَابَ بِهِ   مَنْ يُوَاقِعُهُ مِنْ سَائِرِ الْمِلَلِ

يقول : وعدته خيرا ، وأوعدته شرا .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢ من سورة النور .
(٢) الآية مدنية رقم ١٥٥ من سورة آل عمران .

[٢٢] فَفِيهِ كَفَّارَةُ التَّغْلِيظِ تَلزَمُهُ مُخَيَّرًا أَيُّهُمَا شَاء فَلْيَقُلِ

الكفارة : ما يكفر به اليمين ، أى يغطى ويمحو ، ومنه سمى الكفر كفرا لأنه يغطى الإيمان .

[٢٣] صِيَامُ شَهرَيْنِ أَوْ إِطْعَامُ مِثْلِهِمَا أَوْ عِتْقُ عَبْدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ ذِى شَلَلِ

الشلل : العرج والعسم فى الأعضاء ، تقول : رجل أشل وأعرج ، وأقزل ، وأعسم .

قال الشاعر :

قَدْ قَلَّ سَمْعِى وَخَانَنِى بَصَرِى وَدَقَّ عَظْمِى وَمَسَّنِى الشَّلَلُ

قال السقالى :

فَلْيَدُم أَبَدًا يَغْتَلِى صُعُدًا وَيَمُدُّ يَدًا مَا بِهَا شَلَلُ

[٢٤] إِلَّا الظِّهَارُ فَمَا فِيهِ لَهُ خِيَرٌ وَيَجْعَلُ الصَّوْمَ قَبْلَ الْحِنْثِ فِى مَهَلِ

يقول : وإنه غير مخير فى كفارة الظهار(١) ، وعليه أن يبتدىء بالأول ، ثم الأول وكذلك الأيمان المرسلة .

قيل من وجد الإطعام أطعم ، ولا يصوم . وإنما الإطعام على المستغنى الذى قد قيل يصيب من غلة ماله مايغنيه ، ويغنى عياله إلى الحول .

قال من قال : ويفضل أيضا عنده بعد ذلك خمسة عشر درهما، وقال من قال: وحدّ الفضل خمسة عشر درهما .

(١) هو أن يقول الرجل لامرأته ، أنت على كظهر أمى .

[٢٥] أَوْ بَعْدَهُ أَىُّ هَذَا شَاءَهُ حَسَنٌ إِلَّا الظِّهَارُ فَقَبْلَ الْحِنْثِ فِى الْأَجَلِ

الأجل : الوقت المحدود ، وهو أربعة أشهر ، قد مضى ما فيه كفاية .

اتفق أصحابنا على كفارة اليمين بعد الحنث ، واختلفوا فى سقوط الكفارة إذا قدمها بعد الحنث ، فقال بعضهم : إذا قدمها قبل الحنث . ثم حنث ، لم يكن عليه إعادتها ، وقال بعضهم لا تجزئه حتى يحنث ، ولكل منهم احتجاج والله أعلم.

[٢٦] وَمَا الرَّضِيعُ بِمُغْنٍ حِينَ يُطْعِمُهُ حَتَّى يَكُونَ فَطِيمًا كَامِلَ الْأَكْلِ

فى الأثر : ولا يطعم من الصبيان فى كفارة ، إلا من أخذ حوزته من الأكل وهو الذى لم يبق فى أكله زيادة وقد تكامل أكله .

تفسير البيت الثانى : والكسا : جمع كسوة ، والكسا : اللباس . تقول كسوته ، إذا لبسته ، واكتسى : إذا لبس .

[٢٧] وَفِى الْكِسَا فَخِمَارٌ لِلْمَرْأَةِ إِذَا أَرَدْتَ أَوْ مِشْوَذٌ فِى كُسْوَةِ الرَّجُلِ

المشوذ : العمامة ، والجمع مشاوذ . تقول : شوذت ، إذا تعممت ، وشوذ غيرى .

والمسألة :

ومن الكسوة ، فلكل مسكين ثوب : إزار وقميص ، أو سراويل وعمامة ، أو خمار للمرأة من أى هذه الثياب شاء .

قال بعضهم : إذا كان الثوب إذا اشتمله وعقده ، مال أن يعقده فى رقبته ، جاز لك .

[٢٧] وَعِتقُ أَعْوَرَ عَيْنٍ فِي الظِّهَارِ فَقَدْ
أُجِيزَ وَالعَبْدُ ذِي الأَشْرَاكِ وَالدَّغَلِ

الدغل والدخل : الجناية والشك والدغاول الريب .

ومن أعتق فيستحب له أن يعتق رقبة سليمة من الأذى ، ولا يعتق أعور ، ولا أعرج ، ولا أشل ، إلا صحيحا .

وقيل : إن أعتق أعور بعين فجائز ، وكذلك العبد اليهودى والنصرانى .

ومن أعتق صبيا عاله حتى يبلغ ، ويجوز أن يعتق فى الظهار أعور بعين .

[٢٨] وَاللَّعْنُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ وَأَكْثَرُهُمْ
يُفْتِي بِصَوْمِ يَمِينٍ مُرْسَلٍ مَلِ

اللعن فى اللغة الطرد والبعد ، ومنه قوله تعالى : لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً[١] . معناه : طرده ، وأبعده ، وأيأسه من رحمته .

قال الشاعر :

ذُعِرَتْ بِهِ القَطَا وَنُفِيتُ عَنْهُ مَكَانَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

أى الطريد البعيد .

[٢٩] وَالمَقْتُ وَالقُبْحُ تَغْلِيظٌ وَبَعْدَهُمَا مَا الخِزْيُ وَالغَضَبُ المَقْرُونُ بِالجَهْلِ

المقت فى اللغة : الغضب . ومنه قوله تعالى : كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ[٢] ، وقوله : لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ[٣] ، أى غضب الله عليكم أكبر .

(١) الآية مدنية رقم ١١٨ من سورة النساء .
(٢) الآية مدنية رقم ٣ من سورة الصف .
(٣) الآية مكية رقم ١٠ من سورة غافر .

في كتاب العين[1] : المقت : البغض عن أمر قبيح ركبه .

والقبح في اللغة : التشويه في الخلق . ويقال : قبح الله وجهه ، شوه الله خلقه .

ومن قال قبح الله وجهه ، أو أخزاه الله ، أو مقته الله ، أو أدخله النار في الآخرة ، أو في نار جهنم ، فحنث إذا حلف . لزمه كفارة التغليظ ، وقيل يمين مرسلة .

وأما الذي قال عليه لعنة الله ، أو قبحه الله ألا يفعل كذا وكذا ، ثم حنث ، أن عليه كفارة التغليظ . هذا عن موسى بن علي ، ومحمد بن محبوب[2] .

[٣٠] وَالْعَهْدُ بِاللَّهِ مَهْمَا كَانَ مِنْ عَدَدٍ فِي كُلِّ عَهْدٍ يَمِينٌ يَا أُخَا نُعَلِ

العهد على وجوه منها : اليمين ، ومنه قوله تعالى : وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا[3] .

والعهد : الأمان ومنه قوله تعالى : فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ[4] أي أمانهم الذي أعطيتموهم إياه .

والعهد : الوصية . ومنه قوله تعالى : أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ[5] ألم أوصيكم .

والعهد : الميثاق ومنه قوله تعالى : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ[6] . والعهد : الحفاظ . قول النبي ﷺ

---

(١) مؤلفه الخليل بن أحمد .
(٢) فقيهان عمانيان مشهوران سبق ذكرهما .
(٣) الآية مكية رقم ٩١ من سورة النحل .
(٤) الآية مدنية رقم ٤ من سورة التوبة .
(٥) الآية مكية رقم ٦٠ من سورة يس .
(٦) الآية مدنية رقم ١٢٤ من سورة البقرة .

حسن العهد من الإيمان . وقوله : يا أخا ثعل . فثعل : قبيلة من قبائل العرب .

وقيل ثعل من الغوث من طيء . والثعل : سنّ زائدة .

وثعل وثعالة : من أسماء الثعلب —

المسألة :

وأما الذى قال عليه ألف عهد الله ، أو قال : ألف عهد من الله ، ثم حنث ، فعليه كفارة ألف عهد : صيام ألفى شهر ، والإطعام على نحو ذلك .

وإن قال ألف عهد ، ولم يقل الله فلا نرى ذلك ، ولا شيء عليه .

ومن حلف بثلاثين عهدا ، فلا شيء عليه حتى يحلف بعهد الله .

وإن حلف ثلاثين عهدا لله ، وحنث ، فعليه ثلاثون كفارة عهد الله . وقيل : كفارة واحدة .

[٣٢] هَذَا وَبعضٌ يَرَى الأَيمَانَ مُرْسَلَةً
سِوَى العُهُودِ بمَوْلَى الفَضْلِ وَالفصَلِ

[٣٣] فَاحْفَظْ عُهُودَكَ وَاصْدُقْ إِنْ حَلَفْتَ بِهَا
لَا تَحْلِفَنَّ بِغَـــيْرِ الوَاحِدِ الأَزَلِ

الأزل الدائم الذى لم يزل ، ولا يزول أبداً ، سبحانه وتعالى ، الهاء فى به لله . أقسم الله تعالى بنفسه وبغيره فقال عز وجل : « فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[1] وقال : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ »[2] ، وأقسم بغيره لقوله تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى »[3] والقرآن المجيد ، والذاريات ، وما أشبه ذلك .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة الذاريات .
(٢) الآية مكية رقم ٩٢ من سورة الحجر .
(٣) الآية مكية رقم ١ من سورة النجم .

وجائز للرجل أن يحلف بالله صادقا من غير أن يحلف، ولا يلزمه يمين.

وكره أصحابنا الحلف بالله على الصدق، توقيا وتعظيما لله عندى، أن ذلك مباح.

[٣٤] وَ رُمَّةُ الدِّينِ إِنْ آلى بِهَا رَجُلٌ   لَا شَيْءَ وَالْمُصْطَفَى وَالْكُتْبِ وَالرُّسُلِ

هذا قد مضى ذكره. وهو أن يقول: وحق النبي، وحق القرآن، وحق الإسلام، إنه لاشيء عليه فى هذا.

قال الشيخ: ومنهم من قال قال إذا قال: وحق القرآن، كان عليه الحنث، لأن ذكر الله فى القرآن.

[٣٥] مَا لَمْ تَكُنْ نِيَّةٌ يَعْنِي بِهَا قَسَمًا   مَا اللهُ عِنْدَ صَغِيرِ الأَمْرِ وَالْجَلَلِ

النية: تشدد وتخفف. والنية: عقد بالقلب، وعزيمة بالجوارح بالفعل.

والجلل: الأمر العظيم، والجلل الصغير. وهو من الأضداد.

[٣٦] وفِي الْقُرْآنِ يَمِينٌ إِنْ نَوَى قَسَمًا   عَقْدَ الأَلِيَّةِ مِنْ أَيْمَانِ مُبْتَهِلِ

الألية: الحلفة، وجمعها الألايا، مبتهل: حالف وقد مضى فى هذا الحرف ماتقدم ذكره.

ومن حلف بالقرآن، أو سورة منه، ففى بعض القول إنها يمين، لأن بسم الله الرحمن الرحيم مثبتة فى كل سورة.

وقال من قال ليست بيمين. وأما من قال: والإسلام، والكعبة، والصلاة، وبيت الله، ونحو هذا، وأوقع القسم على غير اسم، ولم ينو بذلك القسم بالله، فليس ذلك يمينا.

[٣٧] وَحَاشَ رَبِّى وَأَيْمُ اللهِ مَاطَلَبِى   هَذَا مَعَاذَ إِلَهِى لَا وَلَا أَمَلِ

ومن قال حاش الله ، وحاشا لله ، وايم الله ، ولعمر الله ، ورب الكعبة ، ورب المصحف ورب المسجد الحرام ، ورب الحلال والحرام ، واشهد بالله ، والله على شاهد ، فهذه أيمان إذا أراد بذلك اليمين .

[٣٧] فِى كُلِّ هَذَا يَمِينٌ حِينَ يَعْقِدُهَا   حَقًّا وَلَا يَدْفَعَنَّ الحَقَّ بِالْعِلَلِ

وفى معاذ الله اختلاف .

وقال بعض : أشهد بالله ليس بيمين . وقوله تعالى : « قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ »[1] .

وأما معاذ الله : ومنه معاذة الله ، وعوذ الله ، وعياذ الله بمعنى واحد : أى أستجير بالله . ومنه قوله تعالى : « قَالَ مَعَاذَ اللهِ »[2] أى أستجير بالله .

[٣٩] وَقَوْلُ زَيْدٍ لَقَدْ أَقْسَمْتُ مُجْتَهِدًا

عَلَيْهِ فِيـــهِ يَمِينٌ غَيْرُ ذِى دَخَلِ

الدخل والدغل فى الأمور مفسد .

ومن قال : أقسمت عليك . فإنه يمين . وقيل لا يمين حتى يقول : قسمت بالله عليك ، لأن الله تعالى قال : « وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ »[3] .

فإن احتج محتج فى قوله : « إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ »[4] ، قال:

(١) الآية مكية رقم ٥١ من سورة يوسف .
(٢) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة يوسف .
(٣) الآية مكية رقم ١٠٩ من سورة الأنعام .
(٤) الآية مدنية رقم ١٦ من سورة القلم .

ذلك خبر عنهم أنهم أقسموا ، أو أكنى عن ذكره ، ولعلهم أقسموا بالله ، ولم يرد ذلك يمينا حتى يقسم بالله ، وعزة الله ، وعظمة الله ، وأعوذ بالله ، وعهد الله ويعلم الله ، كل هذا يمين .

[٤٠] وَقَوْلُ عَمْرٍو عَلَيْهِ قَدْ حَلَفْتَ لَمَا أَرَاهُ شَيْئاً فَكُنْ ذَا خِبْرَةٍ وَسَلِ

قال الشيخ وقول عمرو ، وإن حلف ألا أفعل كذا وكذا ، ولم يفعل لكن حلف ، فهى كذبة .

ومن قال علم الله لأفعلن كذا وكذا ، ثم لم يفعل . فعليه الكفارة .

ومن قال خزى الله من فعل هذا الفعل ، وهو فعله ، فعليه الكفارة ، وقال قوم مرسلة ، وقال قوم مغلظة .

[٤١] وَإِنْ حَلَفْتَ عَلَى عَبْدٍ لِتَضْرِبَهُ أو لحم شَاةٍ فَلَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَصِلِ
[٤٢] إِلَى يَمِينِكَ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِمَا حَنِثْتَ فَاعْلَمْ وَكُنْ مِنْ ذَا عَلَى وَجَلِ

الوجل : الخوف ومن حلف أن لم يضرب غلامه، ولم يعط فلانا،فلم يضرب غلامه حتى مات فإنه يحنث . ولا ينفعه ضربه بعد الموت . وكذلك إن حلف لا يأكل لحم هذه الشاة . فأكل منه بعد أن ماتت فقيل إنه يحنث قول الشيخ إنه لا يحنث فيهما جميعا . وأما الذى حلف ليعطين فلانا، فمات قبل أن يعطيه ، فإن أعطى ورثته لم يحنث .

[٤٣] وَإِنْ حَلَفْتَ لَقَدْ صَلَّيْتَ هَاجِرَةً وَكُنْتَ صَلَّيْتَهَا نَقْضاً عَلَى عَجَلِ
[٤٤] أَوْ قَدْ دَفَعْتَ إِلَيْهِ دِرْهَماً كَمَلًا وَكَانَ زَيْفاً عَرَاكَ الْحِنْثُ بِالْبَدَلِ

عراك : لحقك ولزمك والزيف من الدراهم : الردى . والبدل: الذى يكون

خلفا من الشيء وبدلا عنه ، والتبديل بغير الشيء إلى غير حاله .

ونقض الصلاة من وجوه :

أحدها أنه يصلي بغير وضوء ، أو يصلي بثوب نجس ، أو يصلي وبدنه فيه نجاسة ، فهذه الصلاة الفاسدة وتقول : الصلاة تامة ، إذا أتى بكمالها .

[٤٥] كَذَاكَ إِنْ قُلْتَ قَدْ زَوَّجْتُ غَانِيَةً
وَكَانَ تَزْوِيجُهَا يَوْماً عَلَى الْجَهْلِ

الغانية : التي قد غنيت بجمالها عن الزينة ، وجمعها غوان .

ومن حلف لقد صلى الهاجرة ، أو تزوج امرأة ، وقد أوفى فلانا درهما كان له . وكان قد صلى صلاة الهاجرة صلاة منتقضة ، أو تزوج أخته ، أو أوفى درهما زيفا ، فكل هذا يلزمه فيه الحنث ، لأن ذلك ليس بجائز عنه ، إلا أن يكون قد علم بنقضه عند يمينه ، فحلف عليه بعينه لقد صلى تلك الصلاة التي صلاها ، وتزوج المرأة التي تزوجها ، وأعطى فلانا ذلك الدرهم ، فلا حنث عليه .

[٤٦] وَكُلُّ حَلْفٍ إِذَا اسْتَثْنَيْتَ مُنْهَدِمٌ
غَيْرَ الطَّلَاقِ وَغَيْرَ الْعِتْقِ لِلْخَوَلِ

الخول : كل مال لك ، وكل شيء أعطيته ، فقد خولته ومنه قوله تعالى : « ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ »[1] أي أعطاه وخوله .

---

(١) الآية مكية رقم ٨ من سورة الزمر .

[٤٧] أَوِ النِّـكاحِ وَمَا ظَاهَرْتَ مِنْ قَسَمٍ
فَهٰذِهِ أَرْبَعٌ تَمَّتْ بِـلَا خَلَلِ

الخلل : النقصان والخلة بفتح الخاء : الحاجة . والخلة بضم الخاء من المخالة والصداقة .

كل الأيمان ينفع فيها الاستثناء ، إلا الطلاق ، والعتاق ، والظهار ، والإيلاء . فالطلاق والنـكاح ، فإن هؤلاء لا ينفع الاستثناء فيهم .

وقال أبو على[1] : ينفع الاستثناء فى جميع الأيمان من الصدقة والحج ، وجميع الأيمان ، إلا فى ثلاث : الطلاق ، والعتاق ، والظهار .

[٤٨] قَالَ الرَّبِيعُ إِذَا اسْتَثْنَى وَنِيَّتُهُ هَدْمُ الْيَمِينِ بِقَوْلٍ مِنْهُ مُتَّصِلِ[2]
[٤٩] وَلَيْسَ يَحْنَثُ مَنْ آلَى عَلَى نَفَرٍ أَلَا يُـكَلِّمَهُمْ فى السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

آلى : حلف ، والنفر : من الثلاثة إلى الخمسة ، وقيل إلى العشرة ، ولا يكون أقل من ثلاثة ، ولا أكثر من عشرة .

[٥٠] وَكَانَ كَـلَّمَ بَعْضاً أَوْ بَعْضَهُمُ كَـلَامُهُ إِنْ يَـكُنْ أَوْمَا إِلَى الْجُمَلِ

ويروى أومأ من الإيماء ، أو الإشارة باليد والحاجب ، ونحو ذلك وأنحى : قصد يقول نحوت نحو فلان ، أى . قصدت قصده والجمـــل : أراد الجميع . تقول أجملت الشيء إذا جمعته . وتقول جملته وأجملته .

---

(١) هو العالم العمانى الفقيه موسى بن مخلد من سمد نزوى ، وأخوه بشير بن مخلد من مشاهير العلماء .

(٢) الربيع بن حبيب عالم عمانى من الرعيل الأول وأحد تلاميذ الإمام جابر بن زيد .

[٥٠] وَإِنْ يَكُنْ قَالَ عَمْرٌو لَا أُكَلِّمُهُ
أَوْ عَامِرٌ أَوْ أَبَا عَمْرٍو بِمُعْتَزِلِ

بمعتزل : أى معتزل عن القوم ، كما تقول : مالى أراك فى معزل ومعتزل .

فإن حلف ألا يكلم فلانا ، أو فلانا ، أو فلانا وكلما كلم واحدا منهم حنث.

[٥١] فَأَيُّمَا مِنْهُمُ يَوْمًا يُكَلِّمُهُ فَالحِنْثُ يُدْرِكُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلِ

قوله يكلمه . معناه كلمه ، لأن العرب تجعل المستقبل فى الماضى ، والماضى فى معنى المستقبل وبذلك نطق القرآن ، كقوله عز وجل : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا[1] .

وقوله تعالى : «أَتَى أَمْرُ اللهِ[2] » أى يأتى بعدهذا ، ماض فى معنى مستقبل

[٥٢] وَكُلَّمَا أَمْكَنَ الإِنسَانَ يَفْعَلُهُ فَالْحِنْثُ فِيهِ بُعَيْدَ الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ

بعيد : تصغير بعد . وقد قيل تصغير الظرف جائز ، كما تقول فى خلف : خليف ، وفى تحت : تحيت ، وفى فوق : فويق ، وفى قبل : قبيل . والحنث : خُلْف اليمين .

[٥٣] وَكُلَّمَا فَاتَهُ فَالْحِنْثُ يُدْرِكُهُ كَذَبْحِ شَاةٍ لَدَى أَيَّامِهَا الأُوَلِ

وإن حلف لا يفعل شيئا مما يمكن أن يفعله مرة بعد مرة ، وقد كان فعله ، فلا يحنث حتى يفعله بعد اليمين .

(١) الآية مكية رقم ٢٩ من سورة مريم .
(٢) الآية مكية رقم ١ من سورة النحل .

وإن كان ذلك لا يفعله إلا مرة واحدة ، وقد كان فعل ذلك ، فقد حنث ، وذلك مثل من حلف إن لم يذبح هذه الشاة ، وإن لم يصل هذه الصلاة ، وقد ذبح الشاة ، وصلى الصلاة من قبل ، فإنه يحنث ؛ لأن هذا لا يمكن أن يفعل مرة أخرى .

[٥٤] وَإِنْ حَلَفْتَ عَلَى مَالٍ تُحَادُّهُ ... فَزَالَ مِنَ رَجُلٍ يَوْماً إِلَى رَجُلِ

[٥٥] فَدَعْهُ مُتَنَزِّهاً عَنْ أَكْلِهِ حَرَجاً ... وَإِنْ يَكُنْ مُرْسَلاً فِي أَكْلِهِ فَكُلِ

التنزه : البعد من الاشتباه ، والحرج : الورع .

ومن حلف لا يأكل من مال فلان ، فزال المال عنه إلى غيره ، فلا حنث عليه إذا أكل منه مالم يكن محدودا .

ومن حلف لا يأكل من مال فلان ، من موضع حده، فزال ذلك الموضع عن فلان ، فلا يأكله ، لأن هذا من المحدود .

ومن حلف على شيء غير محدود لا يأكل منه ، فله أن يبدل به ويبيعه ، ويشترى بثمنه غيره ، ويأكل منه .

[٥٦] وَذُو الْيَمِينِ لَهُ فِي الْحَلْفِ نِيَّتُهُ ... مَالَمْ يَكُنْ عِنْدَ سُلْطَانٍ أَخِي جَدَلِ

الجدل والمجادلة وهو الطلب للحجة ، والجدل المراء .

وإذا حلف الرجل من ذات نفسه ، ولم يحلفه حاكم ، ولا إمام عدل ، فله نيته . وإن حلفه الحاكم ، أو إمام عادل ، أو سلطان عدل ، كانت النية للحاكم والإمام ، والسلطان إذا كانوا عدولا . ولم تنفعه نيته فى ذلك . والله أعلم .

[٥٧] وَإنْ حَلَفْتَ عَلَى نَعْلٍ لِتَلْبَسَهَا   فَلَبِسَ فِي لِبْسِهَا قَوْلُ الذِي دَخَلِ

اللبس بضم اللام : مصدر لبست لبسا ، واللبس بكسر اللام : اسم ما يلبس ، واللبس بفتح اللام : الاختلاط . والدخل : الغش .

[٥٨] فَمَا عَلَيْكَ وَلَوْ قَطَّعْتَ أَكْثَرَهَا   إلَّا إذَا أَصْلَحْتَ نَعْلًا لِمُنْتَعِلِ

نصب نعلا على الحال .

ومن حلف لا يلبس نعلين ، فقام عليهما ليقياه الشمس ، ولم يدخل رجليه في الاشتراك فلا أراه حانثا .

وإن حلف ليلبس هذه النعل ، فحذف منها بالشفرة قليلا ثم لبسها حنث ، لأنه قد لبسها . والذى ذهب منها لا ينقصها ، وهى بعد نعل . هذه المسألة مسألة البيتين .

[٥٩] وَمَنْ هَوَى وَسْطَ بَيْتٍ مِنْ عَلَى شَرَفٍ

فَلَا يَمِينَ وَلَا هَــــذَا بِمُنْدَحِلِ

هوى : سقط ، وكل هاو من فوق شىء عال فهو ساقط . ومنه قوله تعالى : وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ[1] ، أى رأسه ساقط فى النار .

ووسط بسكون السين . طرف من المكان . وقوله : بمندحل ، أى بداخل عن رأيه .

ومن حلف لا يدخل بيتا فسقط من على نخلة ، فلا حنث عليه ، أراد غالب على ذلك .

(١) الآية مكية رقم ٨ من سورة القارعة .

[٦٠] وَإِنْ عَلَى بَلَدٍ أَقْسَمْتَ مُجْتَهِداً   لَتَسْرِيَنَّ إِلَيْهِ سَيْرَ مُفْتَقِلِ

[٦١] فَإِنْ خَرَجْتَ فَقَدْ أَبْرَرْتَ حِينَ لَهُ   قَصَدْتَ سَيْراً وَلَوْ أَتَاهُ لَمْ يَصِلِ

ومن حلف ليخرجن من هذه القرية ، ونـوى فى نفسه ليخرجن إلى قرية أخرى ، ولم يلفظ بلسانه ، أو قال ذلك بلسانه فخرج من القرية ، ولم يصل القرية التى نوى فى نفسه أن يصل إليها ، ورجع إلى القرية التى خرج منها ، قال سليمان ابن عثمان : قد بر فى يمينه ولم يحنث .

[٦٢] وَالْعَبْدُ كَفَّارَةُ الأَيْمَانِ تَلْحَقُهُ   بِإِذْنِ سَيِّدِهِ وَالدَّهْرُ ذُو خَطَلِ

الخطل : فساد وجهل .

قال الشاعر :

والمدح لابن أبى الهيجاء تنحله   بالجاهلية عين الغى والخطل

والأذن : الأمر .

[٦٣] فَإِنْ قَضَاهَا بِلَا إِذْنٍ لِسَيِّدِهِ   أَجْزَاهُ إِنْ عَادَ حُرًّا غَيْرَ مُعْتَقَلِ

معتقل محبوس بالملك والعبودية

وإن حلف عبد يمينا ، فحنث فيها ، فإن أذن له سيده فى الكفارة ، كفر بالصيام ، أو الإطعام ، فإن لم يأذن له سيده ، لم يكفر حتى عتق ، فعليه الكفارة إذا عتق .

والعبد لا يمين له إلا بإذن سيده ، فإن حلف كان عاصيا ، وليس له أن يكفر بغير إذن مولاه ، لأنه لا ملك له فيعتق ، أو يطعم .

[٦٤] وَإنْ قَضَى حِنْثَهُ مِنْ مَال سَيِّدِهِ بِغَيْرِ إذْنٍ فَمَا أَوْلَاهُ بِانْبَدَلِ

[٦٥] وَمَنْ عَنِ الشُّرْبِ آلَى لِلسَّوِيقِ فَلَمْ
يَشْرَبْهُ فِي نَهَلٍ وَلَا عَلَـــــــلِ

السويق : يتخذ من الحنطة والشعير والذرة ، وذلك أن يقلى الحب ويطحن بالرحى طحينا جشرا[1] ، ويجعل فيه سكر ، ويلث بالماء ، ويشرب ، ينفع من الحمى ، ويمسك الرمق .

والنهل : أول الشرب ، والعلل : بعد النهل . يقول : عله بعد أن أنهله .

قال الشاعر :

آلَيْتُ مُصْطَبِحاً منه وَمُغْتَبِقاً وَشَرِبْتُ صَفْوَ الرَّاحِ وَالعَلَلِ

[٦٦] فَالحِنثُ يُدْرِكُهُ فِي أَكْلِهِ وَكَذَا الْأُرْزُ أَيْضاً لِمَا فِيهِ مِنَ الْبلَلِ

[٦٨] حَتَّى يُرِيدَ بِذَاكَ الشُّرْبِ نِيَّتَهُ قَصْداً إلَيْهِ بِشُرْبٍ مِنْهُ لَا أَكْلِ

ومن حلف لا يشرب سويقا ، فوضع فى ماء ثم أكله ، ولم يشرب حنث ؛ لأن السويق يؤكل ويشرب .

وكذلك من حلف لا يشرب الماء ، فشرب سويقا بماء حنث .

ومن حلف لا يشرب حساء ، ولاسخونا ، فطبخ أرزا وأكل منه ولم يشرب من مائه . فإنه يحنث ، لأن الأرز قد شرب الماء .

[٦٨] وَإنْ تَأَلَّيْتَ مَا الرُّمَّانُ فَاكِهَةً حَنَثْتَ إذْ هُوَ مِنْهَا غَيْرُ مُنْفَصِلِ

تأليت : حلفت . وهو من الألية وهى اليمين .

---

(١) أى خشنا .

ومن حلف أن الرمان من الفاكهة ففيه قولان : قال بعض يحنث ، وليس هو من الفاكهة ، يقول الله تعالى : « فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ »[1] .

وقال آخرون : بل هو من الفاكهة ، لأن الله تعالى قال : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ »[2] فقد تعلم أنهما من الملائكة .

[٦٩] وَمَنْ عَنِ التَّمْرِ آلَى جُمْلَةً فَلَهُ أَنْ يَأْكُلَ الخَلَّ مَعْ مَا كَانَ مِنْ عَسَلِ

ومن حلف ألا يأكل التمر ، فله أن يأكل الخل والعسل من التمر ، لأن هذا قد خرج من التمر إلا أن يحلف على تمر محدود ، فلا يأكل منه ، ولا من دبسه[3]

[٧٠] وَقِيلَ فِي رَجُلٍ أَعْلَمْتَهُ خَبَراً فَقَالَ مَا عِلْمُهُ عِنْدِي وَلَا قِبَلِي

قبلي : بمعنى معي وعندي .

[٧١] فَلَيْسَ يَحْنَثُ حَتَّى يُخْبِرَهُ بِهِ عَدْلَانِ فَافْهَمْ سَبِيلَ الحَقِّ وَامْتَثِلِ

امتثلت أمره : أي أطعته وعملت به .

وقيل فى هذه المسألة : إنه إذا أخبره رجل واحد بخبر فحلف أن ما عنده علم لم يحنث وإن أخبره رجلان ثقتان ، أو سمع الخبر بأذنه ، أو بصر بعينه ثم حلف أن ماعنده علم ، حنث حينئذ بخبر الرجلين الثقتين قيدتهما على المعنى ، والله أعلم .

[٧٢] وَمَنْ تَأَلَّى عَلَى شَاةٍ فَمَيَّزَهَا أَوْ نَخْلَةٍ حَدَّهَا مِنْ سَائِرِ الدَّقَلِ

وقوله تألى : حلف ، واليمين تسمى الألية ، والألوة ، والألولة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٦٨ من سورة الرحمن .

(٢) الآية مدنية رقم ٩٨ من سورة البقرة .

(٣) الدبس بالكسر وبكسرتين هو وعسل التمر عسل النحل، وبالفتح الأسود من كل شيء .

قال زيد الفوارس :

تألَّى ابنُ زَيْدٍ حِلْفَةً لِيَرُدَّنِي إلى نِسْوَةٍ كأنَّهُنَّ مفائِدُ

ميزها : خلصها من غيرها ، وحدها .

[٧٣] فقالَ لا آكُلَنْ مِنْ لَحْمِها أبَدًا شَيْئًا وَلَا مِنْ جَنَاهَا حَنَّتِ الْإِبِلُ

نصب حنت على الظرف ، كما تقول : لا أفعل ذلك أبد الآبدين ، وطول الدهر .

[٧٤] وَلَا يَذُقْ لَبَنًا مِنْهَا وَلَا تَمْرًا وَلَا الَّذِي جاءهُ مِنْها عَلَى الْبدَلِ

[٧٥] وَأَكْلُ أَثْمانِها حِلٌّ لِبائِعِها بِالْجُبِّ إنْ نَفَقَتْ وَالْحَلْيِ وَالْحُلَلِ

الحلى : ما كان من ذهب وفضة وجوهر ، الحلل : ما كان من ثياب ولباس .

[٧٦] وَقِيلَ فِي رَجُلٍ آلَى عَلَى رَجُلٍ لَا يُمْسِيَنَّ لَدَيْهِ غير مُرْتَحِلِ

آلى : حلف . والألية : اليمين .

قال الشاعر :

وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ عَلَيْهِ أَلِيَّةٌ وَلَا فِي يَمِينٍ غَيْرِ ذَاتِ مَحَارِمِ

[٧٧] فَرَاحَ مِنْ عِنْدِهِ قَبْلَ الْأُفُولِ فَلَمْ يَحْنَثْ وَيَحْنَثُ إنْ أَمْسَى إلى الطَّفَلِ

الأفول : الغروب والغيبوبة . تقول أفلت الشمس تأفل أفولا ، فهى آفلة .
والمساء : بعد العصر . والطفل : عند المغيب . يقال : طفلت الشمس تطفل طفلا ، إذا مالت للمغيب وبعضهم يقول : طفلت .

ومن حلف لايمسى فى هـذا البيت ، وكان فيه بالعشى ، ثم خرج منه قبل مغرب الشمس لم يحنث حتى يكون فيه بعد الغروب . فإنه جاء فى التفسير فى قوله تعالى : « حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ »[1] : حين تمسون صلاة المغرب والعشاء الآخرة ، وحين تصبحون صلاة الفجر .

[٧٨] وَحَالِفٌ قَسَمًا مِنْ مَالِ زَوْجَتِهِ لاَ يَأْكُلِ الدَّهْرَ شَيْئًا آخِرَ الطُّولِ

الطول : الدهر والزمان . ومنه قولهم : طال طولك ، أى طال عمرك .

[٧٩] فَإِنْ تَرَشَّفَ مَاءً مِنْ رَكِيتِهَا فَالْحِنْثُ يُدْرِكُهُ والدَّهْرُ ذُوخَبَلِ

الترشف : امتصاص الماء . وفى بعض الأمثال : الجـرع أروى . والرشف أشرب ، يريدون أدوم شربا .

قال الشاعر :

وَلَيْلٌ فَرُوعٍ فَوْقَ صُبْحِ أَهِلَّةٍ وَبِيضَ ثُغُورٍ طَابَ مِنْ رَشْفِهَا الْمُخُّ

والركية ، الركى : البئر المطواة بالحجارة ، والخبل : الفساد .

[٨٠] كَذَاكَ إِنْ أَغْبَقَتْهُ دَرَّ نَاقَتِهَا أَيْضًا وَمَا كَانَ مِنْ سَمْنٍ وَمِنْ رَسَلِ

أغبقته : غشته ، والغبوق أيضا هو شرب العشى ، والصبوح شرب الغداة ، والرسل : اللبن ، وهو بفتح الراء وتسكين السين .

ومن حلف لايأكل من مال زوجته شيئا ، فشرب من لبن شاتها ، أو ناقتها ، أو شرب من ركيتها[2] ، أو استقى لنفسه من ركيتها حنث .

(١) الآية مدنية رقم ١٧ من سورة الروم .
(٢) الركية بالتشديد البئر جمعها ركى .

ومن حلف لا يأكل من مال أخيه شيئا ، فأكل نبقا من سدرة بينهما ، فعن مسعدة[1] ، أنه لا يحنث ، إلا أن يكون أكل من نبقها أكثر من حصته .

[٨٠] وَالْمِلْحُ غَيْرُ طَعَامٍ واللُّبَانُ إِذَا حَلَفْتَ فَافْهَمْ فَمَا فِيهِ مِنْ مَثَلِ

اللبان معروف ، وهو صمغ شجرة تنبت بالشحر[2] . وقال رجل من أهل عمان :

عَلَيْكَ بالشِّحْرِ وَدَعْ عُمَانَا إِنْ لَمْ تَجِدْ تَمْرًا فَكُلْ لِبَانَا

[٨١] أَوْ قَالَ لَا يَدْخُلَنْ صُوفٌ وَلَا شَعَرٌ
بَيْتِي مِنَ الضَّأْنِ وَالْمِعْزَاءِ وَالْوَعِلِ

الوعل : الأروية ، وهى الأنثى ، وهى أيضا شاة[3] الجبل ، وجمعها وعول .

ومن حلف لا يدخل بيته صوف ، ولا شعر ، فدخل بيته كبش وشاة ، لم يحنث .

وأما من حلف : لا يمس الصوف ، فمس الكبش ، حنث

[٨٢] فَالصُّوفُ وَالشَّعْرُ حَرَّمنَا دُخُولَهُمَا
وَلَمْ نُحَرِّمْ دُخُولَ الشَّاةِ وَالْحَمَلِ

[٨٣] وَفِي السَّلَامِ إِذَا أَبْلَغْتَهُ رَجُلًا عَلَى لِسَانٍ مِنْكَ فِي أَكْرَمِ الرُّسُلِ

---

(١) هو العالم الفقيه مسعدة بن تميم من أهالى لوى من الباطنة ، يعده الشيخ المؤرخ سالم بن حمود السمائلى من بين علماء الطبقة الخامسة المشاهير فى عمان .

(٢) ساحل البحر بين عمان وعدن .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى القاموس هو تيس الجبل .

[٨٤] أَوْ كُنْتَ تَخْطُبُ قَوْماً فَاعْتَمَدْتَ لَهُ
قَصْدًا بِقَوْلٍ وَتَسْلِيمٍ بِلَا وَهَلٍ

الوهل : أصل الخوف والفزع . وقيل الوهل أيضا : الدهش .

وهل الرجل ، يهل ، وهلا ، أى ذهب عقله . والوهل أيضا : الحى .

[٨٥] أَوْ جَاءَهُ مِنْكَ طِرْسٌ فَاقْتَرَاهُ لَهُ سِوَاهُ أَوْ قَرَاهُ من غير مُفْتَعِلِ

الطرس : القرطاس ، مكتوبا ، وغير مكتوب . وجمعه طروس .

فِى كُلِّ هَذَا عَلَيْهِ الحِنْثُ يُدْرِكُهُ حَتَّى يُرِيدَ كَلَامَ اللَّقْلَقِ الخَطِلِ

اللقلق : اللسان ، والخطل : كثرة الكلام .

ومن حلف لايكلم فلانا ، فأرسل إليه السلام ، فإذا بلغ إليه الرسول عنه السلام ، حنث ، إلا أن يكون نوى أنه لايكلمه بلسانه ، فإنه لايحنث ، حتى يكلمه بلسانه .

وكذلك من حلف لايكلم فلانا ، فكتب إليه كتابا ، فوصله الكتاب ، فقرأه ، أو قرىء عليه ، حنث .

[٨٦] وَالغَمْزُ وَالرَّمْزُ وَالإِيمَاءُ فَاسْتَمِعِى حِلٌّ وَغَيْرُ كَلَامٍ فَاقْبَلِى عَذَلِى

الغمز باليد ، والرمز بالعين ، يقال : رمزنى فلان ، أى أشار إلى بواحدة من هذه الوجوه . ومنه قوله تعالى لزكريا : « آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا »[1] .

---

(١) الآية مكية رقم ٣٧ من سورة النجم .

[٨٧] وَكُلُّ مَاقَالَهَ أَوْفَى بِهِ قَسَماً عِتْقاً وَصَوْماً وَماَ سَمَّاهُ مِنْ عَمَلِ

أوفى من الوفاء باليمين . قال الله تعالى : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى » .

ويقال : وفى ، وأوفى .

وكفارة الأيمان ، تجب لكل يمين كفارة ، ولا تقاس بكفارة الصلاة ، فإن الكفارة الواحدة تجزىء ؛ لأن كفارة الصلاة قياس ، ولا يكون قياس على قياس .

وقيل : لا يكفر ، ولا يهلك من ترك الكفارات ، إلا تارك كفارة يمين بالله مرسلة وكفارة القتل ، وكفارة الصيد .

[٨٨] وَمَنْ يُحِلُّ حَرَاماً فِي أَلِيَّتِهِ وَمَنْ يُحَرِّمْ حَلاَلًا غَيْرَ مُبْتَهِلِ

[٨٩] فَكُلُّ ذَاكَ سَوَاءٌ وَهْوَ عِنْدَهُمُ كَفَّارَةٌ لِيَمِينٍ مُرْسَلٍ هَمَلِ

[٩٠] عِتْقٌ وَإِلَّا فَإِطْعَامٌ لِأَرْبَعَةٍ وَسِتَّةٍ فُقَرَاء مِنْ ذَوِي الْهَزَلِ

[٩١] أَوْ كُسْوَةٌ أَوْصِيَامُ قَالَ بَعْضُهُمُ
صِيَامُ يَوْمَيْنِ مَعْ يَوْمٍ بِلاَ نَثَلِ

النثل : التفريق تقول : نثلت المتاع ، إذا فرقته ، وميزته من بعضه بعض .

وعن من قال : الحلال عليه حرام ، والحرام له حلال ، ثم حنث ، فعليه فى ذلك لقوله الحلال عليه حرام : إطعام عشرة مساكين ، أو صيام ثلاثة أيام ، ولقوله الحرام له حلال : صيام شهرين ، أو إطعام ستين مسكينا . وهذا بخلاف الأولى .

[٩٢] فَإِنْ مَضَى أَجَلُ الإِيلَاءِ فَارِقْهَا   إِنْ لَمْ يَكُنْ فَاءَ قَبْلَ الوَقْتِ فِي الأَجَلِ

الإيلاء : اليمين ، وهى الألية ، وفاء : رجع . ومنه قوله تعالى: « فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، أى رجعوا . والأجل : الوقت ، وهو أربعة أشهر كما قال الله تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإِنْ فَاءُوا ، فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(١) .

وعزم الطلاق : تحقيقه ، وهو ألا يجامع الرجل زوجته أربعة أشهر .

[٩٣] وَبَعْضُهُمْ قَالَ فِي حِلِّ الحَرَامِ لَهُ   صِيَامُ شَهْرَيْنِ بِالإِخْبَاتِ وَالوَجَلِ

الإخبات : التواضع والخضوع ، والإنابة لله تعالى . ومنه قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ »(٢) .

قال أبو عبيدة : أنابوا وتضرعوا ، وخضعوا ، وتواضعوا له . والوجل : الخوف . قال الله تعالى تعالى : « إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ »(٣) أى خائفون .

قال الشاعر :

لَا يَشْرَبُ المَاءَ إِلَّا مِنْ قَلِيبِ دَمٍ   وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلِ

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢٦ من سورة البقرة .
(٢) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة هود ، وأخبت أى خشع وتواضع .
(٣) الآية مكية رقم ٥٢ من سورة الحجر .

[٩٤] وَكُلُّ مُؤْلٍ بِحَجٍّ فَهْوَ يَلْزَمُهُ   إِنْ كَانَ يَنْجُو مِنَ الإِعْدَامِ وَالْخَبَلِ

الإعدام : الفقر . يقول : عدم يعدم عدما . والعدم : فقدان الشيء .

والخبل : فساد الأعضاء ؛ وهو بتسكين الباء ، والخبل بفتح الباء : الجن ، والشياطين ، وإنما فتح الباء ضرورة وتوسعا .

يقال : رجل خبل ، ومخبول ، إذا عرض له وسواس أو جنون .

قال الشاعر :

بَانَتْ سُعَادُ فَفِي الْعَيْنَيْنِ مَلْمُولُ   مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُولُ[1]

[٩٥] وَلِلْعَدِيمِ فَشَهْرَانِ يَصُومُهُمَا   عَنْ كُلِّ حَجٍّ يُسَمِّيهِ إِلَى أَجَلِ

الأجل : منتهى الشيء وغايته . قال الله تعالى : « وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى »[2] أى إلى غايته .

[٩٦] وَالْمَشْيُ فِيهِ إِذَا آلَى بِهِ رَجُلٌ   يَوْمًا أُحِجُّ أُمُورًا مِنْهُ عَلَى الإِبِلِ

[٩٧] أَوْ حَجُّ عَامَيْنِ أَوْ أَنْ قَالَ مَشْرَبُهُ   يَكُونُ مِنْ بَيْتِهِ فِي الْعَلِّ وَالنَّهَلِ

العل : الشربة الثانية ، والنهل : الشربة الأولى .

يقال : علل بعد نهل . والفعل : يعلون إبلهم ، والمصدر : عل ، وعلل .

قال الأخطل[3] :

---

(١) الملمول هو المكحال .

(٢) الآية مكية رقم ١٠ من سورة إبراهيم .

(٣) هو أبو مالك غياث الأخطل ،نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة الخصبة،حول الفرات، وكان من الشعراء المقربين الى بنى أمية . وقد شارك فى المعارك الهجائية التى دارت بين شعراء السياسة فى عصر بنى أمية ، وهى التى تعرف باسم النقائض، وقد استمرت نار الهجاء بين الأخطل وبين جرير ، ومات الأخطل فى أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ

إِذَ مَا خَلِيلِي عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرِ

[٩٨] فَبُدْنَةٌ يُغْنِ عَنْهُ هَدْيُهَا كَمَلَا مِنْ بين شَاةٍ إِلَى ثَوْرٍ إِلَى جَمَلِ

البدنة : بقرة ، أو ناقة ، وسميت بدنة ، لعظم بدنها .

ومن حلف بثلاثين حجة ، فعليه ثلاثون حجة . كما قال .

فإن كان فقيرا لا يستطيع الحج ، فيصوم لكل حجة شهرين ، فإن قدر على الحج ، بعد ذلك فليحج وإن لم يقدر على الصيام، فبحسب ما يلزمه من الصيام ثم يطعم عن كل يوم مسكينا ، غداء وعشاء .

فإن كان قال في يمينه ؛ كلما عطش رجع فشرب من عمان ، فإن عليه أن يهدى بدنة .

[٩٩] وَحَالَةٌ إِنْ تَكُنْ أَوْدَى بِحَالَتِهَا
عَلَى الْوَلَايَةِ لَمْ يَنقُضْ وَلَمْ يَزَلِ

أودى : مات ولم يكفر ، لا تنقض ولايته ولا تزول .

[١٠٠] وَفِي الصَّبِيِّ إِذَا مَا الْحِنْثُ أَدْرَكَهُ
بَعْدَ الْبُلُوغِ اخْتِلَافٌ مِنْ أُولِي الْجَدَلِ

[١٠١] بَعْضٌ رَآهُ وَبَعْضٌ لَمْ يَرَ قَسَمَاً عَلَى الصَّبِيِّ وَلَا شَيْئاً مِنَ الْعَقْلِ

العقل : ما تعقله العاقلة وهي العشيرة .

يقول : ليس على الصبي عقل وأما الصبي إذا حلف وحنث وهو صبي ، فلا حنث عليه ولا يلزمه ذلك .

ومن حلف وهو صغير لم يحتلم ، على شيء يعلمه ، فلما بلغ علم ماحلف عليه ، ففيه اختلاف : قال أبو عبد الله نصر[1] ، إذا حلف الصبي فى صغره ، ثم حنث فى صغره ، فلا شيء عليه .

[١٠٢] وَمَنْ عَنِ الْبُسْرِ آلَى وَالْحَايِبُ لَهُ
أَنْ يَأْكُلَ السَّمْنَ وَالْأَرْطَابَ فِى الْأُكُلِ

[١٠٣] وَمَنْ عن السَّمْنِ آلَى لَمْ يَذُقْ لَبناً
لِأَنَّهُ غَيْرُ خَالٍ مِنْهُ فِى الْعَمَلِ

[١٠٤] وَقَالَ بَعْضٌ فإنَّ الزُّبْدَ مُعْتَزِلٌ
بِاسْمٍ عَنِ السَّمْنِ نَاءٍ غَيْرَ مُتَّصِلِ

المسألة : ومن حلف لا يأكل البسر[2] ، أكل الرطب ، إن كان مرطبا ، ليس فيه من البسر شيء .

ومن حلف لا يأكل الرطب ، فأكل الفضيخ[3] جاز ، إذا لم يكن مقرنا ، ولا يأكل ماأقرن .

ومن حلف لا يأكل التمر ، أكل الرطب ، مالم يصر فى حد التمر .

ومن حلف لا يأكل الرطب ، أكل البسر .

---

(١) هو العالم الفقيه نصر بن خراش .
(٢) البسر هو التمر قبل إرطابه .
(٣) هو البلح الأحمر اللون .

ومن حلف لايأكل تمر نخلة ، لم يأكل خلها ، ولا دبسها .

وإن حلف لايأكل تمر نخلة ، أكل بسرها ، ورطبها .

ومن حلف على بسر نخلة، لم يأكل رطبها ولا تمرها، لأنه من بسرها، ولا خلها، ولا دبسها .

ومن حلف لايأكل اللبن ، أكل السمن ليس بلبن .

وإن حلف لايأكل السمن ، فليس له أن يأكل اللبن ، لأنه لايخلو من السمن .

وقال من قال : إنه يأكل اللبن ، وبه نأخذ .

[١٠٥] وَالشَّحْمُ كُلُّهُ إِذَا مَا اللَّحْمُ فَارَقَهُ
وَإِنْ حَلَفْتَ عَنِ الشَّحْمَانِ فَاعْتَزِلِ

المسألة : ومن حلف لايأكل اللحم ، أكل الشحم ، وقيل لايأكله .

وإن حلف لايأكل الشحم، أكل اللحم الخالص من الشحم، وقيل لايأكله لأن الشحم لايخلو من اللحم .

[١٠٦] أَكْلُ اللُّحُومِ وَبَعْضٌ قَالَ يَأْكُلُهَا
وَذَاكَ مِنْ رَأْيِنَا فِي أَكْلِهَا فَكُلِ

ومن حلف لايأكل اللحم ، فقال من قال ، لايأكل الشحم ، وقال من قال يأكله ، وذلك أحب إلينا .

ومن غيره : وإن حلف لايأكل من لحم هذه الشاة ، فلا يأكل شحمها ، لأن الشحم من اللحم يخرج ، وأحب أن يأكل الشحم الخالص ، لأن الله تعالى

حرم على اليهود الشحم ، وأحل لهم اللحم ، وجعل هذا غير هذا . واللحم اسمه لحم ، والشحم اسمه شحم .

من ذهب إلى الأسماء لم يلزمه .

[١٠٧] وَمَنْ تَصَدَّقَ لَمْ يَذْكُرْ بِهَا أَحَداً
كَانَ السَّبِيلُ لَهُ مِنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ

قوله لم يذكر بها أحدا ، ورآها لأهل الفقير ، يريد الصدقة .

[١٠٨] بَعْضٌ رَآهَا لِأَهْلِ الْفَقْرِ وَاجِبَةً
وَقَالَ بَعْضٌ يَمِينٌ أَنْ تَكُونَ مُلِ

وقوله ملى يريد بذلك غنيًّا ، والملى : الذى يقدر على توفير حق ذات اليد .

[١٠٩] وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا شَىْءَ يُوجِبُهُ حَتَّى يُسَمِّىَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْهَزَلِ

ومن حلف بصدقة ماله ولم يسمه لأحد ، فلا شىء عليه .

[١١٠] وَإِنْ تَصَدَّقَ لِلشَّيْطَانِ لَمْ أَرَهُ شَيْئاً وَفِى الْجِنِّ عُشْرُ الْمَالِ وَالْخَوَلِ

الخول هنا العبيد . خول الرجل : عبيده الذى يملك أمرهم .

ومن حلف بصدقة ماله على الجن والشياطين إن فعل كذا ، ثم حنث ، فأما الشياطين . فلا يلزمه فيهم شىء ، فى أكثر قول الفقهاء ، وإن الشياطين لا تصح فيهم الصدقة عندهم . والشياطين هم العصاة من الجن المتمردة .

وقال بعض : الصدقة على الشياطين ، الفقراء من الإنس .

وإن قال : ماله صدقة على الشياطين ، فلا شىء عليه فى ذلك . فإن قال على

الجن أو على الأغنياء ، أو على من لا يحصى من الكثرة ، نعشر ماله للفقراء .

[١١١] وَلِلْغَنِيِّ وَمَنْ لَمْ تُحْصَ كَثْرَتُهُ   تَفْرِيق عُشْرٍ عَلَى مَنْ كَانَ ذَاعَيلِ

داعيل : ذا فقر ، والعائل : الفقير . قال الله تعالى : « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى »[١] أى كنت فقيرا ، فأغناك بخديجة بنت خويلد[٢] ، رحمها الله .

ومن حلف بصدقة ماله على الأغنياء الاختلاف فيهم واحد .

قال قوم : لاشيء عليه ، وقال قوم : عشره للفقراء .

وإن قال : ماله صدقة على من لايحصى من الكثرة ، فهو للفقراء وذلك مثل أن يقول : ماله صدقة على مضر[٣] ، أو ربيعة[٣] ، أو على الأزد[٣] ، ونحو هذا.

[١١٢] وَقِيمَةُ الْمَالِ بَعْدَ الدَّينِ يحسبها   مَا كَانَ مِنْ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ مَهَلِ

[١١٣] وَقَالَ بَعْضٌ بِلَا دَيْنٍ تَقَوُّمُهُ   يَوْمَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ الْحِنْثُ بِالْوَهَلِ

الوهل : الذعر ، والفزع ، والخوف .

وفى الحديث : أن رجلا كان مضطجعا فى بعض الأودية متوسدا حبل بعير ، وإذا رجل يوقظه ، قال نقمت وأنا وهل ، أو قال : أنا فى وهل ، يريد وأنا فى ذعر ، وفزع .

[١١٤] وَرَأَى بَعْضِهِمْ إِهْدَارُ عَاجِلِهِ   وَتَرْكُ مَا كَدَ مِنْ أَثْوَابِهِ الشُّمُلِ

---

(١) الآية مكية رقم ٨ من سورة الضحى .

(٢) أولى زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام وأم أولاده .

(٣) أسماء قبائل عربية .

ما كد : أى ماليس وبلى من اللبس . والسمل جمع أسمال : وهو الثوب الخلق اللبيس .

ومن حلف بصدقة ماله ، ثم حنث ، فعليه أن يقوم العدول ماله قيمة وسطة ، ثم يخرج عشره فيفرق على الفقراء .

وقال من قال : يرفع دينه العاجل والآجل الذى عليه ، ويعشر مابقى .

[١١٥] وَمَنْ تَصَدقَ مِنْ ثُلْثٍ إلى عُشُرِ مُجَائِزٌ كُلُّ مَا سَمَّى مِنَ النَّفَلِ

النفل : المال ، وجمعه أنفال وأصل النفل: الغنيمة ، والغنائم. قال الله تعالى: « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ »[1] وإنما سألوا عنها ، لأنها كانت حراما على من قبلهم .

قال الشاعر :

إنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ نَفَل وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَلِى

[١١٦] وَمَا عَدَا الثُّلْثَ مَرْدُودٌ إلى عُشُرٍ مَا فَهِمْ وَدَعْ عَنْكَ فِى ذا كَثْرَةَ النَّضَلِ

النضل : هو الرمى بالسهام ، ثم يخرج معنى كثرة الكلام .

تقول : رجل كثير النضل ، معناه الخصام ، والجدل ، وكثرة الكلام .

ومن تصدق بسدس ماله ، أو ربعه ، أو ثلثه ، فإنه يخرج ذلك للفقراء .

وإن تصدق بأكثر من ذلك الثلث ، رجع إلى العشر عند أصحابنا ، لأن الصدقة عندهم عشر .

---

(١) الآية مدنية الأولى من سورة الأنفال .

قال الشيخ[1] إن تصدق بنصف، فقال من قال : نصف العشر .

[١١٧] وَيَوْمَ يَحْنَثُ يُعْطِي عُشْرَ قِيمته   إِنْ كَانَ ذَا غَنَمٍ أَوْ كَانَ ذَا إِبِلِ

[١١٨] وَمَا عَلَى مُعْدِمٍ شَيْءٌ فَيَلْزَمُهُ   وَمَنْ تَصَدَّقَ بِالأَمْوَالِ فِي السُّبُلِ

ومن حلف بالصدقة، وليس له مال فحنث وله مال، أخرج عشر ماله يوم حنث .

ومن حلف وله مال وحنث وليس له مال، فليس عليه شيء .

وكذلك من جعل ماله فى السبيل، أو فى سبيل الله، فعليه أن يخرج العشر من ماله للفقراء إذا حنث . والسبيل مثل أن يتصدق به على الفقراء، أو فى سبيل الله، أو فى المساجد، أو فى غير ذلك من أبواب البر .

[١١٩] فَالْعُشْرُ فِيهَا وَمَنْ كَانَتْ أَلِيَّتُهُ   عَن أَكْلِ حَبٍّ وَعَنْ فُومٍ وَعَنْ بَصَلِ

فالعشر فيها لجواب البيت الأول، ثم ابتدأ ومن كانت أليته عن أكل حب وعن فوم فالفوم فى اللغة الثوم، والثاء أخت الفاء، لأن مخرجهما واحد . وكل واحد منهما يقوم مقام الآخر، كما تقول فى القبر : حدث وجدث .

وقيل إن الفوم : الحنطة، وقيل : الخبز . تقول : فوّم لنا، أى اخبز لنا، وقوله تعالى : « يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا، وَفُومِهَا »[2] . إلى تمام الآية .

---

(١) هو العالم الجليل بشير بن المنذر النزوانى من بنى نافع أهل عقر نزوى، وقد سبق ذكره.
(٢) الآية مدنية رقم ٦١ من سورة البقرة

[١٢٠] فَصَارَ زَرْعًا وَمَا فِي أَكْلِهِ حَرَجٌ   بَعْدَ الْحَصَادِ وَبَعْدَ الْيَنْعِ وَالسُّبُلِ

الحرج : الضيق والإثم . والينع : الإدراك ، واستحصاد الثمرة . والسبل : معناه إذا سبل الزرع: يقول سبل ، وسنبل أخرجه على الأصل . وأصله : السنبل. قال تعالى : « انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ »(١) أى فى وقت إدراكه .

ومن حلف على حب لا يأكل منه ، فبذر ذلك الحب ، ونبت وأثمر ، وأكل من ثمره ، فلا حنث عليه .

[١٢١] وَإِنْ شَرَيْتَ شَعِيرًا فِيهِ مُخْتَلِطٌ
بُرٌّ وَبَابًا بِهِ شَيْءٌ مِنَ النُّصُلِ

شريت : بمعنى اشتريت ، وبمعنى بعت ، وهو من الأضداد. تقول : شريت الشيء إذا بعته ، وشريته إذا ابتعته .

قال الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ »(٢) معناه يبيع نفسه .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ »(٣) ، أى يبتاعون .

[١٢٢] وَكُنْتَ عَنْ ذَاكَ حَلَّافًا فَلَا حَنَثٌ
حَتَّى تُرِيدَ بِهِ قَصْدًا إِلَى أَمَلِ

---

(١) الآية مكية رقم ٩٩ من سورة الأنعام .
(٢) الآية مدنية رقم ٢٠٧ من سورة البقرة .
(٣) الآية مدنية رقم ٧٧ من سورة آل عمران .

معناه إلى نية . والأمل فى بعض اللغات : النية . والأمل : الرجاء .

ومن حلف لا يشترى شعيرا ، فاشترى برا فيه شعير ، فلا حنث عليه، إذا كان مقصده إلى البر إذا كان من الزراعة .

وكذلك إذا حلف لا يشترى حديدا، فاشترى أبوابا فيها حديد، أو لا يشترى خشبا فاشترى دارا فيها خشب .

أو حلف لا يشترى نوى ، فاشترى تمرا ، فلا يحنث

[١٢٣] وَقِيلَ فِى رَجُلٍ آلَى لِزَوْجَتِهِ إِلَّا تَزَوَّجَ أُخْرَى غَيْرَهَا قَبْلِ
[١٢٤] عِلَاكِ أُخْرَى فَإِنَّ الْحِنْثَ يُدْرِكُهُ
وَلَوْ يَهُودِيَّةً كَانَتْ مِنَ الْغُزُلِ
[١٢٥] فَإِنْ تَكُنْ أَمَةً فَالْقَوْلُ مُخْتَلِفٌ
فِيمَا يَحْنَثُ وَغَيْرُ الْحِنْثِ لِلرَّجُلِ

الغزل : القلف .

ومن حلف على امرأة ، فتزوج بأمة ، فإن كان لم يقدر على تزويج حرة ، لم يبر يمينه بتزويج الأمة . وإن كان لا يقدر على صداق الحرة ، رجوت أنه يبر فى يمينه .

وقال أبو زياد : ولا يبر فى يمينه إلا على تزويج الحرة .

وكذلك قال هاشم : إن تزويج الأمة لا يجزىء عنه ، ولو تزوج حرة ، ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فهى امرأته .

[١٢٦] وَمَا الصَّبِيَّةُ يَوْمًا إِنْ تَزَوَّجَهَا بِحَانِثٍ لَا وَلَا فِى ذَاكَ بِالْمُذَلِ

[١٢٧] وَأَمْرُهَا وَاقِفٌ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ
كَانَ الخِيَارُ إِلَيْهَا غَيْرَ مُنْتَحَلِ

المذل : أن يقلق الرجل سره حتى يظهره .

وعن رجل حلف ليتزوجن ، فتزوج ، فقد برّ إذا ملك ، ولو لم يجز .

وإن تزوج صبية ، فليس هو عندى بتزويج حتى تبلغ وترضى ، فإن تزوج يهودية أو نصرانية ، فهو تزويج ، ولا يحنث .

وإن تزوج بأمة ، قال بعض : لا يبر . وقال بعض : قد بر ، ولا حنث عليه .

وقال بعض إذا لم يجد طولا للحرة ، واحتاج إلى التزويج فتزوج أمة ، فهو تزويج . وهذا الرأى أوسط هذه الإيلاء .

[١٢٨] وَمَنْ يَقُلْ ابْنُهُ هَدْىٌ يَلْزَمُهُ
عِتْقٌ وَبُدْنَةُ شَاةٍ كَانَ أَوْ جَمَلِ

البدنة : ناقة ، أو بقرة ، وكذلك الذكر منها يهدى إلى مكة .

ومن قال : ابنه عليه هدى ، فعليه أن يهدى بدنة ، ويعتق رقبة .

وإن قال لحر ، أو حرة ، هو عليه هدى ، أو قال : أنا أهديك ، فعليه أن يهدى بدنة ، ويعتق رقبة .

وإن قال هذه الدراهم هدى إلى بيت الله ، أو هذا الثوب هدى ، فإذا قال ذلك ، لزمه أن يهدى ذلك بعينه ، أو قيمته .

[١٢٩] وَلْيُهْدِ إِنْ قَالَ هَدْىٌ بَعْضُ أَعْبُدِهِ
أَوْ دَارُهُ بُدْنًا مَوْأَرَةَ الكَفَلِ

البدن : جمع بدنة. قال الله تعالى: « وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ »[1] وهى الإبل، والبقر. وموأرة الكفل أى عظيمة ثقيلة ردف العجز ، والكفل : العجز .

ومن قال لغلامه : عليه هـــدى ، أهداه ، لو أهدى بدنة قيمته ، ولاشيء عليه .

قال محبوب[2]: ما كان من الهدى يبلغ ثمنه بدنة، تجزئه بدنة بقرة ، أوشاة، وما كان لا يبلغ ثمن شاة ، فإن طيب به الكعبة فجائز ، وإن تصدق به على فقراء مكة فجائز .

[١٣٠] كَذَاكَ أَيضًا إِذَا مَا قَالَ فِي وَلَدِ بحِيرَةٌ هُوَ مَافِيهِمْ فَهِمَ مُرْتَجِلِ

المرتجل : صاحب بديهة وفكرة ، كالذى يرتجل الشعر فى وقته ، ولا يهيئه قبل ذلك .

ومن قال ابنه بحيرة ، وأولاده بحيرة ، أو بينه ، فأى ذلك قال لزمه ، فليعتق عن كل واحد ممن حلف عنه ، ذكرا كان أو أنثى نسمة .

ويعتق عن كل واحد منهم بدنه .

[١٣١] وَلَا يَمِينَ عَلَى مَنْ قَالَ زَانِيَةٌ أُمِّى وَلَا أَنَا نَغِلٌ كَانَ مِنْ حَبَلِ

النغل : ولد الزانية ، الذى لا أب له .

قال الشاعر :

أَىُّ نَغْلٍ لِزَنْيَةٍ وَزَوَانِ عَقَلَعه يَدُ الْهَيْجَا فَهَجَانِى

---

(١) الآية مدنية رقم ٣٦ من سورة الحج .

(٢) هو الإمام محبوب بن الرحيل بن سيف المخزومى القرشى ، وقد سبق ذكره .

يقول رجل نَغِل بفتح النون وكسر الغين ، أى فاسد النسب . ونغل بتسكين الغين خطأ . والحبل : حمل المرأة بالولد فى بطنها .

ومن قال: أمه زانية ، أو هو نغل إن فعل كذا وكذا، ثم فعل ماحلف عليه، فلا يمين عليه ، ولاحنث ، وعليه الاستغفار والتوبة .

[١٣٣] أَوْ لَا يُشَارِكُ عَمْراً ثُمَّ مَاتَ أَخٌ تَوَارَثَاهُ فَلَمْ يَحْنَثْ وَلَمْ يُولِ

[١٣٤] وَإِنْ يَكُنْ رَاضِياً مِنْ بَعْدِ شَرْكَتِهِ فَإِنَّهُ حَانِثٌ إِنْ كَانَ لَمْ يَزَلِ

وَمن حلف لا يشارك فلانا فى مال ولا يعتق رقبة ، ولا يفارق غريمه ، فمات أبوه ، وأصبح المال مشتركا بينه وبين الرجل الذى حلف عنه ، وورث أمه فعتقت أو قر الغريم بلا رأيه ، فإنه لا يحنث فى شيء من هذا ، لأنه ليس من فعله .

ومن حلف بالطلاق لايفارق غريمه، فهرب منه، لم يحنث إن وجده معسرا. قال أصحابنا يحنث. وفى نفسى من التفرقة بينهما شيء لأن الأول امتنع بالهرب وكان معذورا ، والمعسر منعه الله بالإعسار .

[١٣٥] وَمَنْ مَشَى فَوْقَ بَيْتٍ فَهُوَ دَاخِلُهُ حَقًّا وَلَا تَدْفَعَنَّ الْحَقَّ بِالْحِيَلِ

ومن حلف لايدخل بيت فلان ، فعلا سطحه ومشى عليه فإنه يحنث ، وفوق البيت وتحته كله سواء .

[١٣٦] وَفِي الْجِوَارِ اخْتِلَافٌ قَالَ بَعْضُهُمُ

حَــــــدُّ الْجِوَارِ اقتباس النَّارِ بِالشُّعَلِ

الجوار والمجاورة والجيران: للناس المتجاورون. والقبس: شعلة من نار يقتبسها إذا أخذها، مقبس النار معطيها والقابس: أخذ النار.

يقال قبس نارا، اقتبسها قبسا، واقتبس. والقبس: الشعلة من معظم النار.

والشعل: جمع شعلة والشعلة من النار، مااشتعل منها. والشعيلة: القبيلة.

[١٣٦] أَوْ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ مُصْطَكَّةً بِعِمَارِ الدُّورِ وَالْكِلَلِ

مصطكة: متقاربة. والصك: اصطكاك الرجلين من تقارب ركبتيه، والصكاك: اصطكاك العرقوبين من الدواب. وفى الناس: الركبتين.

والكلل: وهى خيم تكون من ثيابه وغيرها والكلة: غطاء وغشاء من ثوب رقيق، يتوقى بها من لدغ البق، والبعوض، والناخى، وتكون الكلة ما يغطى بها الهودج.

[١٣٧] أَوْ أَرْبَعُونَ مَشِيدًا مِنْ مَجَادِلِهِمْ

مَوْصُولَةً بِوَمِيضِ الْبِيضِ وَالْأَسَلِ

المشيد: القصر المطول. والشيد: الجص. وتقول: شاد البناء، إذا بناه بشيد أى بجص، وطوله، ورفعه.

ومن حلف لا يجاور فلانا. قال أبو عبيدة: حد الجوار أربعون ذراعا، تكون من منزله إلى تمام متصلة.

قال أبو عبد الله : أو أربعون بيتا ، وإن كان فيما بين البيوت أرض براح ، وكان فى مثلها أربعون بيتا وإن كانوا فى فلاة ، قال : سمعنا أن الجوار ينتهى إذا قبس بعضهم من بعض النار .

[١٣٨] يَا مَائِلَ الرَّأْسِ إنَّ الْحَقَّ مُنْبَلِجٌ
وَاللَّيْلُ مُنْفَرِجُ الظَّلْمَاءِ فَاعْتَدِلِ

المائل : المعوج ، والحق منبلج أبلج ، وانبلج فهو منبلج ، مأخوذ من بلجة الصبح يقول : انبلج الحق تبلجا ، وانبلج انبلجا ، لعله انبلاجا ، إذا أضاء وأنار.

قال الشاعر :

إنِّى إذَا جَدَّ الشِّتَاءُ مَضَى وَالشَّمْسُ حَلَّتْ أَوَّلَ الْحَمَلِ
وَأَتَى الرَّبِيعُ بِطَرفِ زَمَن طَلْقِ الْهَوَى والظِّلُّ مُعْتَدِلِ

* * *

القصيدة الحادية عشر[1]

النذور والاعتكاف

وقال فى النذور والاعتكاف

وما يجوز من ذلك وما لا يجوز

[١] أَلَمْ يَلْعَبْ بِلِمَّتِكَ الْقَتِيرُ وَجَاءَكَ عَنْ مَنِيَّتِكَ النَّذِيرُ

القتير لا يلعب ، وإنما هو مجاز واستعارة معناه إن وخطه الشيب، فقد أدناه إلى الهرم والضعف ، والموت يلعب به أى يقتله ويهلكه .

واللمة : أطول من الجمة قليلا . والجمة ماغطى الأذن ، واللمة : مايلم المنكبين، وجمعها لمم . والقتير: الشيب . سمى بذلك لأنه إذا نزل ، نزل بنزوله الضعف، وقلة القوة ، وهو مأخوذ من الإقتار .

[٢] بِلاَ فَرَعِ الْعِنَانِ عَنِ التَّصَابِى وَجِلْدُكَ بَارِدٌ وَالْمُخُّ رِيرُ

فرع أى كف وأمسك العنان عن التصابى ، كناية واستعارة لمن يكثر اللهو واللعب .

يقال : فلان منطلق العنان فى غيه وجهله .

قال السنالى :

أَلاَ طَالَ مَا أَجْرَيْتُ فِى طَلَقِ الصِّبَا مَطَايَا بِطَالاَتٍ جِذَاعاً وَقُرْحَا

---

(١) من بحر الوافر .

ومنه قولهم ورعى الحلم عن السفه ، أى منعى ، وكفى .

وجلدك بارد : يعنى بالجلد هنا الفرج ، لأن الشيخ يضعف عن الجماع .

والمخ رير : أى رقيق فاسد . تقول : مخ رير ، ورار ، أى فاسد ، للضعف والسكبر .

قال الشاعر :

أَرَادَ اللهُ مُخَّكَ فِى السُّلامِى إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّفِينَا

[٣] وَأَنْتَ بِفُسْحَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي عَلَى الْإِقْلَاعِ مُطَّلِعٌ قَدِيرُ

يقول : أنت بفسحة ، أى سعة من أجلك، ومهلة من عمرك، تضحى ، وتمسى على كسب الذنوب والمعاصى ، وأنت تقدر على الإقلاع عنها ، والتوبة إلى الله منها ، فلا تتوب ، ولا تفعل ، والفسحة : المدة والسعة . كما قال : أنت فى فسحة من هذا الأمر ، أى مدة وسعة .

[٤] فَإِنَّ الدَّهْرَ أَطْوَلُهُ قَصِيرٌ وَأَكْثَرُ مَا تُرَجِّيهِ يَسِيرُ

يقول : فإن الدهر وإن طال فإن العمر فيه قصير ، وما نرجوه ونأمله من الدهر قليل وخطير .

[٥] أَلَمْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ قِدْمًا وَأَسْلَمَهُ الْخَوَرْنَقُ وَالسَّدِيرُ

أبو قابوس : هو النعمان بن المنذر بن النعمان ، ماء السماء اللخمى، كان يسكن

الحيرة[١] ، وكان ملكا عظيم الشأن ، وكان قصيرا ذميما ، وكان له قصر رفيع السمك ، مشرف على الخورنق والسدير ، وهما بستانان عظيمان .

سمعت من يقول : إنه كان فى كل بستان عشرة آلاف نخلة ، ومن شجر الفواكه ما لا يحصى عددا وكثرة .

قال بعض الأعراب:

فَإِنَّنِى رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ

وَإِذَا صَحَوْتَ فَإِنَّنِى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

[٦] وَلُقْمَانُ الَّذِى خَلَدَتْ لَدَيْهِ تَرُفُّ عَلَى مَوَاكِبِهِ النُّسُورُ

حديث لقمان بن عاد : أن عادا لما كذبوا هودا ، توالت عليهم ثلاث سنين ، تهب عليهم الريح من غير مطر ولا سحاب ، فجمعوا قومهم تسعين رجلا ، فبعثوا بهم إلى مكة ، يستسقون لهم .

ومعنى ترف على مواكبه النسور : تقبض أجنحتها ، وتبسطها .

يقول : يرف الطير ، ويرفرف على رأسه . والرف والرفيف الحركة .

قال الشاعر :

تَمَنَّيْنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

أى ترتاح قلوبنا وتتحرك كالخزامى[٢] .

---

(١) بالقرب من الكوفة ، وكانت مقرا لملك المناذرة ، وقد أقامها لهم الفرس ليكونوا حلفاءهم ليصدوا عن حدود الدولة الفارسية غارات القبائل مثلها مثل إمارة الغساسنة التى أقامها الروم على حدودهم المتاخمة لأرض العرب .

(٢) الطيور ، وسميت خزامى لأن وترات أنوفها كلها مخزومة .

قال السقالى :

وَقَدْ كَانَ تَوَّاقًا يُصَرِّفُ قَلْبَهُ رَفِيفُ الْمُنَى بَيْنَ الْهُمُومِ الْجَوَاثِمِ

[٧] وَمَا أَغْنَى عَنِ الزَّبَّاء حِصْنٌ عَشِيَّةَ حَلَّ عُقْوَتَهَا قَصِيرُ

عقوتها : دارها وقصرها .

وكان من حديث الزباء وقصير ، أن جذيمة الأبرش ، وهو الوضاح بن مالك ابن فهم الأزدى الملك ، وكان فى أيامه الطوائف قد ملك شطر الفرات ، إلى هناه ، إلى الأنبار ، وما والى ذلك ، إلى السواد ستين سنة .

وقيل إن أبا الزباء كان من العماليق ، وغلب على ملكها . وألجأها إلى أطراف مملكتها ، وكان أبرص ، فهابت العرب أن تقول له الأبرص ، فقالت : الأبرش وكانت الزباء أديبة عاقلة ، فبعثت إليه تخطبه إلى نفسها ، ليتصل ملكه بملكها .

فدعته نفسه إلى ذلك ، فدعا وزراءه ، وشاورهم فى الأمر ، فكلهم أشاروا عليه إلا قصير بن سعد القضاعى ، فإنه قال : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنها خدعة ، ومكر . فعصاه ، فقال قصير : لا يقبل لقصير رأى فأرسلها مثلا ، ولها خبر طويل تركته .

وسميت الزباء لكثرة شعرها ، وكانت لا تستعمل الموسى .

ومنه قولهم : رجل أزب : أى كثير الشعر .

[٨] وَلَا بَقِيَتْ عَلَى الْحِدْثَانِ عَادٌ وَقَدْ عَصَفَتْ بِعَرْصَتِهَا الدَّبُورُ

الحدثان : الدهر ، سمى بذلك لأحداثه ، وصروفه . ومعنى قوله وقد عصفت

بعرصتها أى اشتدت ريح الدبور . ومنه قوله تعالى : « اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ »[1] يقال : قد عصفت يومنا ذلك ، إذا اشتدت الريح فيه .

[٩] وَمَا وَقَتِ الْمَصَانِعُ ذَا رِيَاشٍ وَبَابٌ دُونَ خَنْدَقِهِ وسُورُ

الوقاء بكسر الواو ماوقى به ، ولذلك سميت الوقاية لأنها تقى من البرد والحر .

وقت : من الوقاء ، والوقاية ، والوقاء ماستر .

والمصانع التى يتخذها الناس من الأبنية ، واحدتها مصنعة وهى الحصون .

وذو رياش ملك من ملوك اليمن من التبابعة ، ولم يحضرنى شيء من حديثه .

وذو رياش يسع جهله . والخندق حفرة عميقة تدور حول الحصن .

[١٠] وَلَا حَمَتِ الْجَحَافِلُ ذَا خَفَاشٍ وَلَا تِلْكَ الْقَبَائِلَ وَالْمُجُورُ

حمت : منعت ومنه قولهم فلان يحمى ذماره ، أى يمنع مايحق عليه .

والجحافل : جمع جحفل ، وهو الجيش الكثير ، والعسكر العظيم ، والقبائل : جمع قبيلة والمجور : جمع مجر ، وهو الجيش العظيم الضخم .

والمجر : والدهم وهم قوم فى الحرب عليهم السلاح .

قال الشاعر :

جِئْنَا بِدُهْمٍ يَدْجُرُ الدُّهُومَا مَجْرٍ كَأَنَّ فَوْقَهُ النُّجُومَا

[١١] وَلَا الْحُجَابُ كَانَ لَهُ نَصِيرٌ يَرُدُّ الْمَوْتَ عَنْهُ وَلَا نَكِيرُ[1]

---

(١) الآية مكية رقم ١٨ من سورة إبراهيم .

(٢) هذا البيت غير مذكور فى الديوان ، ولعله زيادة من الشارح أو سقط فى الديوان .

الحجاب : جمع حاجب . واشتقاقه من الحجب ، وهو المنع . يقول : حجبنى فلان عن الدخول إليه ، أى منعنى .

والنكير : فى معنى المنكر ، أى لامنكر لما نزل به ، ولامغير لما حل بساحته.

والنصير : هو المعين . يقول : نصرت فلانا أى أعنته .

ومنه قول النبى ﷺ : انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، أى أعنه .

[١٢] أَتَاهُ الْمَوْتُ فَارْفَضُّوا جَمِيعاً وَأَسْلَمَهُ الْمُوَازِرُ وَالْعَشِيرُ

ارفضوا : أى تفرقوا وتركوه . يقول رفضت الشىء إذا تركته .

والموازر فى معنى المعاون ، وهو الذى يؤازرك فى الشىء ، ويعينك عليه .

والعشير : المعاشر ، وهو من المعاشرة والمخالطة .

[١٣] وَهَلْ فِى الْأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ كَبِيرٍ عَلَيْهِ مِنْ مَنِيَّتِهِ خَفِيرُ[1]

الخفير : الحافظ المانع ، مأخوذ من الخفارة ، وهو الحفظ والمنع . يقول : فلان يخفر فلانا فى أرض كذا ، أى يمنعه .

[١٤] كَأَنَّكَ بِالْمَنِيَّةِ قَدْ أَنَاخَتْ بِحَيْثُ أَنَاخَ رَائِدُهَا الْقَتِيرُ

المنية : واحدة المنايا ، وهى الموت . والرائد : المتقدم الذى يرتاد إلى القوم للماء والكلأ ، ويهيىء الحياض ، والدلاء .

والقتير : الشيب جعل الشيب رائد الموت . والإقتار : الفقر .

---

(١) فى الديوان ، وكم فى الأرض . . . وهو أصح .

[١٥] بِكَفِّ الْمَوْتِ يَقْدُمُهَا جَرِيرٌ   إلى الأَرْوَاحِ يَتْبَعُهَا مَرِيرُ

وقد جعل الكف أيضا هاهنا للموت استعارة على ما تقدم .

يقدمها جرير : يعنى التقيم الواقع فى الحنجرة عند خروج النفس من البدن ، وهو إذا خرجت الروح من البدن ، وبقيت تتردد فى الحنجرة واللهاة . والمرير : الشدة ومنه أمر الحبل ، إذا شد فتله ، وهذا أراد به شدة الموت ، تقبعها شدة .

[١٦] وَمَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيَالِى   بِهِ سَارَتْ وَإِنْ يَكُ لَا يَسِيرُ

وهذا استعارة ؛ لأن الليالى ليست مطية ، وسميت الدابة مطية ، لأن ظهرها يمتطى ، أى يقعد عليه ، ويتمدد فوقه .

وفى بعض منثور الحكم : من كانت مطيته الليل والنهار ، سار به وإن لم يسر .

ومثله قول الشاعر :

رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ حَافِظًا   أَخَا سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وَهْوَ لَا يَدْرِى

مُقِيمِينَ فِى دَارٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِى   بِلَا أُهْبَةِ الثَّاوِى الْمُقِيمِ وَلَا السَّفْرِ

وفى الحكمة : أهل الدنيا كركب سار بهم ، وهم نيام .

[١٧] أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ غَوْلٌ   خَؤُونٌ لَا تُقَاوِمُهُ الصُّخُورُ[(١)]

الدهر : مرور الأيام والليالى والسنين . قال الله تعالى : « وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ »[(٢)] قال السجستانى : مرور السنين والأيام . وغول : مهلك .

(١) هذا البيت مكتوب فى الديوان عقب البيت رقم ٢٢
(٢) الآية مكية رقم ٢٤ من سورة الجاثية .

والخؤدن : يخون أهله ، ولا يدوم لهم على حال والصخور : الجبال .

[١٨] تَضَعْضَعُ عَنْ حَوَادِثِهِ الرَّوَاسِى وَتَخْضَعُ مِنْ مَهَابَتِهِ الْقُصُورُ[(١)]

تضعضع : تذلل . حوادث الدهر : صروفه ، ومايحدث فيه من خير وشر .

وتخضع من مهابته ، أى عن مهابته .

[١٩] أَبَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِكَ مَا تُرَجِّى وَبَعْدَ ذَهَابِ فَرْعِكَ يَاغَرِيرُ[(٢)]

الأصل هاهنا : الأب ، والفرع : الولد . والغرير : الذى لم يجرب الأمور .

ويقال أيضا : جارية غريرة ، والمؤمن غر كريم .

[٢٠] أَبُوكَ الْأَصْلُ وَابْنُكَ فَهُوَ فَرْعٌ
وَقَــدْ هَشَمَتْ عِظَامَهُمَا الْقُبُورُ

هشمت : كسرت . ومنه الهاشمة فى الجوارح . وهى التى تكسر العظام .

ومنه سمى هاشم ابن عبد مناف هاشما ، واسمه عمرو وإنما سمى بذلك لأنه هشم الثريد لقومه ، وهو الخبز واللحم والسمن .

قال الشاعر :

عَمْرُو الْعُلَى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

[٢١] أَتَحْسَبُ أَنَّ حَيًّا يَاغَرِيرُ يَدُومُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورُ

[٢٢] أَخَا الْخَمْسِينَ هَلْ لَكَ مِنْ رَجَاءٍ فَإِنَّكَ بِالْبُكَاءِ لَهَا جَدِيرُ

(١) هذا البيت مكتوب فى الديوان بين البيتين رقم ١٧ ورقم ٢٣

(٢) هذا البيت مكتوب فى الديوان .

نصب أخا لأنه منادى مضاف . وقوله : هل لك من رجاء ، أى من خوف لأنك قد بلغت الخمسين سنة . والرجاء : الخوف .

[٢٣] رَأَيْتُكَ إِنْ أَتَاكَ لَهُ رَسُولٌ أَجَارَكَ عَنْهُ حِصْنٌ أَوْ مُجِيرُ

الرسول هنا الملك الموكل بالأرواح وقبضها . وجمع الرسول : رسل .

قال الله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا » يعنى ملك الموت .

وقوله : أجارك : أى منعك ، وأنجاك . والفاعل مجير ، والمفعول مجار ، والمفعول مستجار ، والفاعل مستجير .

قال الشاعر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ مَالَ عَلَى أُنَاسٍ فَأَنْتَ لَنَا مِنَ الْأَزْمَانِ جَارُ
تَصُولُ بِجُودِ كَفِّكَ غَيْرَ شَكٍّ عَلَيْهِ إِذَا أَتَى مِنْهُ الدَّمَارُ
فَأَنْتَ لَنَا مِنَ الْحَدَثَانِ مَلْجأً بِإِذْنِ اللهِ مِنْهُ لَهُ يُجَارُ(١)
لِأَنَّكَ مِنْ مَعَاشِرَ إِنْ تَوَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ غَائِرَةً أَنَارُوا
هُمُ هُمْ يَخْفِرُونَ إِذَا أَجَارُوا وَيَخْفِرُ خَوفُهُم مَنْ يُسْتَجَارُوا

[٢٤] لَهُ رَحَيَا مَنُونٍ مَنْجَنُونٍ عَلَى الثَّقَلَيْنِ قُطْبُهُمَا يَدُورُ

له : الهاء راجعة على الدهر . تقول رحى ، ورحيان ، وثلاثة أرحية ، وأرحى أيضا . والمنجنون : العجلة ، والمنجنون : الدولاب . والجمع المجنونات .

---

(١) الآية مكية رقم ٦١ من سورة الأنعام .
(٢) الحدثان الليل والنهار .

وهذا تشبيه واستعارة وأحسب أن المعنى فى ذلك الليل والنهار ، لأنهما يدوران بفناء الأعمار ، وخراب الديار ، وهما الرحيان اللذان ذكرهما . والله أعلم.

والثقلان : الجن والإنس .

قال الله تعالى : « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ(١) » والقطب فى هذا المعنى: قطب الفلك .

والقطب نجم أحمر صغير ، ثابت فى مكانه، يدور به الفرقدان، وبنات نعش ، ونجوم السماء .

وللفلك قطبان : قطب فى الشمال ، وقطب فى الجنوب متقابلان .

[٢٥] هُنَاكَ تَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ حُزْنًا وَيَحْضُرُكَ التَّلَهُّفُ وَالنُّذُورُ(٢)

تنفس الصعداء : تنفس بوجع . والصعد : النفس إلى فوق .

والنذور : جمع نذر . تقول : نذرت النذور .

قال الله تعالى : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ، وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا(٣) »

ونذرت بالقوم إذا علمت بهم والتلهف : الحسرة على ما فات .

وكل من نذر بطاعة الله ، فالوفاء به واجب عليه بناطق الكتاب .

[٢٦] وَفِي مَنْ قَالَ لِلرَّحْمَٰنِ نَذْرٌ عَلَيْهِ فَخَانَهُ كَذِبٌ وَزُورُ

(١) الآية مدنية رقم ٣١ من سورة الرحمن .
(٢) أى تتنفس .
(٣) الآية مدنية رقم ٧ من سورة الإنسان .

الزور : الكذب . ومنه شاهد زور ، أى كذب ، والعرب تقول : زورت كلامك ، أى حسنته وقويته .

[٢٧] طَعَامُ أَرَامِلٍ عَشْرٍ خِمَاصٍ يَعِينُ التَّسَحُّرُ وَالفُطُورُ

الأرامل : جمع أرملة ، وهى الفقيرة التى لا زوج لها . والطعم للرجال جميعا من أهل الفقر جائز . والخماص : الجياع .

ومن قال لله على نذر ، ثم حنث ، فعليه إطعام عشرة مساكين ، أو صيام ثلاثة أيام وقيل عشرة أيام .

واسم الأرامل يدخل على الذكر والأنثى ، الذى لا زوج له من النساء والرجال .

[٢٨] وَإِنْ يَهْوَى الصِّيَامَ فَصَوْمُ يَوْمٍ إِلَى يَوْمَيْنِ مَرَّ لَهُ مَرِيرُ

مر له مرير : هو ماض . يقول : مار ومستمر ، وهو الماضى . وقوله تعالى : « سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ[1] » ، أى ماض من سحره . وقوم يصوم إلى يومين ، فصار ذلك ثلاثة أيام .

[٢٩] وَإِنْ يَكُ قَالَ إِنَّ عَلَيْهِ نَذْراً فَصَوْمٌ أَوْ فَإِطْعَامٌ يَسِيرُ

[٣٠] إِذَا هُوَ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ نَذْراً مُسَمًّى فَالإِلَهُ لَهُ غَفُورُ

[٣١] وَيُجْزِى صَوْمُ يَوْمَيْنِ وَإِلَّا فَيَوْمٌ أَوْ أَخُو عَدَمٍ فَقِيرُ

(١) الآية مكية رقم ٢ من سورة القمر .

يقال : أعدم الرجل إذا صار ذا عدم ، ورجل عديم : لا مال له ، وقد عـدم ماله وفقده إذا ذهب عنه .

قال حسان[١] :

رُبَّ حِلْمٍ أضَاعَهُ عُدْمُ الْمَـا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

والغفور الستار : للذنب والعيوب .

وقال آخر :

وَالْمَرْءُ يُـكْرَمُ لِلْغِـنَى وَيُهَانُ لِلْعُدْمِ الْعَدِيمُ

مسألة : وإن يك قال عليه صوم ، أو قال عليه نذر ولم يقل لله ، ثم حنث ، حنث ، فعليه صيام يوم ، أو يومين ، أو إطعام مسكين ، أو مسكينين .

[٣٢] وَفِى اللَّهُمَّ خَمْسٌ بَعْدَ خَمْسٍ صِيَامًا لَا يُخَالِجُهُ فُتُورُ

ومعنى لايخالجه فتور : أى لايختلف عليه رأيه ، ويختلط عقله . والفتور : السأم والملل .

مسألة : ومن قال اللهم افعل لى وكذا ، وكذا ، وأنا أفعل كذا ، وكذا ، ثم لم يفعل فعليه صوم عشرة أيام ، أو إطعام عشرة مساكين .

ومما يستعمل فى الدعاء والطلب: اللهم اغفر لنا ، اللهم افعل لى كذا، وكذا.

والأصل فيه أن يكون بالله ، وإنما زيدت الميم عوضا من حرف النداء .

---

(١) هو الشاعر المعروف حسان بن ثابت. وكان من شعراء الرسول عليه الصلاة والسلام، يدافع عنه وعن المسلمين ، ويرد على شعراء المشركين فى مكة .

[٣٣] وَفِي يَارَبِّ يَوْمَانِ وَيَوْمٌ أَجِرْنِي إِنَّنِي بِكَ مُسْتَجِيرُ

المسألة : ومن قال : يارب افعل لى كذا وكذا ، ثم لم يفعل ، فلأصحابنا فيه ثلاثة أقاويل :

قال بعضهم : كفارة يمين مرسلة . وقال آخرون : صيام ثلاثة أيام، أو إطعام عشرة مساكين . وقال آخرون : صيام عشرة أيام ، أو إطعام عشرة مساكين .

ومعنى قوله أجرنى : إننى بك مستجير، أى اعطف علىّ، إننى بك مستعطف والاستجارة أن يستعطف المستجار به .

قال خالد :

لَعَلَّكِ يَا أُمَّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتِ سِوَاى خَلِيلًا شَاتِمِى يَسْتَجِيرُهَا

[٣٤] كَذَلِكَ يَا إِلَهِي فَاعْفُ عَنِّي فَأَنْتَ الْحَقُّ حَقًّا لَا تَجُورُ

نصب حق على المصدر ، ويمكن أن يكون على المفعول ، معناه أقول حقا .

وفى يا إلهى ، ويامولاى افعل لى كذا وكذا ، وأنا أفعل كذا وكذا ، ثم حنث فعليه إطعام عشرة مساكين ، أو صيام ثلاثة أيام .

[٣٥] وَفِي الْإِطْعَامِ عَشْرٌ يَائِسَاتٌ إِنَاثٌ أَوْ بِعِدَّتِهَا ذُكُورُ

من نصب عشرا أضمر فعلا،أراد يطعم عشرا،ومن رفع فعلى الابتداء والخبر وبعض النحويين يقول : ارتفع عشر بخبر المجرور . هكذا يوجد . والله أعلم .

[٣٦] وَمَنْ آلَى عَلَى سَفَرٍ بِنَذْرٍ فَأَعْجَزَهُ التَّقَوُّلُ وَالْمَسِيرُ

التقول : البعد .

قال لبيد :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

[٣٧] فَحِنْثُ النَّذْرِ يُلْزِمُهُ فَيُعْطِى ... مَؤُونَةَ سَيْرِهِ رَجُلٌ ضَرِيرُ

تفسيرهذه الأبيات : ومن نذر أن يخرج إلى قرية كذا وكذا، وليصلى فيها، أو يصوم ، أو يصل رحما ، أو غير ذلك من أبواب البر والطاعة ثم حنث ، ولم يخرج ؛ فقال من قال كفارة ماحلف عليه ، والكراء والمؤونة إلى ذلك موضع ، يتصدق به على الفقراء . وقال من قال عليه الكراء لذهوبه يفرقه على الفقراء ، وليس عليه النفقة .

[٣٨] وَبَعْضٌ قَالَ مِثْلَ كِرَاهُ يُعْطَى ... ذُهُوبًا لَا يَرِيمُ وَلَا يَجُورُ

لأنه كان ينفق فى موضع ، وليس عليه فى الزحف ؛ لأنه إن أرادأقام هنالك

وقال فيمن نذر أن يخرج إلى بلد ، ولم يخرج ، فينظر كراء ذلك البلد كم يكون له الحب ، ثم يصوم عن كل نصف مكوك حب بر يوما .

نصب ذهوبا على الحال . لا يريم : لا يبرح . ويجوز معناه يرجع .

[٣٩] وَبَعْضٌ قَالَ أَوْفَرُ ذَاكَ يُعْطِى ... وَأَوْسَطُ قَوْلِهِمْ عِنْدِى الْوُفُور

[٤٠] إِذَا التَّكْفِيرُ كَانَ أَقَلَّ حَظًّا ... وَكَانَ كَرَى الذُّهُوبِ هُوَ الْكَثِيرُ

التكفير والكفارة ، مايكفر به اليمين . والكافور : الطيب ، والكافور كم الطلعة والتكفير أيضا : تتويج الملك . وأنشد :

* مُلْكُ ثَلَاثٍ بِرَأْسِهِ تَكْفِيرُ *

الوفور : الوافر ، وهو الأكثر .

[٤١] قَضَى بِكِرَاهُ لِلْفُقَرَا ذَهُوبًا ‏ وَحِنْثُ النَّذْرِ مُطَّرِحٌ هَدِيرٌ

قوله مطرح أى مطروح عنه ، يعنى كراه الرجوع إلى بلده وهدير : متروك.

يقال : أهدر دم القتل ، فهو هدير ، وهدير إذا ترك ولم يطالب به .

وكذلك طل دمه فهو مطلول إذا لم يطالب به .

ومن نذر أن يخرج إلى قرية ليشترى شيئا ، أو لقاء سلطان ، أو سبب ليس من الطاعة ثم حنث ، فعليه فى هذا ، الكفارة لنذره ، يعطيه للفقراء .

[٤٢] وَيَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِكُلِّ نَذْرٍ ‏ سِوَى نَذْرٍ يُخَالِطُهُ فُجُورُ

الفجور فى اللغة هو الميل عن الشىء والعدول عنه . يقال : فجر إذا مال ، وعدل .

والفاجر : المائل . ويقال : فجر فى يمينه ، أى حنث فيها . ومنه يقال : يمين فاجرة أى كاذبة .

قال بشير :

جَعَلْتُم قَبْرَ جَارِيَةِ بْنِ لَامٍ ‏ إِلٰهًا يَحْلِفُونَ بِهِ فُجُورًا

[٤٣] وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِى تَرْكِ الْمَعَاصِى ‏ فَتِيلٌ فِى الْقَضَاءِ وَلَا نَقِيرٌ

الفتيل : القشرة التى بطن النواة ، وهى الواحدة من عجم النخل .

والنقير : النقرة التى فى قفاها . والقطمير : لفافة النواة .

ومن نذر فى شىء لايملكه ولا يستطاع ، أو فى معصية الله ، فلا وفاء به ، ولايلزمه الوفاء . قال النبى ﷺ : لانذر فى معصية الله ، ولافيما لايملكه ابن آدم

لما روى عن النبي ﷺ أنه قال : من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه .

[٤٤] وَيَلْزَمُهُ الصِّيَامُ لِمَا يُسَمَّى وَلَوْ كَانَتْ سِنُونٌ أَوْ شُهُورُ

ومن جعل على نفسه صيام سنة ، فعليه صيام سنة ، ويبدل صيام شهر رمضان، ويوم الفطر : ويوم النحر .

وإن قال هذه السنة ، فإنما عليه بدل يوم الفطر ، ويوم النحر ، وليس عليه بدل شهر رمضان .

[٤٥] وَمَنْ نَذَرَ الصِّيَامَ لِكُلِّ سَبْتٍ فَجَاءَ وَفِيهِ عِيدٌ أَوْ مَسِيرُ
[٤٦] فَإِنَّ عَلَيْهِ فِيهِ صِيَامَ يَوْمٍ إِذَا مَا اضْطَرَّهُ فِيهِ فُطُورُ
[٤٧] وَإِنْ يَكُ فِطْرُهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَبِالتَّكْفِيرِ ذَلِكُمُ جَدِيرُ
[٤٨] وَيَرْجِعُ فَلْيَصُمْهُ فَإِنْ تَعَدَّى لِثَانِيَةٍ وَهُوَ لَهَا ذَكُورُ

ومن نذر أن يصوم كل يوم سبت ، أو خميس ، أو جمعة ، أو نحو ذلك ، ثم حنث ، فإن عليه أن يصوم .

[٤٩] فَلَيْسَ عَلَيْهِ حِنْثٌ بَعْدَ حِنْثٍ وَيُبْدِلُ يَوْمَهُ والحَقُّ نُورُ

ذلك اليوم أبدا ، فإن كان ذلك اليوم يوم العيد ، أو عناه مرض ، أو سفر، فأفطر ، فعليه بدل يوم مكانه ، ولا كفارة عليه .

وإن أفطر متعمدا ، فعليه الكفارة على ماقد حاف ، ويبدل ذلك اليوم ، ويرجع يصوم ذلك اليوم أبدا ، فإن رجع وأفطر أيضا متعمدا ، أبدل يوما مكانه،

ورجع إلى صومه، ولم يكن عليه كفارة غير الأولى .

[٥٠] وَمَنْ نَذَرَ اعْتِكَافًا فِي بِلَادٍ ... فَأَقْعَدَهُ الضَّرُورَةُ وَالْخُؤُورُ

والاعتكاف فى اللغة من كلام العرب : لزوم الشيء والإقبال عليه . قال الله تعالى : «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ »[1] .

يخبر تبارك وتعالى عن إقامتهم عليها .

والضرورة : الضر ، والفقر . وقيل : الضر ضر يقع . والضر : الزمانة والمرض .

والخور : الضعف . يقال : عوده فيه خور ، أى ضعف .

[٥١] فَقَدْرُ كِرَاهُ يَأْخُذُهُ ذُهُوبًا ... وَبِرٌّ أَوْ أَخُو عُدْمٍ أَسِيرُ

والأسير : واحد الأسارى . يقال : أسرى ، وأسارى .

وقد قرىء بهما جميعا .

ومن نذر أن يعتكف فى مسجد صحار[2] ، وهو فى الجوف[3] ، فلم يقدر أن يخرج ، قال : يعتكف فى مسجد بلده ، ويتصدق بقدر كرائه ذاهبا ، وليس عليه فى الإقبال شيء . فإن لم يجد مايتصدق به ، فينظر إلى سعر البلد ، فيحسب بقدر الكراء ، ثم يصوم لكل نصف مكوك بر يوما ، أو ثلاثة أرباع المكوك ذرة .

---

(١) الآية مكية رقم ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٢) بلد شهير فى سلطنة عمان .

(٣) وتسمى توام الجوف ، وتسميها العامة الجو ، وهى البوريمى .

[٥٢] وَإِنْ هُوَ لَمْ يَجِدْ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَوْمٌ يَاقَدُورُ(١)

ومن قال اللهم يارب ، فكفارتها واحدة ، كفارة اللهم .

وقد مضى فى المسألة هذا ، فاعرفه . وقدور اسم امرأة .

قال بعض الأعراب :

عَشِيَّةَ رُحْنَا مِنْ قُدُورٍ وَتُرْبِهَا رَمَانِي خِلَافٌ لِمِرْفَقَيْن فَأَوْجَعَا

وقال غيره :

وَإِنِّى لَأَلْهُو عَنْ قُدُورٍ بِغَيْرِهَا وَأُعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا وَأُصَارِحُ

أى قدور لما تقدرين من هذه الأشياء .

[٥٣] وَإِنْ يَكُ نَذْرُهُ إِعْطَاءَ شَيْءٍ أَخَا فَقْرٍ وَلِلّٰهِ الْأُمُورُ

[٥٤] وَمَاتَ فَإِنَّهُ لِلْحِنْثِ أَهْلٌ إِذَا مَا كَانَ قَدْ أَوْدَى الْفَقِيرُ

[٥٥] وَمَا سَمَّاهُ فَهُوَ إِلَى بَنِيهِ مِنَ الْفُقَرَا عَطِيَّتُهُ تَصِيرُ

[٥٦] وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُ الْحِنْثِ شَيْءٌ إِذَا أَثْرَى لَهُ مَالٌ كَثِيرُ

ومن نذر أن يسلم فقيرا غائبا مالا ، فسلم ذلك المال ، وفلان الفقير قد مات ؛ فانه إن أتم ذلك للفقراء ، كان أحب إلىّ .

وأحب إن من مات من بعد ذلك ، أو قبل ذلك ، أن يتم ذلك للفقراء من ورثة ذلك أو غيرهم ، وعليه كفارة نذره على حال ، حيث لم يعطه وهو كما قدر ، وليس هذا بواجب .

---

(١) فى الديوان ، فإن هو لم يجد .

وإن كان قال وهو يعطى فلانا غير فقير، فات كفّر نذره لأنه نذر على غنى .

[٥٧] وَمَنْ نَذَرَ الصَّلَاةَ بِأَلْفِ بَيْتٍ مُسَمَّاةٍ تَرِفُ بِهَا السُّتُورُ

[٥٨] فَيُطْعِمُ جَائِمًا وَعَلَيْهِ حِنْثٌ وَذَلِكَ حِينَ أَعْسَرَهُ الْعَسِيرُ

أعسره : أى ضيق عليه ، والعسير : الضيق . والعسير : الشديد ، من قوله تعالى : « فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ »[1] ، أى شديد .

[٥٩] وَيَرْكَعُ حَيْثُ شَاءَ بِلَاجُنَاحٍ كَذَلِكَ أَخْبَرَ الطَّبِنُ الْخَبِيرُ

جناح : إثم . ومنه قوله تعالى : « وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَخْطَأْتُم »[2] أى لا إثم عليكم فى الخطأ . والطبن : الفطن بالأمور . يقال : طبن فلان بهذا الأمر طبانة وطبنا .

والخبير : العالم . وفى المثل : قتل أرضا خابرها ، وقتلت أرض جاهلها . يعنى قتلها عالمها . ومن أسماء الله الخبير ، العالم بالشىء .

يقال : فلان يخبر هذا الأمر ، أى يعلمه ، وهو خبير به . قال الله تعالى : « فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا »[3] ، أى عالما .

[٦٠] وإنْ تَكُنْ الْمَسَاجِدُ لَمْ تَسَمَّى وَمَوْضِعُهَا قَرِيبٌ أَوْ شَطِيرُ

الشطير والشطين : البعيد . يقول : شطرت دار الأحبة ، وشطنت .

[٦١] فَيَخُطُّ عِدَادَهَا خَطًّا وَصَلَّى وَقَدْ بَرَّتْ بِمَا فَعَلَ النُّذُورُ

---

(١) الآية مكية رقم ٩ من سورة المدثر .

(٢) الآية مدنية رقم ٥ من سورة الأحزاب .

(٣) الآية مكية رقم ٥٩ من سورة الفرقان .

برت : صدقت . وبررت ياهذا بكسر الراء ، وبررت بفتح الراء . ومعنى برت : وفت وصدقت .

ومن نذر أن يصلى فى مساجد مسماة ، ولا يقدر على ذلك ، فإنه يصلى فى مكان عدد ماقدر أن يصلى فى تلك المساجد .

وقد قيل يخط خطا ، ويصلى فى عدد مانذر .

وروى عن النبي ﷺ أن امرأة نذرت أن تصلى فى مائتى مسجد، قال : يجزئها أن تصلى فى مسجد واحد ، مائتى ركعة .

وقد قيل : تخط مائتى مسجد ، وتصلى مائتى ركعة .

[٦٢] وَيَلْزَمُهُ لِمَا لَمْ يَسْتَطِعْهُ عَدِيمٌ فِي مَعِيشَتِهِ ضَرِيرُ
[٦٣] إِذَا هُوَ قَالَ كُنْتُ أَزُولُ يَوماً يُلَوِّحُنِى الْوَدِيقَةُ وَالْحَرُورُ

الوديقة شدة الحر، وجمها ودائق . وسميت الوديقة، وهى الهاجرة لدنو الحر وسميت الأتان وديق لدنوها من الفحل . والحرور ريح حارة تهب بالليل ، وقد تكون بالنهار ، والسموم بالنهار ، وقد تكون بالليل .

ومن نذر أن يصوم شهرا ولا يتكلم ، فلا شيء عليه. وإن تكلم، لأن الصمت ليس بواجب ، وليس له أن يصمت شهرا لايتكلم ، وهو معصية .

[٦٤] أَوِ اللَّاتِى نَذَرْنَ صِيَامَ شَهْرٍ حَوَاسِرَ مَا يَكُنَّ لَهَا شُعُورُ

حواسر جمع حاسرة ، وهن الكاشفات رءوسهن ، وأكثر ما يكون ذلك فى المصائب .

المسألة : وقال : نذرت امرأة أن تمشى إلى البيت حافية حاسرة ، فسأل

أخوها النبي ﷺ ، فقال : مر أختك أن تركب ، وتخمر ، وتصوم ثلاثة أيام ، وتمشي ماطاقت ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي طاقتها .

[٦٥] وَلَيْسَ لِعاكِفٍ يَوْمٌ خُرُوجٌ إلَى غَيْرِ الْخَلَاءِ وَلَا ظُهُورُ

العاكف : المقيم على الشيء ، والخلاء موضع قضاء الحاجة ، وهو ممدود ، وجمعه أخلية ، وهو الكنيف ، والجمع أكنف .

وقوله لاظهور : أي لا بروز ، والبروز والظهور واحد .

وفي الرواية أن النبي ﷺ مااعتكف إلا وهو صائم . وإن كان لم يعتكف إلا في شهر رمضان .

والاعتكاف المتفق على جوازه ، هو إذا كان بصوم .

[٦٦] ولَيْس لَهُ دُخُولٌ وَسْطَ بَيتٍ لَهُ سَقْفٌ تَحَدَّثُ فِيهِ حُورُ

الحور : جمع حوراء وهي النساء وهي شديدة بياض العين ، ولا يدخل المعتكف بيتا مسقفا سوى المسجد الذي اعتكف فيه ، إلا مضطرا إلى مغتسل ، أو مخرج لا يجد غيره ، ولا يدخل بيتا مسقفا ، ولا خسا ، يعني كنيفا ، ولا مغتسلا ، إلا ألا يجد غيره ، فإن وجد غيره ، فلا يدخله ، ولا مستأنس لحديث .

[٦٧] فَإِنْ يَغْتَلَّ عَادَ إلى مَبِيتِه فَإِنْ يَبْرَأْ وَعَادَ لَهُ الْمَرِيرُ

المرير في اللغة : الشديد والشدة ، وأنشد :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا

[٦٨] أَتَمَّ عَكُوفَهُ مِنْ حِينِ يَبْرَا كَذَاكَ الْحَيْضُ أَيْضاً والطُهُورُ

المسألة : ومن اعتكف أياما ، ثم مرض ، فخرج إلى منزله ، ثم صح بعد ذلك فلا يجزئه أن يطعم لكل يوما مسكينا ، ولكن يعتكف مابقى من تلك الأيام .

ومن مرض فرجع إلى بيته ، فإن صح من حينه ، أتم اعتكافه .

وإن اعتكفت امرأة فحاضت ، رجعت إلى منزلها ، فإذا طهرت رجعت إلى موضع معتكفها ، فقضت الأيام التى حاضت فيهن ، وليس ذلك بأشد من شهر رمضان .

[٦٩] وَيَغْسِلُ رَأْسَهُ وَيَزَارُ فِيهِ وَيَدْهَنُ إِنْ أَرَادَ وَلَا يَزُورُ

الزيادة معرونة، وقوله يزار فيه يعنى المعتكف يزار فى موضع اعتكافه، ولا يزور هو أحدا .

وللمعتكف أن يغسل رأسه ، ويدهن ، ويكتحل، ولا بأس أن يتحدث عنده فى موضعه ، بما لا إثم عليه فيه .

ويستحب أن يشتغل بذكر الله .

ومن غيره : وليس للمعتكف غسل رأسه ، ولا دهنه فى أهله .

قال أبو عبد الله : لا بأس عليه .

[٧٠] وَلَا يَقْعُدْ إِذَا مَاعَادَ يَوْمًا أَخَا سَقَمٍ وَلَوْ مُهِدَ السَّرِيرُ

يقال عاد للريض يعوده عيادة ، إذا جاءه مرة بعد مرة .

قيل : كانت عائشة رضى الله عنها إذا اعتكفت ، لاتدخل البيت لحاجة الإنسان ، ولاتعود مريضا إلا مريضا على طريقها ، فهذا أيضا ، لايعود مريضا ،

ولا يشهد جنازة ، فإن فعل انتقض اعتكافه ، إلا أن يكون يلى هو أمرها ، فحينئذ لاشيء عليه فى اعتكافه . والله أعلم .

[٧١] وَلَا يشرى ولا يبتع جَلِيلًا وَلَا نَزْراً وَهِمَّتُهُ الْأُجُورُ

يشرى : يبيع ، ويبتع ، ويشترى. والجليل الكثير. والنزر: القليل. الأجور جمع أجر ، وهو الجزاء .

ولا يبيع المعتكف ، ولا يشترى ، ولا يصل فى اعتكافه رحمه بقدمه، وإن وصله بسلام ، أو هدية ، فجائز، وكان يقال : ينبغى للمعتكف أن يكون مصليا، أو قارئا، أو نائما .

[٧٢] وَيَحْضُرُ جُمْعَةً وَصَلَاةَ مَيْتٍ تَوَلَّاهَا وَيَلْزَمُهُ الْحُضُورُ

يعنى وله أن يحضر صلاة الجمعة، وصلاة على الميت يتولاها، ويلزمه حضوره من أب أو أخ، أو زوجة ، ولا يقف للتعزية ، وينصرف إلى موضعه ، ولا يقف فى طريق . ولا بأس أن يخرج من المسجد وأن يكلم فى الطريق أحدا ويصافحه وهو يمشى إلى منزله ولا يقوم معه فيكلمه ، فذلك يكره .

[٧٣] فَمَنْ نَكَحَ اعْتِدَاءً وَهْوَ غِرٌّ وَزَيَّنَ فِعْلَ ذَاكَ لَهُ الْغَرُورُ

نكح : جامع ، اعتداء : أى متعمد بالحرمة اعتكافه ، وزين ذلك له الغرور وهو الشيطان بفتح الغين .

ومن غشى امرأته وهو معتكف ، فسد اعتكافه ، وعليه أن يستأنف الاعتكاف ، وعليه الكفارة عتق رقبة ، فإن لم يجد ، فصيام شهرين متتابعين . وإن كانت هى معتكفة وطاوعته ، فعليها مثل ماعليه .

[٧٤] فَعِتْقٌ أَوْ شَهْرَانِ صِيَاماً عَلَيْهِ وَالْعُكُوفُ بِهِ يَبُورُ

يبور : معناه يفسد اعتكافه إذا جامع زوجته .

ومن وطىء امرأته وهو معتكف ، فعليه الكفارة عتق رقبة ، فإن لم يجد ، فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وليس هو مخيرا فى ذلك .

ومن نذر أن يعتكف شهرا فى مسجد ، فإنه يدخل المسجد ، ويكون فيه منذ تغرب الشمس من أول ليلة فى الشهر .

[٧٥] وَيُبْدِلُهُ وَيُكْثِرُ حَمْدَ رَبٍّ إِلٰهٍ لَا يُشَاكِهُهُ نَظِيرُ

أى يبدل ماصام إذا أصاب امرأته بعد الكفارة ، وقد مضى القول فى هذا .

خفض (إله) على النعت من رب . ومعنى قوله : لايشاكهه أى لا يشبهه .

يقال : شاكهه ، وشابهه ، وضاهاه ، وفاتاه ، كله بمعنى واحد . والنظير : المثل .

قال الشاعر :

فَلَيْسَ لِرَبِّنَا فِيمَا نَرَاهُ نَظِيرٌ لَا وَلَا مِنْهُ ظَهِيرُ

الظهير : المعين .

[٧٦] مَلِيكٍ قَاهِرٍ كُلَّ الْبَرَايَا صَغِيرٌ عِنْدَ سَطْوَتِهِ حَقِيرُ

خفض مليكا ، لأنه نعت لإله . القاهر : الغالب لكل شىء .

البرايا : جمع برية . وهم الخلق ، مأخوذ من البرا وهو التراب والطين .

والسطوة : القدرة ـ والحقير : الذليل ، والحقير ضد الخطير .

تمت القصيدة

وتمت بتمامهاقطعة[1] الأديان ، بعون الله وحسن توفيقه ، وبمنه وكرمه

إنه كريم منان ـ وكان تمام ذلك يوم الأربعاء أربعة عشر

يوما خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٩٣ هجرية

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا

محمد النبي الأمى ، وعلى آله وصحبه

رب العالمين

وسلم تسليما كثيرا . آمين

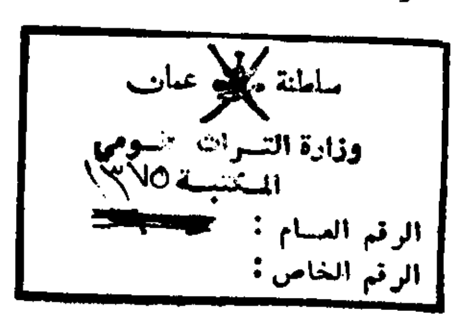
ويتلو ذلك قطعة الأحكام ، نسأل الله الإعانة عليها .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه اتكالى ، وإليه أنيب ؟

انتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثانى



(١) المراد بالقطعة المجلد .

الفهرست

الصحيفة	الموضوع

رقم الإيداع ٣٢٤٠ / ١٩٨٢

الترقيم الدولى ٧٠ - ٧٢٣٩ - ٩٧٧

